

الجمهورية اللبنانية

نصوص هـ ورويس

تاريخ الزمان

لأبي الفرج جمال الدين ابن العبري



دارالمشرق
بيروت







نقله إلى العربية

الأب إسحق أرملة

وصدّرت باعاً في مجلة المشرق (١٩٤٩-١٩٥٦)

قدّم له

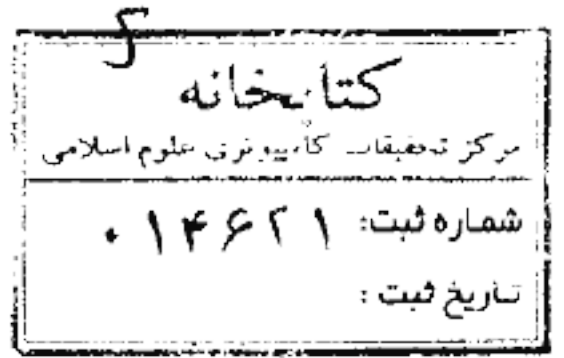
الأب الدكتور جان موريس فييه

صدّر لمناسبة المئوية السابعة لوفاة المؤلف

١٩٨٦-١٢٨٦



دار المشرق للمطبوعات



© جميع الحقوق محفوظة. ۱۹۹۱
دار المشرق ش.م.م - ص.ب. ۹۴۶، بيروت، لبنان

ISBN 2-7214-8014-7

توزيع: المكتبة الشرقية
ص.ب. ۱۹۸۶، بيروت - لبنان

۰۱۹۱۰۱ - ۱.۵ - ۹۱/۷/۳۱

استهلال من الناشر

من المعروف ان اعادة نشر كتاب ما ، هي بوجه او بآخر ، احياء له ولصاحبه . واعادة نشر « كتاب التاريخ المطول » لغريغوريوس ابي الفرج الملطي المعروف بابن العبري ، في ذكرى وفاته السبعائة ، (١٢٨٦ - ١٩٨٦) ، هي مشاركة في احياء التراث الكبير الذي خلفه كاتبنا وهو من اشهر اعلام الأدب السرياني في مختلف اصوله وفروعه ومن آخر كبار الأدباء الذين كتبوا بالسريانية . والترجمة هي من وضع الأب إسحق أرملة السرياني وقد صدرت بين سنوات ١٩٤٩ و ١٩٥٦ في مجلة « المشرق » . وكتاب « التاريخ المطول » هو حلقة أساسية بين كتب التاريخ التي تنطرق الى الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والمدني في الشرق ، وقد استفاد مؤلفه من الوثائق والكتب السريانية والعربية والفارسية التي وقف عليها في مكتبة مدينة مراغه ، إحدى عواصم المغول .

وبما ان الاب جان-موريس فييه قدّم علمياً (راجع التقديم) لحياة ابن العبري ولكتاب التاريخ المطول ، من حيث موقعه بين كتب التاريخ الأخرى وأهميته للمؤرخ المعاصر... ، فإننا نكتفي ، في هذا الاستهلال ، بإبراز بعض الاشارات التي تساعد في قراءة هذا الكتاب والإفادة منه :

أ) عنوان الكتاب : لقد نُشِرَ كتاب ابن العبري في مجلة « المشرق » تحت عنوان « تاريخ الدول السرياني » من تأليف أبي الفرج الملطي . ويشير اليه بعض الباحثين بالتاريخ المطول نسبة الى تاريخ ابن العبري الآخر ، « تاريخ مختصر الدول » ، وقد نشره الأب انطوان صالحاني في طبعة اولى سنة ١٨٩٨ وصدرت ثانية

منقحاً ، مع فهرس عام ، سنة ١٩٥٨ . اما نشرتنا اليوم ، فانها تعيد الى التاريخ المطول عنوانه الاساسي وهو « تاريخ الزمان » كما ورد في المخطوطات السريانية القديمة . ونلفت النظر الى اننا ننشر هنا جزءاً من هذا التاريخ فقط ، اي الحقبين العاشرة والحادية عشرة . أما بحمل التاريخ فانه يُقسَم الى إحدى عشرة حقبة على الشكل التالي :

يبدأ من الآباء (من آدم الى يشوع) والقضاة (من يشوع الى شاول) والملوك العبرانيين ، ثم ينتقل الى الملوك الكلدانيين (بختنصر الى بلشاصر) والملوك الماديين (داريوس المادي) وملوك الفرس (كورش الى داريوس بن ارشم) وملوك اليونان الوثنيين (من الاسكندر الى كليوباترة) والأباطرة الرومان (من انطونيوس الى يوستينس الثاني) والملوك البيزنطيين المسيحيين (من يوستينس الثاني الى هرقل) وملوك العرب ، وأخيراً الى ملوك الهونيين .

ب) نصّ الكتاب : إن هذه النشرة هي نسخة عن ترجمة إسحق أرملة كما وردت سابقاً في مجلة « المشرق » . ولقد أعدنا توزيع صفحاتها وعمِلنا على تنقيحها وتصحيح بعض الاخطاء الواردة فيها . لكننا نشير ، في هذا المجال ، الى نقطتين : - الاولى تتناول أسماء الأعلام وقد تبين لنا ان الاسم نفسه قد كتب أحياناً بطريقتين مختلفتين دون ان يكون ذلك باعثاً على إحداث خللٍ ما في نصّ الترجمة .

- الثانية : هناك بعض الاختلاف في كتابة بعض أسماء الأعلام بين « مختصر تاريخ الدول » الموضوع أصلاً بالعربية و « تاريخ الزمان » المنقول من السريانية الى العربية . على سبيل المثال : طغرك بك (تاريخ الزمان) - طغربك (المختصر) ، كيكسرو - كيكسرو ، خوارزم شاه - خوارزمشاه ، دقوز خاتون - دوقوز خاتون ...

ج) أضفنا الى هذا الكتاب فهرساً مفصلاً بأسماء الأعلام الواردة في نصّ كتاب الزمان تسهيلاً لعمل الباحثين ولاغناء النشرة الحالية . وقد أفردنا مكاناً في هذا الفهرس لأسماء القلاع والكنائس والأديار والأنهر ...

لا شك ان لتاريخ الزمان أهمية كبرى بين المصنفات التاريخية الخاصة بالشرق القديم : فابن العبري يأتي في ختام سلسلة من المؤرخين الكبار ، أصحاب الموسوعات ، اقتبس منهم ونقح وصحح وأضاف ما شاهده وعايته شخصياً . ومن الواضح ، لدى قراءة هذا التاريخ ، ان ابن العبري هو عالم لأنه قارئ متعمق : فكثيراً ما يشير الى انه قرأ « خمسة مجلدات » ، و « طالعنا كتاباً آخر » ، ولم نعثر في الكتب على خبر يستحق الذكر... وعندما يورد معاشته الشخصية يقول : «... وما برحوا الى اليوم...» ، و « الى يومنا هذا » و « حتى هذا اليوم... » ومن الممكن الاشارة ايضاً الى ان ابن العبري يفرد : (١) مكاناً خاصاً لتقاليد القبائل والشعوب وعاداتها وكذلك (٢) لوضع المسيحيين وأحوالهم في مختلف الممالك وما أصابهم من الانحطاط والاضطهادات ، ويشير بين صفحة وأخرى (٣) الى الوضع الاقتصادي والمعيشي لمختلف الشعوب . لهذه الاسباب وغيرها ، تبدو إعادة نشر هذا التاريخ اليوم ضرورة للإطلاع على أحوال الأيام الماضية والقاء نظرة متجددة على أيامنا الحاضرة.

الأب سليم دكاش اليسوعي

دار المشرق



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تقديم

الاب الدكتور جان موريس فييه الدومينيكي *

بعد ان قدمت « دار المشرق » (المطبعة الكاثوليكية سابقاً) للبحّثة والقراء ، سنة ١٨٩٠ ، ثم سنة ١٩٥٨ ، تاريخ مختصر الدول (أو بشكل أدق مختصر تاريخ الدول) للعلامة غريغوريوس الملطي ، الملقّب بابن العبري ، من اعداد الاب انتوان صالحاني اليسوعي وتحقيقه ، يسرّها اليوم ان نسدّ فراغاً في المكتبة العربية وان تنشر في مجلّد واحد الترجمة العربية للتاريخ السرياني المطول (تاريخ الزمان) من وضع ابن العبري نفسه ، وذلك لمناسبة انعقاد عدة مؤتمرات تنظّم في لبنان وسوريا والعراق في الذكرى المثوية السابعة لوفاته (١٢٨٦ - ١٩٨٦). وجدير بالذكر ان هذه الترجمة العربية هي من وضع الخوري اسحق ارملة وقد صدرت تباعاً في مجلة «المشرق» البيروتية بين سنتي ١٩٤٩ و ١٩٥٦ .

المؤلف

ان الكاتب السرياني غريغوريوس أبا الفرج جمال الدين ابن الشماس تاج الدين هارون المتطبّب ابن توما الملطي قد اشتهر بلقب ابن العبري ، نسبة الى قرية عبرا على الفرات وبالقرب من مدينة ملطية (المصيصة). ولقد كان هذا اللقب باعثاً الغموض بعد ان ترجمه الاوروبيون بـ Bar Hébraeus . وكان البعض اعتقد ، يوم كان ابن العبري على قيد الحياة ، ان كاتبنا يتنسب الى عائلة عبرانية اعتنقت الدين المسيحي ، وان اسم الاب ، الطبيب هارون ، هو اثبات لذلك الاعتقاد ، بينما كان هذا الاسم متداولاً بين السريان . اما ابن العبري نفسه ، فيعلّق على ذلك الخطأ بشيء من الظرف قائلاً :

« إذا كان سيدنا المسيح سُمِّي نفسه سامرياً فلا غضاضة عليك ان دعوك بابن العبري ، لأن مصدر هذه التسمية نهر الفرات ، لا ديناً معيماً ولا لغة عبرية . »
 اما ما يخص برصوم ، أنا ابن العبري ومكتمل عمله الأدبي ، فن الصعب ان نعطي تبريراً لآرائه العنيفة المعادية لليهود ، لو كان أبوه نفسه يهودياً .

وُلد غريغوريوس ابن العبري سنة ١٢٢٦ وترهب في انطاكية سنة ١٢٤٤ حيث سيم كاهناً وأصبح ، في العشرين من عمره ، أسقفاً على جوياس ، ومنها نُقل إلى أسقفية لاقبين ثم إلى حلب . سنة ١٢٦٤ ، رقي إلى مقام المقريان ، أي كبير رئيس أساقفة ، وهو نائب عام لبطريرك انطاكية لبلاد الشرق التي كانت آنذاك تحت السيطرة المغولية . وقد تنقل ، خلال اثنتين وعشرين سنة ، للمارسة وظيفته ، بين ما يعرف بالعراق حالياً (بغداد) ، وتكريت ، والموصل ، ودير مارمى الكبير) وأذربيجان ، خصوصاً تبريز ومراغة . وفي هذه المدينة ، لفظ ابن العبري أنفاسه الأخيرة سنة ١٢٨٦ ، وكانت آنذاك عاصمة للمغول الايلخانيين ، بعد ان تنبأ بساعة موته . اما أخوه ، الذي خلفه في منصبه ، فقد نقل رفاته إلى دير مارمى ، قرب الموصل ، حيث أصبحت قلايته وقبره مزاراً حتى ايامنا هذه .

اما مراحل هذه الحياة الكنسية السريعة ، وقد طبعها المسؤوليات الجسام وتخللتها اعمال عمرانية هامة متعددة في ظروف لم تكن هادئة دوماً ، (سقطت بغداد في يد المغول سنة ١٢٥٨) ، فإنها تركت نتائجاً علمياً يثير الإعجاب . فعلمه الموسوعي ظاهر في تعدد مؤلفاته التي لا تشمل العلوم الدينية المسيحية فحسب (اللاهوت النظري ، وعلم الاخلاق ، والنسكيات ، والقانون الكنسي ، والطقوس والتفسير الكتابي) بل تشمل أيضاً العلوم اللغوية والفلسفة والشعر والعلوم (الطب - وقد درسه على المعلم يعقوب النسطوري في طرابلس - ، والصيدلية ، والفيزياء ، والكيمياء ، والحساب ، وتفسير الاحلام ، والجغرافيا ، وعلم الفلك ، وعلم الهيئة الخ ...).

نتاجه التاريخي

ترك جانباً قسم التاريخ الكنسي الذي يتضمنه مؤلفه الكبير « تاريخ الزمان » ، وهو قسم متوافر في نص سرياني وترجمتين لاتينية وعربية مختصرة^١ ، وبتكلم فقط على التاريخ المدني الذي نقدم جزءاً منه في هذه الترجمة العربية .

١ . راجع مجلة المشرق البيروتية ، مجلد ٢١ (سنة ١٩٢٣) ، الصفحات ٤٩٤ - ٥٠٧ ، ٥٨٩ -

اما أهمية نتاج ابن العبري في التاريخ فانها ، على غرار ما نجده عند المؤرخين العرب ، تشمل ناحيتين هما : أولاً ، ما يحفظه من أعمال سابقة وثانياً ما يأتي به من جديد ، خصوصاً عندما يضيف معلومات تتناول الحقبة المعاصرة له .

لم يكن ابن العبري هو الأول الذي كتب في التاريخ بين السريان . فالمؤلفان الاخيران اللذان سبقاه مباشرة هما بطريرك انطاكية ميخائيل الاول وقد وصل بتاريخه حتى سنة ١١٩٦ ، و«الرهاوي المجهول» الذي كتب حتى سنة ١٢٣٤ ، او بشكل ادق حتى سنة ١٢٣٧ . وقد نُشر تاريخاهما بالسريانية مرفقين بترجمة لاتينية او فرنسية . ويبدو ان ابن العبري لم يستخدم التاريخ الثاني ، ولكنه أكمل تاريخ ميخائيل السرياني حتى سنة ١٢٨٦ ، مضيفاً اليه بذلك تسعين سنة .

ان القسم المنقول الى العربية من تاريخ ابن العبري لا يتضمن بداية الكتاب ، اي التاريخ القديم ، منذ آدم حتى تاريخ العبرانيين والكلدانيين والماديين والفرس واليونان الوثنيين والاباطرة الرومان وتاريخ امبراطورية اليونان (البيزنطيين) الثانية ، وهذا الجزء من التاريخ يكرر المعارف التاريخية المتوافرة في زمن الكاتب وهي معارف كانت ايضاً في حوزة المؤلفين العرب وقد تجاوزها زمننا بصورة واضحة ، بالنظر الى ترجمات المؤلفات قديمة عثر الآن عليها ، وبسبب الاكتشافات الاثرية . وحذفنا ايضاً من القسم المترجم الذي نشر سابقاً في «المشرق» كل ما يختص بصدر الاسلام والخلفاء الامويين ، لتخفيض عدد صفحات الكتاب . والواضح ان هذا القسم المختصر جداً (في ٢٣ صفحة) يكفي عامة باعادة المعطيات المعروفة لدى المؤرخين العرب .

اذن نبدأ هذا الاصدار بالحديد بالخلفاء العباسيين ، فنلاحظ ، الى جانب المقاطع التي أثبتت فيها تواريخ الهجرة وتدلّ بالتالي على مصدر عربي ، ان المقاطع التي أثبتت فيها تقويم الاسكندر (أو اليونانيين) الذي بدأ سنة ٣١١ قبل المسيح ، تأخذ في الازدياد . وهذا يدل على ان ابن العبري عمد الى الاقتباس من تاريخي بطريركي انطاكية ديونيسيوس التلمهري (٨٤٥+) وميخائيل السرياني (١١٩٩+) ، الى جانب ملاحظاته الشخصية الخاصة . وبما ان تاريخي التلمهري وميخائيل السرياني لم ينشرا الا في السريانية او الأرمنية ، مع ترجمتين لاتينية وفرنسية ، فاننا ندرك مدى أهمية هذه الوثائق للقارئ العربي وقد وصلتنا بواسطة

شاهدين عمّابنا زمانيهما. فكللا البطريركين كان لها اتصالات شخصية بخلفاء عصرهما وامرائها، بالاخص الطاهرين والسلاجقة.

وهذا يناقض ما كتب سابقاً، اي اننا «لا نستطيع الاعتماد على المؤرخين الذميين كي ينقلوا أحداث عصورهم الرئيسة لانهم كانوا ينتمون الى أقلية تعيش على انفراد، معزولين عن مجالس الملوك والامراء، في هامشية سياسية، متفرجين لا مبالين وغير مكترئين لمجريات الاحداث، تتغلب عليهم الخيبة». ان هذا القول لا ينطبق أبداً على وضعية ديونيسيوس التلمهري، وميخائيل السرياني، وبالاولي، على ابن العبري الذي عاش على اتصال بالمغول منذ سنة ١٢٤٣. فأبوه كان طبيياً لاحد قادة المغول. اما ابن العبري نفسه، فان اتصالاته، كأسقف شاب، كانت شاقة مع الغزاة لانه لم يستطع ان يدافع عن شعبه كما يريد وصار مصيره السجن. ولكن، عندما أصبح ابن العبري بعد فترة صاحب المقام الأعلى لكنيسة في المملكة المغولية، فانه حصل منهم على وثيقة تولية وشارك بتلك الصفة في احتفالات البلاط الرسمية، ومنها بالاخص تنصيب الخان أحمد تكودار. وبما ان قيمته العلمية كانت موضع اعتراف من الجميع، فانه دعي الى التعاون مع الخواجه نصير الدين الطوسي في الاشراف على المرصد المتطور الذي بناه هولاء في مراغة وجمع فيه علماء من جنسيات مختلفة، منهم الصيني فومانغ شي.

فكان ابن العبري، تحالفاً اقامته الطويلة في مراغة، في السنوات الاخيرة من حياته، من سنة ١٢٦٨ الى سنة ١٢٨٦، وبينما كان يبني الكنائس والاديرة، يتردد على مكتبة المغول الملكية ومحفوظاتهم. وقد سهل له ذلك معرفته باللغات الفارسية والعربية والمغولية بالاضافة الى السريانية، وربما اليونانية.

وحين أخذ ابن العبري يخط كتابه سنة ١٢٧٦، كانت نيته متجهة الى اكمال الثمانين سنة التي مرت آنذاك منذ انتهاء تاريخ سلفه ميخائيل السرياني. وكان في متناول يده، فيما يعود لذلك، تاريخ «فانح العالم» لصاحب الديوان علاء الدين الجويني (ت ١٢٨٣) الذي «صنّف تاريخاً عجيباً في الفارسية ذكر فيه أخبار الدولة السلجوقية، والخوارزمية والاسماعيلية والمغولية. وقد نقلنا عنه ما أثبتناه عنها في كتابنا هذا»، على حد قول ابن العبري نفسه. وطالما لم يُنقل بعد تاريخ الجويني الى العربية، فان القارئ العربي لا يستطيع الوصول اليه الا من خلال اقتباسات ابن العبري، وهذا ما يعزّز أهمية الترجمة التي بين أيدينا. لكننا نلفت النظر الى ان كاتبنا لا يكتفي مطلقاً بنقل مصادره بشكل حرفي، سواء أكانت فارسية أو عربية أو حتى سريانية. فهو يقارن بينها ويصحح هذا الخطأ أو ذاك.

وفيما يختص بالسنوات الواقعة بعد ١٢٦٠، فكان بين يدي ابن العبري وثائق أصلية كما

كان بمقدوره ان يكملها بخبرته الخاصة لأنه عايش العديد من الاحداث التي سردها. ونلاحظ ايضاً انه يعتمد على المصادر الاسلامية التي تثبت سنواتها بالتاريخ الهجري ، أي حتى سنة ١٢٣٢ . أما بعد هذا التاريخ ، فان كاتبنا يعتمد على التاريخ اليوناني ، أي التقويم الخاص بالسريان . ولم يكمل أحد تاريخ المغول حتى قام المؤرخ رشيد الدين الطيب بتلك المهمة .

غاية الكاتب من كتابة التاريخ

ان قراءة المؤلفات التاريخية تتطلب منا جهداً خاصاً لنذكر وجهتها ، حين لا يكون كاتبها من « أمتنا » ، أي لا يكون من الذين يشاطروننا التربية نفسها والثقافة عيبتها والطريقة ذاتها في رؤية الامور ، وحتى احكامنا المسبقة . فتاريخ العرب يمدنا بمعلومات مفيدة كثيرة ، وان كان ذلك بمنظور يختلف عن منظور مؤلفنا ، بحيث لا يكون من حقنا أن نتجاهل ما كتبه عن ذلك الشعوب التي خالطت الشعوب العربية وشاركتها عيشها غالباً خلال أجيال ، كالسريان والأرمن والأتراك والايرائين وحتى الافرنج . وإذا أردنا ان نقرأها للفائدة ، فان الأمر الرئيسي الذي يجب أخذه بعين الاعتبار هو الهدف - أكان معلناً أو غير معلن - الذي يضعه الكاتب نصب عينيه . فغالباً ما أجبر المؤرخون العرب ، حتى ابن خلدون نفسه ، على كتابة التاريخ مثلما كان يريد الامراء الذين كانوا يطلبون منهم العمل ويدفعون لهم أجرتهم . أما بالنسبة الى السريان الذين لم يكن لهم ملوك ولا أمراء ، فان « رجال الدين » أنفسهم كانت لديهم الحاجة الى الكتابة بهدف تنبيه شعبيهم الى أهمية تاريخه الخاص ، ولغته وأدبه ، وبالمختصر ، الى كل ما يكون هويته . وغاية الكاتب السرياني حينئذ هي تغذية ذاكرة الشعب الجماعية لمساعدته في الحفاظ على خصوصيته . فابن العبري يشير الى ذلك في بداية كتابه هذا قائلاً : « ان الدعوة الى تذكّر الاحداث ، أكانت جيدة أم سيئة ، تلك التي جرت في كل جيل ، توفر فائدة ذات قيمة لكل الذين يرغبون في اكتساب ما هو جيد وتسميح باحتقار كل ما هو سيئ » . فقصد المؤرخ هو تربوي ، على حد ما قاله اللاتينيون : « التاريخ هو معلم الحياة » .

لكننا نستطيع اضافة دافع آخر من وراء كتابة التاريخ في منظور السريان : فغالباً ما فقدت الشعوب السريانية الثقة بالعناية الآلهية لما خلفه تاريخها من مأس . فكانت كل مأساة فرصة للمؤرخ ليظهر ان هناك تفسيراً لتلك المأساة غير ما يسمى « عقاب الله » ، وليحدد أسباباً ثانوية تمثل دوراً في الهزائم كما في الانتصارات . فموقف بعض السريان من هذه النقطة بالذات ، وبالاخص ابن العبري ، يختلف عن موقف مؤرخي عصره ، أكان ذلك في الغرب أو في الشرق : فهو لا يني دور العناية الآلهية ، ولكنه يعطي مكاناً أوسع للعوامل الانسانية .

ويذهب ، في هذا المجال ، أخو ابن العبري الأصغر الى الكلام عن دور الطبيعة دون نفي دور الله . وإذا كان في الامكان القول ، من وجهة النظر هذه ، ان المؤلفين الذميين يتركون انطباعاً مفاده انهم يرثون لمآسي شعوبهم ، فان هذه المعلومات تُتيح اكمال التاريخ العام من خلال صور تُبرز ما حدث في الاقاليم البعيدة عن المراكز السياسية ، وبالاخص في جنوبي تركيا وفي شمالي العراق الحاليين .

ان النقّاد ، خصوصاً بين صفوف المستشرقين ، أظهروا قساوة تجاه ابن العبري . فالمعلم الشهير ، الاب بيترس ، « كبير » جمعية البولنديين العلمية ، وهم اختصاصيو علم سير القديسين المسيحيين ، لم يتوان ان يكتب عن ابن العبري : « يضيف الى الدونية الناتجة عن تأخره زمنياً ، كونه نستورياً انتقل الى مذهب يعقوبية » . أقر بأنني لا أعرف أين وجد العالم الاب بيترس الاشارة الى هذا الاصل المزعوم .

أما الاختصاصي الكبير البروفسور ج.ب. سيغال ، فربما كان الأشد قسوة . فبعد ان كتب الحملة التي أوردناها في مطلع هذا المقال ، حول ابتعاد المؤلفين السريان المفترض عن الاماكن التي يُصنع فيها التاريخ ، على الأقل تاريخ البلاطات والامراء - وذلك لم يكن صحيحاً كما رأينا - فانه يضيف : « ان تاريخ ابن العبري ، مع كفاءته الجامعة ، ليس مرضياً . فانه لا يمدنا اشارة شخصية بدفعنا مقامه واتصالاته الى توقعها لديه . فلقد كان متحزباً في كتابته التاريخ وينقصه الحد المطلوب من الشرف والتراثة اللذين كان المؤرخون القدماء يتميزون بها ، فهو لا يلوم القائد المغولي المسيحي سنداغو (ذلك « الشاب الرائع ») لارتكابه الخيانة . تعليقاً على هذا القول ، نلاحظ أولاً انه لو كان ابن العبري متحزباً ، لانتقد القائد الشاب الذي كان نستورياً بينما كان هو « يعقوبياً » . ومن جهة ثانية ، كان المطلوب الكثير من الشجاعة للتجرؤ على انتقاد رجل أصبح أحد كبار القادة العسكريين للملكة ، وأحد المتفاوضين من أجل السلام مع المماليك ، في وقت كان فيه المؤلف يسرد الاحداث التي جرت سنة ١٢٦١ . وأمام قضية أخرى ، ليست شائكة كهذه ، يتجرأ المؤرخ على اتخاذ موقف . فعندما يتكلم ابن العبري على تسليم والده غياث الدين وبيته الى المغول ، سنة ١٢٤٣ ، وهو حدث أكثر بعداً في الزمن ، يتجاسر على التعليق قائلاً : « وقد استنطق الملوك والخاصة والعامه هذا العمل المنكر وأبدوا استيائهم من الأرمن » .

ان الحكم العادل والمعقول في نتاج ابن العبري التاريخي وصل الينا ، في هذا الاطار ، على لسان المحامي البغدادي عباس العزاوي ، الذي عارض مغالاة بعض المصادر العربية في ما يتعلق بوحشية المغول عند وضعهم يدهم على بغداد ، وفي ما يتعلق بالشهادات المزعومة حول جهلهم . وقد أشار العزاوي في هذا الاطار الى ان المغول قد ارسلوا الجويني ليقوم بفرز مكتبة

الحشاشين في الموت ، قبل ان يتركوا ما تبقى منها طعاماً للنار . وعن ابن العبري ، يكتب العزّاي بتجرّد : « انه يعتبر المغول حلفاء لأمته وهذا لا يشكّل عدم انحياز » . وهذا هو الواقع لأن المسيحيين ، في الوقت الذي كان فيه ابن العبري يكتب التاريخ ، كانوا يشتركون في السلطة بفضل الحماية التي كانت تؤمنها دوقوز خاتون ، زوجة هولكو النسطورية القديرة ، وكذلك بفضل الاحترام الذي كان يكنّه الخانات ، شامانيين كانوا او بوذيين ، الى كل الديانات دون تمييز ، مما يشكّل مساواة أعلنت كأساس للامبراطورية منذ يازا جنكزخان سنة ١٢٠٨ .

وسنة ١٢٤٠ ، عشية معركة عين جالوت ، قام اليعاقبة ، في أحد مخطوطاتهم ، برسم هولكو وزوجته بشكل قسطنطين وهيلانة اللذين حقّقا ما كان يسمّى حينئذٍ بـ « انتصار » الصليب . وهذا ما كان ابن العبري يعتقد به ، أقله حتى ساعة موته (١٢٨٦) ، أيام حكم الایلخان أرغون المتسامح .

لكن علينا ان نورد شاهداً آخر من المحامي العزّاي في ابن العبري : « انه غير متعصّب في وجه المسلمين . ولكنه ينقل اعتقاداتهم كما يراها » . وهذا هو مهم جداً . فن شأن بعض جمل ابن العبري ان تفاجئ القارئ المسلم الذي يجد صورة عن الاسلام وتاريخه تختلف عن الصورة التي كونها لنفسه . فن الضروري حقاً ان نذكر بأن البشر سالفاً (وربما اليوم أيضاً) لا يؤسسون علاقاتهم المتبادلة على الوقائع بل يؤسسونها على صور اصطناعية ومشوّهة كونها بعضهم عن بعض . فاذا كنّا نستطيع اليوم القيام بمحاولة تنوير بعضنا البعض ، فعلينا ان نقبل الأمور كما تصورها المعاصرون القدامى مع عدم حكمنا في عقليتهم المختلفة عن عقليتنا الحاضرة .

النص

ومن ناحية ثانية ، من الواجب طرح السؤال التالي : هل وصل الينا نص التاريخ السرياني كما كتبه ابن العبري ؟ ألا تدل بعض الجمل على بعض الخيبة تجاه المغول ، وهي خيبة لم يكن الكاتب ليشعر بها في الزمن الذي كان يكتب فيه ؟

اذا وضعنا جانباً الملحقات التي لم تترجم ويجب دراستها على حدة - وهي ملحقات تصل بكتابنا حتى سنة ١٤٩٦ - ، فان السنة الاخيرة المشار اليها في تاريخ ابن العبري هي سنة ١٢٩٧ . فهذا يعني ان أحداً أكمل عمل ابن العبري الذي توفي سنة ١٢٨٦ . وهذا المرء معروف وهو أخو الكاتب نفسه ، برصوم الصافي ابن العبري الاصغر ، الذي خلف أخاه في منصب المفريان سنة ١٢٨٨ وتوفي سنة ١٣٠٣ . وقد أكمل برصوم القسم الكنسي من التاريخ .

فهل تجاوز برصوم دوره المكمّل لدور أخيه وهل بدّل بعض نصوصه؟ لدينا ، في هذا المجال ، بعض الأدلة . فعندما يتكلّم تاريخ ابن العبري في نصّه الحالي على القوانين التي صاغها جنكزخان يقول : « وبما أنهم شاهدوا العفاف وتلك المزايا في المسيحيين أكثر من غيرهم فقد أحبّوهم في بدء دولتهم مدة وجيزة ثم انقلبت محبتهم بغضاً حتى أصبحوا لا يرضون ان يلحظوهم بعيونهم ثم أسلموا قاطبة ربوات في ربوات من مختلف الأمم » . فهذه العبارات لم تكن معقولة قبل سنة ١٢٨٩ ، عندما أصبحت عامة الشعب مسلمة ، دون الاشراف والخان . والجدير بالذكر ان ابن العبري الأكبر قد توفي منذ ثلاث سنوات . ويمكننا ان نقول الشيء نفسه فيما يختصّ بمقتل شمس الدين صاحب الديوان على يد أرغون سنة ١٢٨٤ : فإن ما كُتب حول تلك الحادثة ما كان ليُكتب بالصورة نفسها إلا بعد موت أرغون سنة ١٢٩١ . فاذا كان ابن العبري الأكبر قد كتب نص التاريخ ، فان ابن العبري الأصغر قد بدّل بعض عباراته .

الخاتمة

ان ج.ب. سيغال ، الذي يتقدّم ابن العبري انتقاداً قاسياً كما ذكرنا يعتقد انه يلطّف عندما يقول : « في مختلف الاحوال ، علينا ألا نتكلّم بشكل مبرم على ابن العبري ، فكتابة هذا التاريخ لم تكن بالنسبة اليه إلا أكبر قليلاً من تمرين على التأليف في السريانية » . لا أعتقد ذلك . ان الهدف الذي وضعه الكاتب أمامه كان يقضي ، كما رأينا سالفاً ، باعطاء شعبه معنى لتاريخه ، بأجماده ونقائضه . فتللك النقائض تظهر أكثر في القسم الكنسي المشار اليه وقد نشر على حدة . ففي هذا القسم ، لا يتردّد الكاتب في ان يظهر كيف ان الخلاقات الداخلية بين المبريانيين أسلافه وبطاركة انطاكية ، - وغالباً ما تبادلوا الحرم - أضعفت الامة السريانية . فلا يقوم هنا بعمل لجمع وثائق فقط ، بل يحدّد ما هو صالح لتربية شعبه . وكما كان يقول في مقدمته العامة : « ان الدعوة الى تذكّر الاحداث ، أكانت جيّدة أم سيئة ، تلك التي جرت في كل جيل ، توفرّ فائدة ذات قيمة لكل الذين يرغبون في اكتساب ما هو جيّد وتسمح باحتقار كل ما هو سيّء » .

وعندما طلب أصدقاء ابن العبري العرب منه ان يختصر ، في لغتهم ، تاريخه الكبير فانه كتب ما يعرف الآن تحت اسم « مختصر تاريخ الدول » ، ولم يبق إلا ثلاث صفحات قيد الترجمة عندما لزم الفراش بسبب مرضه الاخير . ولكن ، هذه المرة ايضاً ، ورغم العنوان ، فانه لم يكن ليقبل بكتابة « مختصر » . فهو يعرف ، عندما يوجّه كتاباً الى قراء ليسوا من ملته ، ان اهتماماتهم تكون مختلفة أحياناً . زد على ذلك انه كان يريد ان يثبت لجماعة أخرى ان

السرمان شاركوا فعلياً في ازدهار الحضارة العربية الاسلامية ، فأضاف الى « المختصر » مقاطع متعدّدة ، بدلاً من ان يختصر كلامه على العلماء والاطباء السريان .
فكلا الكتابين ، التاريخ « المطول » والتاريخ « المختصر » هما كتابان مختلفان ، كل واحد مكيف حسب حاجات القراء الخاصة . ففي اختصار التاريخ كما في اختصار العلوم الأخرى ، يظهر ابن العبري عبقريته : فقد وضع مختصراً الى جانب المطول في المجالات كلها . فنّ المعلوم ان فنّ الاختصار هو من أصعب الامور : فهذا يثبت ان الكاتب يعرف مادته تماماً وانه يعرف اختيار مواضيع مختلفة لقراء مختلفين . وهذا هو فنّ المرّبي الذي مارسه ابن العبري بشكل بارع .

المرّجم

الاب اسحق أرملة هو كاهن سرياني كاثوليكي ، وقد نشرت له مجلة « المشرق » بين سنتي ١٩٤٩ و ١٩٥٦ هذه الترجمة التي تصدرها اليوم في مجلد واحد .
وُلد سنة ١٨٧٩ في ماردين ، المدينة الواقعة حالياً في جنوبي تركيا والتي كانت ، مع دير الزعفران الجاور لها ، أحد المراكز الكبرى للكنيسة الانطاكية السريانية ، وكرسيّاً لبطريركها منذ سنة ١٢٩٤ ولادة ستائة سنة . وكان الاب أرملة يحب مسقط رأسه ماردين فجمع أمثاله . وغادرها سنة ١٩١٢ لرحلة في طور عابدين وقد أثبت نتائج رحلته الهامة في « المشرق » .
وشارك في مآسيها خلال الحرب العالمية الاولى حيث سجن هو ايضاً ولم ينج من الموت الآ بأعجوبة . أتى الى بيروت سنة ١٩١٩ حيث عاود عمله كباحث . وأصبح سنة ١٩٢٩ أمين سرّ البطريرك جبرائيل تپوني ، ثم عمل سنة واحدة في المكتبة القاتيكانية جامعاً من المخطوطات الوثائق الثينة المتعلقة على الأخص بتاريخ الكنيسة السريانية . ونشر ، سنة ١٩٣٧ ، الفهرست المفصل لمخطوطات دير الشرفة . ونقل أكثر من ٤٠٠٠ صفحة من المخطوطات السريانية ، وخمسين مخطوطاً عربياً تقريباً . لقد ألف ستين كتاباً نشر منها خمسون . ومن الممكن الاطلاع على قائمة لها في مجلة « المشرق » ، مجلد ٤٨ (سنة ١٩٥٤) ، ص ٧١٧ - ٧١٨ . ولم تسجل هذه اللائحة المقالات العديدة التي نشرها في مجلات المشرق ، والبشير ، والآثار الشرقية وغيرها من المجلات الدينية .

أما لغة ترجمته فهي « واضحة عادة ، ولكنها تصبح مفعمة برغبته في ان يحاكي النص الأصلي ، وما ذلك إلا لأنه كان المرّجم الماهر الذي كان انشاؤه ينطبق على فكرة المؤلف وتصوراته » .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس تاريخ الزمان لابن العبري

١. مقدمة المترجم..... ١
٢. نص كتاب تاريخ الزمان : الحقبان العاشرة والحادية عشرة..... ٣
٣. الحقبة العاشرة : الملوك العرب (عدا الخلفاء الراشدين والامويين)..... ٥
- ٧ - بعد مروان ابو العباس..... ٧
- ٨ - بعد ابي العباس أخوه ابو جعفر المنصور..... ٨
- ١١ - بعد ابي جعفر المهدي ابنه..... ١١
- ١٣ - بعد المهدي موسى ابنه..... ١٣
- ١٣ - بعد موسى هرون الرشيد أخوه..... ١٣
- ١٩ - بعد هرون الرشيد محمد امين ابنه..... ١٩
- ٢٢ - بعد الامين المأمون أخوه..... ٢٢
- ٢٨ - بعد المأمون المعتصم ابنه..... ٢٨
- ٣٦ - بعد المعتصم الواثق ابنه..... ٣٦
- ٣٧ - بعد الواثق اخوه المتوكل..... ٣٧
- ٤٠ - بعد المتوكل المتصم ابنه..... ٤٠
- ٤١ - بعد المتصم المستعين بن المعتصم..... ٤١
- ٤١ - بعد المستعين المعتر بن المتوكل..... ٤١
- ٤٢ - بعد المعتر المهدي بن الواثق..... ٤٢
- ٤٤ - بعد المهدي المعتمد بن المتوكل..... ٤٤
- ٤٥ - خبر النصيريين (١٦٥) في فونيقية..... ٤٥

- ٤٦ - بعد المعتمد المعتضد بن الموفق
- ٤٩ - بعد المعتضد المكتفي ابنه
- ٥٠ - بعد المكتفي اخوه المقتدر
- ٥٤ - بعد المقتدر القاهر
- ٥٥ - بعد القاهر الراضي بن المقتدر
- ٥٧ - بعد الراضي المتقي بن المقتدر
- ٥٨ - بعد المتقي المستكفي بن المكتفي
- ٥٨ - بعد المستكفي المطيع بن المقتدر
- ٦٨ - بعد المطيع الطائع ابنه
- ٧١ - بعد الطائع القادر
- ٨٤ - بعد القادر القائم ابنه
- ٨٦ (أ) بدء الدولة السلجوقية في فارس
- ١١٥ - بعد القائم المقتدي ابنه
- ١٢١ - بعد المقتدي المستظهر ابنه
- ١٢٣ - بدء الحرب الصليبية
- ١٣٧ - بعد المستظهر المسترشد ابنه
- ١٤٩ - بعد المسترشد الراشد ابنه
- ١٥٢ - بعد الراشد المقتني عمه ابن المستظهر
- ١٥٦ - انتزاع الرها من يد الفرنج
- ١٧٤ - بعد المقتني المستنجد ابنه
- ١٨٦ - بعد المستنجد المستضيء ابنه
- ١٩٥ - بعد المستضيء الناصر ابنه
- ٢٣٥ (ب) ابتداء دولة المغول وهم التتر
- ٢٣٧ - ابناء جنكزخان
- ٢٣٧ - الشرائع التي وضعها جنكزخان
- ٢٣٨ - كيف انضم المغول الى عبادة الاوثان
- ٢٣٩ - ما الذي دفع المغول ليحاربوا بلاد العجم وغيرها من بلاد الغرب
- ٢٤١ - انتزاع الفرنج قسطنطينية من اليونان

- احتلال التتر سمرقند ٢٦٤
- احتلال التتر خوارزم ٢٦٤
- مقتل امين الدولة توما في بغداد ٢٦٧
- بعد الناصر الظاهر ابنه ٢٧٠
- بعد الظاهر المستنصر ابنه ٢٧١
- موت جنكزخان ٢٧٢
- جلوس الخان على تخت دولة المغول بعد ابيه جنكزخان ٢٧٤
- بدء مملكة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ٢٨٠
- بعد المستنصر المستعصم ابنه ٢٨٨
- خلافة كيوك خان لاييه الخان ٢٩٠
- جلوس مونككا خان على تخت المملكة المغولية ٢٩٥
- فتح بابل (بغداد) ٢٠٧
- ٤. الحقبة الحادية عشرة المنتقلة من ملوك العرب الى الملوك الهويين ٣١٣
- هولكو ملك الملوك واخو مونككا خان الكبير ٢١٣
- جلوس قوبلاي خان على كرسي مملكة المغول ٣١٨
- بعد هولكو اباقا ملك الملوك ٣٢٤
- فتح انطاكية ٣٢٧
- بعد اباقا تكودار اخوه الذي سمي أحمد ٣٤٤
- بعد تكودار الذي سمي أحمد ارغون ابن اباقا ٣٤٨
- مقتل شمس الدين صاحب الديوان ٣٤٩
- بعد ارغون بن اباقا اخوه كيخاتو الذي دعي ارتاجين تورجي ٣٦٥



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملطّي

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

للمفريان

غريغوريوس ابن العبري السرياني المشهور عند العرب
بأبي الفرج الملطّي (١٢٢٦-١٢٨٦) ثلاثة مؤلفات تاريخية
دقيقة محكمة في العربية والسريانية ١- «تاريخ مختصر
الدول» في العربية نشره عام ١٨٩٠ الاب انطون صالحاني اليسوعي في المطبعة
الكاثوليكية وصدّره بمقدمة حُصّ فيها اخبار المؤلف . ٢- تاريخ بيعي في
مجلدين طُبع نصّه السرياني مع ترجمة لاتينية عام ١٨٧٢-١٨٧٧ في لوقان .
٣- تاريخ الدول العام نُشر اولاً نصّه السرياني عام ١٧٨٩ مشحوناً بالأغلاط
ثم تولى طبعه عام ١٨٩٠ الاب بولس بيجان الكلداني المرسل اللعازري الطيّب
الآثار .

ويشتمل هذا التاريخ الدولي على ٦٠٠ صفحة كبيرة حوت اخبار احدى
عشرة دولة بدءاً من الآباء الاقدمين فالقضاة فلوك العبرانيين فلوك الكلدانيين
فلوك ماداي فلوك فارس فلوك اليونان الوثنيين فلوك رومية فلوك اليونان
المسيحيين فلوك العرب فلوك الهونيين اعني التتر او المغول .

نقل ابو الفرج الملطّي تلك الاخبار والسير والوقائع عن مؤرخين معاصرين
اثبات او شهود عيان بدءاً من يوسيفوس اليهودي واوسابيوس القيصري
(٢٦٥-٣٤٠) وزكريا البليغ ٤٩٠ ويوحنا الافسوسي ٥٨٥ وثوفيل بن توما
الرهاوي الماروني ٧٨٥ والبطريك ديونيسيوس التلمحري ٨٤٥ وابي الحسن

ثابت بن قره الصابي ٩٠٠ واغناطيوس الملطي ١٠٩٠ وميخائيل الكبير ١٢٠٠ والمؤرخ الرهاوي ١٢٣٤ الخ . وقد أحصى ميخائيل المشار اليه ٢٤ مؤرخاً سريانياً كتبوا بلغتهم السريانية اخباراً وحوادث عمومية وخصوصية وذكروا وقائع مهمة خطيرة قلما ذكرها غيرهم ولا سيما ما تعلق بحوادث النصارى وقيادرة قسطنطينية الذين واصلوا محاربة العرب واسترجاع البلاد الشرقية من يدهم غير مرة . وتبادلت الدولتان رسائل معتبرة لم يذكرها سائر المؤرخين .

نسج ابو الفرج على منوال المؤرخين اسلافه فروى اخباراً جمّة عن الروم والعرب وعن نصارى لبنان وسوريا وما بين النهرين والعراق والعجم ومصر الخ الخ لم يسردها في تاريخه العربي المذكور تحوّفاً او ترّافاً . واستغرقت هذه الاخبار وحدها ٤١١ صفحة من الصفحة ٩٥ حتى الصفحة ٥٠٦ اعني ثلاثة ارباع تاريخه هذا

ذلك ما حدانا على نقل تاريخه هذا الفريد الى العربية بدءاً من اخبار الحقة العاشرة وعنوانها « الملوك العرب » ندرجها تباعاً على صفحات المشرق كما يطلع القراء على حقائق تاريخية جمّة غالباً ما تأتي مكتملة لرواية المؤرخين بالعربية وسنشر تعريب التاريخ برمته في كتاب خاص تعيماً لفوائده بموله تعالى وعليه الاتكال في البداية والنهاية .

تاريخ الزمان
الحقبتان العاشرة والحادية عشرة



مركز تحقیقات کیمپیوٹر علوم رسدی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الحقبة العاشرة

الملوك العرب

[عدا الخلفاء الراشدين والامويين]



مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بعد مروان ابو العباس

تولى اربع سنوات [١٢٢] وثمانية شهور، وأجهز على مروان واستقل بالملك وحده في الاقطار العربيّة جمعا، وألغى مملكة دمشق ونقلها الى بابل . ومنه يتحدّر خلفاء بغداد الذين قضى الهونيون المغول على دولتهم في عهدنا (في القرن الثالث عشر) .

ولما كان ابو العباس مقيماً في احد بلاد المغرب حدثت في معسكره بغتةً ضجّةٌ شديدة . وسارع الناس والملك كذلك ليشهدوا المعجزة . فأبصروا ثمانية رجال قد انبشوا من القبور بأن بعضهم حتى التندوتين وبعضهم حتى الظهر والبعض حتى الركبتين . وكانت حتى بعضهم مصبوغة كعادة العرب وعرفهم كثيرون . ولما دنوا ليكلّموهم لم يجابوهم قطعاً . فأخذهم الدهش وأمر الملك ان ينحرفوا عنهم يومئذ ولا يتوهم مؤملاً انهم يتكلمون فيما بعد . وفي الغد انطلق الناس ثانية وشاهدوهم احياء صامتين . فأمر الملك ان يُدقنوا ثانية .

وفي السنة ١٠٦٣ لليونان [٧٥٢م] توفيت امرأة الملك قسطنطين ابنة الخاقان . واقام ثلاثة اعوام دون زواج وفقاً لشريعة الملوك المسيحيين . وحاول بعض الدهاة ان يعزلوا الملك فاشاروا عليه على سبيل التجامل ان يتزوج . فقال لهم وهو عارفٌ بغدرهم : ان شريعة الروم غير خافية عني . وأعتقد ان الملك خلقتُ بان لا تستعبده الشهوة . ومع هذا فاني ممثّل مشورتكم ان رأيتم ذلك فرضاً واجباً بشرط ان تنادوا بابني ملكاً عوضاً عني وبعدئذ التي طلبكم . ولما

توجوا ابنه ملكاً ظلّ هو متولياً شؤون الدولة اذ كان حكيماً يهابه الاعداء .
وفي تلك السنة زحف الى ملطية وحاصرها واقام عليها المتاريس وثرغ جانباً
من سورها . واخيراً صالح من فيها من العرب وسرحهم . وأجلى اهالي قلوودية
وجميع قرى ارمن الرابعة ، وفي تلك السنة عينها توفي [١٢٣] ابو العباس عبدالله .

بعد ابي العباس اخوه أبو جعفر المنصور

تولى اثنتين وعشرين سنة . وفي السنة الاولى لخلافته وهي السنة ١٠٦٦
لليونان (٧٥٥م) والسنة ١٣٥ للعرب شدّ قسطنطين ملك الروم على قليقلا وهي
ارض روم ودوخها وتركها خالية خاوية . ووضع حامية في حصن كامخ .

اماً عبدالله بن عليّ فلما بلغه نبأ موت ابي العباس طفق يطوف المدن ويمحتها .
فوجه اليه المنصور ابا مسلم قائد الجيش فتغلب عليه . ثم انتقض ابو مسلم على
الحليفة ابي جعفر وجعل يتوغل في البلاد يحاول احتلالها . فسار اليه ابو جعفر
رجلاً يقال له عيسى فأقنعه وجاء به . وما كاد يدخل دار الحليفة حتى اشار ان
يُبطش به . واستقلّ ابو جعفر بالدولة العربية وأمر ببناء ملطية كالأول واقام
فيها العسكر . وابتنى كذلك قليقلا ووضع فيها حامية .

وفي السنة ١٠٧١ لليونان (٧٦٠م) فتح العرب افريقية . وفي تلك الاثناء
خضع للعرب بلد طبرستان . وهذا البلد يحده شمالاً بحر قزوين . وشرقاً جرجان .
وجنوباً ماداي وبعض فرثية . وغرباً الديلم . وهو يشتمل على خمس مدن مسورة
وتكثر فيه الجبال والغابات والمروج والارودية والمضايق . وطوله من الشرق
الى الغرب اربعون فرسخاً . وعرضه من الشمال الى الجنوب عشرون فرسخاً .

وفي السنة ١٠٧٣ لليونان (٧٦٢م) ابتنى ابو جعفر على دجلة مدينة فوق
قطيسفون وأسماها بغداد باسم صنم كان في ذلك المكان واستقرّ فيها . وبعد
سنة مرق من طاعته رجل يقال له محمد من ابناء عليّ صهر نبيهم وابن عمه
ومالت اليه الامة العربية جمعاء . فرحف اليه عيسى قائد الجيش وبطش به في
يثرب في شهر رمضان صومهم . ثم انتقض على الحليفة كذلك ابراهيم اخو محمد
في البصرة فقتل مثله .

وفي السنة ذاتها زحف الحزْر وسبوا خمسين الف نسمة [١٢٤] من اهالي غرزان . وفيها كذلك خضع للعرب بلد كابل بناحية الهند . ووضع ابو جعفر الضرائب على جميع الشعوب وضاعفها على المسيحيين .

وفي السنة ١٠٧٦ اليونان (٧٦٥ م) حدثت زلزلة عنيفة في ارض خراسان وانتقل احد الجبال من مكانه نحو ثلاثة اميال ثم تبدد لانه كان من تراب مطين .

وفي السنة ١٠٨٠ لليونان (٧٦٩ م) خرج بعض مجوس العجم على العرب واقاموا لهم زعيماً . فشن العرب الغارة عليهم فانكسر العرب واتشدد المجوس واعتزموا ان يؤسسوا دولة مستقلة . فزحف اليهم العرب في جيوش قوية جداً وبطشوا بهم وقتلوا زعيمهم واربعين الفا منهم . وفي تلك السنة اغار العرب ساخطين على وادي مرعش اذ بلغهم ان الاهالي هم جواسيس للروم . فأجلاهم وساقوهم الى بلد الرملة واسكنوهم هناك . وفعل العرب نظير ذلك باهالي سميساط . وفي تلك الغزوة انتفض البربر في افرقية وفتكوا بالعرب والعجم . فشد عليهم يزيد القائد وقهرهم وأتلف زهاء ثلاثين الفا منهم .

وفي السنة ١٠٨٠ لليونان (٧٦٩ م) عينها وجدت امرأة في بخارى لا تأكل ولا ترضع ولا تكرب شيئاً بته . وبلغ المهدي ابن الملك خبرها فأوفد من أحضرها الى بغداد وجرب أمرها واستيقن ذلك الحادث الحارق العادة .

وفي السنة ١٠٨٣ لليونان (٧٧٢ م) شاد ابو جعفر مدينة بناحية الرقة دعاها الراققة . ولم يشاهد احدٌ مثل صناعة ابوابها . ولما كنت انا الحقيير متولياً ابرشيّة حلب (في القرن الثالث عشر) نقلوا منها مصراعين ضخين من الرصاص وركبوهما على باب قنسرين ومصراعين آخرين اصغر منها لم يتيسر لهم وضعها لان المغول باغتوا المدينة وقوضوا اسوارها وحطوا ابوابها .

وفي السنة المذكورة عينها ارتحل ابو جعفر من بابل الى ما بين النهرين وسورية واشتد [١٢٥] على الاهالي بضرائب باهظة . وحشد كل الفضة والذهب في خزائنه . فتضايق الناس وجعلوا ينبشون القبور عليهم يعثرون على حلي مصوغة دُفنت مع الموتى .

وفي هذا الزمان حفر الروم في مدينة نيقومدية وعثروا على مغارة قد دُفِن فيها نيقوميديس مؤسسها وهو حنَّط وعليه حلِيّ ذهبية ويواقيت حمراء تنير في الظلمة. فشرع الملك قسطنطين بالحُبر وأبدى شهامةً ممتازة اذ لم يرَ ان يأخذ شيئاً من تلك الحلي وهو يقول : قبيح بالأحياء ان يحتاجوا الى الموتى ثم ارسل عملةً سدوا المغارة سداً محكماً وكوموا فوقها جبلاً عظيماً من تراب وحجر. وانتشر في تلك الغضون وباء وجوع شديد في سورية وآثور لا لنقص الحنطة بل لحاؤ أيدي الناس من الدراهم . فكان ثمن الثور والحمار درهماً واحداً . وعشرة اكيال خمر درهماً واحداً . وخمسة امداد حنطة درهماً . وثمان كل صبيّ وصبيّة خمسة دراهم . وبعد ثلاثين (٩) سنة لتلك الرزايا توفي ابو جعفر في الكعبة وانفرج الناس من ضيقهم . وتوفي كذلك قسطنطين ملك الروم قبل خمسة وعشرين يوماً لوفاة ابي جعفر وملك لاون ابنه خمسة اعوام .

واشتهر في تلك الايام جيورجيس الطبيب ابن بختيشوع العيلامي . واستحضره الخليفة المنصور الى بغداد ليعالج داء ادركه في معدته . ولما حضر جيورجيس دعا للخليفة بالفارسية والعربية بعبارات بليغة جداً أعجبت المنصور فأجلسه ووصف له مرضه . فوعده الطبيب بالشفاء تدرجاً ريثما زالت علته . قيل ان جيورجيس زار الخليفة يوم ميلاد ربنا فقال له الخليفة ماذا اكلت ؟ قال الطبيب : كلّ لذيق وطيب كما شاء الرب . قال الخليفة بلغني ان ليس لك امرأة . قال الطبيب : أجل لي زوجة كبيرة ضعيفة لا تقوى على النهوض على قدميها [١٢٦] . فانتظر الخليفة حتى انصرف الطبيب وأمر سالماً كبير خدامه ان يتتقى ثلاثاً من الجواري الروميات الممتازات بالجمال ويذهب بهن الى بيت الطبيب مع ثلاثة آلاف دينار . فامتثل الأمر وكان جيورجيس وقتئذ متغيباً عن منزله . فلما عاد وشاهد الجواري سخط على تلميذه وقال له : يا تلميذ الشيطان لماذا ادخلت هولاء الى منزلي ؟ أتريد ان تنجسني ؟ ثم أرسل فاستدعى كبير الخدام وردّه من معه . ولما اتصل الخبر بالخليفة قال لجورجيس ما بالك رددت الجواري ؟ قال الطبيب : عشت الى الابد ! اننا نحن معشر النصارى لا يحلّ لنا الزواج باكثر من امرأة واحدة . وشريعتنا تمنع الزواج بامرأة ثانية ما دامت الاولى في قيد

الحياة . فاستحسن الخليفة كلامه ورخص له ان يختلف الى نسائه وبناته دون مانع . وازداد اعتباره لديه وأحبّه كمنفسه . تلك ثمرة العفاف يا اخوتي !

بعد ابي جعفر المهدي ابنه

تولى عشر سنوات . وفتح خزائن الدولة وجعل يُسرف ثروة ابيه اسرافاً المذراة لا على جنوده فحسب بل على سراريه ايضاً اذ كان منهكاً في الملاذ واللهو . واتشبت بالسحر والعرافة والقضاء . والقدر وجعل يجمع كتب السحر وأرسل اليه لاون الملك كتاب يتيس ويميريس وهو يحكي عن عرافة المصريين كلها وعماً فطوه تجاه موسى الكليم . وفي اول خلافته أعتق الأسرى النصارى كافةً ونهج نهجه لاون الملك فسرح جميع الاسرى العرب .

غير ان المهدي قوض الكنائس التي ابتناها النصارى في عهد العرب وأخرّب كنيسة الخلقيدونيين (الروم) في حلب . وأشهر الاضطهاد على المانويين وقوض موضعاً يقال له الفدان الكبير كان غاصاً بهم . وأمر بقتل كثير من العرب تشبوا بالمانوية . وقبض على ثمانية رجال أجلاء من آل جومية (السريان) فأذيقوا اعذبة فادحة وقضى ثلاثة منهم في السجن ونجا الخمسة .

وفي هذا الزمان اشتهر ثنوفيل بن توما الرهاوي الحبير بالتنجيم [١٢٧] وكان من أتباع بدعة الموارنة . وخلف تاريخاً معتبراً في اللغة السريانية تحامل فيه على المستقسي الايمان (اليعاقبة) واستحقرهم ، ونقل كتابي اوميريس في فتح ايرليون عن اليوناني الى السرياني ، وثنوفيل هذا خدم الخليفة المهدي فاحبه المهدي حباً جماً لتضلعه من علم الفلك والتنجيم . قيل ان الخليفة هم يوماً بالسفر الى احدى مدنيه مع اهل بيته . فارسلت امرأته جاريتها تقول لثنوفيل : انك قد اشرت على الملك بالسفر فجشستنا مشقة وعناء في الطريق ككناً في غنى عنها . فلي رجا بالله عز وجل ان يهلكك وينقلك من الارض لنستريح بنجاتنا منك . فقال ثنوفيل للجارية التي آتته بالرسالة : ارجعي وقولي لمولاتك : اني لم أشر على الخليفة في السفر . فهو يسافر كما يشاء . اما دعاؤك علي بان يجعل الله تعالى موتي فهذا شيء قد قضى به تعالى وأصبح مؤكداً اني اموت سريعاً . ولكن

لا تتوهمي اني اموت لان الله قبل دعائك . لكن مشيئة من خلقتي ستكمل .
 اما انت ايتها الملكة فأقول لك : أعدتي لنفسك تراباً كثيراً فاذا سمعت اني
 مت فاجعلي ذلك التراب كله على رأسك ! فضاقت الملكة خوفاً شديداً لما
 سمعت ذلك وما زالت متوقعة تأويل هذا القول حتى مات ثوفيل بعد أيام
 معدودة ثم مات الخليفة بعد عشرين يوماً وصح ما قرره ثوفيل .

وفي السنة ١٠٩٠ لليونان (٧٧٩ م) أقبل المهدي الى حلب وخرج الى
 لقاء التيوخيون الذين كانوا يقيمون في الخيام بضواحي المدينة وهم يمتطون
 خيولاً مطهمة ورافلون بالحلل . فقيل له : ان هؤلاء هم نصارى . فاحتم المهدي
 سخطاً واضطروهم ان يسلموا . فأسلم زهاء خمسة آلاف رجل ولم تسلم النساء .
 واستشهد منهم رجل جليل اسمه [١٢٨] ليث .

وارتحل المهدي بعد ذلك الى بلاد الروم واتاخ ببلد ارييسوس على نهر
 فرمون . ودوخ ابنه هرون قلعة سيالوس وغزا وانطاق .

وفي السنة ١٠٩٢ لليونان (٧٨١ م) أجلى العرب من افسوس نحو سبعة
 آلاف نسمة ومات من العرب زهاء اربعة آلاف .

اما لاون الملك فوجه جيوشاً أجلاوا جماعة من السريان المستقيمي الايمان
 (اليعاقبة) وأسكنهم في تراقية . ويقال ان هذا الملك كان يحقر الصور ويمالي
 المستقيمي الايمان كآبيه وقد ادركته المنون في هذه السنة وقام بعده ابنه
 قسطنطين وملك اثنتين وعشرين سنة . وتولت ايريني أمة تدبير الملكة ونادوا
 بها ملكة معه .

وفي السنة ١٠٩٤ لليونان (٧٨٣ م) وجه المهدي ابنه هرون الى قسطنطينية
 فاستدرك الروم الأمر واقاموا سداً تجاه العرب عند نهر سفريس . فاصبح العرب
 يحصرهم الجبل من الجانب الواحد والنهر المذكور من الجانب الآخر . وتضايقوا
 جداً وطلبوا الصلح لثلاث سنوات . وقد وافقتهم ايريني الملكة لضعف رأي
 النساء . وأفرجت عنهم . وبعد سنة ابتنى علي مدينة الحدث .

بعد المهدي موسى ابنه

تولى سنة واحدة وشهراً ونصف شهر . وقبل ان تُعقد له الخلافة اي في السنة ١٠٩٥ لليونان (٧٨٤ م) ظهر جراد طيار عاث الزروع وقص ثم خرج وجعل يلترق بالاسوار ويدب في الجدران ويخش في المنازل من الكوى والابواب حتى ملأ قرب المياه والفرش والموائد والصحون . وكان يدخل من جنوبي البيت ويخرج من شماليه . والتهم الاعشاب والاشجار وأمتعة الصوف وثياب البشر . وأتلف نواحي الرها وسروج برمتها ثم انتقل الى المغرب . وبعد مرور ثلاث سنوات على هذه الضربة القاسية عم القلاء الارض جماء .

وفي السنة ١٠٩٧ لليونان (٧٨٦ م) أغار الروم على الحدث التي ابتناها العرب حديثاً واخربوها وقوضوا اسوارها وحطبوها بالمرّة . وفي تموز تلك السنة توفي الخليفة .

بعد موسى هرون الرشيد أخوه

تولى ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين . ووجه عبد الملك فقوض كنيسة [١٢٩] الكيسوم الكبرى وخمس عشرة كنيسة غيرها . ونقل حجارها على الفي عجلة الى الحدث التي أخرجها الروم وجدد هو بنائها . وتوغل العرب في بلاد الروم وساحل البحر وغنموا غنائم وافرة .

وفي السنة ١١٠٠ لليونان (٧٨٩ م) خرج الوليد وهو من بدعة الروافض وحشد خمسة آلاف مقاتل وشذ على نصيبين وفتك بأمرها واستصفي أموال تجارها . واستنزف من كل مسيحي خمسة دراهم . وبعدها بطش بجيش عبد الملك وفتك بالعرب وأقفرت الطرق من الغادين والرائحين باغته يزيد في عسكره وأجهز عليه .

وفي القابل ارتحل هرون من بغداد الى الرقة يريد الاقامة فيها فزاد في عمارتها وغرس في ضواحيها جنان كثيرة وجلب لها نهراً من الفرات ونهراً ثانياً من سروج . وقد اشترى مياه قرى سروج من اصحابها واحتفر لها نهراً جديداً .

وفي السنة ١١٠٤ لليونان (٧٩٣ م) اصطدم القيسيون واليسنيون في حص
 وقتل منهم الكثيرون. وغنم عبد الملك غنيمة وافرة من بلاد الروم . ودوخ
 ابنه عبد الرحمن قلعة ربة في قبوقية ومات فيها اربعمائة رجل عطشاً ثم سلّموها .
 وفي هذا الزمان حاول قسطنطين الملك ان يفقأ عيني ألفيدي بطريق صقلية
 لارتكابه المنكر مع امه وانهزامه الى العرب . واستحلف الزعماء ان لا ينادوا
 بامه ملكة . امّا ألفيدي فقد اخذ اربعين الفا من العرب مع الامير سليمان واغار
 على سمسون فادركهم الشتاء وهلك اربعة آلاف منهم واضطروا ان يستغيثوا
 بالروم فأبدى الروم عطفاً عليهم ولم يمتوا احداً منهم بأذى . وانصرف العرب
 في كانون الثاني وقد أهرأ الثلج أرجلهم . قال البطريرك ديونيسيوس التلمحري :
 شاهدتُ منهم نحو اربعمائة رجل في الرها .

بعد هذا صار قسطنطين الى موادة ايريني امه وأمر ان ينادوا بها ملكة
 [١٣٠] فامتل الأمر جميع الاهالي سوى الارمن فانهم بسبب الايمان لم يأتروا
 بأمر الملك الجائر فوقع بهم واضطهدهم .

وفي السنة ١١٠٨ لليونان (٧٩٧ م) مر هرون الرشيد بالرها فواجهه المساهون
 وشكوا النصارى مدعين ان ملك الروم يزورهم كل سنة تحت السر ويصلي
 في كنائسهم . فبحث الخليفة عن الأمر واستبان له اقتراؤهم فأوسعهم ضرباً
 وطردهم .

امّا آل جومية الرهاويون فبعدما بذروا ثروتهم كلها حفروا يومئذ في
 بيتهم ونبشوا كنزاً مخفياً . وكانوا قد دانوا بدين العرب فافحشوا في البهائم
 وكلاب الصيد وتتهكوا وبلغ الملك هرون خبرهم فألقاهم في السجن بالرقّة
 وبعث حاجبه فاحتوى على كل ما باعوه من الاموال الملكيّة وفي جملتها حيات
 وعقارب فضية مملوءة اكسيراً أسرفوها جهلاً . ثم قبض الحاجب على امهم
 العجوز وعلى نسائهم الحرائر وانتزع منهن ما بقي من اكواز الذهب والفضة
 والامتعة والدنانير الرومانية وطرحهن في السجن وحبس اختهن العذراء . في بيت
 رجل خلقيدوني (رومي) في غرفة عالية بالطبقة الرابعة واقام رجالاً اعاجم
 لحراستها . ولما جن الليل سمعت العذراء وطأة اقدام فنظنت ان رجلاً اعجبياً

مقبلً ليفتضحها فتقنعت ورمت بنفسها من النافذة وقضت حياتها في الغد .
فارتعش الحاجب وتأسف الملك عليها ثم أطلق اخوتها من السجن ورد اليهم
نُحس اموالهم . وقد اطلع على هذا الحادث البطريرك ديونيسيوس النلهجري
اطلاعاً تاماً ولاسيا لانه كان من اسرة ايونيس الرصافي فقال : ان البيت الذي
عثروا فيه على الكثر كان يخص ايونيس المشار اليه وهو الذي تخلى عنه لآل جومية
بمثابة جهاز لابنته وقد خبأته امرأة ايونيس لما اصدر الملك كسرى الامر بنفيها .

اماً الملك قسطنطين فقد خالف الشريعة واقترن بامرأة ثانية وامراته
الشريعة في قيد الحياة . وكان يستدعي بنات الأعيان ويفتضحهن [١٣١] ولماً
زحف الى تراقية ليحارب البلغار ظل يتأدى في معاورة الحمرة والحلاعة . فاتفق
لذلك الزعماء مع امه ولماً قفل راجعاً فقأت عينه وافقدته البصر وتفردت
بالمك وحدها واقامت الأطيس الحاجب مساعداً لها ورئيساً على البطارقة .
فبطش بالعرب الذين زحفوا الى بلاد الروم . وما مر العام حتى شتوا الغارة
وتغلبوا عليه وكرروا الزحف فانتصروا . وحين ذاك أجمع الروم على تنصيب
نيقيفور لوجيديط القبدوقي ملكاً . فسعت ايريني الملكة وأمرت ان يسلموا
عينه لكن الأطيس أنقذه من دهائهما . وعند ذاك اجتمع نيقيطا البطريرق
بالبطريرك وشاورا مجلس الحكومة واتفقوا قاطبةً على المناداة بنيقيفور ملكاً
في السنة ١١١٤ لليونان (٨٠٣ م) وقد أحسن نيقيفور معاملة الملكة ايريني
والأطيس الحاجب وأغض عنها . غير انها اضمرا ان يقتلاه على يد بعض الرهبان .
وما ان انجلت الخديعة لنيقيفور حتى نفى ايريني الى اتيئا وترهبت هناك وعاقب
الأطيس بما استحقه . ولم يس الرهبان بأذى .

وكان هرون الرشيد يومئذٍ منصرفاً الى بنيان مدينة زبطرا بارمينية الصغرى
عند ملطية . فزحف سطوريقس قائد جيش الروم الى بلد فيلوفونيسوس وكان
في حوزة العرب منذ امدٍ مديد واحتله واقام فيه حاميةً وانقلب في غنيمته
وافرةً من العرب والغنم والحيل والبعر .

ويحكى ان رجلاً يقال له جبلة كان ملكاً على العرب النصارى ثم أسلم
على يد عمر بن الخطاب وحضر معه في المسجد بيثرب . فتصدى له رجلٌ من

قبيلة فزارة ووطنه برجله . فالتفت اليه جبلة وضربه وهشم أنفه . فرافعه
 الفزراي الى عمر فقال عمر جبلة أرضه او دعه يهشم أنفك : فقال جبلة : كيف
 يتيسر لملك مثلي ان يسمح لرجل سوقه بضربه ؟ قال عمر : ان كنت اكرم
 منه في الملك فانت مساو له في الاسلام ، قال جبلة : أمهلني اذا حتى الصباح
 لأعمل الروية في احد الامرين . ولما جن الليل نهض [١٣٢] جبلة واصحابه
 وانهزموا الى قبدوقية وتنصروا ثانية . ومن جبلة هذا يتسلسل نيقيفور ملك
 الروم المشار اليه . وكان نيقيفور داهية حازماً وصائماً ومصلياً . ولذا قال
 أفيدي المتسرد المذكور لعبد الملك قائد الجيوش العربية : متى ملك نيقيفور
 ألق عنك ثوبك الناعم وتدرع بالسلاح وتهياً للقتال . على انه ما كاد يملك
 نيقيفور حتى وجه الرسائل الى هرون الرشيد يستفزه للحرب . وظل القيصر
 والخليفة مدة شهرين يتراسلان حتى صارا الى المودعة وتبادلا الهدايا وعاد كل
 منها الى بلده .

وفي هذا الزمان كان رجل قرشي مسلم اسمه رويح . وكان بيته مجاوراً
 للكنيسة . وكان يضايق الكاهن ويزعجه وقت الصلاة وي طرح عليه من
 الكوة كرات من طير . ولما كان يحدق فيه يوماً وقت ذبيحة القديس شاهد
 في الطبق على مائدة الحياة حملاً مذبوحاً فانحدر الى الكنيسة وشاهد امام
 الكاهن خبزاً مكسوراً . فعاد الى الكوة وحدق ثانية فشاهد الحبل فجاهر
 حالاً بالنصرانية وترك بيته وقصد احد الاديار واصطبغ بالمعمودية . ولما بلغ
 هرون الرشيد خبره استحضره ولاحظه ليعود الى الاسلام فأبى . فأوثقه وألقاه
 في السجن وظل سنتين كاملتين راسخاً في عقيدته . فأصدر الخليفة الأمر فحز
 راسه بالسيف وعلق على سور الراقعة ورأى الكثيرون نوراً هابطاً عليه . ثم
 أحدره من السور رجل مسيحي من بلاد فارس ونقل جثمانه الى مدينته .

وفي تلك الغضون اقبل رجل رومي اسمه توما بن موسمار وزار هرون
 الرشيد مدعياً انه ابن قسطنطين الملك . فرحب به هرون كمن يرحب بابن ملك .
 وفي السنة ١١١٥ لليونان (٨٠٤ م) اذ كان هرون الرشيد في بلاد العجم
 زحفت جيوش من الروم ضخمة وغزت بلد المصيصة وعين زربة . فانصب عليها

العرب واسترجعوا الغنائم . وسع هرون فبادر الى الرقة وغزا في نيسان مدينة هرقلية . فشدّ عليه نيقيفور ليناوشه . وما ان شاهد هرون جيوش الروم الضخمة حتى طلب الصلح وأطلق [١٣٣] جميع الأسرى الروم الذين في حوزته . ولما قرّر نيقيفور الهدنة تخلى نه هرون عن جميع خيامه ومعداتها ايضاً .

وفي السنة عينها ابنتى هرون مدينة فوق الرقة دعاها ايرقلية باسم امرأة أخذها من اهالي هرقلية . ولما اطمان نيقيفور من محاربة العرب شدّ هو كذلك مدينة انقرة وغيرها بدلاً من طوانة وايرقلية اللتين احتلها العرب في عهده . وفي السنة ١١١٩ اليونان (٨٠٨ م) تفاقم الجوع في البهائم وجعلت تنبش قبور الموتى وتأكلهم وتهجم على الاحياء فنفتس النساء والفتيان وهم يلتقطون الاعشاب خارجاً .

وعول هرون على الشخوص الى بلاد العجم ليحارب العصاة وعقد لابنه محمد الولاية على بغداد ولابنه القاسم على سورية واستصحب ابنه المأمون الى خراسان وأسنى له الف رهوة من الفضة بدلاً من الملك . ولما وصل الى مدينة طوس وبطش بالحارجي ادركه الأجل في السنة ١١٢٠ لليونان (٨٠٩ م) .

واشتهر في هذا الزمان بجثيشوع بن جورجيس الطبيب العيلامي . وارسل الخليفة هرون الرشيد يستدعيه ليعالجه . ولما دخل الطبيب دعا الملك في اللغتين الفارسية والعربية فابتهج الملك وانتدب سائر الاطباء ليباحثوا بجثيشوع . فقال الطبيب عيسى ابو قريش : ثق يا مولاي الملك بانه ليس فينا طبيب كفوء ان يحدث بجثيشوع لانه قلّة بلوثة وهو ووالده وأهله فلاسفة . ثم أمر الخليفة احد الحجاب ليحضر على السكت تفسرة بهيمة كي يتمعن بجثيشوع هل يعيها ام لا . ولما أحضرت وشاهدها بجثيشوع قال : انها ليست تفسرة بشر . فعارضه ابو قريش وقال له : كذبت . انها تفسرة احدى حظيات الملك . فاحتد بجثيشوع وقال له : اياك اخاطب ايها الشيخ الوقور ان الانسان لا يبول هكذا . تبصر ان كنت تدري في لون التفسرة ومادتها ورائحتها . فقال له ابو قريش : ما يكون طعام من يكون هذا الماء . ماءه ؟ قال بجثيشوع [١٣٤] طامامه شعير جديد حسن لم يأكله احد . فضحك الخليفة وأمر له بشباب وذهب كثير .

وخلف بختيشوع بن جورجيس بن بختيشوع ابنه جبرائيل واشتهر مشله
 بالطب وخدم هرون الرشيد . قيل ان احدي حظايا الخليفة الكريمة لديه تحطت
 يوماً ورفعت يدها فتشججت وتعذر عليها ردها . وتمب الاطباء وهم يعالجونها
 بالادهان والتسريح ولم يفيدوها . حينئذ احضر الخليفة جبرائيل وقص عليه
 خبرها فقال له : ان لها عندي دواء ان كنت تُخرجها الى ههنا بحضرة الجمع
 فأصنع لها ما ارى دون ان تسخط علي فوافق الخليفة واحضروها . وما ان رآها
 جبرائيل حتى أسرع اليها وأمسك اذيالها كمن يريد ان يكشف سويتها . اما
 الجارية فلشدة الحياء اتقد جسها حرارة وعرقت واسترسلت أعضاؤها وبسطت
 يدها المشنجة الى اذيالها وأمسكتها لتستر . وللحال تركها جبرائيل وقال
 للخليفة : لقد برئت . ثم بسطت الجارية يدها يئنة ويسرة . فدهش الخليفة وجميع
 الحاضرين وأمر جبرائيل بحمالة الف فضة . ولما نهض جبرائيل سأله عن
 السبب فقال : ان خلطاً رقيقاً انصب الى اعضائها وقت الغشيان وبها ان حركة
 الغشيان تسكن بغتة وتقف حذت فضلة الخلط في بطون الاعصاب المحركة
 لليد وما كان يحلها إلا حرارة متوقدة تتأني من تلك الحركة الاضطرابية .
 وكان راتب جبرائيل في السنة تسعمائة الف دينار . وبعد وفاة الرشيد قام بخدمة
 الامين ابنه حتى قتل الامين فنهض بخدمة المأمون أخيه . غير ان المأمون حرد
 على جبرائيل في اول الأمر وابتدأ امواله كلها ثم رضي عنه ورد له كل ما
 اخذه منه وأحبه وأكرمه .

وان رجلاً نسطورياً زار مصر فقال لجبرائيل : ان اليعاقبة كثيراً ما
 يسخرون بنسطور في مصر ويرجمون قبره ويدعون ان المطر لا ينحدر [١٣٥]
 عليه . فاستشاط جبرائيل سخطاً وحصل من الخليفة رسالة الى صاحب مصر
 ليوسل اليه عظام نسطور في صندوق الى بغداد كي يدفنها في كنيسة كوكي
 (مقر جبالقة النساطرة) . فاستدرك الأمر راهب نسطوري ليزيل العار عن
 ابنا . ملته ويبرهن لهم ان الذي يسخر به اليعاقبة ويرجمونه ليس هو نسطور
 فادعى ان أحد الرسل القديسين ظهر له في الحلم ليلاً وقال له : ان هذه الحكاية
 لا نصيب لها من الصحة وان عظام نسطور ليست في مصر ولا يعرف احد مكان

قبره . فكف جبرائيل الطبيب عن نقل العظام من مصر .

بعد هرون الرشيد محمد امين ابنه

تولى اربع سنين وسبعة شهور وأمر العجلة بالمدول عمًا باشره ابوه من بناء هرقلية . ونقل الى بغداد خزائن ابيه من الرقة واموال المأمون اخيه وآله من خراسان .

وفي السنة ١١٢١ لليونان (٨١٠ م) نثم الأمين والمأمون يتحرفشان احدهما بالآخر . وكانت بداية الشر من الأمين لانه كان خالعا وشرها ولم يؤد لاختيه المأمون ما ارصده له أبوه من المال بل ابتز امواله كلها وبعث يستدعيه بحيلة ليقبض عليه . فاستدرك المأمون الحديعة واستمر في مركزه . وظهر اذ ذاك طائفة من الخوارج نظير عمر الذي كان مسجوناً في الرقة بسبب افحاشه في القتل لما كان بسيساط . وقتك بجارس السجن وانهزم ثانية الى سيساط وقتك بالامير الذي سجن بسبه . ونهب التجار وحشد العسكر وجعل ينهب ويفزو ويقتل في فلسطين . ونازل كذلك جيشاً وجهه اليه سليمان القائد . ومن الخوارج كذلك رجل اسمه ناصر ظهر في ارمينية واتفق مع عمر ونقما يفنيان الناس . ثم ان الأمين وجه علياً القائد في ثلاثين الفا ليطشوا بالمأمون اخيه . فشر المأمون وجهه اربعة آلاف على رأسهم الظاهر . والتقى الحصان عند نهر البليخ فانكسر علي وغرق اغلب عسكره في النهر .

وفي السنة ١١٢٣ لليونان (٨١٢ م) زحف نيقيفور ملك [١٣٦] الروم الى بلاد البلغار وحاصر عاصمتهم ودوخها وأخربها وقتل خلقاً كثيراً وبلغت منه الفظاظة حتى جعل يسطح الفتيان على الحضيض ويطأهم بالجراج . وفي هذه السنة عينها قتل نيقيفور قتله رجل رومي .

وفي السنة ١١٢٣ لليونان (٨١٢ م) اتفق ناصر وعمر الخارجيان وعبرا الجزيرة وجعل اصحابها يقتلون دون شفقة ويسبون ويفزون ويفحشون في النساء والعداري والفتيان . وفيها كانوا يحاصران حران كتب اليها الرهاويون (العرب) يقولون : إن أرسلنا من يدمر كنيسة النصارى فانهم يضخون باموالهم كلها

حرصاً عليها . وكان سور الرها يومئذ قد سبق فقوضه ابو جعفر . فهلع الرهاويون كل الهلع وأوصوا بالصوم واعتكفوا على السهر والصلاة . فسمع الرب طلباتهم وألهم شيخاً من العرب يقال له يحيى بن سعيد فخرج يريد مواجهة ناصر وعمر الخارجيين وأشار عليهما ان يعدلا عن قصدتهما فلياً مشورة الشيخ وأدى لهما الرهاويون خممئة الف درهم ورحلوهما .

وفي رابع عشر ايار تلك السنة انكسفت الشمس ساعتين وظهرت النجوم واضاء الاهالي السروج ثم لاحت الشمس ساعة في المغرب .

وفي السنة ١١٢٤ لليونان (٨١٣ م) دوح الخارجيان ناصر وعمر بتلاد طرسكيانا وزاباربا وباماريا وشاهدا في دير بظاهر قرية حديص راهباً حبساً جليلاً طالبا منه كل ما لديه ولدى غيره فألقاه اليهم . ثم ناروا عليه واحرقوه واحرقوا صومعته . وبعد هذا سار عمر الى سيساط وابتنى قلعتها وتحصن بها وانطلق ناصر الى سروج واضطر أهلها ان يؤدوا له الجزية .

وفيا كان العرب يفتون مثل تلك الافعال كان الروم كذلك يسرون على خطتهم . ذلك انه لما قتل نيقفور وخلفه ابنه سطوريتي حمل البلغار بعد خمسة اشهر على قسطنطينية وأصابوا سطوريتي في فخذه ومات . وخلفه صهره ميخائيل سنة واحدة . وروى بعضهم ان اخته فرقوريا سقته سماً لينخلفه ميخائيل زوجها . واغار البلغار على الروم ولم يزحف ميخائيل [١٣٧] وبقاتهم . عند ذلك حملت النخوة لاون البطريق فبرز لقتال البلغار وبطش بهم وقتك بملكهم . وانقلب فقبض على ميخائيل وحلق رأسه وجعله في احد الاديار وخصى ابناءه وملك سبع سنوات ونصف سنة وعقد الصلح مع البلغار وتخلي لهم عن الملاحاة التي لاجلها حدث النزاع بين الدولتين .

وفي السنة ١١٢٥ لليونان (٨١٤ م) استولى ناصر على بلدة راس كيفا وعلى سروج والكيسوم . وشيد ثلاثة اسوار في الكيسوم . وابتنى ابو شيخ اسوار الرها بنفقات اهاليها . واحتل عبدالله بن هشام مدينة حران وتولى عمر مدينة تل موزل وحبيب رأس العين وعبدالله ماردين وعباس قورس وعثمان

قنسرين وانطاكية وافاميا. وابتنى ثابت بابين في ثغور قيليقية واقام فيها حامية ليكون بلد قيليقية ملاذاً للمضطهدين والمساكين.

اما الحسين القائد فأضمر الانتفاض على الامين الخليفة وقال للعجم : ان الامين يعضد العرب ويعاديكم . ثم ثار على الامين في فريق من العجم وأوثقه وزجه في السجن ثم خرج وجلس على جسر بغداد واستدعى الجنود ليحالفوا المأمون . اما الامين فأرسل من سجنه الى الحسين يُقسم له ويلتس منه ان يعطيه أمواله ويشفق على حياته . فتوجه الحسين والعجم وأطلقوه وردوه الى كرسية. وحلف الامين للحسين انه يغفر له زلته ودفع له مائة . لكن الحسين لم يثق به فانهمزم يريد هزيمة رئيس قواد المأمون.

اما ناصر الخارجي فكسب العرب القيسيين كافة واقبل بهم الى الرقة وحلوا في دور النصارى وضايقوهم في استنزاف ما يقوم بنفقاتهم الوافرة . ثم زحفوا الى الرافقة وحاصروها وكان مقيماً هناك يومئذ البطريرك قرياقس (٧٩٣ - ٨١٧) وثودوسيوس مطران الرها واشتد الغلاء حتى أكل الناس خبز الرز والبقول. ثم عقد ناصر الصلح كفيلاً كان لان عساكر الكوفة احتلوا الرقة واستولى العجم على الرافقة.

ولما رأى المأمون ان الكثيرين انتفضوا على الامين [١٣٨] اخيه وجه القائدين هزيمة والظاهر الى بغداد. فانقم البغداديون شطرين وساد الاضطراب كل المدينة . وجعلوا يدخلون الخزائن الملكية وينهبون الذهب والامتعة ويتقاتلون عليها . وأفضى بهم الأمر الى تحطيم أعمدة الكنائس واتخاذ حجارتها للمنجنقات لان بغداد خالية من الحجار. عند ذلك بعث الامين الى هزيمة يستحطفه حفظاً لحياته وامواله فحلف له . فسخط الظاهر وانتقى حراساً ادركوا الامين ايلاً وهو منهزم في قارب . فألقى بنفسه في النهر وسبح حتى وصل الى بيت ضيق واختفى فيه فلقه الجند وقتلوه به وعلقوا هامته في رمح وطافوا بها في بغداد يوم الاحد خامس محرم عام ١٩٨ للهجرة (٨١٣ م).

بعد الامين المأمون أخوه

تولّى عشرين سنةً ونصف سنة . وارسل فأحضر الى خراسان هرثمة القائد وأمر بقتله بسبب مخالفته للامين . فسخط اصحاب هرثمة وقصدوا الحامّ وفتكوا بالقاتل فاغتاظ المأمون وأمر بشنقهم . أما ناصر الخارجي فحشد القيسيين وزحف بهم يريد التنوخيين المحمّيين عند نهر قويق بجلب وقاتلهم عشرة ايام . فخارت قواهم وارتحلوا رجالاً ونساء الى قنسرين ودخل القيسيون والحلييون ونهبوا خيامهم الواسعة وهي حافلة بالاموال والبضائع . وهكذا تجردوا من اموالهم كما سبقوا فتجردوا من ديانتهم وخرجوا عراة حفاة .

وبعد هذا وصل الظاهر قائد جيوش المأمون في اربعة آلاف من العجم الى الرقة وطارد الخوارج وضاعف الضرائب اكثر منهم وأساء الى اهالي سروج والرها . ثم انكر على اصحابه روايتهم فأضرموا ان يفتكوا به . فشر بذلك ووثب من السور وفر الى الرقة . وأحسن اصحابه عند الصباح فخافوا ان يباغتهم ناصر فانهزموا هم كذلك (١٣٩) ونجا الرهاويون من الضرائب الباهظة . وشد ناصر على العجم اصحاب الظاهر وجعل جنوده يقبضون على خمسين فخمسين وعلى مائة فمائة فينحرونهم نحر الخراف . ثم حمل ناصر وعمر على الرها وشدا الحصار عليها . فتسلق الاهالي والعجم سور المدينة وجعلوا يقاتلونها وصارت النساء ينقلن الحجار للقتال والمياه لشرب المقاتلين . وانقطع الضعفاء والصغار الى الصلاة . قال البطريق ديونيسيوس التلحيري (٨١٨-٨٤٥) كنت انا واحداً منهم . فتعطف الرب الرحيم فأصيب عمر وانهزم الخوارج .

ولما شاهد البغداديون عثر الخوارج والمأمون بعيداً عنهم استحضروا عمه ابرهيم بن المهدي وملكوه عليهم . فنار ناثر الحسن قائد جيش المأمون وكان يومئذ في الكوفة بسبب فتنة حدثت هناك وهم ان يوقع بالبغداديين . اما الظاهر وكان في الرقة فاستمال الخوارج بالعطاء . وتولى بعضهم على البلاد فاقام ابرهيم القرشي على حران . وبينما كان يتنزه يوماً في قصره شاهد ابنةً حديثة واستفسر العرب عنها فقالوا انها كنائس للنصارى وقد شيدها في عهدك مما

حمل المسلمين على الارتياح في أمرك . فسخط ابرهيم وأصدر الامر بتقويض الكنائس الجديدة . فقوضوا قبل غروب الشمس مذبح كنيسةنا الكبرى في حران وكنيسة والدة الله في قوبا وبعض كنيسة مار جرجس وجانباً من كنائس الخلقيدونيين (الملكيين) والنساطرة واليهود . وفي تلك الليلة عينها أرق ابرهيم وازعجه الله تعالى في منامه ولما أصبح استدعى المسيحيين وأمرهم ان يبنيوا ما هدم فابتنوا في أيام يسيرة كل ما خرب .

ثم رخص ابرهيم المذكور للحرانيين الصابئة ان يحتفلوا بأسرارهم علانية فاطأنوا ودبجوا ثوراً مجلل ثمينه وتوجوه بالزهور وعلقوا جلاجل في قرنيه وطافوا به في الازقة بالاهازيج وآلات الطرب ثم قرّبوه ضحية لألهتهم . وهذا ابرهيم وأبى عبد الملا على الرها وشدد على الاهالي بالضرائب . ولما (١١٠) تظلم اليه الرهاويون نماً يمتلونونه ممن استباحوا بيوتهم قال لهم : انكم تمتعتم بهذه الارض في عهد الروم يوم كان آباؤنا تائهن في براري قفرا . يعون الجمال ويكابدون برد الشتاء وحر الصيف . فالان وقد ملكنا هذه الارض فعلام تستصعبون تسليها لينا ؟ هكذا خرج الرهاويون مكئين وأيسين .

وابتني الظاهر سوراً ما بين الرقة والرافقة وتحصن فيه وانقطع الى المطالعة والتفسير والتحدث مع الفلاسفة .

وفي السنة ١٠٣٠ لليونان (٨١٩ م) ارتحل المأمون من خراسان الى بغداد فانهزم ابرهيم عنه واختفى واتفق البغداديون مع المأمون . وفي السنة ١٠٣٢ لليونان (٨٢١ م) وجه المأمون الى خراسان الظاهر ليتولى شؤونها ورتقى ابنه عبدالله وولاه منصب والده . اما ناصر الخارجي فاستجمع قواه واشترى قلعة بالس وزحف في جنوده الى نهر هائي بجانب الرقة وفتك بعيسى وبالسوقة اصحابه جميعاً وغزا القرى وسبي اهلها . فوجه اليه المأمون شيباً القائد الكبير في سبعة آلاف اعجمي من الممتازين فالتقوا بناصر وهزموا اصحابه العرب وطلقوا ينيهون حوانيت المساكين يأكلون ويشربون متفاخرين كأنهم تغلبوا على ناصر . غير ان ناصر اندلف على العجم وكسرهم . وارتحل شيب ليلاً الى نواحي

انطاكية مذعوراً فتبعه ناصر وقبض على ثلاثة آلاف من العجم تقريباً . وفرّ شبيب مع شردمة الى بغداد .

ثم توجه ناصر الى قرى نهر الساجور بجانب منبج واختفى هناك مترصداً . ولما خرج الاهالي كل الى شفه حمل عليهم وبعطش بالرجال والنساء . وسارع جمهور من الفلاحين والمساكين الى دير يوريم فسار ناصر والقي عليهم الزيران وأحرق بعضهم والقي البعض الآخر بانفسهم فسقطوا وتحطوا فانقض عليهم وفتق رؤوسهم وحملها الى سروج . ولما بلغ المأمون ذلك انفذ عبداً (١٤١) ابن الظاهر في عشرين ألفاً فوصل الى بالس وحصرها حصاراً عنيفاً وثغر سورها ودخل فقبض على الخوارج اصحاب ناصر واوثقهم بالسلاسل وأرسلهم الى بغداد . وكان ناصر وقتئذ في أطراف سروج يفتك بالنصارى والعجم معاً .

وفي السنة ١١٣٣ لليونان (٨٢٢ م) استفحل امر لاون ملك الروم وقتك بعدد غير من الأعيان ونوى الروم ان يقتلوه وينادون ميخائيل قائد الجيوش ملكاً فشر لاون وارسل فقبض على ميخائيل وأضر ان يصلبه يوم جمعة الآلام العظيمة . غير ان امرأته توسلت اليه ان يعرض عن قتله في ذلك اليوم . على ان ميخائيل وجه يقول للاقطاب انقذوني والآ اذعت انكم شركائي في المكيدة . فلم يروا الا ان يباغتوا الملك وهو يصلي في المذبح فشدوا عليه وفتكوا به وانقلبوا فأخرجوا ميخائيل وتوجه ملكاً .

وفي السنة الرابعة للملك ميخائيل توفيت تقلا امرأته فبعث فأخرج من الدير حفيدة قسطنطين الملك وتزوجها وولدت له ابناً . فحملتها النخوة والغيرة وهي حفيدة ايريني الملكة واستفظمت تربية ابن والده متسلسل من نسل يهودي فاحتالت وقتلت الطفل . على ان جد ميخائيل الملك كان يهودياً ثم تنصر واعتد .

وفي تلك الاثناء أرسل المأمون فاستدعى توما الذي ادعى انه ابن الملك قسطنطين ووجهه في جيش الى قسطنطينية فانتهى اليها وظل يحاصرها ستة اشهر . فتضايق ميخائيل الملك وعاهد الأسرى العرب بارجاعهم الى وطنهم ان قاتلوا توما . عند ذلك اتفق الروم والعرب معاً ونازلوا اصحاب توما وهزموه

الى احدى القلاع وتتبعوه حتى قبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه وعلقوه في رمح . اما ميخائيل فقد نكث المعاهدة ولم يطلق الأسرى العرب .

وفي تشرين السنة ١١٣٥ لليونان (٨٢٤ م) حاصر ابن الظاهر مدينة الكيسوم واقام ابراجاً يطرحون منها الحجار يزن كل حجر حمل حمار . وكان للكيسوم وشورا خمسة اسوار . ثم أمر ناصر النساء المسيحيات ان ينتقلن الى السور (١٤٢) في اطفالهن ويبيكين ويتوسلن ان لا يُرجمن بالحجار . فتعطف ابن الظاهر ونهى عن القاء الحجار ضمن المدينة والاقتصار على ضرب السور لا غير . وحين ذاك فتح ناصر باب المدينة وبعث بنيه الثلاثة في مائتي حمل سيمد وثلاثمائة حمل شعير وخمسمائة خروف وعشرة براذين وعشرة عبيد وثلاث سراري وثلاثة خصيان الى ابن الظاهر مصرحاً له بانه يتوجه اليه وقت الغداة . فأمر ابن الظاهر ان يذهب الفتيان الى اهلهم ليطمئن بهم ثم اقبل ناصر وترجل عن بُعد ثم وصل الى ابن الظاهر وسجد له وقبل رجله ويده . ونزل ابن الظاهر عن حصانه وجلسا كلاهما يتحدثان سرّاً . وبعد هذا امر ابن الظاهر ناصر ان ينهض ويدخل المدينة وقرر ناصر ان يواجه ابن الظاهر في الرقة بعد عشرين يوماً . فصدق ابن الظاهر لسلامة طويته وسار الى سيماسط مستصحباً منصور بن ناصر وقبض هناك على الخارجي . اما ناصر فاشتغل ببناء السور وترميه ثم ارسل الى ابن الظاهر يقول : اني مستعد لمناوشتك . اما ابني منصور فلا تقتصر على حبسه في بغداد بل اشوه بالنار وكُله .

حينئذ زحف ابن الظاهر الى الكيسوم وشدّد الحصار عليها ونهى ناصر الاهالي عن البكاء على القتلى . ولما دارت رحى الحرب وانثلم السور الخارجي أصعد ناصر النساء النصرانيات ثانية الى السور حاملات اطفهن ينتهجن . فأشفق عليهن ابن الظاهر واوقف الحرب . واشتغل الجند ببناء البيوت لسكنائهم في الشتاء . وتناقم الجوع في المدينة حتى بيع راس الحمار بعشر دراهم . فتضايق ناصر وخرج وحده يريد ابن الظاهر فرحله ابن الظاهر مع اصحابه الى بغداد راكبين البغال . وانتهى امر الخوارج في شهر اذار سنة ١١٣٥ لاونان (٨٢٥ م) .

وفي هذه السنة ركب السفن زهاء ثلاثين ألفاً من اهالي البصرة يريدون بلد البحرين لان اهاليه تعردوا سلب السفن القادمة (١٤٣) من الهند والصين والعجم . غير انهم لم يكدوا يصلون حتى غرقوا في اعماق الماء لجهلهم المضائق . وخرج اهالي البحرين في قواربهم واغرقوا جميع اولئك البصريين .

وطرح المأمون يومئذ في السجن اربعة زعماء قرشيين اضرموا الانتفاض عليه . فأسر أولئك الزعماء الى بعض الناس بالقاء النيران في سوق الكرخ والفتك بالخليفة عندما يخرج ليشهد الحريق . وما ان اطلع الخليفة على المكيدة حتى ارسل في قتل اولئك القرشيين ليلاً وتعليق جثثهم عند الصباح على الاخشاب . وقبض المأمون كذلك على ابراهيم عمه وعفا عنه احتراماً لشيخوخته . وكان ابراهيم قد تلقن الضرب على العود وكان يتتاع فتياناً وفتيات ويبيعهم ويتعيش . وظهر في تلك النضون في مصر ساري وجاوري الحارجان وجمعا ذهباً كالحجار . وعلى اثر وفاتها تقلد عبيد بن ساري ولاية دمياط والناحية الجنوبية وتولى احمد بن جاوري الناحية الشمالية . وفي السنة ١١٣٧ لليونان (٨٢٦ م) وصل ابن الظاهر الى العريش وخرج الى لقائه احمد المذكور وطلب الأمان وصيانة اموال ابيه جاوري . وكان جاوري عندما حضرته الوفاة يقول : اني اخجل من الارض بسبب ما اتركه فيها من الذهب الوافر . اما عبيد فانتقض على ابن الظاهر لان جيشه كان ثمانين ألفاً . فزحف ابن الظاهر الى القسطنطينية في نيسان وحاصرها ومنع دخول المدينة اليها برأً وبجراً . فلم يرَ عبيد الا ان يطلب الأمان حرصاً على حياته وعلى امواله وقصد ابن الظاهر وتصافيا واكلا وشرباً معاً .

وفي السنة ١١٣٨ لليونان (٨٢٧ م) اغار ابن الظاهر على الاسكندرية وكان الاندلسيون قد احتلوها وابدوا النصارى واليهود عن بيوتهم واستقروا هم فيها . فضايقتهم ابن الظاهر تسعة شهور قتلاً وجوعاً حتى أخضعهم وارسل خمسين منهم في اهلهم الى الرقة وسرح البقية الى بلادهم . واحتل كذلك افريقية واستعمل عليها زعيمين من خيرة رجالها .

وفي السنة ١١٤٠ لليونان (٨٢٩ م) توفي ميخائيل ملك الروم وخلفه ابنه

ثيوفيل وكان ابوه (١٤٤) قد توجّه ملكاً قبل وفاته ولم يلبس التاج بعد وفاة تقلا امرأته واقترانه بالمرأة الثانية ولم يجلس على تخت المملكة . لانه لا يحق لمن يتزوج ثانية ان يتقلد المملكة عند الروم . ولما توفي ميخائيل عادت امرأته الثانية الى ديرها وقصّت شعرها وانقطعت الى العبادة .

وفي هذا الزمان انتقض بعض الاكراد المسلمين على العرب زاعمين ان قد ظهر المهدي ملكهم الذي كانوا ينتظرونه . وكان المهدي المذكور يُلقب برفعاً على وجهه ويدعو نفسه مسيحاً وروح قدس . فاجتمع اليه جماهير غفيرة وتحصن في جبال كردستان . فهال المأمون امره وسير اليه الحسن قائد الجنود وحصره في طور عبيدین وهو ينهب دير قرتمين وتغلب على الاكراد اصحابه . وانهزم المهدي الى بلد اسحق بن آحود الارمني . فقبض عليه اسحق وقلق رأسه . فاحتشد الاكراد ثانية ونازلوا قلعة اسحق وكان اسحق متغياً . فهلع الذين في القلعة . وان راهباً كان شقيق امرأة اسحق لما رأى الاكراد اوشكوا ان يدخلوا القلعة اختط مزراقاً ورعى بنفسه من القلعة وسارع الى زعيم الاكراد وطعنه واهلكه وانقلب الى القلعة غافلاً سائلاً . وظلّ الذين في القلعة يبكون طول الليل مبتهلين الى الله القدير في نجاتهم وألقت امرأة اسحق العفيفة رضيعها امام الرب وظلاً يبكيان معاً الليل كله حتى الصباح . وعند ذلك وافى اسحق في أبطاله فهلع الاكراد ولاذوا بالفرار . لكن الثلوج المتراكمة اعاقتهم ففتك اسحق بأغلبهم وافتت شرذمة اقامت لها زعيماً يقال له هرون فتك به عليّ وخلفه بابك راعي البقر . وانهزم سائر الاكراد ولاذوا بثيوفيل ملك الروم الذي اخضع البلغار كذلك وحشد الجنود وزحف الى زبطرا وحاصرها وفتحها وقتل رجالها وسبي نساءها وفتيانها واضرم النيران فيها وكرّ راجعاً . وبعد هذا غاد العرب فجددوا بناءها .

وبعد سنة انتقض منوئيل (١٤٥) البطريق على الملك ثيوفيل وقصد المأمون وحضه على الزحف الى بلاد الروم . فارتحل المأمون في حزيران الى قبدوقية واحتلّ اربع قلاع . وفي ايار ١١٤٢ لليونان (٨٣١ م) سار الى قلعة لولوة فامتعت عليه ثم سلمها الاهالي الى عجيف بسبب قلة الزاد . اما عنوئيل

البطريق فترك العرب وعاد الى ثوفيل الملك فسخط المأمون وأقسم انه سيذحف ويسحق الروم . فخاف ثوفيل لما سمع ذلك وارسل الى المأمون في الصلح مقرراً انه يؤدي له ضريبة . فكتب اليه المأمون : اني مهتم الصلح بشرط ان تنادوا بي ملكاً عليكم . اما الضريبة كثيرة ام قليلة فلست اعرضكم فيها فهلح ثوفيل وأطرق صامتاً ولم يكتب جواباً الى المأمون .

وارتحل المأمون الى قيليقية وزاره هناك رجلٌ مشعوذ يدعي انه من ذرية ملكية . فرحب به المأمون وأمر ايوب بطريك الخلقيدونيين (الملكيين) فصلى عليه واقامه ملكاً وعقد له تاجاً . واقام المشعوذ سنتين في معسكر العرب ولم يأت احد الى زيارته . فجاهر حينئذ بالاسلام على يد اي اسحق ابن المأمون . اما ايوب البطريك الذي توجه ملكاً فقد التأم الاساقفة وحرموه .

وفي السنة ١١٤٣ لليونان (٨٣٢ م) سار المأمون الى مصر يصحبه البطريك ديونيسيوس (التهجري اليقوي) . وكان نهر النيل قد جمد يومئذ . ما لم يسع له مثيل . وفي شهر ايار دخل المأمون بلاد الروم مع ابنه المعتصم والعباس وجمع هناك عملةً لبنان مدينة تطوان التي اخرجها العرب وما عثم ان وعك المأمون وتوفي هناك يوم الاربعاء . ثامن الشهر السابع (رجب) في السنة ٢١٨ للهجرة (٨٣٣ م) ودُفن في طرسوس بقيليقية .

بعد المأمون المعتصم ابنه

تولى ثمانى سنوات وثمانية شهور . على اثر وفاة المأمون حدث خلاف بين العرب ثلاثة ايام فيسن يتولى الخلافة . ولما كانوا مجتمعين أزيح سجاج الباب ودخل العباس وقال : ان الخلافة هي المعتصم (١٤٦) فادعوا في حراسة حياته . فساد الهدوء ما بينهم . وأضرمت المعتصم النيران في ما ابتناه المأمون في تطوان واحرق المواد والمؤونة وقفل الى بغداد ورحب به الاعيان وهم غير راضين عنه بسبب فظاظته . ولما استقر في الخلافة جعل يشيد ابنية فضحة لسكانه واقنية وحدائق لزهاته وكان منهمكاً في الخلاعة معاقراً الحرة .

وكان الزطّ وهم لصوص يطوفون بحيرات يصبّ فيها الفرات ودجلة ولا يستطيع الجنود ان يقاتلوهم لانهم كانوا يجاربونهم وهم في قواربهم . فاشار المعتصم الى الأسرى الاقباط المتعودين السباحة كالأسماك لكي يباغثوا اولئك الزطّ ويقاتلوهم بالزرايق ويبيعجوهم فالتف المصريون الاقباط عليهم وأمسكهم وامسكوا اهلهم وانقضى امرهم في سجن بغداد .

وظهر يومئذ في بحر البحرين حوتٌ ضخّم طوله نحو ميل أزعج البحر ثلاثة اشهر وتعذّر على السباحين في طلب اللآلئ استثناف مهنتهم . وحسب ذلك ارسل الله عزّ وجلّ سمكةً صغيرةً نحشت في اذن ذلك الحوت الكبير وفتكت به . ثم جرفته الامواج الى البرّ . غير ان لحمه لم تكن تنضجه النار فجعل الاهالي ينشفونه في الشمس ويدقونه ويأكلونه .

وأحضروا في تلك الغضون الى عبدالله بن الظاهر امير خراسان صبياً ولدته امه خلاف الطبيعة كاملاً بالغاً قد الرجال وقد نبت شارباه وحيته . وفي السنة ١١٤٦ لليونان (٨٣٥م) فاض نهر زبطرا ليلاً ودك سورها وحرف دورها واختنق ضمنها ثلاثة آلاف نسمة . وحدث كذلك فيضان في دجلة فأخرب بعض الدور في بغداد .

وفي تلك السنة صدر امرٌ الى المسلمين فقوّضوا صباح احد القيامة كنيسة مار جرجس في قوبا وكنيسة آحود امه مدعين ان النصارى ابنتوهما حديثاً . وزحف عمر صاحب ملطية الى بلاد الروم فلاقاه ثوفيل الملك وتغلب عليه في اول الأمر ثم تشدّد العرب وهزموا الروم وقصدوا معسكر الملك ونهبوا (١٤٧) فراشه وامتعته .

وفي السنة ١١٤٧ لليونان (٨٣٦م) كتب المعتصم الى ملك النوبة يطالبه بتأدية الأتاوى كالعادة القديمة والا فيوجه اليه الجيوش . وكان ملك النوبة حين وصل السفير قد توفي وخلفه فتى اسمه جورجي تتحدّر امه من السلالة الملكية وكان ابوه زكرياً وصياً على الملكة وعرف ان العرب اقويا . فقال للسفير : اننا عارفون بما يتربّ علينا ان نؤديه كل سنة وهو ٣٦٠ عبداً عملةً . وقرّدةً تتشّف وتتعلم لتحاكي البشر في سيرها . وزرافات وعاج وجلود

تورقة . غير ان ملوك العرب يجب عليهم كذلك ان يؤدوا لنا كذا وكذا من الحنطة والثياب الفاخرة وان نقيم جباةً يجمعون لنا الجزية من اهالي النوبة المقيمين في بلاد العرب . فلما ألقى العرب العادة التي بناها نحن كذلك . ومع هذا كله فبا اننا مطلقون على مروءة ملككم ونبالة عنصره فلسنا نكتفي بالتحدث معه بوساطة سفيره لكننا قررنا ان يتوجه ملكنا الجديد بذاته ليقوم بزيارته . فكتب السفير الى المعتصم في ذلك فكتب له الجواب بان يتسهل ريثما يسافر الملك وامر العتال في مصر ان يخرجوا الى لقائه الى سيواني مدينة الحدود واذا وصل الى الفسطاط يُعدون له من النوق ما يكفي لحاشيته ويؤدون له كل يوم ثلاثين ديناراً لنفقته .

بناءً عليه غادر جورجى وطنه وطاف بلاد العرب ممتطياً ناقهً مسرجةً تظللها قبة مجللة بوشاح قرمزي يعلوها صليب ذهبي وبيده صولجان والى يمينه ويساره يسير فتيان من اهالي مملكته ويتقدمه اسقف راحكاً وبيده راية الصليب الخلاص والفوارس والعبيد يحفون به ممتطين الخيل . ولما وصل جورجى الى بغداد طاف في شوارعها وحل في قصر ملكي أُعد له .

وان رجلاً من النوبة كان مكلفاً بجباية الجزية من أبناء وطنه المقيمين في بلاد العرب تحامل على جورجى الملك واقترى عليه مدعيًا بأنه ليس ملكاً لكنه دخيلٌ مكأر (١٤٨) بناءً عليه تفاضى المعتصم عن مقابلته منذ شباط حتى آب ريثما كتب الى مصر مستفسراً . ولما استيقن ان الجابي المذكور ادعى ما ادعى كذباً واقترأ وان جورجى هو ملك النوبة حقيقةً أرسل بدعوه اليه وأمر الجنود ان يخرجوا الى لقائه . وما ان وصل الى البلاط حتى رحب به المعتصم اجمل ترحيب وأجلسه امامه واسنى له العطاء ثم اعاده الى وطنه بظاهر الاجلال .

وذكر ديونيسيوس التلهجرى البطريرك يقول : كنت يومئذ في بغداد وقابلت المعتصم في المدينة الجديدة التي شيدها ما بين دجلة والفرات ثم بعث الى سليمان طيبه بان اذهب لازور جورجى الملك . فذهبت في فريق من الاساقفة والمؤمنين ورأيتُه فتى نجيباً ذكياً مناهزاً العشرين من سنه . وافادني

بواسطة ترجمان عن صحة عقيدته وعن شتمنازه مخالطة الاراتقة . ويوم الاحد احتفلت بالقداس وناولته القربان الاقدس وناولت حاشيته كذلك . وكان معهم آنية التقديس وامتعة الأسرار .

سبقنا فذكرنا بابك الخوارزمي الذي انتفض على العرب في فارس وقتك بربوات منهم . ففي هذا الزمان خارت قواه وانهزم ناصر قائد جيشه في كثيرين من اصحابه يريد ثنوفيل الملك وانضوا جميعاً الى النصرانية .

وفي السنة ١١٤٨ لليونان (٨٣٧ م) زحف ثنوفيل تكراراً الى زبطرا وحارب العرب والنصارى واليهود معاً حرباً عواناً . ومرّ ببلد ملطية فسباه وأحرقه ، وانطلق الى سيمساط وحاصرها فاحتشد آل ربيعة العرب واهالي ملطية واغاروا على الروم فانكسروا وخسروا اربعة آلاف قتيل . وانقلب ثنوفيل ثانية الى ملطية يتهدد اهاليها ان يخضعوا او يعاملهم معاملته لاهالي زبطرا . فخرج اليه الوالي والزعماء في العطايا وردوا له جميع الذين سبقوا فاجلوهم واسروهم من الروم فاحتوى على ذلك كله وانصرف .

اما بابك الخوارزمي السابق ذكره فلما وهنت عزائمه حمل امواله وانهزم في اربمائة من رجاله الى نواحي بلاد الروم . وبيلوغنه الى ارمينية احتال عليه اسطفان البطريرق ومعنى به الى بيته (١٤٩) على سبيل المجاملة واثقه بالقيود . وسمع المعتصم فوجه الافشين قائد عسكره في هدايا الى اسطفان وقبض على بابك وقتله . وكان بابك قد أفنى اكثر من مائة الف من الجيش العربي .

وفي السنة ١١٤٩ لليونان (٨٣٨ م) زحف المعتصم في عشرين الفاً الى بلد الروم متوجهاً من ثغر طرسوس . وسيد الافشين في ثلاثين الفاً من الناحية الاخرى . ولما وصل المعتصم الى نيقية الفاها خاوية فقوض اسوارها واستأنف الزحف الى انقرة ودك سورها ولم يجد فيها نافخ نار اذ كان اهاليها قاطبة قد انهزموا الى مدينة عمورية الكبرى .

وعند ذلك شد ثنوفيل الملك على الافشين واهلك نحو ثلاثة آلاف من العرب . وأحدر الله سبحانه حين ذاك وابلاً من الامطار فانفصل ثنوفيل مع الفتي رجل الى جهة اخرى وغلب على ظن سائر الروم انه قد قتل فانهم

الى قسطنطينية . ولما انقطع المطر وصفا الجو أحدق جنود الافشين الكثيرون بالالفين الذين مع ثوفيل ولم يناوشوهم حتى استحضروا المنجنيقات يريدون رجمهم . عند ذلك نار الروم ثورتهم يقتلون ويقتلون وشقوا صفوف العرب وأفلتوا وقد ادركهم الليل فأضرموا النيران حول عسكرهم وارتحلوا دون تراث الى عمورية . وعند ذلك اقبل رسول بعثته والدة ثوفيل تقول له : ان الروم الذين وصلوا الى العاصمة اخبروا انك قتلت وهم يحاولون اقامة ملك جديد فعجل في الرجوع . فبث ثوفيل في قلوب الجيش روح الحماسة والنخوة وأمر باغلاق ابواب عمورية وتركها كأنها على قايي قوس وعاد الى قسطنطينية وفك بالزعما، الذين حاولوا ان ينصبوا ملكاً بدلاً منه .

اما المعتصم فقد ندم لانه لم يستفد من هجومه وقال : اننا اسأنا بدخولنا الى ههنا ونوى العودة الى بلاده . لكن احمد حاجبه قال له : لا يجدر بملك نظيرك ان يعود مكسوراً وهاهي عمورية قريبة منا فلنحرف اليها ونحتلها . قال هذا وشد العرب على المدينة وصوبوا (١٥٠) المتاريس اليها وطفق البرانيون يقذفون الحجار على الجوانيين . وكان الجوانيون يسحقون كل من يبدنو من السور بجبار ضخمة يقتلعونها من السور عينه . ولم يستفد الذين كانوا يخفرون الحفائر تحت السور بآلات ملبسة جنوداً . وهكذا هلك من الجهتين مدة ثلاثة ايام الوف من المقاتلين . واتفق ان البرانيين لمحو مكاناً في السور متخلخلاً متقلقلًا فصوبوا نحوه المنجنيقات وثغروه في مدة يومين . واحتشد المحاريون الجوانيون على تلك الثغرة واتلفوا فيها قتلى كثيرين من البرانيين ولم يكتنهم من الدخول .

وبعث الروم يسألون المعتصم ان يخرجوا اليه فأذن لهم . فسار اليه الاسقف وثلاثة من الزعماء وطلبوا ان يدعهم يخلون المدينة وينادرونها فلم يرض بل تشدد وتصلب نظراً الى كثرة من قُتل من عسكره . ولما عاد الوفد الى المدينة انقلب بودوين الزعيم الى المعتصم وطلب الامان لاصحابه على ان يسلمه المدينة دون تكلف . فأدّى له المعتصم عشرة آلاف دينار قبضها وانقلب وجعل بيت الفشل في قلوب المحاريين ويقول لهم : صكفكم تقتلون العرب في الثغرة

فانكم مغلوبون لا محالة . فالأجدر ان تكفوا عن القتال فلعلهم يشفقون . وما عثم ان دخل العرب المدينة وقبضوا على الآطيس البطريق وعلى الوالي وعلى يودوين ذاته الذي أسلمهم المدينة . وجعلوا يكومون القتلى اكواماً اكواماً . وصدر الأمر بالعدول عن القتال والاقْتصار على السبي ونهب المدينة بعدئذٍ واضرامها بالنيران .

ولقد كانت عمورية حافلةً بالكنائس والديورة . وسبي العرب منها الفأمن العذارى سوى من قتلوا منهم . ولما جمعوا المأسورين وشاهد المعتصم كثرتهم أمر بقتل اربعة آلاف منهم . ثم ذم الجنود يخطفون البنين والبنات من أمهاتهم فارتفعت اصوات البكاء والنحيب وتأثر الخليفة ونهض ساخطاً وركب وقاتل بيده ثلاثة من اولئك الخاطفين . ثم جمعوا المأسورين وأعطى الخليفة بعضهم للضباط وبعضهم للاتراك وباع البعض من التجار دون تمييز بين البنين والآباء . وقد دهش العرب (١٥١) اكثر من الروم بتلك الملحمة وما جرته تلك الثغرة من الخراب والدمار . وكانوا يقولون : قد كتبت في اساطير الروم ان دولتهم ينقضي امرها عندما تجتاح عمورية !

ولما كان المعتصم منصرفاً الى محاربة عمورية كان اخوه العباس بن المأمون والقائد عفيف يكيديان له ليوديا بجياته . فأطلع المعتصم على المكيدة بوساطة كاتب اسطوري طيب . فأوثقها واركبها جملين وارتحل من عمورية . وتوفي العباس في سروج عطشاً . وكتب المعتصم الى البلاد لياغزوه لانه حاول ان يسلم معسكر العرب باجمعه الى الروم .

ولما اطلع ثوفيل على ما فعله العرب في عمورية جعل يلوم نفسه لانه هو كان السبب في ذلك مذ اخرب زبطرا . فأوفد الى المعتصم مع باسيل بطريق كوشنة تحفاً وهدايا ورسالة حبيبة وسأله ان يطلق الآطيس البطريق المأسور عنده فيطلق هو كذلك الأسرى العرب . وكتب رسالة ثانية ضمنها قدحاً وتهديداً وأمر باسيل ان يدفعها الى المعتصم اذا أبي عقد الصلح والمواذعة . ولما طالع المعتصم الرسالة الاولى فرض على الروم ان يسلموا اليه ما عدا جميع الأسرى العرب ناصراً الكردي وعمنوئيل البطريق الذي كان عند العرب وانهمزم . فقال

له باسيل : ان ذلك لمن المستحيل . فقال المعتصم : اذن تهيأوا للحرب . عندئذ دفع له باسيل الرسالة الثانية فقرأها واحتدم غيظاً ورد الهدايا الى باسيل مندوب الملك ثنوفيل . ثم وجه الى ابي سعيد ليكنم في جهة والى الامير بشير واهالي المصيصة ليكنموا في جهة اخرى . ولما كان بشير منهكاً في السبي باغته ناصر والاكراذ واسترجعوا الغنائم . ووصل اذ ذلك ابو سعيد فتقوى العرب وفتكوا بناصر وبكثيرين من رجاله الاكراذ وجمعوا جماجم جنة وملحوها ونقلوها الى المصيصة وخرجت النساء ليستقبلن رجالهن ظاننات انهم راجعون ظافرين ويتفرجون على جماجم الاكراذ . وكشداً ما تأمن وتوجعن وقتاً عرفن ان اغلب تلك الجماجم هي جماجم ازواجهن . على ان اولئك الاكراذ قبل اندحارهم فتكوا بكثيرين من العرب (١٥٢) . ولقد ابتهج المعتصم بقتل ناصر فطوق جيد بشير بقلادة ذهبية .

وفي ٦ نيسان ١١٥١ لليونان (٨٤٠ م) ظهرت في الشمال علامة حمراء وهطلت الامطار مداراً وحدث فيضان أخرب حران . وحدثت في خزيان زلزلة عنيفة في ارضروم وسقط من سورها ثمانية عشر برجاً ومات زهاء مائتي نسمة . وفي قوز سقطت نيران على بغداد والبصرة في يوم واحد وفي ساعة واحدة . والتهمت في بغداد خمسة آلاف حانوت ونيفاً . وتقوضت في اليوم عينه مدينة في خراسان وأمست تلاً من تراب وهلك سكانها قسابة وبعد يوم انفلق جانب من ذلك التل وخرج منه رجل واحد وحمار لا غير . وفي ١٤ ايلول ظهر شكل سحابة في المشرق سارت نحو الشمال والمغرب . وكان جانبها الأعلى أحمر كالدم وجانبها الاسفل كالقمر . واطأ النور طول الليل على جميع الاجسام والجدران والاسوار والدور .

وفي هذا الزمان وصل الروم في البحر الى مرفأ انطاكية ونهبوا التجار وأجلوا الاهالي وأمر المعتصم ببناء قلعة ضمن المرفأ .

وفي السنة ١١٥٢ لليونان (٨٤١ م) زحف ابو سعيد الى بلاد الروم وغزاها . وفيما كان خارجاً صادفه الروم في قيليقية واسترجعوا الغنائم . وكرر ابو سعيد زحفه وانتقلب مايوساً . وسار الروم الى الحدث ومرعش وبلد ملطية وغزوها .

وفي تلك الاثناء ارسل ثيوفيل الهدايا الى المعتصم يسأله مبادلة الاسرى . فتقبل المعتصم الهدايا وقابله بضعفها . وكتب اليه : ان شرعنا لا يسوغ لنا ان نعاذل المسلم بالرومي . ولكن ان مننت علي بالعرب دون ان تطلب بدلاً ففي وسعنا ان نقابل ذلك باضعاف ونفوقكم في كل شيء . ثم رد سفراء الروم في خمسين جملاً موسقةً هدايا فاخرة وصارا الى الصلح والمواذعة .

وفي السنة ١١٥٣ لليونان (٨١٢ م) انتفض في فلسطين رجل اسمه تميم وكنيته أبو حرب . وانضم اليه ثلاثون ألفاً من الجياع والعراة (١٥٣) . وكان يحجب وجهه بمنديل ويتظاهر بأنه يغار على شريعة ذهبت حرمتها . وجعل ينهب ويقتل هو كذلك وسار الى اورشليم وحاول ان يحرق الكنائس . فأذى له البطريرك ذهباً كثيراً ورحله . ثم ثار عليه راجا القائد وقتك بثمانية آلاف من رجاله . وقبض على الفد منهم وعلى ابي حرب نفسه وهو مصاب بضربة وارسلهم جميعاً الى المعتصم .

وفي تلك الاثناء انتفض موسى زعيم الاكراد في كردستان فسار اليه العجم في الشتاء فأهلك الاكراد منهم نحو خمسة عشر ألفاً . وكان الاكراد متقابين في خيامهم متعافين اما العجم فكانت اجسامهم تتقبض لشدة البرد وتنتثر اصابعهم .

وفي هذا الزمان حدث غلاء فظيع وطاعون فتاك وضيق شديد بسبب ثقل الضرائب واستفحال امر الخوارج حتى ان اهالي دارا ونصيبين وأمد خرجوا من وطنهم منورين وانقض عليهم العجم وقتلوا بهم واشفقوا على النصارى ونجا بسببهم كثيرون من العرب تظاهروا بالنصرانية وهم يصنعون اشارة الصليب . وفي السنة ١١٥٤ لليونان (٨١٣ م) توفي المعتصم وأعتق بموته ثمانية آلاف من العبيد اشتراهم . وخاف اربعين ألفاً من الخيل للركوب . وعشرين الف بغل لحل الانتقال وثلاثين ألفاً من ساسة الدواب . وتوفي في تلك الايام كذلك ثيوفيل ملك الروم .

بعد المعتصم الواثق ابنه

تولّى خمس سنوات وتسعة شهور . وضيق على الفقهاء . وأنزل بهم اعدبةً فادحةً واستنزف منهم ريات حجة من الدنانير . وفي السنة الاولى لخلافته وهي السنة ١١٥٥ لايوتان (٨٤٤ م) تولى مملكة الروم ميخائيل بن ثوفيل وهو في السن الثالثة وكانت ثودورا أمه تسوس المملكة والقائد عمثويل متولياً أمر الجنود . وبعث الروم الى العرب في شأن الصلح والمبادلة بالاسرى . ولما وصل سفيرهم رحب به الخليفة الواثق اجمل ترحيب ولم يفرط في الكلام كأبيه الذي قال : اننا لن نرضى ان يتوازي النصارى والعرب في مبادلة الاسرى (١٥٤) لكنه رضي بتبادل الواحد بالواحد . غير ان سفير الروم أبي في اول الامر مصرحاً بان الاسرى العرب هم ضباط باجمعهم وقد استؤسروا في الحرب . اما الاسرى النصارى عند العرب فاغلبهم فلاحون غنموهم من القرى شيوخاً وعجائز وفتياناً وفتيات . بناء عليه لا نرى ان يبادل فرداً بفرد . وبعد اخذ ورد رضي السفير اخيراً بمبادلة الواحد بالواحد . وأحصي عدد الاسرى العرب فكان اربعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين . اما الاسرى النصارى فكان اقل جداً . ولذا ارسل الخليفة الواثق فجمع من اطراف مملكته كل البيد والجواري واشتراهم من مواليهم ومع ذلك لم يسدّد عددهم عدد الاسرى العرب . فأخرج من بلاطه جميع الجواري الروميات اللواتي سبق فانتقاهن له وارسلهن مع مندوبيه . وتجمهر العرب والروم عند نهر سلوقية بحدود طرسوس وأجروا التبادل والتحرر .

قيل ان الواثق اوصى مندوبيه ان يستخبروا كل عربي يسرّحونه : هل كلام الله (في القرآن) مخلوق ام لا ؟ فمن قال انه غير مخلوق اطلقوه ومن قال انه مخلوق تركوه في ايدي الروم .

وتوفي الواثق بداء الاستسقاء . وعالجها اطباء . بالعود في تنوير حام فشر بشي . من الفائدة ثم أمر ان يوقدوا النيران اكثر مما تتطلبه اصول الطب واطال العود فيه فأخرجوه من هناك ميتاً .

وكان خلفاء العرب الى هذا الحين لا يهجمهم الا احراز النصر والظفر

لكنهم بعد ذلك استسلموا للخلاعة وانهمكوا في السكر . وبلغ الفجور والفسق من الواثق حتى ان مولى احدى جواريه المطربات طالبه بمائة الف دينار ذهباً وبالإمارة على مصر دية لها . ولو لم يردعه كبار الدولة لأدى ذلك دون تراث . وانتهى الامر بان ابتاعوها له بعشرة آلاف ذهبي .

بعد الواثق اخوه المتوكل

تولى اربع عشرة سنة وتسعة شهور . وكانت خلافتها عام ٢٣١ للعرب (٨٤٥ م) (١٥٥) وقادى في بغض المسيحيين حتى اضطرهم ان يتعمموا بعمائم صوف وان لا يخرجوا خارجاً إلّا يترنوا بزئار وكستيج . ومن كان له عبد لزمه ان يحيط على قميصه من قدام ومن خلف رقعة لونها غير لون القميص . وان تقوض الكنائس الحديثة البناء . واذا كان للنصارى كنيسة واسعة ولو قديمة وجب ان يؤخذ جانب منها ويجعل مسجداً . وان لا يطوفوا بالصلبان في احتفالاتهم . وشددت مثل هذه الاوامر الجائرة وافطع منها على اليهود . وقوض ضريح الحسين بن علي المتصل نسبه بابنة نبيهم وهدم البيوت المجاورة له وأمر ان يزرع ذلك المكان ويسمى ويساق بالقدان ويغفر أثر الضريح تماماً . وظهر في عهده رجل بنيسابور ادعى النبوة وانشأ كتاباً ضمنه على زعمه ما لقنه جبرائيل الملك وتبعه الكثيرون . فقبض عليه ووضعه حتى أقر بكذبه . وفي السنة الثالثة لخلافة المتوكل عقد إمارة البلاد لابنائه الثلاثة فجعل المنتصر والياً على افريقية ومصر وما بين النهرين وآثر والخابور وقرقيسيا وتكريت والجنوب وارض سبا وشبا حتى حدود الهند وشهرزور واصفهان وقوم وقاشان وقزوين وجبال العجم اجمع . وولى المعتز ابنه الثاني خراسان وطبرستان والري وارمينية واذربيجان وان يقبض حساب جبايات بلاد العرب عموماً . ونصب المؤيد ابنه الثالث والياً على دمشق وحمص وارض الاردن وفلسطين .

وفي السنة ٢٣٧ للعرب (٨٥١ م) سار بكراط بن آشوط بطريق ارمينية الى زيارة يوسف بن محمد رئيس قواد الجيوش العربية بشأن عقد الصلح . فقبض

عليه يوسف وأوثقه وبعثه الى بغداد . فاحتشد عساكر الروم والارمن وانقضوا على مدينة طارون حيث كان يوسف . وما ان برز يوسف لمناوشتهم حتى خرب صريعاً هو وكل من شاركه في القتال . اما سائر العرب (١٥٦) غير المحاربين فقد نزع الارمن ثيابهم وتركوهم عراة حفاة هراًهم الثلج وقضى عليهم .

وبعد هذا توجه بنا القائد الكبير الى ارمينية فسبي وقتل الكثيرين . وبعد قليل زحف يريد زيرك التركي الخارجي وكان قد استقل بتفليس ففتك به زيرك على نهر كور الذي يمر وسط تفليس وأضرم فيها النيران فالتهمت زهاء خمسين الف نسمة وكانت أبنيتها كلها من خشب الصنوبر الذي يتقد وينطفئ فوراً بخلاف خشب البلوط وفي يوم واحد اطفأوا النيران كلها . وخلع الحصيون والي مدينتهم وفتكوا به .

وفي هذا الزمان استخف العرب بالروم ونقضوا الصلح ولاسيا لان مقاليد مملكتهم كانت بيد امرأة . فنهضت ثودورا الملكة ووجهت الجيوش الى قيليقية عام ١١٧٢ لليونان (٨٦١ م) فغزوا بلد عين زربة كله . وما ان اطلع المتوكل على ذلك حتى وجه اليها الحاجب نشيف بشابة سفير لاجل الصلح وابتاع الاسرى . فقالت له الملكة : اننا نوافق على عقد الهدنة ولكن انى لكم عشرون الف اسير مسيحي تبادلونهم بالأسرى العرب الذين عندنا ؟ على ان السفير راضاها كيفما كان فاطلقت ثمانية آلاف أسير وابتقت على اثني عشر الفاً وقالت : ان هؤلاء قد تنصروا فلا سبيل الى التخلي عنهم . قيل ان نشيف لما تسلم الالف الثانية وخرج أمرت ثودورا بقتل البقية لانهم بعد ما تنصروا واعتمدوا حاولوا الذهاب . وروى بعضهم ان يقولوا حاجبها فتك بهم دون علمها .

وفي هذه السنة زحف قوم من الاحباش البوغيين وقتلوا جميع العرب العاملين في معادن الذهب والحجار الكريمة بين حدود مصر والحبشة . فسار اليهم عبسة القائد العربي في عشرين الف فارس ورجال (١٥٧) في ذخائر وافرة ومياه كافية حلوا تلك الصحراء من الماء والسكان مسافة ثلاثة ايام . وجعل البوغيون يقاتلون وهم على ظهور الجمال والجمال تفر هرباً بما تشاهده او تسمعه . فأمر

عنيسة جنوده فعلقوا جلاجل في رقاب خيلهم واطبقوا على البوغيين وكسروهم وفتكوا بالكثيرين منهم . وخضع بقتيتهم للعرب واصبح ملكهم يودي كل عام اربعمائة مثقال من الاكسير كالعادة .

واشتهر في هذا الزمان الطيب بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس بن بختيشوع العيلامي . وخدم الخليفة المتوكل واحتظى لديه حتى صار يعادله في كسوته ومقامه وماله وثروته وعبيده وجواريه ، وأجبه الخليفة حياً جماً حتى انه لما دخل الطيب يوماً وجلس قريباً منه كفادته فوق السدة متوشحاً بدراعة أطلس رومي وذيله مشقوق قليلاً طفق الخليفة يحادثه وهو يعبث بذلك الفتق حتى بلغ الى الاكام . وجرى بينهما ما يجري بين المعتوهين المحتلين . ثم سأل الخليفة طبيبه : بم يعرف الاطباء ان المجنون يحتاج الى الربط بالقيود ؟ ولما كان بختيشوع قد شعر بما فعل الخليفة بثوبه قسال له : نعرف ذلك اذا بلغ المجنون في فتق رداً طبيبه حتى الاكام فعند ذلك نقدر انه يفتقر الى قيود . فضحك المتوكل حتى استلقى على ظهره وأمر له بثياب فاخرة ألبسوه اياها . وعلى فرط محبة المتوكل لطبيبه هذا فقد قلب له ظهر المجن واستصفى كل ماله على اثر مآذبة فاخرة أعدها له الطبيب . اذ هيا فيها خمسة آلاف خوان على كل خوان خروف مشوي ودجاجتان وحماتان وثلاثة الوان طبيخ وطبق حلوى وخبز سميذ كافٍ ونقول وطيوب وتلج (١٥٨) كثير قد استحضّر من جبال آثور الى بغداد في فصل الصيف . قيل ان الخليفة بعد ما اخذ ما اخذ من بختيشوع ظل لديه من الحطب والفحم والنبيد ما ابتاعه منه الحسين بن المحلّد الشريف بستة آلاف دينار ثم باع ذلك باثني عشر الف دينار . غير ان بختيشوع خرق النواميس البيعية واتخذ امرأتين معاً وحبلى كل منهما وولدت ابناً ، احدهما جبرائيل وثانيها يوحنا الذي تولى مطرانية الموصل . ولم يتوفى بعد ذلك . وكان في اول امره يجلس في مركبة من ابنوس ويذهب من دار الخليفة الى داره . وكان يقرم بخدمته الف رجل . وكان منذ المسا . حتى منتصف الليل يستسلم الى الحلاعة القبيحة ثم ينهض نصف الليل يصلي يحيط به خصيان سود كان مغرماً بجههم . وكان يجلس على فراشه بعد الصلاة ويطالع

الانجيل حتى الصباح فيركب الى خدمة الخليفة . ويقال ان نفقة شمعاته وزيته وطوبه بلغت خمسمائة دينار . وبعد ما افتقر بختيشوع خلف ابنين وثلاث بنات تفرقوا في البلاد .

وفي السنة ١١٧٦ لليونان (٨٦٥ م) وهي السنة ٢٤٥ للعرب ووجه ميخائيل ملك الروم اطروفيلس الشيخ سفيراً الى المتوكل خليفة العرب في سبعة وسبعين اسيراً بثابة هدية فرحب به الخليفة وعقد معه الصلح .

وفي هذه السنة حدثت زلزلة عنيفة في انطاكية قوّضت الفسّ وخمسمائة دار واكثر من تسعين برجاً في سورها وُسُمت من الارض اصوات مخيفة هائلة . وأخربت هذه الزلزلة اماكن كثيرة في سوريا وأتلفت اهالي اللاذقية وجبلة جميعاً .

وفي السنة ٢٤٦ للعرب (٨٦٦ م) بعث المتوكل سفيراً الى ميخائيل ملك الروم يقال له الناصر بن أزهر في الف (١٥٩) صرة مسك واوران فاخرة وزعفران وافر وامتعة اخرى . فرحب به الملك اجمل ترحيب وردّ اليه الفبي أسير بينهم عشرون امرأة وعشرة فتيان . قال الناصر : اني طول مكوثي في قسطنطينية لم أرَ الملك يتكلم بعد اصغائه الى حديثي بواسطة ترجمان بل كان يجيب بكلمة نعم لا غير . فكان حاله يتكلم بدلامنه لانه كان بعدُ فتي . ولما كان الكثيرون من العرب قد اصطبغوا بياض العباد اصدر ملك الروم امراً بان ينطلقوا الى بلاد الحدود التي بين الروم والعرب . وقال : ان الذي يرغب النصرانية ويعود الى بلادنا نقبله بثابة مؤمن حقيقي . قال الناصر : رجع منهم صائغان شهيران من اهالي افريقية وغيرهما كثيرون لم يتبعونا .

وفي السنة ١١٧٧ لليونان (٨٦٦ م) وهي السنة ٢٤٧ للعرب اتفق المنتصر ابن المتوكل سرّاً مع العبيد الاتراك فانصبوا على ابيه بالسيوف وهو سكران وبطشوا به .

بعد المتوكل المنتصر ابنه

تولّى الخلافة ستة اشهر واضطّر اخويه المعتز والمؤيد وهدهما بالقتل لم يتخليا له ولبنيه عن الخلافة خلافاً لما قرره المتوكل ايهم اعني ان يتولاهما الواحد تلو الآخر . وقد اضطّر الاخوان على كره منها ان يكتبنا بخط يدهما

ويشهدا عليها رجال العدل بانها تزلا عن حقها طوعاً وان المنتصر اخيها ان يولي الخلافة لابنه من بعده . هكذا ما اكنفى المنتصر بقتل ابيه بل غدر باخويه ايضاً . لكن خلافته لم تستغرق اكثر من ستة اشهر ومات بداء الذبحة بالغا الخامسة والعشرين . قيل انه قبل وفاته رأى في الحلم كأنه يتسلق سلماً فلما وصل الى الدرجة الخامسة والعشرين قيل له : مكانك . هذه نهايتك !

بعد المنتصر المستعين بن المعتصم

تولى ثلاث سنوات وثلاثة اشهر . لما توفي المنتصر تشاور (١٦٠) الاقطاب وقضوا بان لا يملكوا احداً من اخوة المنتصر لانهم اشتركوا جميعاً في قتل ابيهم غدرًا . فأحضروا من ثم المستعين بن المعتصم أخا المأمون وأقسموا له وبايعوه بالخلافة .

وفي السنة ١١٨٠ لليونان (٨٦٩ م) وهي السنة ٢٤٩ للعرب زحف عمر قائد الجيوش العربية الى بلاد الروم . فلقية الروم في مرج المطران بحدود ملطية وأجهزوا عليه وعلى الفين من اصحابه . ولما سمع علي بن يحيى القائد الأكبر حشد عساكر كثيرة من ميافوقين وارمنية وزحف يريد مناوشة الروم فكانت الدورة كذلك عليه وخر قتيلاً . فسرع اهالي بغداد وسامراً بقتل هذين القائدين الكبارين وادركوا ان العبيد الاتراك قد احتلوا دولة العرب وجعلوا يقتلون من ارادوا ويستخلفون من أحبوا فحشدوا جماهير غفيرة من السوق وقطاع الطرق وقصدوا السجن وحطموا الباب واخرجوا الجرمين واتفقوا معاً وقطعوا جسر دجلة ودخلوا الحزينة ونهبوها واحرقوا صكوك الكتاب . ونهبوا من الجملة داراي بشر وابراهيم ابني هرون النصرانيين . فسخط العبيد الاتراك وقتكوا بالكثيرين من قطاع الطرق وانتهت الفتنة .

بعد المستعين المعتز بن المتوكل

تولى اربع سنوات وسبعة شهور . في السنة ٢٥١ لهرب (٨٧١ م) لما نزل المستعين من سامراً الى بغداد تجسهر الاتراك واخرجوا المعتز والمؤيد ابني المتوكل من السجن وحالفوا المعتز وبايعوه بالخلافة . واقسموا للمؤيد بالخلافة

بعده . فاصبح اهالي بغداد متحزبين للمستعين واهالي سامرا للمتوكل . وحدث بسبب ذلك شغب كثير وقتل الكثيرون من الحزبين .
وفي السنة ١١٢٩ لليونان (٨٦٨م) توفي ميخائيل ملك الروم واستغرق ملكه خمسا وعشرين سنة ولم يخلف ابناً (١٦١) وخلفه رجل اسمه باسيل خمس سنوات .
اما المعتز فانتقض على اخيه المؤيد وعبث بما أبداه من الأيمان والعهود والقاء في السجن وظل يصفه حتى استكبه التنزل عن حقه بخط يده . ولم يقتصر على ذلك بل وجه الى السجن من أدرجه في فراء من جلد الستور الذي يدفى كثيراً ثم أمر ان يدخلوا رأسه فيه ويربطوا يديه ورجليه ويحيطوا الفراء ويتركوه . وهكذا قضى نجه . ثم اخرجته المعتز واستحضر القاضي وشهود العدل فلم يجدوا فيه اثراً لطعنة سكين او لجل في عنقه فقررُوا انه مات موتاً طبيعياً .

اما المستعين الذي تنزل كذلك فقد خز الأتراك هامة واحضروها الى المعتز . وكان المعتز فيما قيل يلعب وقتئذ بالشطرنج فقال لهم تربصوا ساعة ريثما افرغ من الدست ثم أنظروه . وبعد ما فتك المعتز باخيه وبالمستعين وثق بقوته واعرض عن الاتراك ولم يؤد لهم ارزاقهم . فاحتشدوا عام ٢٥٥ للعرب (٨٦٨م) مسلحين على باب الخليفة وطالبوه بحقوقهم . فارسل الى أمه لتعطيه ما يؤدي لهم فقالت ان ليس لديها شيء . عند ذلك وثبوا عليه وبصقوا في وجهه ولطموه والجاوه ان يكتب كتاب تنزله عن الخلافة . ثم اوثقوه وزجروه في سرداب ضيق وسدوا الباب في وجهه وتركوه بضعة ايام حتى قضى نجه فاخرجوه ودفنوه . هكذا جرى به ما أجراه بغيره .

بعد المعتز المهتدي بن الواثق

تولى احد عشر شهراً وعشرين يوماً . ولم يرض بالخلافة على ما قيل حتى احضروا المعتز امامه وتنزل مقراً بالمعجز وعدم الكفاءة بما أسند اليه .
وظهر يومئذ علي الخارجي وادعى انه من سلالة علي ابن عم نبي المسلمين . وانضم اليه طائفة كبيرة من اجاش واعراب أطلق عليهم لقب قرامطة باسم (١٦٢) وطن علي زعيمهم . وقد اجهزوا على الكثيرين من العرب واحتلوا

مدن الجنوب جمعا، وقسماً من سوريا وسنعار وملكوها اعواماً كثيرة .
 اما المهدي فقد طرد المطربين والمطربات من سرّ من رأى (سامراً) حيث
 كان يقيم الخلفاء يومئذٍ وكسّر آلات الطرب وقتك بالسباع والنورة والكلاب
 التي كان يلتهى بها من سبقه من الخلفاء . فثار عليه المبيد الأتراك ليفتكوا
 به فانهزم من وجههم ممتطياً حصاناً وهو يصرخ ويقول : يا ناس ساعدوا خليفتم !
 فلم يستجبه احد فدخل داراً والأتراك يلحقونه فطفر من سطح الى سطح
 حتى أدركوه وقتلوه عام ٢٥٦ للعرب (٨٦٩ م)

واشتهر في هذه الغضون حنين الطبيب الفاضل ابن اسحق . وكان ابوه
 صيدلياً في الحيرة وأحبّ ان يدرس الطب . فشحص الى بغداد وقرأ بمجموعة
 الاسكندرانيين على الطبيب يوحنا بن ماسويه . وفي بعض الايام اعترض حنين
 على معلمه يوحنا فحرد يوحنا وطرده وقال له : دع عنك الطب حسب من
 كان مثلك ان يبيع فلوساً بجانب الطريق . فامتعض حنين وخرج باكياً وتوجه
 الى بلاد الروم واقام بها حتى أحكم اللغة اليونانية وتوصل الى ان ينقل
 الكتب عنها الى السريانية وعن السريانية الى العربية وعاد الى بغداد ثانية
 بزى يوناني وقصد جبرائيل رأس الاطباء ابن بختيشوع فامتحنه وزاد في تبجيله
 وسماه الربان وقال للحاضرين إن مدّي في عمر هذا الشاب فلن يترك ذكراً
 لسرجيس الراسعيني . وبلغ خبره يوحنا الذي طرده فاستدعاه واستغفره . ولم
 يزل فضل حنين يتزايد يوماً فيوماً وهو يفسر انواع العلوم حتى توفي في كانون
 الاول ١١٨٨ لليونان (٨٧٧ م) وهي السنة ٢٦٠ للعرب .

وخلف حنين ابنين هما اسحق وداود . وفسر اسحق كذلك (١٦٣) كتاباً
 جمّة . ومجموع تأليف حنين خمسة وعشرون كتاباً سوى ما نقله عن اليونانية
 الى السريانية والعربية . وكان له ابن اخت يقال له حبيش بن الحسن الأعم .
 ومن حسن حظّ حنين ان اغلب ما نقله حبيش لما كان يطالعه بعض الجهال
 كانوا يتوهمون انه بقلم حنين وان الناسخ صحّف الاسم فكانوا يكشطون
 لفظ حبيش ويكتبون بدلاً منه لفظ حنين . ولهذا أمست تأليف حبيش قليلة
 وأصبح اغلبها مكتوباً باسم حنين .

بعد المهدي المعتمد بن المتوكل

تولى ثلاثاً وعشرين سنة . وقضى زمان خلافته في مقاتلة الخارجي الذي ظهر في الجنوب . وفي السنة ٢٦٥ للمعرب (٨٧٨ م) انتزع الروم من العرب قلعة لولة وفي القابل حشد ابن الرشيد القائد العربي اربعة آلاف فارس وسار بهم الى بلاد الروم فأغار عليه بطارقة سلوقية وطوانا وخرشنة وغيرهم واحاطوا بجيشه . فأيس العرب وانحدروا عن خيلهم وربطوها وخرّوا على ركبهم وجعلوا يصبون السهام نحو الروم فلم يُجدهم ذلك نفعاً . على ان الروم انصبوا على العرب وقتلوا البعض واستأسروا البعض الآخر في جملةهم ابن الرشيد قائدهم .

وفي السنة ٢٧٠ للمعرب (٨٨٣ م) حشد الموفق قائد الجيش العربي كتائب ضخمة بجرّاً وبراً وسار يريد الخارجي في الجنوب وتغلب عليه بعد عراك شديد وفتك به ما بين نهري بابل وبطش بعسكره . ولم يكتفِ علي بادعائه انه من سلالة النبي العربي بل اذاع انه هو النبي وانه لما كان يوماً في الصحراء ، ظلته سحابة تبعها رعد وصوت من الرعد يقول له : اقصد البصرة تحرز النصر . ولقد انتصر واحتل المدينة واجتمع اليه الضباط ولكنه (١٦٤) لم يتوفق في الزعامة .

وفي السنة ١١٩٤ لليونان (٨٨٣ م) توفي باسيل ملك الروم وخلفه ابنه لاون ثلاث عشرة سنة . وخرق الشرع النصراني فهجر امرأته وتزوج بامرأة ثانية ثم طلقها وتزوج بامرأة ثالثة ورابعة واتخذ زوجتين معاً .

وفي السنة ٢٧١ للمعرب (٨٨٤ م) انقضّ لصوص بغداد على الدير الذي بعد نهر عيسى ونهبوا ما فيه وقوضوا بعض جدرانها .

وبعد سنة نار العرب في طرسوس ودكوا أبنية الكنيسة الكبرى الجديدة وحدثت زلزلة هائلة قوّضت مسجد مصر الكبير وكثيراً من الدور . وحدث كذلك وباء قتال وأحصى في يوم واحد الف نعش ميت . وحدث كذلك غلاء في بغداد .

وفي السنة ١٢٠٠ لليونان (٨٨٩ م) انطلق تلّ على ساحل نهر البصرة

تحت بغداد وصادف الناس سبعة موتى موضوعين في اجران حبرية لونها لون الجلد . وقد حفظت جثثهم واكفانهم ورائحة مسك تفوح من اجسامهم . وحفظت كذلك آذانهم وانوفهم وشفاههم وشعورهم وحواجبهم وعيونهم كأنها مكحلة . وشاهدوا اثر طعنة رمح في جنب احدهم . وحفرت على اجرانهم كتابات حبرية لم يتوصل احد الى قراءتها .

واشتهر آنذر محمد بن زكريا الطيب . ترك الري ووطنه بفارس ووافى الى بغداد بالغاً الثلاثين من سنه ودخل البيمارستان واكسب على العلم حتى فاق ابناؤه عصره . وصنف كتباً جمّة في الطب والكيمياء افضاها كتاب الحاوي . وعلى اثر وفاته دفع صاحب البلد ذهباً وافرأ الى اخته واشترى اوراقاً مبعثرة من ذلك الكتاب ضمها تلامذته في كتاب واحد ولكنه ظل غير منتظم .

خبر النصيريين (١٦٥) في فونيقية

رغب الكثيرون ان يعرفوا من هم النصيريون فنقول : في السنة ١٢٠٢ لليونان (٨٩١ م) ظهر شيخ في اطراف الكوفة بقرية الناصرية كان يكثّر من الصوم والصلاة ويتظاهر بالزهد وتبعمه كثيرون من اهل البلد . واصطفى اثني عشر رجلاً بعدد الرسل واوصاهم ان يبثوا بين الناس تعاليماً غريباً . ولما اطّلع حاكم البلد على خبره ارسل فقبض عليه وحبسه في احدى غرف داره واقسم انه صباح الغد يشنقه . وشرب الحاكم تلك الليلة خمراً حتى سكر وفرشوا له لينام . فطلب مفتاح الغرفة التي حبس فيها الشيخ ووضع تحت وسادته وغرق في النوم . وكان للحاكم خادمة تنام عنده سبقت فاطّلت على صوم الشيخ وصلاته فاخذتها الشفقة عليه وقصدت مولاها وهو غارق في سبات عميق والتفتت للمفتاح وذهبت فاطّلت الشيخ ثم اغلقت الباب وردت المفتاح الى مكانه .

ولما افاق الحاكم تناول المفتاح وفتح باب الغرفة فلم يجد فيها احداً فأخذه الدهش وتحوّفت الخادمة ان تعلمه بانها هي التي فتحت وأطلقتته . وهكذا ذاع الخبر بان الشيخ خرج والابواب مغلقة . وما عم ان شاهد الشيخ اثنين من

تلامذته يسوقان فدانا في اراضٍ بعيدة عن القرية فقصد نحوهما وأكد لهما ان
 الملائكة اطلقوه وجعلوه في البرية . ثم كتب كتاب مذهبه ودفنه اليها ليحيا
 الناس بموجبه . وقد اثبت فيه ما يلي : اني انا فلان الذي يُظنّ انه ابن عثمان
 من قرية الناصرية قد ظهر لي في الرؤيا المسيح يسوع الكلمة الهادي وهو احمد
 ابن محمد بن الحنفية من ولد علي . وهو جبرائيل (١٦٦) الملك وقال لي : انك
 انت الداعي . انت الحق . انت جمل يحقد على غير المؤمنين . انت بهيمة
 حاملة ثقل المؤمنين . انت روح . انت يوحنا بن زكريا فانذر الناس ليجثوا
 اربع ركعات في صلاتهم : ركعتين قبل بزوغ الشمس وركعتين قبل الغروب
 شطراً اورشليم . ويقولون في كل مرة هذه العبارات الثلاث : الله السامي على
 الكل . الله الاعظم من الكل . الله الاكبر من الكل . وان لا يشتغلوا
 يومَي الاثنين والجمعة . وان يصوموا يومين في السنة . وان يقللوا من غسل
 اعضاء التناسل . ولا يشربوا المسكر بل يشربوا ما ارادوا من الخمر . ولا
 يأكلوا لحوم الحيوانات الضارية .

وبعدما لقنهم تعليماً مثل هذا سقيماً سخيفاً انتقل الى فلسطين وجعل يلقن
 الناس الجبلية القرويين ثم اختفى من هناك ولم يقف احد على مكانه حتى اليوم .
 وفي السنة ١١٩٨ لليونان (٨٨٧ م) برز اندراؤ الاسفطريق في جيش
 كثيف وزحف الى بلاد العرب . فلقبه نازمان الحاجب قائد الجيش العربي .
 فانكسر الروم وسلبهم العرب صلباناً ذهبية وفضية كانت في رؤوس رماحهم .
 وفي السنة ٢٧٩ للعرب (٨٩٢ م) أخرج المعتمد على المشعوذين والمنجمين
 والسحرة الجلوس في قارة الطريق . وشدد على باعة الكتب بيع كتب
 الفلسفة والمباحث والمجادلات الدينية . وفي السنة عينها بالغ الخليفة في شرب
 الخمر حتى أغمى عليه وعاجلته المنون .

بعد المعتمد المعتضد بن الموفق

تولى تسع سنوات وتسعة شهور وكانت خلافته عام ٢٧٩ للعرب (٨٩٢ م) .
 وفي السنة ٢٨٠ للعرب (٨٩٣ م) زحف اسمعيل بن احمد القائد العربي في

جيوشه الى بلاد الهونيين وقبض على ملكهم وعلى امرأته ونهب عاصمته . وأنقذ زهاء عشرة آلاف من الاسرى الاتراك وغنم عدداً وافراً من الاغنام والبهائم . وفي هذه السنة حدثت زلزلة (١٦٧) هائلة دكت مدينة كبرى في الهند الحارجه . وقد نبشوا من تحت تراب الدور المتهدمة مائة وخمسين الف جثة وطروها .

وفي السنة ١٢٠٧ لليونان (٨٩٦ م) توفي لاون ملك الروم بداء الامعاء . وخلفه ابنه الكسندر سنة واحدة . وقد زاع قلبه عن الايمان وتشبث بالسحرة والرقاة فضربه الله العادل واعدمه الحياة . وخلفه اخوه قسطنطين اربعة اعوام . وفي اول عهده زحف سيمون زعيم البلغار والصقالبة الى قسطنطينية واتلف قرى جمّة وحاصر العاصمة واحفر خندقاً من بلاخرنة حتى باب الذهب . فسير اليه ملك الروم يقول : علام هذا الخلاف بيننا ونحن باجمعنا مسيحيون ابناء معبودية واحدة . لكن سيمون لم يقتنع بالموادعة فحشد الملك قسطنطين الاسرى العرب الذين في قسطنطينية ووعدهم باطلاق سبيلهم ان ساعدوا الروم في مناوشة البلغار . فأقسموا للملك في ذلك فدفع لهم اسلحة وزحف الروم والعرب معاً باتفاق تم وتغلبوا على الصقالبة وقتلوا الكثيرين منهم وهزموا البقية . غير ان الملك اخلف في وعده واسترجع السلاح من العرب واوثقهم ثانية وفرقتهم في بلاده لئلا يتباهوا او يتفاخروا . على ان البطريرك ميخائيل المغبوط اورد في تاريخه ان هذه الحرب وقعت بين الروم والعرب . اما التواريخ العربية فذكرت انها جرت بين الروم والصقالبة . وهذا هو الصحيح . لانه لا يُعقل ان الروم يُطلقون الاسرى العرب ويمدّونهم بالسلاح ليقاتلوا العرب اخوانهم .

وفي هذه السنة عينها احتشد العرب في بغداد وادّعوا ان خادم ابي غالب النصراني طيب الخليفة قد شتم نبيهم وحاولوا ان يفتكوا به . فسمع الخليفة المعتضد بما انتوا وجاهر بان العرب كذابون ووجه الجنود (١٦٨) فانقذوا الخادم .

وسبق المنجمون فقضوا ان الامطار ستهطل مدراراً في هذه السنة وتفيض

الينابيع وتغرق بغداد وتهلك اهلها . غير انه منذ فاتحة السنة حتى خاتمتها لم تسقط على الارض نقطة مطر واحدة حتى ان الينابيع جئمت . فاعتري المنجمين الحزري والحجل .

واشتهر في هذا الزمان ابو الحسن ثابت بن قرّة بن مروان بن قيورا بن ابرهيم بن قيورا بن مارينون بن سلومون الصائبي الحرائي . كان صيرفياً في سوق حرّان ثم أتقن الفلسفة واحكمها وتضلع من اللغات اليونانية والسريانية والعربية . وصنف في العربية زهاء مائة وخمسين كتاباً في الفصاحة والرياسة والفلك والطب . وألف في السريانية ستة عشر كتاباً طالعنا نحن اغلبها : منها كتاب شرائع الصابئة وضوابطها . وكتاب تكفين الموتي . وكتاب حقيقة ديانة الصابئة . وكتاب الطهارة والنجاسة . وكتاب في ما يصلح من الحيوان لتقريب الضحايا . وكتاب اوقات الصلوات . وكتاب قراءات ما يوافق كلاً من النجوم السبعة في الصلوات . وكتاب التوبة والطلبة . وكتاب الموسيقى . وتاريخ ملوك السريان الاقدمين اعني الكلدان . وكتاب ديانة الصباء . وكتاب تقسيم ايام الاسبوع على الكواكب السبعة . وكتاب تاريخ مشاهير أسرته وسلسلة آبائه . وكتاب نواميس هرميس وصلواته التي يستعملها الصباء . وكتاب في ان السطرين المستقيمين اذا ضبطا على اقل من زاويتين مستقيمتين اتجاهاً معاً . وكتاب آخر في الصدد عينه .

ولأبي الحسن خطبة وصف بها حرّان والصابئة ورد فيها ما تعريبه : لقد اضطرّ الكثيرون ان ينقادوا للضلال خوفاً من العذاب . اما آباؤنا فقد احتملوا ما احتملوا بعونه تعالى ونجوا ببسالة . ولم تتدنس مدينة حرّان هذه المباركة بضلال الناصرة قطعاً . فنحن هم الوارثون والمورثون للصابئة المنتشرة في الدنيا . فالذي يحتمل برجا . وثيق ائقال الصابئة يُعدّ ذا حظ سعيد . ليت شعري من عمّر المسكونة وابتنى المدن أليس خيرة الصابئة وملوكهم ؟ من أسس المرافى والانهار ؟ من شرح العلوم الفامضة ؟ لمن تجلّت الالهية الملقنة الكهانة والمعابة المستقبلات الألمشاهير الصابئة ؟ فهم الذين اوضحوا ذلك كله وكتبوا عن طبّ النفوس وخلصوا . ولقنوا كذلك

طبّ الاجساد وافعموا الدنيا اعمالاً صالحة وحكيمة هي دعامة الفضيلة . فلولا علوم الصابنة لأمت الدنيا قفراء فارغة متقلبة في العوز . اقتطفنا هذا من تأليف ذلك الرجل كيا فوضح نبوغه في اللغة السريانية . وقس على ذلك تصانيفه في اليونانية والعربية فهي في اتقانها وفصاحتها على اتم ما يرام .

وفي السنة ٢٨٥ للعرب (٨٩٨ م) هبّ هوا . أصفر في ناحية الكوفة وتحول الى هوا . اسود وهطل مطر شديد وحدثت رعود وبروق هائلة مريعة . وهبط ليلة الاحد من الجو حجار سوداء وبيضاء . وسقط في البصرة بردٌ وزن الواحدة مائة وخمسون درهماً . وانقضّ اللصوص العرب على عدّة مراكب رومية واحرقوها مع من فيها من الركّاب وكانوا فيما يقال ثلاثة آلاف نسمة . وفي السنة ٢٨٧ للعرب (٩٠٠ م) انتقض الوصيف الحصي القائد العربي في قيليقية وتهياً للحرب بجراً . فأمر المعتضد باحراق جميع مراكب العرب . وكان عرب طرسوس يتلصصون في البحر فاستفاد المسيحيون من ذلك فائدة تُذكر . وبعد سنة حدث وباء . قتال في مدن اذربيجان حتى كلّ الاحياء عن دفن الاموات اذ كان الوباء يباغتهم حالاً .

وفي هذه السنة زحف محمد القائد العربي الى بلاد الروم وسبى بعض القرى واستأسر مائة محارب وستين من الاكليرس قسوساً وشامسة (١٧٠) واحتوى على صلبان وامتعة بيعة . فحشد الروم جيوشاً ضخمة برأً وبحراً وساروا حتى وصلوا الى الكيسوم وأجلوا خمسة عشر الفاً ونيقاً من العرب رجالاً ونساءً وصبياناً . واستاقوا الى بلادهم اغلب المسيحيين على كرم منهم لئلا يعود العرب فيفتكوا بهم .

وفي السنة ٢٨٩ للعرب (٩٠٣ م) توفّي المعتضد وارسل الاقطاب في استحضار ابنه المكتفي من الرقة وبايعوه بالخلافة .

بعد المعتضد المكتفي ابنه

تولّى ست سنوات وتسعة شهور . وما كاد يستقلّ في الخلافة حتى أمر ان تُطَمّ الأجياب التي حفرها ابوه وجعل يجلس فيها المجرمين . ورزق ابناً اسمه جعفر نبغ في علم الفلك والتنجيم حتى فاق من سبقه . وجاءه يوماً احد الحجاب

في كتاب تنجيم وسأله ان ينظر طالع ولد في الدار حديثاً . فتأمله جعفر وقال : ان هذا الولد لا عقل له وسيتناول غذاءه بيده بعد ثلاثة واربعين يوماً ويأكل . ثم قال للحاجب : قل لي الحقيقة ما هذا ؟ قال الحاجب : لست أخفي عليك أي جنتك بطالع فرخ سنور .

وفي السنة ١٢١٣ لليونان (٩٠٢م) حدث وقت الصيف حادث غريب جداً . ذلك ان الرياح الشمالية عصفت في مدينة حمص وتبعها برد قارس وجمدت المياه واكتسى الناس بالفراء وجعلوا يصطاون بالنار .

وفي السنة ١٢١٨ لليونان (٩٠٧م) أرسل باسيل الحاجب سفيراً الى المكتفي خليفة العرب بشأن التبادل بالأسرى وكان معه اربعة اشخاص من الاسرى العرب بثابة هدية . فرحب به الخليفة واكرمه . وانتهى التبادل في السنة التالية فكان أسرى العرب ثلاثة آلاف رجلاً ونساءً وأطلق سراحهم وفي هذه السنة وهي السنة ٢٨٩ للهجرة للعرب توفي المكتفي وبويح اخوه بالخلافة .

بعد المكتفي اخوه المقتدر

تولى سبعا وعشرين سنة وهو في ربيع الثالث عشر (١٧١) فندم الاقطاب لانهم بايعوه بالخلافة وهو غير مكتمل العقل والسن . واهتم العباس احداهم للأمر جداً فاجتمع بالاقطاب وقصدوا المعتز بن المعتز وبايعوه وارسلوا الى المقتدر والى امه ومرتيته وحجابه في مغادرة البلاط . فغار مؤنس كبير الحجاب واجتمع بسائر الحجاب والعييد الاترك وتسلحوا وباغتوا الاقطاب وهم محتشدون عند ابن المعتز ففتكوا بالعباس وبيعوا اصحابه واستأسروا بقتلهم . ثم مضوا بابن المعتز الى البلاط وخنقوه ليلاً ودفنوه في الدار عينها فاستقل المقتدر بالخلافة .

وفي السنة ١٢٢٠ لليونان (٩٠٩م) تراكت الثلوج في بغداد حتى بلغ علوها اربع اصابع فوق السطوح . ولم يكن يومئذ في بغداد من شاهد الثلج بعينه . وبعد ثمانى عشرة سنة وهي السنة ٣١٥ للعرب و١٢٣٨ لليونان (٩٢٧م) حدث في بغداد عينها برد قارس حتى جمد خل الحمر في الحوائى وقس عليه البيض والزيت ويست الاشجار .

وفي السنة ٩٠٩ عينها زحف مؤنس الحاجب في الجيوش العربية الى بلاد

الروم من ثغر ملطية وسبي وغزا وعاد. وفي السنة ٢٩٩ للعرب (٩١١ م) أغار رستم القائد العربي على بلاد الروم من ثغر طرسوس ودوخ حصن مليح الارمني وأحرقه. وفي تلك السنة وزع المقتدر على المطربات في بلاطه الف دينار ذهباً وعلى هذا النمط افرغ خزائنه . وجعل العبيد الاتراك يطالبونه بارزاقهم وهو ياطلمهم ويعذب الكتاب واصحاب الاموال اعذبة فادحة ويستزف اشياءهم . على ان العرب في اول امرهم كان النصر حليفهم ولما اتسعت دولتهم (١٧٢) اخذوا ينتصرون تارة وتارة ينكسرون. وفي هذه الازمنة انهمكروا في الفحشاء والعبارة والنهم فأسمى انكسارهم متواصلًا . وكلما كانوا يحاولون عقد الصلح مع الروم كان الروم يرفضون مؤملين استرجاع اصقاعهم القديمة ولم يكونوا يرسلون العرب إلا بشأن مبادلة الأسرى فقط.

وفي السنة ٣٧٠ للعرب (٩١٢ م) ولدت في بلاد الهند بغلة شاهد الكثيرون جحشها .

وفي هذه السنة توفي الكسندر ملك الروم وخلفه ابنه قسطنطين وهو في الثانية عشرة من سنه. وفي السنة ١٢٢٧ لليونان (٩١٦ م) زحف جيش رومي الى طرسوس وجيش ثان الى مرعش واستأثروا من العرب نحو خمسين الفاً فشمّل الحزن جميع البلاد العربية.

وفي هذه السنة أسلم في بغداد مطران دقوقة النسطوري فاغمّ النصارى لذلك وفي السنة ٣٠٥ للعرب (٩١٧ م) توجه الملك قسطنطين الى الخليفة سفيرين احدهما شيخ وثانيها فتى . ولما وصلا الى تكريت تربثا ثم شهرين ريثما زين الخليفة المقتدر بلاطه وحشد جنوده واقطاب دولته . ثم ارسل فاستدعاهما اليه . قيل ان العرب اقاموا مائة وستين الف فارس من ناحيتي الدار التي حلّ فيها السفيران حتى بلاط الخليفة . واقاموا في كل من جهتي الباب الخارجي خمسمائة حصان مسرجة بسروج ذهبية وفضية . واقاموا في فناء الدار الخارجي كثيرة من الغزلان والغزالات والظباء والايائل . وجعلوا ضمن فناء الدار الثانية اربعة فيلة كبيرة وقد ركب كلّا منها ثمانية رجال هنود بايديهم آلات نفطية نارية . واقاموا في محل من ناحيتي الفناء الثالث خمسين سباً

موثقة بالسلاسل (١٧٣) . وتد مرّ السفيران بذلك كلّهُ حتى انتهيا الى حديقة فسيحة فيها حوض ماء . من قصدير ابيض كأنه فضة تطلّ فوقه شجرة شاهقة مصوغة من الفضة واغلب اغصانها واوراقها مذهبة وهي تتأيل كلّها هبّ النسيم فيها . وقد جشت فوقها طيور ذهبية وفضية تطير بواسطة خيوط مئصلة بالارض وتقرّد تغاريد رخيمة . وفي الحديقة كذلك اشجار نخل مرصعة بالواح سرو حتى افنانها وقس عليها كثيراً من شجر الاترنج . ومن هذه الحديقة مضوا بالسفيرين الى دار فسيحة دُججت جدرانها بسجوف فاخرة علّق فيها الوف من الدروع والتروس والاقواس والرماح . قيل ان عدد السجوف المعلقة في الجدران بلغ اثنين وعشرين الف سجف . هذا سوى الطنافس التي فُرشت في الارض ووطئتها الاقدام . ثم سار السفيران في جادة طويلة اصطفّ في جانبها الواحد الف من الحجابّ البيض وفي الجانب الثاني الف من الحجابّ السود وهم مدججون بالأسلحة . ولما دخل السفيران باب الدار شاهدوا الوزير الاعظم جالساً على كرسي عالٍ يحيط به الفقهاء والأعيان واقفين . فظنّاً انه هو الخليفة فقيل لها بل هو الوزير . ومن عند الوزير دخلا غرفة الخليفة وشاهداه مستويّاً على عرش من الابنوس بشكل مقبب في كل من قرنيه تسعة صفوف من الحجارة الكريمة تعبق . وحوله خمسة بنيه ثلاثة الى يمينه واثنان الى يساره . قيل ان السفيرين جلسا يستريحان سبع مرّات حتى وصلا الى غرفة الخليفة . ولما وصلا سلّما عليه باحنا . الرأس وقالا للترجمان : كان الخليلق بنا ان نقبل الارض بين يدي الخليفة ولكننا اغمضنا عن ذلك لنلّا تضطرّ دولة الروم سفيركم بمثل ذلك . نقول هذا لنلّا تحسبونا دون تهذيب وأدب .

وبعدما انهى السفيران سفارتها كان (١٧٤) الجواب حاضرّاً ومدوناً . وقد دفعه الخليفة لها وأطلقها . وأمر ان يؤدّوا لكلّ منها عشرين الف درهم . ثم وجه معها سفراء من قبله في مائة وسبعين الف دينار ذهباً فدّى للأسرى العرب وكانوا اكثر جدّاً من الأسرى الروم . غير ان ملك الروم بعد وصول السفراء أبقى مبادلة الاسرى او بيعهم .

وفي السنة ٣٠٨ للعرب (٩٢٠ م) ضجّ الشرط في بغداد وحطموا باب

السجن وأطلقوا المجرمين وتحاملوا على المسيحيين ونهبوا دار عبدالله بن شعون الطيب وغيرها من دور الكتاب المسيحيين . فحشد الحاكم جنوداً مسلحين قبضوا على اللصوص وسنقوهم وقطعوا ايدي رفاقهم .

وفي السنة ٣٠٩ للعرب (٩٢١ م) ألقى القبض على درويش عربي في بغداد يقال له الخلاج ادعى انه الاله متجسم وصار يتظاهر بانه يخترع العجائب . فأمر الخليفة بصفعه الف قضيب ثم قطعوا يديه ورجليه وأحرقوا جسده وعلقوا جمجمته في رمح طافوا بها في بغداد وفي فارس .

وفي السنة ١٢٣٨ لليونان (٩٢٧ م) زحف جيوش الروم الى سمساط ونصبوا خيمة الملك في مسجدها الكبير وقرعوا فيه النواقيس وسبوا وانقلبوا عائدتين . فطاردهم العرب وردوا بعض الغنائم وقبضوا على نسيب ملك الروم وذهبوا به مأسوراً الى بغداد .

اما مؤنس الحاجب الذي أبلى البلاء الحسن في حروب حجة حتى لقب المظفر فقد شعر بانتقاص الخليفة عليه وتخوف غدره وجعل يتحفظ منه . وما ان ظهرت البغضاء حتى حالفه الاقطاب واغلب الضباط وشجعوه قائلين : ما لك خائفاً . ثم باننا ندافع عنك حتى تذر لحيتك اعني دائماً (١٧٥) . ولما وقف المقتدر على الدسيمة شمله الذعر وارسل يقول لمؤنس : انك انت وليتني الخلافة وأقسمت لي . فاذا اخلصت لي النية فاني قسماً بالله تعالى لن أحسب لك ذنباً . والأفاذا نويت الخلاف فاني الوذ بالله عز وجل ولست افكر في مناهضتك البتة . لكن مؤنس لم يقتنع بالموادعة بل ارسل فاحضر الخليفة قسراً وجلسه في بيته واخرج محمد بن المعتضد من السجن وحلف له واسماه القاهر وبعث فاجلسه على العرش . ولما رأى حشم الخليفة انهم سيعزلون وينوب غيرهم منابهم استلوا السيوف وقتكوا بالزعماء اصحاب القاهر سوى مؤنس وهو في بيته . ثم قبضوا على القاهر ونادوا بأعلى أصواتهم قائلين : فليحي الخليفة المقتدر . ثم غادروا البلاط والتف حولهم اهل المدينة وقصدوا دار مؤنس وأخرجوا المقتدر وذهبوا به تكراراً الى البلاط . ولم يتمكنوا من التعدي على مؤنس لانهم كانوا يهابونه جداً . اما المقتدر فارسل ثانية الى مؤنس يسأله المصالحة . لكن مؤنس لم يثق

به بل سارع الى الموصل وحشد العساكر وانقلب الى بغداد . عند ذلك كتب
المقتدر الكتاب وبرز لناوشة مؤنس فانكسر المقتدر وقتل وعُلقت هامته
في راس رمح وتم ذلك في السنة ٣٢٠ للعرب (١٩٣٢ م).

وكان في عهده سنان بن ثابت الحراني راس الاطباء . ولم يكن يطيب
احد في بغداد دون امره . ومن اخباره المشهورة انه جاء اليه يوماً طبيب شيخ
ذو هيئة مليحة . فرحب به سنان واكرمه على موجب منظره الخارجي . ولما
اراد سنان ان يتحنه ويفحصه اخرج الشيخ صرة فيها كمية صالحة من الذهب
وقال لسنان : صدقتني اني لست احسن الكتابة ولا اعرف القراءة . ولي عيال
كثيرة تعيش من مهنتي . فرجاني ان لا تحرمهم ما يرزقهم الله (١٧٦) الكريم .
فضحك سنان وقال له : على شريطة ان لا تتعاطى معالجة الامراض العضالة
ولا تفصد نبض احد ولا تسقي احداً دواءً مسهلاً . فحلف الشيخ وقال له :
اني ما تعديت السكنجيين وما يشبهه . فرخص له سنان ان يطيب .

وفي يوم آخر قصد سنان طبيباً ثانياً مليح الوجه فسأله سنان : على من
قرأت الطب ؟ فقال : على ابي . قال سنان : ومن هو أبوك ؟ قال الشاب :
الشيخ الذي كان عندك بالأمس . فضحك سنان وقال له : اذهب بسلام واحفظ
ما شرطته على ابيك . وهذا سنان اراده الخليفة الظاهر على الاسلام فأسلم
قسراً وترك مذهب الصائبة .

بعد المقتدر القاهر

تولى سنة واحدة وستة اشهر . بعد ما قُتل المقتدر اشار مؤنس على ارباب
الدولة ان يبايعوا أبا العباس ابن القليل وقال لهم : ان صنعتم هذا خففتم وطأة
الحزن عن أمه وجدته واخت جدته ومربيته وجعلتوهن ان يخرجن ما عندهن
من الذهب دون مشقة . لكن الاقطاب اعترضوا عليه وقالوا : حسنا النساء .
فقد حدث لنا ما حدث مع من كانت له أم فقط فما تكون الحال مع من له
أم وجدة ؟ ثم اتفقوا جميعاً وبايعوا محمد بن المعتض بالخلافة ولقبوه القاهر . وقد
عذب القاهر ام المقتدر ونكل بها فعلقها برجلها الواحدة وجعل يصفعها بيده على
المواضع الغامضة من بدنها يريد على اظهار الذهب . فلم يكن عندها اكثر

مما وجده قبل صفعها . ثم صادر كل ما كان عند اولاد المقتدر وعند أمهاتهم من الذهب . قيل ان ام المقتدر سبقت فاصطنعت عند القاهر صنائع جليلة وافرة يوم كان مسجوناً في البلاط اذ كانت تدخل اليه الطعام والشراب والاطياب والجواري . وكثيراً ما كانت تُخرجُه من سجنه وتجلسه في مكان يشرف منه على ولائم ابنا ويستمع (١٧٧) اصوات الغناء والطرب . ولكنه لما تولى الخلافة قابلها بمثل هذه المعاملة الشائنة .

اما مؤنس واحزابه فعلى تعودهم استحقار الخلفاء خافوا على انفسهم فاتخذوا جميع حراس البلاط من رجالهم وقضوا ان يفتش كل من يدخله رجلاً ام امرأة لتلا يأتي احد برقعة الى الخليفة تتعلق باحوالهم . وبلغ بهم التحفظ حتى انهم لما حمل الى القاهر يوماً قدر مملوء لبناً مدوا فيه يدهم ليفتشوه . ولذا اوقع الله العادل اختلافاً ما بين الجنود وبين مؤنس وسائر الاقطاب وانهزموا الى البرية . فانتهر القاهر الفرصة وفتك بهم قاطبة واستنبت له الخلافة . ثم اخرج من البلاط جميع من سبقوا فابتاعوهم من مطربين ومطربات وعبيد وجوار وباعوهم من التجار دون قيد او شرط يمنعهم عن الغناء . وقضى القاهر على الكثيرين من الزعماء والعظماء بالضرب وابترار الاموال حتى أصبح الباقون خائفين كأئهم على قوسى قاب . وجعلوا يلقنون العجايز والشيوخ ليقضوا على العامة اخباراً ملفقة تتعلق بعبيد القاهر الذين كانوا يحرسونه ليل نهار وبقواده وضباطه مؤذاهم الحذر من الخليفة لتلا يهلكهم . ثم لقنوا المنجمين والسحرة كي يقولوا اذا سُئلوا ما قالوه هم . ولما استيقنوا تاهب القاهر للتنكيل بهم باغتوه ليلة وهو سكران وفتقوا عينيه كليهما ولاذوا بالفرار . وتم ذلك عام ٣٢٢ للعرب (١٩٣٣م) وشهد القاهر بعد اعوام يقوده رجل وهو يستعطي على باب المسجد الكبير .

بعد القاهر الراضي بن المقتدر

تولى ست سنوات وعشرة شهور . وقد فكَّه الاقطاب من سجنه وباعوه بالخلافة . ويقال انه هو الذي أمر (١٧٨) ان تفتقأ عينا القاهر . وفي السنة ٣٢٣ للعرب (١٩٣٤م) حدث حريق هائل في بغداد بجوار الكرخ أتلَف بضائع وافرة ودوراً كثيرة . فأمر الراضي ان يؤدوا من خزائنه ثلاثة آلاف دينار للتجار الذين

تلفت بضائعهم وعشرة آلاف دينار الذين خربت بيوتهم كي يجددوا بنيانها. وبعد قليل هبطت كذلك نار في ذلك الجوار. وفي السنة عينها تراكت الثلوج في بغداد. وفي السنة ١٢٤٩ لليونان (٩٣٨م) مرض قسطنطين ملك الروم وشعر بدنو الاجل فاستدعى رومانس صهره ووضع له تاج الملكة بيده. وفي السنة ٣٢٦ للعرب (٩٣٧م) وجه الملك سفيراً الى الراضي في رسالة دُوئت بالرومية بجروف ذهبية وكُتب شرحها بالعربية مجروف فضية شفعا بهدايا ثمينة وآنية ذهبية وفضية مرصعة بججارة كريمة. وهذه فاتحة الرسالة: « من رومانس وقسطنطين واسطفانس وقسطنطين ملوك الروم العظام الى فخامة سلطان المسلمين المعظم سلام. بما اننا ثابتون على مودتك ثباتاً وطيداً فقد وجهنا سفيرنا في بعض الهدايا توطيداً لرغبتنا في مودة اخوتك واثقين بانك تتقبل ذلك بكل طيبة خاطر». الى غير ذلك من الكلمات المسهبة الداعية الى الصلح والوئام. رَحِب الخليفة بالهدايا ووجه هو كذلك سفيراً في هدايا وحملة رسالة افتتحها بقوله: « من عبدالله ابي العباس الراضي امام الدين امير المؤمنين الى رومانس وقسطنطين واسطفانس وقسطنطين زعماء الروم سلام. رحبنا بهداياكم ووجهنا اليكم طبقاً لرغبتكم سفيرنا فلانا تكريماً لكم وتأييداً لعقد الصلح». ولما جلس رومانس ملك الروم اقبل سيميون البلغاري تانية الى قسطنطينية واحرق بلاد تراقية ومقدونية واتفها. وحاصر ادرينوبوليس ودوخها. فتذرع رومانس بشتى الذرائع والهدايا حتى صالحه. وكتب سيميون يريد مواجته تأييداً (١٧٩) للصلح. فأعد الملك مكاناً ملائفاً في البحر وتقابلا في المراكب وآيدا عهد المحبة التامة بينهما.

ولما اطمان الروم في بلاد المغرب ووجهوا أحلاظهم نحو المشرق فزحفوا عام ١٢٥٢ لليونان (٩٤١م) ووصلوا الى كفرتوت وغزوا البلد كله وانقلبوا عائددين. وفي السنة ٣٢٩ للعرب (٩٤٠م) تفاقمت الامراض على الخليفة الراضي وبذل سنان ابن ثابت اليهود في معالجته فلم يستفد. وكان للخليفة المشار اليه مملوك تركي اسمه زيرك وفي هذه السنة وعك ومات. فبلغ الكمد من الخليفة حتى انه أمر بالقاء اربعائة خابية من الخمر العتيقة المتازة في دجلة حداداً عليه وما يتم ان توفي هو كذلك.

بعد الرازي المتقي بن المقتدر

تولّى ثلاث سنوات وشهراً واحداً . وفي السنة ٣٢٩ للعرب (٩٤٠م) وهي السنة الاولى لخلافة المتقي حدث غلاء شديد في بغداد حتى بيع كور الخنطة بمائة وثلاثين ديناراً ذهباً . وأكل الناس النخالة والعشب . وحدث كذلك وباء . فظيع حتى انه دُفن في قبر واحد عدة من الموتى دون صلاة . وفاض نهر دجلة وأتلف دوراً كثيرة وأشجار نخل وافرة وغير ذلك .

وفي السنة ٣٥٣ لليونان (٩٤٢م) زحف الروم كذلك الى قيليقية وأجأوا من بلد حمشوش خمسة عشر الف نسمة واحرقوا القرى وانطلقوا . واشتدّ الجوع في بغداد حتى بيع كور الخنطة باثنتين وعشرة دنانير ذهباً . وبلغ سعره ثلاثمائة وسبعة عشر ديناراً ذهباً . وأكل الناس جثث الموتى . وانفلق جسر بغداد وغرق خلق كثير في دجلة . وفي القابل وصل الروم الى ميافرقين وارزن ونصيبين وأجأوا خلقاً كثيراً واحرقوا الضياع وانصرفوا .

وفي السنة ٣٣١ للعرب (٩٤٢م) وأجه ملك الروم سفيراً الى الخليفة المتقي يطلب المنديل الذي في بيعة الرها وهو الذي مسح به رشنا يسوع وجهه وصارت صورة وجهه فيه وسيّره (١٨٠) الى الحجر الذي كان يروم ان يشاهده . ووعدته إن أرسل المنديل اليه أطلق عدداً غفيراً من الاسرى العرب . فاستفتى المتقي فقهاء المسلمين في هل يجوز الشرع ان نعطي المنديل للمسيحيين ام لا ؟ فقالوا : اجل يُفرض علينا فرضاً لازماً ان نتبرك بهذا المنديل . غير انه يجب التخلي عنه للروم انقاداً للمسلمين المتقلبين في العوز والجوع والعري .

وفي هذا الزمان اشتدّ القائد توزون في بغداد حتى خافه الخليفة المتقي وانهزم الى الرقة في نسائه وعبيده واقام بها مدة . فارسل اليه توزون يعاتبه بسبب انزراحه عن كرسيه وأقسم له بالأمان حتى اغواه وحمله على العودة الى بغداد وسار الى استقباله في حشد من الجنود . ثم نزل وقبل الارض بين يديه ومثل امامه راجلاً . واضطره الخليفة ان يركب . ولما كان توزون الخائن مضراً القدر بالخليفة اشار الى اصحابه فاحاطوا به وبجاشيته حتى وصل الى باب البلاط فاستلوا السيوف وارادوه على النزول عن الخلافة والافتكوا به .

فاضطر الخليفة ان يمثل الأمر واشهد عليه الشهود . وبعد هذا مضوا به الى البلاط وحبسوه وأحضروا عبد الله بن المكتفي وبايعوه بالخلافة ولقبوه المستكفي وتم ذلك في السنة ٣٣٣ للمرب (٩٤٤م) .

بعد المتقي المستكفي بن المكتفي

تولى سنة واحدة واربعة اشهر . وبرز في عهد خلافته شعوب مختلفة من عيلاميين وصقابة وغزّ ووصلوا الى اذربيجان ودوخوا مدينة بردعة وقتلوا زها . عشرين الف نسمة وانصرفوا . وتغير الاقطاب على المستكفي فقصدها نحو يوماً كألوف العادة وهو مستور على عرشه وجثوا على الارض امامه وقبلوا يده ووقفوا . ولما تمّ عددهم وافى آخرهم وقبل الارض ودنا من الخليفة فدأ له يده متوهماً انه سيقبلها لكن الجاني قبض عليها (١٨١) واجتذبا وزحرج الخليفة عن عرشه وبطحه على وجهه وازدحم رفاقه على الخليفة واخرجوه ماشياً من البلاط ومضوا به الى دار معز الدولة القائد وحبسوه . واستدعوا الفضل بن المقتدر وبايعوه وكنوه المطيع .

بعد المستكفي المطيع بن المقتدر

تولى تسعاً وعشرين سنة وخمسة اشهر . ولما بايعوه بالخلافة استدعوا المستكفي فسلم عليه وجاهر بتنزله له عن الخلافة واتزوى في البلاط . وفي السنة الاولى لخلافة المطيع وهي السنة ٣٣٤ للمرب (٩٤٥م) تحرش ناصر الدولة ابن حمدان صاحب الموصل بمعز الدولة الذي ولي المطيع الخلافة . واحتل الناصر جهة بغداد الشرقية واحتل المعز جهتها الغربية . ثم قوي المعز واحتل الجهة الشرقية وانهزم الناصر الى نواحي الموصل . واستحوذ الملع على اصحابه في تلك الجهة وتخوفوا سيف المعز فبادروا الى الهزيمة نحو الموصل رجالاً ونساء . وقضى الكثيرون في الطريق بسبب ما انتابهم من العطش والحؤور ولا سيما النساء غير المتعودات المسير . وشوهدت امرأة نبيلة بجانب الطريق متشحة بشباب فاخرة وببيدها صرة تولول قائلة :خذوا اربعمائة دينار واسقوني جُرعة ماء . فلم يكثر لها احد ولم يتقدم ليأخذ الصرة مجأناً من يدها . اذ كان كل واحد مهتماً بالهزيمة لا غير . وقد باد في تلك الهزيمة عشرة آلاف نسمة . ولما سمع

المعز بما صار نادى بالامان وبعث بالباء الى المنهزمين واعادهم الى بغداد . قيل ان البغداديين لم يشاهدوا كارثة كتلك الكارثة . وكان يومئذ في بغداد رجل معتوه يتحدث بالمستقبلات كيفما كان فسبق ينادي في الازقة ويقول : علموا نساءكم يا اهالي بغداد ان عيشين حافيات وعودوهن الشفاء لان البلاء قريب ا وفي هذه السنة حدث غلا . شديد في بغداد (١٨٢) وبيع كور الحنطة باربعمائة دينار ذهباً والف رطل بغدادى من التمر بستين ديناراً . وكانت الدور والكروم والحدايق تباع بلقم . وارغفة من الخبز . وكان البعض يلتقطون حببات الشعير من زبل الخيل والجحاش ويبتعنونها . وشوهدت نساء كثيرات يشوين اولادهن في الثنور ويأكلنهم . فصدرت الاوامر بقتلهن . وقضى الكثيرون جوعاً وأكلتهم الكلاب اذ لم يكن من يدفنهم .

وفي السنة ١٢٦١ لليونان (٩٤٩ م) وهي السنة ٣٣٧ للعرب زحف الروم الى سوريا ولاقاهم سيف الدولة امير حمص وحلب فانكسر سيف الدولة واحتل الروم مرعش ووصلوا الى طرسوس وقتلوا وغزوا وانصرفوا . وفي السنة ٣٣٩ للعرب (٩٥١ م) حشد سيف الدولة ثلاثين الفا من الحياالة والرجالة وزحف الى بلاد الروم وغنم غنيمة وافرة . ولما رجع أدركه الروم وأغلقوا عليه المضائق وقتلوا واستأسروا جميع عسكره واستردوا الغنيمة . وهلك رجال سيف الدولة وخيله وبقاله وخزائنه وامواله ولم يفلت الا في عدد يسير . وفي هذه السنة نُقل الحجر الأسود الذي كان الحجاج يتبركون به في مسجد مكة وقد ظلّ ثلاثاً وعشرين سنة بيد القرامطة الخوارج في الجنوب . فقبضوا خمسين الف دينار وردوه الى مكانه مكسوراً قطعتين طموهما بقضبان فضية حتى يومنا . وفي هذا الزمان حدث رخص وافر حتى بيع عشرون رطلاً بغدادياً من الخبز بدرهم واحد .

وفي السنة ١٢٦٨ لليونان (٩٥٧ م) وهي السنة ٣٤٥ للعرب أبحر الروم الى طرسوس واحرقوا ضياعاً كثيرة وفتكوا بالف وثامائة من العسكر العربي وانطلقوا . ثم حشد سيف الدولة عساكره وزحف الى بلد الروم ووصل الى خرشنة وسي واحرق وقتل . ثم توجه الى مدينة آطنة بقلبيقية (١٨٣) واقام

فيها ايّاماً وحرّض امير طرسوس ليناوش الروم وعاد الى حلب . فتقبّعه الروم من ناحية اخرى ووصلوا الى ميافرقين وغنموا وأجلوا اهلها واحرقوا الضياع وانصرفوا . وفي السنة ٣٤٦ للعرب (٩٥٨ م) ظهر جراد كثير أفسد الزروع . وحدث وباء داء الحوانيق حتى ان سارقاً باغته الموت وهو ينقب بيت احد اغنياء بغداد . وذُكر عن قاضٍ لبس ثيابه السوداء ليخرج الى دار الحكم كألوف عادته ولبس حذاء رجله الاول فدعمه الموت قبل ان يلبس الحذاء الثاني . وهبطت أمطار كثيرة في الشتاء . وحدث جزرٌ في البحر المتوسط نحو ثلاثائة ذراع وانكشفت جبالٌ وجزائر كثيرة مجهولة منذ القدم . وحدثت بعد سنة زلزلة هائلة قوّضت اماكن شتى واختنق الكثيرون تحت الردم في جبال الديلم وقاشان .

ووصل الروم الى آمد وارزن وميافرقين واحتلّوا حصوناً كثيرة وفتكوا بالف وخمدائة نسمة . ثم زحفوا بعد ايام وجيزة الى جبات حلب ولاقاهم سيف الدولة عند دلوك فانتصر الروم واستأسروا انبياءه واقربائه وقتلوا اغلب رجالاته ولم يفلت منهم الا اليسير . ودوخ الروم كذلك سيمساط واحرقوها .

وفي السنة ٣٤٧ للعرب (٩٥٩ م) اغمض ناصر الدولة امير الموصل عن ارسال مال الخراج الى بغداد فزحف اليه الامير معز الدولة من بغداد . فانهزم الناصر الى نصيبين فلحقه معز الدولة ففرّ الى ميافرقين ولم يمكث بها فاقبل الى حلب مستنجداً اخاه سيف الدولة . فرحّب به وتذلل له حتى توصل ان يخلع له حذاءه بيده (١٨٤) .

وفي السنة ٣٤٨ للعرب (٩٦٠ م) قبض الروم على محمد بن ناصر الدولة وعلى بعض عبيده ببلد حلب وعلى ابي الهيثم القائد وعلى عبيده في كفرتوت . واقبلوا الى بلد طرسوس وقتلوا واسروا الكثيرين . ودوخوا قلعة الهارونية وفتكوا بن فيها واخربوها وأجلوا النساء والصبيان .

وفي تلك السنة وهي السنة ١٢٧٢ لليونان (٩٦١ م) توفي الملك قسطنطين وخلفه ابنه رومانس فعامل اقطاب الحكومة والاعيان افضل معاملة وأبدى للجميع المروءة والشهامة ووجه في السنة عينها ابولنيس شومشكين القائد ونيقيفور

الدمستق الى بلاد العرب فسارا الى آمد وقتكا بمائة محارب وقبضا على ثلاثين رجلاً وأحرقا الغلال وانقلبا راجعين . فحشد سيف الدولة امير حلب ثلاثين الفا وزحف الى خرشنة وسي سبية وافرة . ولما اعتزم الرجوع اخذ الروم عليه المضايق فلم يتيسر له النجاة الا بثلاثمائة من عبيده ليس غير . اما بقيتهم فمنهم من قتلهم الروم ومنهم من قبضوا عليهم واسترجعوا الفنائم واحتوا على خيل سيف الدولة بن حمدان وعلى سلاحه وخزائنه . وقتل من مشاهير رجاله في هذه السنة حامد بن غس سباخان وابو حصين القاضي .

وفي هذه السنة ظهر جراد كثير ببلد الموصل وحدث غلا . وجوع وبيع كور الحنطة بالفين ومائتي درهم . وكور الشعير بثمانمائة درهم . وانهزم الكثيرون الى سوريا وبغداد وسار المسيحيون الى مدن ساحل البحر . وفي هذه السنة تأسست في طرابلس كنيسة فضة تيسناً باسم مار بهنام الشهيد المجيد .

وفي السنة (١٨٥) ٣٤٩ للعرب (٩٦٠م) لما كان الحجاج المصريون عائدين من مكة ونازلين في مكان لم تجر فيه المياه منذ آمد بعيد فاض غدير مياه ليلاً وهم راقدون وجرفهم باجمعهم مع اثقالهم وزجهم في البحر المتوسط وأهلكهم قاطبة .

وفي هذه السنة جاهر بالاسلام نحو مائتي الف من خيام الاتراك في المشرق . وفي السنة ٣٥٠ للعرب (٩٦١م) خرجت قافلة عربية كبيرة من انطاكية متوجهة الى طرسوس فانقض عليها كفا . الروم وقتلوا البعض واستأسروا اغلبهم . فثار العرب وزحف نجا عبد سيف الدولة الى بلد الروم من ناحية ميافرقين وغنم غنائم وافرة مع الفتي نسمة اوثق منهم خمسمائة ومضى بهم .

وفي السنة ١٢٧٤ لليونان (٩٦٣م) وهي السنة ٣٥١ للعرب وصل نيقيفور الدمستق في مائة وستين الف فارس الى قيليقية وحاصر عين زربة وحاربها حرباً شديدة حتى أيس اهلها العرب من مساعدة تأتيمهم وطلبوا الأمان على حياتهم وعلى اموالهم ليسلموا القلعة . خصوصاً لانهم شاهدوا الروم كادوا يخرقون السور الذي بجانب الجبل . فدخل نيقيفور وعرف انهم كانوا على وشك احتلال البلد دون عناء . فقدم على ما فات وامر ان يجتشد الاهالي قاطبة في

المسجد وان من يتخلف يؤخذ رأسه . وعند الصباح دخل الروم المدينة راجلين وفتكوا بكل من وجدوا في البيوت والشوارع رجالاً ونساءً وصبياناً وجمعوا من السلاح اربعين الف درع . سوى السيوف والقسي وقطعوا اربعين الف شجرة نخل .

ثم أمر نيقفور ان يخرج جميع من في المسجد ويذهبوا حيثما شاؤوا ومن بقي حتى المساء يُقتل . فخرجوا (١٨٦) يزحم بعضهم بعضاً وهلك بالزحمة جماعة من رجال ونساء وفتيان وقضى البقية في الطريق وهم مارون على وجوههم لا يدرون اين يذهبون . ثم قوض نيقفور المسجد ودك سورتي المدينة ودورها . وظل اثنين وعشرين يوماً في قيليقية ودوخ اربعة وخمسين حصناً بعضها بالسيف وبعضها صلحاً .

قبل لما خرجت النساء العربيات من احد الحصون صلحاً تحرش بهن بعض الارمن فغار رجالهن واستلوا السيوف . فسخط نيقفور الدمستق على المعتدين . ثم فتك الروم باربعائة رجل وبعده وافر من النساء . وارتمل نيقفور ومن معه الى قيسارية بسبب دنو الصوم الاربعيني على ان يعود بعد العيد .

اما القائد العربي في طرسوس فحشد اربعة آلاف مقاتل وزحف الى بلاد الروم فانكسر وهلك هو وكل من معه وفي جملةهم اخو ابن رباب قائد عسكر طرسوس . ثم زحف الروم ثانية الى قيليقية ودوخوا قلعة سيس واقاموا محافظين فيها وفي سائر القلاع وتركوها وانصرفوا الى حلب . فبرز سيف الدولة لناوشتهم فانكسر وهلك جميع بني حمدان ولم يفلت الا سيف الدولة مع القليلين . واحتل الدمستق قصره الذي في ظاهر المدينة واستحوذ هناك على ثلاثمائة وتسعين وزنة فضة وعلى الفين واربعائة بغل وعلى اسلحة جثة واحرق القصر . ثم حاصر المدينة وأحدث ثغرة في سورها ودخل الروم وظلوا يقتلون حتى كلوا وصادفوا فيها الفاً ومائتي رومي مأسورين فاطلقوهم وأجلوا اكثر من عشرة آلاف فتى وفتاة وحملوا ما استطاعوا من الغنائم واضرموا النار بالبقية . وقصدوا آبار الزيت وافرغوا فيها المياه حتى طفا الزيت واندلق واندلف على الارض وزال . ثم قوضوا المساجد وظلوا يدمرون (١٨٧) تسعة ايام .

ولما عولوا على الرحيل تقدم ابن اخت الملك رومانس وعارض نيقفور وقال : لن نرحل قبل ان نفتح القلعة . ولم ير نيقفور ان يقاومه بل قال

له : اليك القلعة اذهب واحتأها . ولما دنا ابن اخت الملك من بابها القوا عليه حجراً من النافذة التي فوق الباب فالتفت لينهزم ففتح اصحاب القلعة الباب وطارده رجل ديلمى اسمه باشا وطعنه بالرمح بين كتفيه وانفذه من صدره وقتله . فعاد من كان معه وحملوا الجثة ومضوا بها الى نيقيفور فتأثر كل التأثر وانتقم لابن اخت الملك بان فلق رؤوس الف ومائتين من الأسرى العرب الذين معه وترك البلد وعاد الى العاصمة ولم يعث في قرى حلب اصلاً بل أوصى الفلاحين ان يدمنوا فلاحه اراضيهم معتقداً ان البلاد هي للروم ومؤملاً العودة اليها .

وسار آنذ الف ارمني الى اطراف الرها وغنموا الف خروف وخمسمائة ثور وعشرة رجال عرب وانقلبوا راجعين . ولما قويت شوكة الروم وعولوا على الرجوع تحوف اهالي ارمينية الكبرى وهم مسيحيون ان يأتي العرب وينتقموا منهم فانهمزوا الى الحدود واستوطنوا بسبسية قبدوقية ونموا هناك نمواً وافراً . ثم اقامهم الروم في حصون قيليقية التي انتزعوها من العرب . وجعل الارمن الرجاله يقاتلون بجانب الروم في كل الحروب ويجرزون النصر والغلبة .

ولما عاد نيقيفور في جيوشه من حلب وبنموا سيمنادو باغتهم نعي الملك رومانس وأجمع الاقطاب مع شومشكين على المناداة بنيقيفور الدمستق ملكاً عام ١٢٧٥ لليونان (٩٦٤ م) (١٨٨) . ولما دخل قسطنطينية وتوج ملكاً نصب شومشكين دمستقاً ووجهه الى مناوشة العرب . فزحف الى المصيصة وحاصرها سبعة ايام واجرى في سورها ستين ثغرة بنيف وتعدر عليه امتلاكها فاخرق ما حولها وحول اطنسة وطرسوس . ثم انصب الروم على خمسة آلاف كانوا قادمين من طرسوس ليساعدوا اهل المصيصة واتلفوهم قاطبة وانصرفوا . وحدث غلا . شديد في قيليقية وانهمزم اغلب اهاليها العرب الى دمشق . وانتشر الغلا . كذلك في حلب وحران والرها . وزحف الدمستق في القابل الى قيليقية وحاصر المصيصة ثلاثة اشهر فامتنت عليه . فضرب الجزية على اهاليها وانصرف بسبب فشو المرض والموت في عسكره .

وفي السنة ١٢٧٦ لليونان (٩٦٥ م) وهي السنة ٣٥٤ للعرب غادر نيقيفور الملك قسطنطينية الى قيسارية قبدوقية وحاصرها . ووجه اليه اهالي طرسوس

والمصيصة رسالة في التسليم . فازدري بهم وقال لمدوبيهم : انكم بعد ما قطعتم الرجاء من مساعدة ملوككم العرب واكلمتم الكلاب الميتة بسبب الجوع وأتلفكم الوباء، اقبلتم ترومون التسليم والصلح ريثما تستجمعون قواكم وتعودون الى العصيان . كلاً . ليس لكم عندي إلا السيف . قال هذا وطرده المندوب بعدما احرق الرسالة على رأسه واحترقت لحيته .

قيل ان العرب كانوا يشيعون كل يوم ثلاثاً جنازة في طرسوس . واذ ذاك حشد نيقيفور جنوده وتوجه الى المصيصة وشدد عليها الحصار حتى دوخها يوم السبت ١٣ رجب من تلك السنة وأجرى بها مذبحاً عظيمة . وقبض على مائتي الف من رجال ونساء وفتيان وسيّرهم الى بلاد الروم . ثم توجه الى طرسوس وحاصرها . فتوسل اليه الاهالي وهم يبكون ليعفو عنهم فيفتحوا له الابواب (١٨٩) فتأثر الملك بكانهم واعطاهم الامان على حياتهم وعلى اموالهم . ودخل المدينة واستدعى عظماء العرب وأعد لهم الطعام على مائدته ورتخص لهم ان يأخذوا ما استطاعوا من اموالهم وأسلحتهم ووجههم الى انطاكية . وخير البقية الباقية في الذهاب الى حيث شاؤوا . وسيّر معهم ثلاثة بطارقة ليحرسوهم في الطريق ويدفعوا عنهم كل تعدٍ . واتقح بعض الارمن فتعدوا على العرب فسخط الملك وأمر بقطع ايديهم ومناخيرهم وصفعهم صفعات اليمه . وبعث المحافظين واوصاهم ان يوصلوا العرب الى اصحابهم سالمين . اما مسجد طرسوس فقد حوّلته الملك اصطبلًا لدوابه واقام لها بطريقاً مع خمسة آلاف فارس ونصب بطريقاً ثانياً في المصيصة . وقد عمّرت طرسوس بالاهالي واستفحل الرخص فيها حتى بيع اثنا عشر رطلاً خبزاً بدرهم واحد . وعاد اليها الكثيرون من اهاليها العرب واعتمد بعضهم وتنصروا وبقي البعض الآخر على ما كانوا . غير ان اولادهم تنصروا جميعاً .

وفي السنة التالية وصل نيقيفور الى آمد وحاصرها ولم يتمكن من الاستيلاء عليها . ثم انطلق الى انطاكية وحاصرها اياماً كثيرة فامتنت عليه فاخرّب الدساكر والحدائق المجاورة لها وانطلق .

وبعد سنة توفي سيف الدولة امير حلب بداء الحصاة وتوفي كذلك معزاً

الدولة امير بغداد بقاء الاسهال وخلفه ابنه عز الدولة. وفي السنة ٣٥٦ للعرب
عينا (٩٦٦ م) انقضت ابو تغلب على ابيه ناصر الدولة امير الموصل وهو راقد
في فراشه وبعث فحبسه في قلعة كواشي . واقام رجلاً كردياً ورجلاً ثانياً كان
قد طرده الناصر غير مرة ليحرساه ويكتبنا عنه كل الاخبار . وعندما كان
يستخبرهما (١٩٠) عن اولاده وعن ابنه الكبير الذي حبسه كانا يقولان له : هل
تريد طعاماً ام شراباً ؟ لا تطالبنا باكثر من هذا . قيل انه لما كان يوماً يتششى معها
على الجسر انتبه وتفرس في دجلة وقال لها : هل تنويان ان تفرقاني ؟ قال له : كلا
بل سننقلك الى قلعة كواشي . فقال لها : كنت انوي ان احبس فيها ابني فسبقتني .
وقرر ابو تغلب ان يؤذي ما كان يؤذيه ابوه من الخراج لبغداد . وحالفه عز الدولة
امير بغداد . وتولى ابنه ابو المعالي مكان سيف الدولة امير حلب وحمص .

وفي السنة ١٢٧٩ لليونان (٩٦٨ م) وهي السنة ٣٥٧ للعرب زحف فريق
من الخراسانيين في ثلاثة آلاف من عرب انطاكية الى قبدونية فلاقاهم اربعون
الفاً من الروم وقتلوا بالكثيرين من الخراسانيين والانطاكيين وقبضوا على
الكثيرين . فحرد الانطاكيون واجهزوا على بطريك الخلقيدونيين (الانطاكي)
وقبضوا اغلب كنائس انطاكية . ثم زحف الروم الى سروج وغنموا ثلاثمائة عربي
وعدة وافرة من البهائم وارتملوا . ومات ناصر الدولة في تلك السنة مجبوساً في كواشي
ونقل الى تل التوبة تجاه الموصل وشيعه اولاده جميعاً وهم حفاة ودفنوه هناك .

وفي هذه السنة عثروا لابي العلاء سليمان بن وهب بن سفيان الفقيه المسيحي
البغدادي على ثلاثمائة وخمسين الف درهم عند احد الصيارفة وعلى اثني عشر
الف خابية خمر في بيته فاستزفوا منه مائة واربعين الفاً من الفضة وأغضوا عنه .

واختلف الخراسانيون والعرب هذه السنة في انطاكية واقبل الروم وسبوا
من ضواحيها اثني عشر الفاً من رجال ونساء وفتيان وفتيات .

وبعد سنة اعني السنة ١٢٨٠ لليونان (٩٦٩ م) وصل الروم الى كفرتوت
وأجلوا ثمانمائة شخص في غنائم وافرة وساروا الى حمص وشاهدوها (١٩١) خالية
من السكان فاضرموا فيها النيران وانصرفوا . وفي السنة عينها حدث غلاء
في بغداد وبيع كور الحنطة بتسعين ديناراً . وظهر جراد كثير ببلد الموصل .

وما عم ان زحف نيقيفور ملك الروم وحاصر انطاكية ثم سار الى طرابلس وأحرق كل ما في ضواحيها من الابنية . وتوجه الى قلعة غزوة الحصينة واحتوى على شي . كثير مما فيها ثم اقبل وحل ما بين حمص وحلب واقام شهرين يغزو ويسبي دون ان يعارضه احد . وقد احصي من عنده من الاسرى فكانوا الفأ من فتيان وقتيات ولم يقبض على شيخ او عجوز بل قتل البعض وأبقى على البعض الآخر . ولولا تفشي الوباء عسكره لدوخ حاب وانطاكية معاً . وكان ينوي التوجه الى اورشليم لكنه لم يتيسر له ذلك بسبب ما احاق بجنوده من الوهن والكلال بعد ما قتلوا وغنموا ما غنموا مما فاق حد الكثرة .

وفي السنة ١٢٨١ لليونان (٩٧٠ م) وهي السنة ٣٥٩ للعرب اتفق الروم سرّاً مع نصارى حصن لوقا المجاور لانطاكية فاشاروا عليهم ان يذهبوا الى انطاكية ويتظاهروا بانهم منزهون من وجه الروم ويقيموا هناك ريثما يصل الجيش الرومي فيساعده على فتح المدينة . ولما تم لهم ذلك وصل اخو نيقيفور الملك بعد شهرين في أربعين الفاً وأخذقوا بالسور وساعدهم اهالي حصن لوقا من ناحية الجبل . فدخل الروم انطاكية وقتلوا فيها خلقاً كثيراً ثم افرزوا الشيوخ والعجائز والصفار وخيروهم في الرحيل الى حيث شاؤوا وابقوا على عشرين الفاً ونيق من الشبان والشابات والفتيان ورحلوهم الى بلاد الروم . ثم وجهوا عشرة آلاف فارس الى حلب وتطوع الحلبيون بتأدية جزية معاومة للروم كل سنة . فاخذ الروم منهم ثمانية اشخاص بمثابة ودائع وانصرفوا .

واشتهر في تلك الغضون الملك نيقيفور في حروبه شهرة واسعة (١٩٢) بحيث احتل كل مدن قيليقية وانطاكية وسوريا وهابيه العرب كافة . غير انه أعجب بنفسه واقترن بتوفانة الملكة ارملة الملك رومانس على كره منها . ولم يكتف بذلك بل حاول ان ينجي ابنها باسيل وقسطنطين ليقتضي على ذريتها ويتسلسل ملوك الروم من ذريته . وما ان وقفت توفانة على دخيلته حتى فاضت احشاؤها على ابنها فعقدت مؤامرة مع شومشكين الدمستق سرّاً وادخلته بزي النساء مع فريق من الابطال الى كنيسة البلاط ليلة عيد الميلاد الخلاصي . ثم اخبرت نيقيفور انها استدعت النساء صواحبها ليقتضين عندها تلك الليلة في

الكنيسة لتسلي معهن . ولما استيقنت انه غرق في نومه فتحت الباب لشومشكين واصحابه فدخلوا وفتكروا به في فراشه وقضوا كذلك على حياة سبعين رجلاً او اكثر من حراسه . هذا ما رواه المؤرخون الاثبات . اما ما ذكره المقبوط البطريوك ميخائيل نقلاً عن تاريخ اغناطيوس مطران ملطية وهو انها قتلته لانه لم يدمن مضاجعتها فلا صحة له . والبرهان ان توفانة بعد قتل نيقيفور لم تقترن بشومشكين الذي قتله ولا بغيره .

وفي السنة ٣٦٠ للعرب (٩٧٠ م) صودف رجلان عربيان مقتولان ليلاً في المسجد المجاور لديور رهبان مار ميخائيل النساطرة بالموصل . فاستترف ابو تغلب بن ناصر الدولة بسبب ذلك مائة وعشرين الف درهم من النصارى .

وفي السنة ٣٦٢ للعرب (٩٧٢ م) زحف الدمستق في جيشه الى نصيبين وقتل خلقاً كثيراً . وظل ٢٢ يوماً يسي ويغزو ويحرب . ولما عول على التوجه الى آمد كتب صاحبها هزرمرد الى ابي تغلب امير الموصل فسير اليه عساكر كثيرة مع اخيه وحاربوا الروم وتغلبوا عليهم . وقبضوا على الدمستق وأرسلوه أسيراً (١٩٣) الى الموصل وانهزم اصحابه الروم . وقد ابدي ابو تغلب للدمستق عطفاً جزيلاً رغبة منه في توطيد الحب مع الروم . غير ان دملة خبيثة تفشت فيه وقضت على حياته .

ولما بلغ اهالي بغداد ما حل بنصيبين من السبي والقتل هاجرو وهاجرو وتاروا على الخليفة المطيع وجعلوا يستهزئون به بسبب تغاضيه عن المكافحة في سبيل العرب واطلقوا السهام في داره وعلى عبيده . وسار بعض الاعيان المشاهير الى الكوفة يريدون الامير عز الدولة والحواء عليه كي يجهز العسكر ويوجههم ليحاربوا الروم . وفي السنة ٣٦٣ للعرب (٩٧٣ م) أصيب الخليفة المطيع بداء الفالج وثقل لسانه وتعذرت عليه الحركة . فاضطره سبكتكين احد عظماء بغداد ان يخلع نفسه ويبايع ابنه الطائع بالخلافة .

وفي هذه السنة مات الطبيب ثابت بن سنان بن ثابت الحراني الصابي وخلف تاريخاً معتبراً بدؤه منذ السنة مائتين وتسعين للعرب حتى آخر أيامه . ولولا تاريخه هذا لأمت اغلب اخبار ملوكهم طي النسيان . فهو الذي حفظها وعنه نقل المؤرخون من بعده .

بعد المطيع الطائع ابنه

تولى سبع عشرة سنة وتسعة شهور . وقد رفع منزلة سبكتكين الذي بايعه ولقبه ناصر الدولة . وحدث خلاف في الشعب لان العرب السنة والاتراك كانوا مع سبكتكين والعرب الشيعة والديلم مع عز الدولة . وقد قُتل خلق كثير من الطرفين واجتاحت دور كثيرة .

وفي السنة ١٢٨٦ لليونان (٩٧٥ م) أقبل ايوني شموشكين ملك الروم الى سورية واحتل حمص وبعبك . ولما انتهى ان يزحف الى دمشق كتب ابن الزيات احد اقطاب سورية العرب الى الفتيان صاحبها الأيناوش الروم (١٩٤) لانهم اقوياء . فامثل المشورة وبعث الى ايوني يعده بالطاعة وتأدية ثلاثمائة الف درهم جزية . فوافق الملك على ذلك . ولما شارف المدينة خرج الفتيان الى لقائه وترجل وقبل الارض امامه غير مرة . فسّر الملك وأركبه واكرمه وأمر ان يطارد حصانه امامه ويبيدي فراسته . ففعل واثني عليه الملك . فانحدر الفتيان وقبل الارض فأمره الملك ان يركب ثانية وتحملي له عن جزية سنة . فانحدر ايضاً وقبل الارض . فطلب الملك حصانه وسلاحه ورمحه فدفعها له وازاد اليها اشياء اخرى وعقاقير وعشرين حصاناً ورماحاً كثيرة . لكن الملك اكتفى بحصان واحد ورمح واحد لا غير ورد له البقية شاكرًا ووشحه بجلة فاخرة وأتحفه بمصوغات واوان فضية وبفسال وانصرف الى صيدا وخرج الاهالي طائعين وادوا له التقادم . فغادرهم الى بيروت وفتحها بالسيف وسبي اهله وانطلق الى جبلة فناهضه اهاليها فاحتلها بالسيف وسبها وانصرف الى طرسوس . وهناك سقاه شقيق توفانة الملكة سماً . فاشتدت علته وبادر الى العاصمة وفيها خلت وفاته . واستغرق ملكه اربعة اعوام . وكان ملكاً محنكاً بالجندي قوي الجسم شجاعاً مظفرًا في الحروب وقد ابدى الشهامة والعطف لكل احد وأطلق الاسرى وشاد كنيسة فخمة في عاصمته . واحتل مدناً وبلاداً شتى . فتأسف عليه الكبير والصغير اشد التأسف . وخلفه باسيل وقسطنطين ابنا الملك رومانس ثمانى وخمسين سنة وعاشا معاً برفاق تام . واقام قسطنطين

في العاصمة وتولى بأسيل شقيقه مناوشة العرب لانه كان منجّذاً بالحروب .
وفي السنة ٣٦٧ للعرب (٩٧٢م) فاض دجلة عشرين ذراعاً فوق المعتاد
وتدفقت المياه من آبار بغداد وبواليعها وانتقل اهلها الى السفن ولزموها ليل
نهار وهبطت دور كثيرة .

واقام الملكان الشقيقان دمستقا يقال له وردوس انتقض عليها وحاول
ان يستبد بالبلاد التي اخذها الروم من العرب . ووجه اخاه سفيراً الى عضد
الدولة امير بغداد لينجده ويسعى لتأييده في بلاد الروم الشرقية ووعده بالطاعة
طول حياته . ووجه الملكان كذلك سفراء الى العرب يُجرضانهم ان يفضا
اقتراح وردوس العاتي فأعمل عضد الدولة الروية وقضى بوجوب مساعدة الملكين
وتظاهر بعطفه على وردوس ومساعدته في كل شيء . وبعد هذا وجه الملكان
العساكر لمناوشة وردوس . فكتب وردوس الى عضد الدولة وزحف الى الحدود
في عدد قليل مطشناً واثقاً به . لكن عضد الدولة اشار الى زعماء العرب فقبضوا
عليه وعلى اخيه وعلى من معه ومضوا بهم الى بغداد وحبسوهم هناك زمناً مديداً .
وفي السنة ٣٧٢ للعرب (٩٨٢م) مات عضد الدولة امير بغداد . وكان
في زمانه علي بن العباس الطيب فصنّف له كتاباً اسماه «الملكي» باسمه لان
الامراء المشاركين للخليفة في الحكم كانوا يلقبون بالملوك . وعاش في ذلك الزمان
كذلك ابو سهل المسيحي الطيب الفاضل في خراسان وهو مصنف الكتاب
المشهور بالمائة مقالة وغيره من الكتب . وعليه قرأ الشيخ الرئيس (ابن سينا)
ومات في السن الاربعين وخلفه صمصام الدولة اخوه .

وفي السنة ٣٧٣ للعرب (٩٨٣) حدث غلاء في بغداد حتى بيع كور الخنطة
باربعة آلاف (١٩٦) وثمانين درهماً والشعير بالفين واربعين وهلك خلق كثير جوعاً .

وفي السنة ٣٧٦ للعرب (٩٨٦) دخل صمصام الدولة ليحيي الخليفة الطائع
وهو مستور على عرشه ويهتثه بالعيد . وقبّل الارض ثم انتصب الى يمين العرش .
ودخل الاقطاب بعده وصنعوا مثلاً صنع . ثم اقبل الشعراء وجعلوا يقرظون
صمصام الدولة بقصائدهم ويفضّلونه على الاقطاب فامتعضوا وتشاوروا سرّاً مع

شرف الدولة احدثهم والقوا القبض على صحمام الدولة وبعثوه الى قلعة ببلاد العجم وفاقأوا عينيه وتولى شرف الدولة الامارة . ولم يبق للخلفاء في تلك الاونة سوى الاسم والمناداة بخلافتهم . واصبحت جميع الاوامر والجنود والخزائن بقبضة الاعاجم .

وفي السنة ٣٧٨ للعرب (٩٨٨ م) اجتمع شرف الدولة بفلاسفة العرب وابتنى برجا لرصد حركات الكواكب وضبط آلاتها ودوايرها النحاسية اقتداء بالخليفة المأمون وولى ابا سهل يحيى بن رستم الجيلي ليشرف على العمل .

وفي تموز هذه السنة هبت ريح حارة من الجنوب واجتاحت الكثيرين في الطرق وأتلفت الملاحين بغتة في نهري بغداد .

وفي السنة ٣٧٩ للعرب (٩٨٩ م) مات شرف الدولة وخلفه ابو نصر .

وفي السنة ٣٨٠ للعرب (٩٩٠ م) احتل سورية باجمعها العزيز خليفة مصر واستعمل عليها رجلا نصرانياً مضرانياً يقال له عيسى بن نسطور . وكان عيسى فاضلاً متضلماً من الفقه وملاً الخزان الملكية اموالاً وافرة . واقام العزيز في سورية كذلك كاتباً يهودياً اسمه منسى بن القزاز . وهذان الكاتبان استغنيا عن فقهاء العرب ونصبا بدلاً منهم كتائباً نصارى . على ان فقيهاً عربياً أسنى مبلغاً معتبراً (١٩٧) لامرأة مسكينة نحيفة ودفع اليها قرطاساً كتب فيه ما كتب وأشار اليها ان تقف حيثما يمر الخليفة وتنادي بانها مظلومة وتدفع له القرطاس وكان فحواه: استخلفك بالله يا من عززت النصارى بعيسى بن نسطور واليهود بمنسى بن القزاز وذلت العرب ان ترفق بي . قرأ العزيز تلك الكلمات وتبصر في معناها وارسل يطلب المرأة فلم يعثر عليها احد . فسخط وجس عيسى ومنسى كليهما . وكان اهل البلاط جميعاً يحبون عيسى فسألت ابنة الملك العزيز اطلاق سبيله . فدفع عيسى ثلاثمائة الف دينار وعاد الى منصبه .

واستبظ اهالي تكريت يومئذ ما وضعه عليهم الولاة الظلام من الضرائب فانترحوا عن وطنهم وتشتوا في البلاد وشادوا في كل مكان حلوا فيه كنائس وديورة وأغنوها . واشتهر منهم خصوصاً ثلاثة اخوة كرام من آل ابي عمران

اقبلوا الى ملطية وشادوا فيها كنائس واديارا للراهبات وابتنوا في ضواحيها ديورة للرهبان . وجعلوا يوزعون كل يوم الحسنات على المساكين من الصباح حتى الظهر . فحسداهم باسيل ملك الروم على نعمتهم واضطربهم ان يسكوا للدولة دنانير سنة واحدة ففعلوا ولم تنقص ثروتهم . ثم احتاج اليهم وقرع بابهم وسألهم قرضة فلبوا طلبه بكل ارتياح ودفعوا له مائة قنطار ذهباً ورد اليهم المبلغ كله لانه كان متصفاً بالعدل والاستقامة . ولما غزا الاتراك بلاد ملطية اقبل الشيخ ابو سالم اخوهم الكبير من الدير وكان الاتراك قد حبسوه هناك فقالوا له افتد نفسك لانك غني . فقال لهم : اني مستعد ان اشترى الغنيمة كلها ان شئتم ان تبيعوها . فضحكوا وقالوا : كم تؤذي ؟ قال : عن كل شخص اؤذي خمسة دنانير . قالوا : اشترينا (١٩٨) وطأنوه . فبعث وأحضر الذهب ودفعه اليهم وأنقذ خمسة عشر الفاً من الأسرى . ذكرنا هذا بايجاز دلالة على ما كان عليه ابناء جماعتنا يومئذ من الجاه والثراء وما صاروا اليه من التمس والشقاء .

وفي هذه السنة عُزل الامير ابو النصر وخلفه الامير بهاء الدولة فطمع باموال الخليفة الطائع وتآمر سرّاً مع الديلم فثاروا عليه وهو مستر على عرشه وجندلوه ولفوه بساط كان تحته . ثم اخذوا خطاً يده بتزله عن الخلافة وأحضروا ابا العباس احمد بن اسحق بن المقتدر وبيعوه عام ٣٨١ للعرب (٩٩١م) وكتبوه القادر .

بعد الطائع القادر

تولى احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر . وفي السنة ٣٨٢ للعرب و١٣٠٤ لليونان (٩٩٣م) احتل الروم خلاط وملازكرد وارغيش . ورضي ابو علي القائد الارمني ان يؤذي لهم الجزية فتركه الملك باسيل بارميدية وعقد معه الهدنة لثلاث سنوات .

وبرز في تلك العصور جمهور غفير من الارمن المدعويين سينا كريمة اي سنطاريين وتحلوا عن حصونهم لباسيل ملك الروم فاعطاهم بدلاً منها بسببية قبدوقية فتولواها بطارقة ارمن وانتشروا فيها وفي قيليقية وسورية . قيل ان

ادرمك وشراصر بعدما فتكا بسنحاريب ابهما انزما الى جبال كردستان
وامتجوا بالارمن ولذا لقبوا سنحاريبين .

وفي هذا الزمان وعك سعد الدولة امير حلب ومات . وأوصى ان يخلفه
ابنه ابو الفضائل ويناظره لؤلؤ القائد . فتاقت نفس العزيز خليفة مصر الى
احتلال حلب وابتزاز خزائنها ووجه اليها عبده منجوتكين في ثلاثين الف فارس
(١٩٩) . فاستغاث لؤلؤ بالروم لان بغداد لم تنجده . وبعث سفيراً الى الملك
باسيل يتذلل له ويطلب عسكرياً فسير اليه خمسين الفاً خيالة ورجالة . ولما
وصلوا الى نهر الارنط اعني العاصي بجانب انطاكية أسرع المصريون وعبروا
النهر واطبقوا على الروم وكسروهم وساروا الى حلب وحاصروها . فاحتال
لؤلؤ ورشى منجوتكين بذهب وافر فاغض عنه وسار الى دمشق وكتب الى
العزيز ان الجوع فتك بمن معي فاقبلت الى دمشق بالبقية ريثما نستجمع القوى
فنعود الى حلب . فسخط العزيز اذ سمع انه انما ذهب الى دمشق لا للاستراحة
بل للتزء وهو بعد في شرح الشباب . فعزله واقام بدلاً منه قائداً يقال له رُدبريا
ووجهه الى حلب . فابتاع رُدبريا ذخيرة للجنود من الاسكندرية وانطلق الى
اقامية وخزن فيها مائتي الف قفيز حنطة وشعيراً وجعل المساكر يسرون من
حلب مسافة خمسة وعشرين فرسخاً وينقلون العلف لحيلهم . وظلوا يحاصرون
حلب ١٣ شهراً وابتدوا لهم حمائم وفنادق وحوانيت وتغاقم الجوع ضمن المدينة
واشترى لؤلؤ القفيز بثلاثة دنانير وباعه من الحلبيين بدينار واحد حرصاً على
حياتهم . ثم احتال فارسل تكراراً الى الملك باسيل يقول : إلم تستعجل في
ارسال الجيوش فسيحتل المصريون حلب ولن يتركوا لك انطاكية كذلك .
فحشد الملك ثلاثين الفاً قطعوا مسافة ثلاثمائة فرسخ في ستة عشر يوماً ووصلوا
الى مرابض المصريين وكانت خيولهم ترمي مروج الربيع . ثم ارسل لؤلؤ الى
دُبريا يقول : تدعوني العربية التي تربطني بك الى الشفقة عليك وعلى عسكري .
فاحذر لنفسك (٢٠٠) وانقذ العرب من فم السيف . واعلم ان الملك باسيل قادم
بذاته لينقض عليك . ثم انساب بعض الجواسيس وبلغوه الامر فشله الرعب
واجفل عسكريه وتركوا ائقاهم وأفلت كل منهم بحصانه . ووصل الروم واحتوا

على ذخائرهم . وسار ابو الفضائل ولؤلؤ للسلام على الملك وقدم له التمام . وترك الملك حلب وانطلق الى قلعة سيرين ودونها . ثم سار الى حمص ودونها كذلك وأجلى منها عشرة الاف نسمة ونيفاً . وتوجه من هناك الى طرابلس وحاصرها اربعين يوماً فامتنت عليه فتركها وعاد الى عاصمته .

اما العزيز خليفة مصر فحلق كل الحلق وحشد جيشاً ضخماً ينوي الزحف بذاته الى حلب ليحتلها . لكن القولنج الذي كان ينتابه لم يسوغ له الزحف مدة سنة كاملة . واخيراً سار عشرة فراسخ من مصر الى بليس وهناك عاجلته المنون وتولى ابنه الحاكم الخلافة من بعده على مصر والمغرب عام ٣٨٦ للعرب (٩٩٦ م) . وقتل في تلك الاثناء عيسى بن نسطور في مصر وتولى مكانه ابو العلاء . فهد بن ابراهيم اليعقوبي القبطي . وكان كاتباً لبرجوان الحاجب الابيض قائد السكر وهو الذي نصبه رئيساً على الكتاب . وكان المسيحيون يومئذ متولين شؤون الوزارة في الدولة العربية المصرية دون ان يضطروهم احد الى جحود دينهم بخلاف ما يجري في عصرنا اذ ان العرب لا يسيطرون الوزارة الا بمن ينضم الى الاسلام .

وفي السنة ٣٨٧ للعرب وهي السنة ١٣٠٨ لليونان (٩٩٧ م) توجه دوقاس الدمستق الى افامية وحاصرها وضيق على اهاليها حتى بيع الكلب بدينارين ذهباً . واقبل اذ ذاك ابن صحامة قائد الجيش المصري الى القلعة ليحرسها فتبعه الروم وفتكوا بالفي رجل من اصحابه وانهزم بقيتهم .

اما الدمستق وابناه وعشرة من فرسانه فقد تسلقوا تلاً (٢٠١) ليشرفوا على اشتباك الجيش الرومي بالجيش العربي وانهزام العرب من وجه الروم . فظهر اذ ذاك رجل كردي اسمه ابن كافا قصد ذلك التل راكباً حصاناً عربياً ومدججاً بدرع ويده رمح . فظن دوقاس انه قادم ليطلب الامان له ولاصحابه فلم يكثرث له . غير ان الكردي فاجأ دوقاس برمحه وشق درعه وطعنه بين اضلاعه وفتك به وانقلب راجعاً . فبادر الروم الى قائدهم وقد سقط عن حصانه واوقعوا صيحة في الجيش بان الدمستق قد صرع . ورجع العرب فاثقوا ابن الدمستق واستصفوا منه ستة آلاف دينار . وفتك العرب بعشرة

آلاف من الروم ونقلوا رؤوسهم الى مصر . ثم ساروا الى انطاكية وسبوا وقتلوا واحرقوا الدساكر وتوجهوا ثانية الى دمشق واحتلوا وكانت حتى هذا العهد في حوزة خلفاء بغداد .

وفي هذه السنة انتفض على العرب رجل في صور اسمه علاقة ولاذ بالروم قبض عليه المصريون ومضوا به الى مصر وسلخوه وهو حي وحشوا جلده تبناً وعلقوه .

وكان في ذلك الزمان رجلا نصرانياً كاتبان في مدينة دقوقة استبداً بها وببلدها . واتفق ان جبرائيل بن محمد القائد الفارسي مر من هناك قاصداً بلاد الروم للغزو فخرج اليه الاهالي قائلين : لا حاجة الى الذهاب بعيداً فان عندنا رجلين نصرانيين يتعديان علينا اكثر من الروم لو احتلوا بلدنا فظاهر بطشك ان امكنك . فغار جبرائيل وأجهز عليها واستبد بالمدينة متفقاً مع اهاليها واطلقوا عليه لقب «دبوس الدولة» .

وفي شتاء السنة ٣٨٩ للعرب (٩١٨ م) حدث برد قارس اجتاح الوف اشجار النخل ببغداد ولم يبق منها شيء . من الشجر الا بعد اعوام كثيرة (٢٠٢) . وفي هذه السنة سخط الحاكم خليفة مصر على برجوان الحاجب وقتله . مع ان هذا الحاجب كان يعطف على الحاكم لا يدعه يركب لغير ضرورة او يعطي احداً عطية دون استحقاق . فتأثر المصريون تأثراً شديداً وضجوا وثاروا وسارعوا الى باب البلاط فحافهم الحاكم وقصد عليّة ووقف عند احد ابوابها وحيّاهم بالسلام ثم قال : قد استبان لي غدر من برجوان فقتلته . والآن ارجو ان تكونوا معي لا عليّ لاني فتى بعد . وبكى امامهم ولاطفهم فتركوه وانصرفوا . وبعد هذا استدعى الحاكم فهدا النصراني الكاتب ووشحه بجلّة ملكية ترطيباً لقلوب الاهالي وقال له : كن مطمئناً وتولّ توزيع ارزاق الدولة .

بيد انه ما مرت ثلاث سنوات حتى ناهض ابو طاهر وابن عداس الكاتبان العربيان فهدا المذكور واقتريا عليه لدى الخليفة الحاكم فزجرهما ولم يكثرث

لدعواهما . ألا انها اتفقا بعد ذلك مع فريق من اصحابها وجددوا الدعوى على النصارى فأمر الخليفة بقتل فهد على كره منه . وكان فهد اميناً جداً مستقيماً وعزيزاً على قلب الحاكم . فلم يرَ ألا ان استحضر ابناه ووشحهم بحلل ملكية وأمر ان لا يتعدى احد عليهم وعلى دورهم . فاستشاط ابن عداس وابو طاهر واستقلا بسورية وعاملا النصارى والعرب اقبح معاملة وفرضا عليهم ضرائب باهظة كي يتسنى لهما ان يؤديا ما ضمننا للحاكم . وكان لاخت الخليفة كاتب قبطي في سورية ارسل يشكو لها أبا طاهر وكان اخوها الحاكم يُعزها جداً ويسمع لها . فدخلت وبكت لديه وحصلت منه امرأً بالاجاز على ابي طاهر المذكور وارسال رأسه الى مصر وقد جرره الصبيان في الازقة آشفياً .

وامر الحاكم كذلك بقتل (٢٠٣) ابن عداس . فليكن ذكرهما للعنة واستراح منها العرب والنصارى . وخلفها في الكتابة منصور بن عبدون النصارى فابفضه الاقطاب وتحاملوا عليه وعادوا النصارى بسببه وعذبوا كتاباً كثيرين حتى اجزوا عليهم والقوهم للكلاب . ونسكلوا منصور عينه حتى ظلوه قدمات وألقوه للكلاب لكن بعض الرجال مرؤا من هناك وحملوه على آخر رمق الى داره وقد رذه الخليفة الى منصبه بعدما تعافى واطلق عليه لقب الكافي .

واصبح الناس جميعاً يهابون الحاكم وختت مصر من المجرمين وراح الاهالي يفتحون ابواب حوانيتهم ليل نهار والحاكم يطوف المدينة راكباً لا يتجرأ أحد ان يقف او يسلم عليه . وكانت المصاييح مضيئة طول الليل في عهده كأن الليل نهار .

وفي السنة ٣٩٢ للعرب (١٠٠١م) ثار العرب على النصارى في بغداد ونهبوا بيوتهم وتصدوا للكنائس فاضرموا النيران في كنيسة اليعاقبة بجانب قطيعة القمع . فاندلقت والتهمت كثيرين من العرب رجالاً ونساءً وصبياناً في جملتهم الذين اضرموها فأمسوا عبرةً للناظرين .

وبعد سنة ظهر جراد كثير ببلد الموصل وبغداد ولاسيما في شيراز اجتاح الاعشاب واوراق الاشجار بروتها وعاث باقشة القصارين حتى أمست رقماً رقماً اعادوها هكذا الى اصحابها . وحدث كذلك غلا . شديد حتى بيع كور الحنطة في بغداد بمائة وعشرين ديناراً . وبدت في الجوا عمدة نارياً من القطب الشمالي

حتى قبة الفضاء . وظهر في السنة ٣٩٦ للمغرب (١٠٠٥ م) نجم في برج العقرب شكل الزهرة كبراً وبهاء اخذت اشعته تتموج وتندير كالقمر وظل كذلك اربعة اشهر واضمحل . وسقط عام ٣٩٨ للمغرب (١٠٠٧ م) ثلج في بغداد مكث نحو اسبوع على وجه الارض وبلغ علوه ذراعاً او ذراعاً ونصف ذراع . واتلجت كذلك في ارض سنعار جمعا ، اعني في البصرة وعبادان ومهربان وجنابة مما لم يسمع بمثله في قديم الاحقاب .

وفي هذه السنة حدث رخص وافر وبيع كور الحنطة باثني عشر ديناراً . وحدثت زلزلة هائلة في مدينة دينور اجتاحت دوراً جمّة ، وأخرجوا من تحت الانقاض ستة عشر الف قتيل سوى من انشقت الارض وابتلعتهم . وهبت ريح سوداء في تكريت ودقوقة اثلقت بيوتاً عديدة واقتلعت اشجار النخل والزيتون برمتها واغرقت مراكب كثيرة في بحر فارس .

وفي ٧ شعبان هذه السنة توفي ابو العلاء بن زرعة الفيلسوف النصراني ببغداد . وفي هذه السنة عينها جاهر بالاثان المسيحي اهالي كريت احدى مدن الاتراك القاصية تنصروا واعتمدوا باعجوبة حدثت لملكهم .

وفي هذا الزمان أمر الحاكم خليفة مصر ان تقوض كنيسة القيامة باورشليم من اساساتها وتُنهب كل امتعتها ، وذلك الوفاً من كنائس مملكته . وأمر المؤذنين ان ينادوا بان النصراني الذي ينضم الى دين العرب يكرم والذي لا ينضم اليه يحتقر . وأمر النصارى ان يعاقوا في اعناقهم صليباً واليهود شكل راس عجلر إشارة الى العجل الذي صنعه آباؤهم في البرية وسجدوا له . ونهاهم عن وضع الخواتم في الاصبع اليميني وعن ركوب الخيل والاقتصار على ركوب البغال والجحاش في سروج عادية وركب خشبية . وألفن ألي امتثال امره لزمه ان يرحل في ماله الى بلاد الروم . على ان النصارى الذين لم يرحلوا ولم يحددوا دينهم اعاقوا في اعناقهم صلباناً ذهبية وفضية واتخذوا لدوابهم سروجاً فاخرة ملونة . فسخط الحاكم واصدر الامر بقتل النصراني الذي لا يعاق في عنقه (٢٠٥) صليباً خشياً وزنه اربعة ارطال بغدادية وقتل اليهودي الذي لا يعاق

بعنقه خشبة شكل يد الجرس وزنها ستة ارطال . وان النصارى واليهود متى دخلوا الحمامات لزمهم ان يربطوا في رقابهم اجراماً صغيرة تميزاً لهم عن العرب .
 آثار هذا الاضطهاد رجلٌ مبغضٌ للنصارى فأخبر الحاكم الخليفة بانهم عندما يجتمعون للاحتفال بعيد الفصح في كنيسة اورشليم يجتال وكلاؤها فيدهنون بالزيت سلسلة الحديد المعلق بها قنديل القبر . وبعد ان يجتم حاكم العرب باب القبر يوقدون من السطح ناراً في راس السلسلة فتجري حتى تصل الى القبلة وتضيئها ويصرخ الحاضرون كيريايسون ويبكون كأنهم شاهدوا النور هابطاً من السماء على القبر ويسخون في ايمانهم . وظل الخليفة الحاكم مسترسلاً في ضغطه على النصارى واليهود حتى ندم على فعلته هذه قبل وفاته واضطرهم ان يعود كل الى دينه . ورخص للنصارى فابتنوا كنائسهم أحسن مما كانت قبل .
 وعاد المنهزمون الى بيوتهم من بلاد الروم .

وفي ٢٦ شوال ٤٠٠ للعرب (١٠٠٩ م) توفي ابو نصر بشير بن هرون بن الجنال الكاتب النصراني في بغداد . وفي السنة التالية كتب قرواش بن المقلد صاحب الموصل الى الحاكم خليفة مصر أن جراداً كثيراً ظهر هناك وأن العرب المديين يتلصصون في كل ناحية . وأن الطاعون يفتك بالاهالي والغلاء متفام بخراسان حتى يبيع رطل الخبز بدينار ذهباً وأكل الناس الكلاب والحنافس ثم أجهزوا على الرضعان والفتيان وعلى من كانوا يشاهدونه سميناً بادناً فيقتلونه ويلتقمونه .

وفي السنة ٤٠٣ للعرب (١٠١٢ م) توفيت امرأة ابي نصر بن اسرائيل الكاتب المسيحي في بغداد وشيعوها وقت الضحى (٢٠٦) في الصلبان والشمعات والقسآن والرهبان يصلون والنساء يندبن بالدفوف . وان رجلاً عربياً رجم النعش بالحجار فسخط عبيد الأمير مناصح وكانوا محيطين بالنعش يجرسونه وضربوا بالسيف ذلك العربي . فهاج الاهالي وماجوا والتحم القتال ووقع قتلى كثيرون من العرب والنصارى . وانهم ابو نصر زوج المتوفاة الى بيت الامير مناصح . ولم يهدأ الهيجان حتى استسلم ابو نصر وذهبوا به الى دار الخليفة فحبسه برهة ثم اطلقه وشمل الفرح جميع المسيحيين .

وبعد سنة ظهر جراد كثير يبغداد ملاً الارض وحجب الجو واجتاح الاشجار والنبات . وجعل الفلاحون يطردونه بالطبول والايواق .

وفي السنة ٤٠٥ للعرب (١٠١٤ م) حرج الحاكم خليفة مصر على المرأة الخروج من بيتها والاشراف من الباب او من النافذة والسطح على الغادين والرائحين . ونهى السكافين ان يخطوا احذية نسائية . وقد ساقه الى ذلك اطلاعه على فواحش المصريات وخلاعتهم . وتذرع في اول الامر بعبائر اتخذهن جاسوسات ينسبن ويدخلن البيوت ويطلعن على اسرار النساء ويخبرنه عنهن وعن مختلف اليهن . وكان الحاكم يبعث حاجبه مع الجنود الى بيت كائنه من كان من الاعيان او العامة فيقولون له : اخرج لنا فلانة ويستون اسمها امرأة او اختاً او بنتاً ويمضون بها اليه . وكان اذا اجتمع عنده خمس او عشر منهن أمر باغراقهن في نهر النيل . ومن ثم افتضحت اسرار العواهر المصريات وأمسين هدفاً للعار والشنار ووقع رعب الحاكم على الرجال والنساء اكثر من فرعون .

واضطرب الاهالي اعواماً على مثل هذه الشدة حتى كتب زعماء الجوار الى الحاكم يقولون : ان ارامل كثيرات لا احوه ولا بنين ولا اهل لمن يهلكن جوعاً وعرياً ضمن بيوتهن ولم يبق من يشتري لمن قاشاً يشتغلنه او يتولى بيع ما ينسجنه . حينئذ (٢٠٧) أمر الحاكم ان يطوف الساهرة في البيوت وان تفتح المرأة باب بيتها وتعرض عليهم البضاعة بالآلة دون ان تظهر وجهها او كفتها وتقبض ثمنها بالآلة عينها . ونهى النساء نهياً مطلقاً عن مفادرة بيوتهن وعن الذهاب الى الحمام . وظل يواصل تلك الاوامر الشاذة حتى قتل .

وفي السنة ١٣٢٥ لليونان (١٠١٤ م) برز من الشعوب الصينية اثنتان وعشرون قبيلة منها قبيلة الخطا وعددها مائتا الف وقبائل غيرها عددها ثلاثون الفاً او خمسون الفاً وزحفوا الى بلاد الهونيين . فسار اليهم احمد بن علي بن قراخان سلطان بخارى وناوشهم ونهب خيامهم واحتوى على الشيء الكثير من آنية الذهب والفضة والاقمشة الحريرية . وكانت قسيهم وسهامهم اطول شهراً من المعتاد .

وفي السنة ٤١٠ للعرب (١٠١٩ م) مات ابن قراخان سلطان بخارى وخلفه خوارزمشاه محمود بن سبكتكين وسار الى الهند واجتاح هناك مدناً كثيرة وغنم غنائم وافرة وعاد راجعاً .

وقادى الخليفة الحاكم حتى السنة ٤١١ للعرب (١٠٢٠ م) في الضغط على المصريين حتى كرهوه وأبغضوه جداً وجعلوا يكتبون رقاعاً يحشونها سباً وذمماً وتمكناً به وبذسائه ويفلقونها ويدفعونها له ليلاً وهو راكبٌ ويختفون . وأفضى بهم الامر الى ان صنعوا من الهردى شكل امرأة باسطة يدها وبين اصابعها رقعة مكتوبة ونصبوها في احدى الزوايا ليلاً حيث يمر الحاكم وأخفوا الشبح بقرطاس ابيض . ولما مر وشاهدها احتدم سخطاً وأمر عبيده ان يقطعوها بالسيوف . فانتهوا اليها ورأوها صورة خيالية وانزعوا القرطاس من يدها وانقلبوا فاخبروا الحاكم ففتح القرطاس وقرأ فيه كلمات قبيحة تمس شرف اخته العذراء (٢٠٨) . فامر عبيده ان يجردوا السيوف ويفتكوا بكل مصري يصادفونه وينهبوا البيوت ويضرموا النيران في الشوارع . وقد تحرش بهم المصريون مدة ثلاثة ايام وهلك من الجانبين خلقٌ كثيرين

ولما خمد غضب الحاكم ارسل يقول لاخته : ان المصريين يكتبون لي ويتعاملون عليّ بسببك مدّعين انك تدخلين رجالاً الى بيتك وكذا وكذا . فبكت حتى هدأت روعه وانصرفت . ثم عرفت سرّاً انه مزعم ان يرسل احدى القوابل لشرف علي بكارتها فخافت خوفاً شديداً وانطلقت تحت الليل الى بيت شيخ كان يهاب الحاكم مثلها واستحفظته ان يحفظ السرّ ثم قالت له : ان اخي ساخطٌ عليّ وعليك وعلى كل الاهالي رجالاً ونساء . وانا كما تعلم ما زلت في ميمة الشباب . وما فائدتي ما دمت محرومة لذاتي الطبيعية . فان امكنتك ان تحتال في اهلاكه فاني اضرب لك عهداً بان تكون لي زوجاً وان يتولى الخلافة ابن اخي الصغير اطمئناناً لحواطر الاقطاب وتصبح انت بمثابة أبٍ ومشيرٍ ومدبرٍ له . استطاب الشيخ كلامها وقال لها : عليّني اذن كيف ندبر المكيدة . قالت : من عادة اخي ان يذهب وحده ليلاً ويتسلق قمة التلّ الفلاني ليتبصر في النجوم اذ قد كتب في طالعه ان الموت يدهمه في ليلة

كذا فاذا فاتته نوبة الساعة عاش ثمانين سنة فوق ما عاش . بناء عليه استدع رجلين بطلين ممن يحفظون سرّك وارسلها ليكمنا في حفرة من حفائر التلّ ثم يثبان اليه ويفتكان به . وافق الشيخ على كلامها . وركب الحاكم جحشه وتسلّق التلّ وترك العبيد في لحفه واخذ معه صبيّاً لا غير . وجعل يتطلّع نحو المشرق فأبصر المريخ صاعداً نحو الافق الشرقيّ فتسمّ بعض الكلمات وقال : لقد صعدت ايها اللعين سفّك الدماء . قد ازفت ساعتى . وحين ذاك وثب اليه ذانك الرجلان من الكمين واوثقا رقبته بالنير وخنقاه . ثم قتل الصبيّ والجحش وحملوا الجثة والنهدرا من ناحية اخرى وأتيا بها الى اخته . اما العبيد فقد مكثا مكانهم حتى الصباح ولم ينزل الحاكم كما داته . فتسلّقوا حتى قمة التلّ وشاهدوا الصبيّ مقتولاً والحمار مفزراً ولم يعثروا على الحاكم وانقلبوا راجعين الى البلاط .

اضطرب الاقطاب والعبيد معاً فاستدعتهم اخت الحاكم وقالت لهم : لا تزعجوا ولا تقلقوا فان اخي قال لي : انه معرض للموت في هذه الايام وانه سيتسلّق التلّ وينتقل من هناك راجلاً الى البرية ويلبث سبعة ايام محتفياً ثم يعود . اما الصبيّ فهو الذي قتله لثلاثي السرّ . ولما هدا روعهم جعلت تدعوهم واحداً فواحداً وتبذل لهم العطاء بسخاء وتمدهم وعوداً طيبة . ثم استحلقتهم في تلك الفترة بشأن ابن اخيها الفتى ودعت اسمه الظاهر . وارسلت فاستحضرت اخاه الكبير من دمشق على ان يخلف اياه . ولما وصل الى تئيس بعثت من اوثقه وسجنه . ثم اشارت الى بعض العبيد فقبضوا على ذلك الشيخ الذي عقدت السرّ معه وعلى العبدن اللذين فتكا بالحاكم وعلّقوا الثلاثة وقضوا عليهم . وأمرت المنادين ان ينادوا بانهم هم الذين غدروا بولاهم وقتلوه وقد ردّ الله كيدهم في نحرهم .

تصرّفت تلك المرأة الجريئة بمثل هذا التصرف الغريب حتى اهلكت اخاها قبل ان يهلكها هو . وافتكرت في ان الثلاثة اذا ظلّوا احياء يوزقون فلا بدّ من ان يذيعوا السرّ (٢١٠) وتصبح عرضة للردل والاحتقار . هكذا نجت من كلّ خطر وتولّت تدبير الملكة واطلقت الحرية لاهوائها دون وجل .

وغلب على ظن الكثيرين لما اطلعوا على مسألة الحاكم كما شرحنا انه انتقل الى برية الاسقيط وترهب وقضى حياته هناك . ولما كنت انا الحقيير مقيماً في دمشق سمعت بعض الكتاب المصريين يقولون : ان ربنا يسوع المسيح تجلّى للحاكم وقتما كان يضطهد النصارى كما تجلّى لبولس الرسول فأمن وانتقل الى البرية سرّاً ومات هناك . ويقال ان الحاكم لولا القليل لماثل فرعون في كفره . فرعون كان يقول : لي النيل وانا خلقتة (حزقيال ٢٩ : ٣) وهذا كان عنده اناس يدخلون ويقولون له : السلام عليك ايها الفرد الوحيد . عليك السلام يا من يمت ويحيى ويُفنى ويفقر فيشج بذلك . على ان رجلاً من مماليقه ذهب الى مكة ودخل المسجد وحطم الحجر الاسود بمزراقه وهو يقول : لم تسجدون وتقبلون ايها الضالون ؟ هل تسجدون لما لا يضر ولا ينفع وتتركون من يمت ويحيى في مصر ؟

واشتهر في تلك العصور ابو علي حسن بن الهيثم البصري المهندس البارع . وكان يقول : لو كنت في مصر لصنعت بئر النيل صنفاً يفيد ملوك الارض وعامتها مآ . فبلغ قوله هذا الحاكم الخليفة وارسل فاستدعاه وتحفّى له ووعدته باموال طائلة اذا اكل ما يقول . فانطلق ابن الهيثم وطاف ارض القبط وشاهد اشكالاً سهاوية مصورة هناك تصويراً عجيباً وامثلة هندسية وغمادج باهرة فقال في نفسه : لو ان في الامكان انشاء عمل افضل من هذا لسبقني اليه الاقدمون . ثم انطلق الى مكان عالٍ تجاه اسوان من حيث تتدفق وتنحدر مياه النيل واعمل الروية فيها فعرف انه يتعذر عليه النهوض بما افكر فيه . ذلك لشدة تدفق تلك المياه الوافرة . فاعتراه الحُجَل واعتذر للحاكم بعجزه . لكن الحاكم لم يقبل عذره . فخاف ابن الهيثم وتظاهر بالجنون تخلصاً من دهائه وشره . ولما افتضح امره اوثقوه بالسلاسل واستنزفوا كل ما اقتناه . وظلّ مخبلاً حتى توفي الحاكم ثم افاق واتزوى في بيت ملاصق للمسجد الكبير بالقاهرة واكب على النسخ والتأليف وصنّف نحو سبعين كتاباً في الهندسة . وكان ينسخ كل سنة ثلاثة كتب من المجسطي والمتوسّطات واقليدس ويبيعها بثلاثة وخمسين ديناراً مصرياً ويتعيش حتى توفي عام ٤٢٠ للعرب (١٠٢٩ م) .

وفي السنة ٤١٤ للعرب (١٠٢٣م) سار خوارزمشاه محمود ثانية الى بلد الهند ودوخ مدناً شتى وتوغل هناك مسافة اربعة اشهر حتى وصل الى قلعة كواكبر وفيها ملك هندي فحاصرها حصاراً شديداً حتى جاءه سفير هندي جالساً على سرير يحمله اربعة رجال وقال له : ان مولاي يقول لك : من انت من البشر ؟ قال محمود : انا رجل مسلم ادعو الكفار الى دين الله واضطهد عبدة الاوثان . فانتم الهنود إما ان تومنوا بالاهنا وتنهضوا بشريعتنا وتاكلوا لحم الثيران او تؤدوا لنا الجزية كل سنة الف فيل والف وزنة من ذهباً . قال السفير : لا يتيسر لنا ان نأكل لحم الثيران . اما الدين الذي ذكرته فارسل الينا (٢١٢) من يلقتنا اياه فاذا رأيناه افضل من ديننا قبلناه . فوجه محمود مبعوثاً عربياً دخل القلعة وكلم الهنود بواسطة ترجمان فقالوا : لسنا نبدل ديننا . وليس عندنا ذهب نؤديه لكم . لكن عندنا فضة كثيرة وفي وسعنا ان نقدم لكم ثلاثمائة فيل وكية وافرة من الفضة والاواني الفاخرة والعقاقير . قال المعلم : نوافق على ذلك بشرط ان يلبس ملككم مثل ثيابنا ويترتر بسيف ومنطقة ويتر راس اصبعه كعادة الهنود تأييداً للقسم .

قال السفير العربي : لما دخلت مسكن الملك الهندي ألفتة على سواده شاباً جليلاً ظريفاً مستويماً على عرش فضي لابساً رداءً وسرواً اشقافاً ومنديلاً في راسه . ولما لحته صفتت تصفيقاً حاداً وركعت بيدي كعادة الهنود وسأته ان يلبس ثوباً فاعتذر كثيراً وقال : ارجو ان تعفيني من اللباس . وقل لمولاك : اني لبسته . قلت : لا يمكنني ان اكذب على مولاي . فاضطر ان يلبس ويترتر ويتقلد سيفاً على حقويه . وبعد هذا خجأت ان اقول له : ابتر اصبعك واكتفيت بان اسأله ان يحلف . فقال ان حلفنا هو بالاصنام والنار وانتم لا تقبلونها فبم تروم ان احلف لكم ؟ قلت له : انت تعرف . وعند ذلك أمر احد عبيده فجاءه بموسى تناولها بيديه وبتر راسه فحصره الايسر دون ان يتبدل لونه وذرى عليه دواء وربطه . ثم غسلوا القطعة المبتورة بماء جعلوا معه كافوراً وصرّوها . وبعد هذا اعطاه الملك بعض اوانٍ وفضة وحصانين . وفي السنة ١٣٣٦ لليونان (١٠٢٥م) توفي باسيل ملك الروم وقد ساس

المملكة سياسة قوية حكيمة حساً وخمسين سنة وأخضع البلغار للروم وخلفه (٢١٣) اخوه قسطنطين وحده ثلاث سنوات . وكان قسطنطين دمث الاخلاق بشوشاً شهم النفس أوصى بالمملكة حين احتضاره لابن اخيه رومانس . وفي بعض النسخ صهره زوج ابنته .

وفي السنة ٤١٧ للعرب (١٠٢٦ م) حدث بردٌ قارس في بغداد زمان الشتاء . وجمدت سواحل الفرات ودجلة وتافت اشجار النخل . وجعل الناس يرون ماشين فوق الجليد في السواقي الصغيرة وتعذر على الفلاحين زرع اراضيهم . وفي هذه السنة صدر امرٌ في مصر بان لا يقتل احدٌ ثوراً يجر محرثاً . وفي هلال الربيع الاول من السنة التالية سقط برَدٌ ضخيم في بغداد نظير بيض الدجاج .

وفي السنة ١٣٤١ لليونان (١٠٣٠ م) وهي السنة ٤٢١ للعرب زحفت جيوش الروم من انطاكية الى حلب فثار شهم قليل من العرب وانتصروا عليهم وقتلوا منهم كثيرين واحتوا على كثير من الخيل والاسلحة . على ان الملوك السابقين لرومانس كان النصر حليفهم في الحروب لانهم لم يكونوا يتشبثون بالمسائل الدينية . اما رومانس هذا فقد عادى بطريركنا القديس ابن عبدون (١٠٠٤-١٠٣٠) واساقفته ونفاهم جارياً على عادة اليونان المكأرين القدماء . ولذا سمح الرب بسحقهم تجاه أعدائهم .

بلغ رومانس خبر انكسار الروم في حلب فحشد مائة الف جندي ونيقياً وأقبل الى انطاكية ومنها سار الى حلب . وسبقه رجلان من كبار الصقالبة في جيشهما فلاقاهم نحو مائة فارس من المعديين والف من الرجال وانصبوا عليهم فرجعوا القهقري واخبروا ان جيوشاً كثيفة بالغة حد الكثرة من مصريين ومعديين قادمون . فتخوف الروم وامتطوا الخيل وانهزموا الى انطاكية دون حرب او ضرب . وتتبعهم العرب وانتزعوا منهم سبعين بعيراً محملة (٢١٤) نقوداً وآنية ذهبية وفضية واقمشة فاخرة وبغلاً كثيرة حتى بيع البغل الجيد في حلب بدينارين . ولم يبق مع الملك رومانس فيما قيل خيمة او كأس يشرب

بها ماء . وتوفي بغتة وخلفه ميخائيل فناهضه قلفاط احد أنسابه وظل خمسة اشهر يعانده حتى قبض عليه وقُغت عيناه كلتها .

وفي السنة ٤٢٢ للعرب (١٠٣٠ م) توفي الخليفة القادر بالغاً السابعة والثمانين . وكان ممتازاً بعفاه وفضله خلافاً لاسلافه . وبويع ابنه جعفر ودُعي القائم .

بعد القادر القائم ابنه

توكل اربعاً واربعين سنة وثمانية شهور . وباعه اقطاب العجم والاتراك والعرب قاطبةً محبورين مسرورين . الا ان الاتراك طالبوه كالعادة بالهدايا في فرصة مبايعته بالخلافة فلم يرضخ لهم في اول الامر شيئاً بسبب فراغ الخزانة من المال . لان الامراء الاعاجم كانوا متولين البلاد كلها حتى بغداد عينها ولم يدعوا للخليفة سوى ارزاقه لا غير فاضطر ان يبيع الفندق والحدائق وبعض امته داره ويؤدي للاتراك ما طلبوه .

وكان يومئذ في الرها اميران عربيان يقيان في برجين من ابراجها وهما ابن حطير وابن شبل فارسل اولهما الى ميخائيل ملك الروم وباعه برجةً واربع قرى ببلاد الروم بعشرين الف دينار . وعند الليل اقبل الروم ودخلوا المدينة وملكوا البرج وتحصنوا به وكان يشبه مدينة صغيرة . ثم خرج بعضهم الى المدينة واخربوا مسجد العرب . فسمع ناصر الدولة وبعث الجيوش فحاصروا الرها وتقبوا سورها ودخلوها وكبسوا الكنيسة الكبرى وقد انهزم اليها النصارى فنهبهم ونساءهم . ثم حاصروا البرج فامتنع عليهم (٢١٥) فاحتجوا بهبوط الثلج وانصرفوا . وتم احتلال الروم للرها في خريف السنة ١٣٤٣ لليونان (١٠٣٢ م) و ٤٢٢ للعرب .

اما ناصر الدولة فوجه الى الملك ميخائيل يعاتبه ويقول : ما الذي استفدته بقدمك الى حلب دفعتين حتى طمعت بالرها الآن ؟ اني اشير عليك مشورة حية ان تنقل اصحابك منها والافستري ما يصيبك من الجيش العربي . فاجابه الملك : اني لم آخذ الرها عنوةً لكنني اشتريتها من صاحبها شرعاً . ولو عرفت انها تبقى لك لرددتها . لكنني على يقين من ان المعدين بني غير لن يتذكروها .

هكذا استخف ميخائيل بالعرب وبعث عشرة آلاف فارس يحرسون الرها وبينون ما تهدم ثم اخذوا يغزون بلاد اكساس وحران وسروج حتى اضطر ابن وثاب النيربي صاحب حران ان يؤدي لهم الجزية . وخضع كذلك حسان صاحب سورية للروم وعلق الصلبان في رؤوس ألويته .

وفي السنة ٤٢٣ للعرب (١٠٣١ م) ولدت امرأة في بغداد شكل حبة قصيرة القامة لها راس انسان وغم ورقبة دون يدين ورجلين . ولما سقط على الارض قال : من الآن الى اربع سنوات سيهلك الجوع الناس ويخرج الرجال والنساء والصبيان والبهائم ويكون امام الرب طالبين النحدار المطر . وبلغ الخليفة الخبر فأمر ان يخرج الاهالي جميعاً ويقسمون الطلبات فخرج القليلون وظل الكثيرون ممن لم يصدقوا الخبر .

وفي تلك السنة جمدت المياه في بغداد ونار رمل احمر وهبط كالمطر وأتلف الاشجار ولم تثمر ثمرأ . وحدث غلاء فظيع في البرية حتى اكل المعديون جملهم وخيلهم واولادهم . وكان كل رجل يبذل ولده بولد جاره ويذبحه للتأثر . وما عدا الغلاء فقد ضايق الناس العطش بسبب قلّة المطر . فقصدوا الانهر القريبة من المدن والقرى واقاموا هناك . وحدث طاعون في الهند وفي العجم كلها حتى شيعوا في اصفهان مدة اسبوع واحد اربعين الف نعش . ولم يبق بيت في بغداد دون حداد . ومات في الموصل بداء الجرب اربعة آلاف صبي .

وفي كانون ٤٢٥ للعرب و١٣٤٥ لليونان (١٠٣٤ م) عصفت ريح شديدة سوداء في نصيبين اقتلعت كثيراً من اشجار الزيتون والتوت والعناب وقوضت بعض ابنية الحجار والكلس . ولحقها وابل من المطر وبرد كثير شكل كفوف وسواعد واصابع . وحدثت زلزلة في مصر وفلسطين وانهمز الناس من بيوتهم وظلوا تحت الفضا ثمانية ايام . وهبط نصف بلاد بالس وابتلعت الارض عدة قرى في سورية مع اهاليها وهدمت اساسات كنيسة اورشليم ومأذنة العرب في عسقلان ورأس مأذنة غزة ونصف عكا . وجزر البحر نحو ثلاثة فراسخ ودخل الناس ليلتقطوا السمك والحلزون فرجعت المياه وابتلعت بعضهم . وظهر في شباط شكل عمود نور في برج السنبلة منذ المساء حتى الصباح اياماً كثيرة

ثم هبط بعد ايام كوكب كالبرق الحلب واطاء ارض سنعار جمعا، وتوهم الكثيرون من العامة ان السماء انشئت . وحدث طاعون في بغداد اجتاح نحو سبعين الفا من البشر بداء الخانوق . وهبت بعد سنة رياح قوية في بحر فارس اغرقت اكثر من خمسين سفينة واهلكت اكثر من الف وخمسةائة انسان . وفاض البحر والانهار وتفتجرت ميازيب السماء واجتاحت المياه كثيرا من القرى . قيل ان بعض الناس أفلتوا من الفرق بدفوف السفن والواحا وما كادوا يصلون الى البر حتى دهمهم العسر وردهم ثانية (٢١٧) الى البحر واغرقهم .

وفي السنة ٤٢٧ للعرب (١٠٣٥ م) حشد ابن وثاب النخعي صاحب حران جمهورا كبيرا من الاكراد والمعديين وشار الى سوريك وهي للروم ودوخها . وقتل فيها ثلاثة الاف وخمسةائة انسان . وسبي طائفة من النساء والفتيان . ثم زحف الى الرها وحاصرها ومنع عنها المؤونة . فتضايق الاهالي جوعا وسأموه المدينة وانهمزم الروم وتحصنوا في البرج فصوب العرب القتال نحوه وفتكوا باثنتين وخمسين رجلا وتعذر عليهم اخذه فنهروا المدينة وانقلبوا راجعين . وبلغ عدد الفتيان والفتيات الذين سبوا فيا قيل ثلاثة آلاف نسمة .

بدء الدولة السلجوقية في فارس

السنة ١٣٤٧ لليونان (١٠٣٦ م) برز قوم من الهونيين او الفزر ومعهم امراء سلجوقيون من هرقانة مدينة بارض الخزر شمالا . وقد كتب عنها بالتفصيل مار ميخائيل البطريرك القديس قال : هم بنو ماجوج بن يافث بن نوح . عنهم تنبأ حزقيال اذ قال : « هكذا قال السيد الرب هذا اليك يا جوج رئيس روش وماشك وتوبل . فأديرك وأجعل حلقه في فكك وأخرجك انت وجميع جيشك خيلا وفرسانا من كل لابس ثيابا فاخرة جمعا كثيرا ذا مجانب ومجان من كل قابض سيف . ومعهم فارس

وكوش وفوط . وكلهم ذوو بجان وُخوذ . ومعك جومر وجميع جيوشهم وآل
توجرمة واقاصي الشمال وجميع جيوشهم وشعوب كثيرون . . . فأنك بعد أيام
كثيرة تُفتقد وفي آخر السنين تأتي » (حزقيال ٣٨ : ٣-٢٨) .

وقد طالعتُ انا الحقير كتاباً فارسياً عنوانه « ملك نامه » ذكر مؤلفه انه
سمع اميراً كبيراً وشيخاً هرمًا اسمه اينانغ بك يقول : لما ظهر بيغو خاقان
الحزر كان بخدمته رجل محارب اسمه توقاق أطلق عليه بسبب بسالته لقب
توريالبع اعني صاحب القوس الحديدية . فهذا ولد ابناً أسماه سلجوق . وبعد
زمن وجيز (٢١٨) مات الامير توقاق فاحتضن الخاقان سلجوق ورباه في بلاطه
وأحبه حباً جماً . وزار سلجوق يوماً الخاقان كعادته فخامر الملكة ريب في
أمره وقالت للملك : يخال الي ان لهذا الصبي دالة كبرى عندك الآن .
فما يكون من أمره يا ترى متى غي وترعرع ؟ وقد اطلع سلجوق على ذلك
سراً فخرج خفية مستصحباً ابنا قبيلته وارتحل في خيل وإبل وغنم وبقر
كثير من ارض توران التركية الى ارض ايران الفارسية شكل راع . ولما
شاهد بلاد فارس عامرة بالمسلمين عقد مشورة مع رجاله وقالوا : ألم ننضم الى
دين ابنا . البلاد التي يمناها لا يتبعنا احد بل نقص ونبقى منغزلين . ثم اتفقوا
وارسلوا الى مدينة زنده بخوارزم وهي قريبة من البرية التي اناخوا بها وسألوا
سلطانها ان يرسل اليهم معلماً يلقينهم عبادة الله عز وجل . فلبى طلبهم وسير
معهم شيخاً في الطافر وهدايا فانضموا الى الاسلام . واقاموا ثم اعواماً وغوا
وكثروا جداً . ورزق الامير سلجوق اربعة بنين ذكور وهم : ميخائيل وبيغو
وموسى وارسلان . ورزق ميخائيل ابنا : محمد طغرل بك وداود جفري بك .
وحشد جفري بك عسكرياً كثيراً من التركمان وزحف الى بعض بلاد ارمينية
وخراسان وغزاها وعاد ينهب اخاه طغرل بك ويقول : ان ههنا سلطانين كبيرين .
خوارزمشاه هرون ومسعود بن محمد بن سبكتكين ولا سيسل الى التغلب
عليها . فالاجدر ان نرحل الى خراسان ورمينية لانه ليس فيها من يعارضنا
كما عرفت . فامثل اخوه المشورة ونهضا وعبرا نهر جيحون ووصلا الى مدينة
دمغان وافتحها . واستأنفا الزحف الى مدينة سمنان وقهرا كذلك (٢١٩)

الجيش العربي والفارسي ودخلا مدينة الري وأخرباها بأسرها . ثم زحفا الى قزوين فامتنت عليها ففرضا عليها الجزية وارتملا .

اما ما ذكره الشيخ المغبوط (البطريق ميخائيل) عن كلب كان يهديهم مذ غادروا وطنهم فلم نعث عليه في غير تاريخه . ولعله نقل الخبر عن السماع او عن تاريخ لم نظفر به نحن لاننا لم نطالع التواريخ باجمعها .

وفي السنة ٤٢٧ للعرب (١٠٣٥ م) مات الظاهر خليفة مصر بداء الاستسقاء وظل هذا الداء متأصلا به منذ صباه مدة عشرين سنة . وخلفه المستنصر ابنه وعقد هدنة مع ميخائيل ملك الروم وأطلق خمسين الف مسيحي كانوا معتقلين في مصر . ورخص لملك الروم ان يجدد بنيان كنيسة القيامة باورشليم . فوجه الملك رجلا خيرا في كمية وافرة من فضة وذهب فرمها كما كانت من قبل .

وفي هذه السنة توفي الشيخ الرئيس ابو علي حسين بن سينا . تأجر بالوزنة الارسطوطالنية فربح خمسين وزنة بدلا من خمس ووزنات . وكان ابوه من بلخ ثم انتقل الى بخارى واستوطنها وحينما بلغ ابنه الخامسة من سنه وضعه في المدرسة . ولما اكمل العاشرة أحكم القرآن والقرمطيق واللغة العربية . واخذ يختلف الى حانوتي بائع بقل يأخذ عنه رقم الحساب الهندي . ثم يتم بخارى الفيلسوف ناتلي وجعل يدرسه الايساغوجي . ولما وصل الى تحديد الجنس الذي يُطلق على انواع كثيرة قال لمعلمه : هل يُطلق الجنس على كل من الانواع فردا فردا ؟ (٢٢٠) قال المعلم نعم . اعترض الفتى فقال : اذا سأني سائل من هو الانسان وقلت له هو حيوان فقط فهل يكون جوابي صائبا ؟ قال المعلم نعم . ناقضه التلميذ وقال : است وافقك اذ لست بلا روية حتى اذا سأني سائل عن الحيوان الناطق من هو اكتفي بالقول : انه حيوان وأسكت . ومنذ إذ ترك المعلم وجعل يطالع على حدة ويتفهم ما يقرأ . ولما بلغ السادسة عشرة نبغ في الطب حتى اخذ شيوخ الاطباء يختلفون اليه ويقرأون عليه . ثم جعل يعود المرضى حتى احكم معالجتهم .

ولما بلغ الثامنة عشرة صنّف كتابه الكبير المشهور بالقانون واردفه بكتاب الشفاء الضخم في علوم الفلسفة الاربعين واتي عليه في عشرين يوماً وضمّنه علوم الطبيعيات والاهليات . وبلغت تأليفه المشهورة المتداولة اثنين وتسعين كتاباً وضع اغلبها وهو في السجن . ونقلت انا الحقير عن العربية الى السريانية كتابه البديع « الاشارة والتنبه » . وقد قبض عليه في اثنا . فتنقّر اثارها امير على الامير الذي كان يخدمه وحبس في حصن قال لما دخله : لا ريب في دخولي ههنا اما خروجي منه فهو في ريب اكيد . وظلّ محبوساً اربعين يوماً حتى وافي اميره واحتلّ الحصن وأطلقه . وحبس غير مرة ايضاً . وعلى غزير فضله فقد كانت القوة الشهوانية متغلبة عليه فضعف جسمه بسبب ذلك وانحرف مزاجه وانتابه داء القولنج في اواخر ايامه فاحتقن ثماني مرات في يوم واحد وأوصى خادمه ان يلقي في الحقنة دانقين من بذر الكرفس لكنه ألقى خمسة دراهم (٢٢١) فحدث له قرحة في الامعاء وانتابه صرع قد يتبع القولنج احياناً . وأمر ان يركبوا له علاجاً وضع فيه خادمه كنية وافرة من الافيون استعمله غير مرة حتى خمدت حرارته الطبيعية وانغض عن المعالجة وقال : ان مدبر جسمي قد كلّ عن تدبيره ولن يستطيع الى شفائي شيئاً بعد . وظلّ كذلك بضعة ايام حتى توفي ودُفن في همذان وعاش ثماني وخمسين سنة .

وفي السنة ٤٢٩ للعرب (١٠٣٧م) زحف الغز تكراراً الى ارمينية وقتلوا خلقاً كثيراً من اكرادها وعربها واحتوا على غنينة وافرة . ثم زحفوا الى اورمية باذربيجان فانحدر اكراد الجبل وناوشوهم فانتصر الغز وأجهزوا على عدد وافر منهم .

ولما رأى الامير ابن وثاب صاحب سورية وارمينية انه عاجز عن مدانة الروم والاتراك معاً عقد الصلح مع الروم وتخلّى لهم عن الرها فاستعروها وازدادوا فيها .

وفي السنة عينها دوخ الغز مراغة واحرقوا مسجدها الكبير وقتلوا واعتقلوا الكثيرين من اهاليها . فاحتشدت قبائل اكراد الجبل وناوشوا الغز واخرجوهم

عن اذربيجان وانقلبوا تكررًا الى خراسان ودوخوا طوس وفتكوا باكثر من مائة الف نسمة . وقتلوا في ضواحيها نحو عشرين الفاً واعتقلوا نحو مائة وخمسين الفاً . فرحف اليهم سرباشي سلطان خراسان في ثلاثين الف فارس فانكسر وانهزم واتجه الاكراد نحو نيسابور وحاولوا نهبها فنهاهم طغرل بك بسبب دنو صوم رمضان . ثم اشخص الخليفة القائم سفيراً اليهم يعاتبهم ويقول : كيف يجوز لكم ان تعاملوا العرب ابنا . دينكم مثل هذه المعاملة ؟ واءتم جفري بك ان يحاصر نيسابور بعد الصوم فصدّه طغرل بك (٢٢٢) تنفيذاً لرسالة بعث بها اليه خليفة بغداد الاكبر . فناهضه جفري بك . فأخذ طغرل بك سكيناً وقال له : اذا فعلت هذا انتحرت فسكت واستترف خمائة الف درهم من اهلها وعدل عن حصارها .

وكتب طغرل بك جواباً الى الخليفة هكذا : من طغرل بك بن ميخائيل عبده وخادمه . وكتب مثله قزلبق صهره زوج اخته هكذا : من قزلبق بن يحيى عبده وخادمه . وامتنع جفري عن الكتابة . وسار طغرل بك الى نيسابور وجلس على عرش السلطان مسعود . واقام جفري بمدينة سرخس وقزل صهره بمدينة الري .

وفي السنة ٤٣٠ للعرب (١٠٣٨ م) اتلجت في بغداد وظل الثلج بعلو شهر في الشوارع اياماً تبعه في كانون برد شديد وجمدت المياه ستة ايام . وفيها جيش السلطان مسعود جيوشاً ضخمة من فارس الداخلية ومن الهند الخارجية وأطبق على الغز بجانب مرو - رود وقهرهم وقتل نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وانهزم البقية الى الصحراء مع طغرل بك وجفري بك . واستقر السلطان في خراسان نحو سنتين وترك جيوشه هناك وعاد الى غزنة بخوارزم . وما ان سمع الغز حتى زحفوا تكررًا الى خراسان عام ٤٣٢ للعرب (١٠٤٠ م) واحتلوها دون قتال واحتلوا اذربيجان كذلك .

وفي هذه السنة زحف الروم الى سورية فلاقاهم الامير انوشكين بجوار حماة وتغلب عليهم واوثق ابن عم الملك وقتل حاجباً كبيراً .

وارتحل في السنة عينها السلطان مسعود الى الهند كما دته في الشتاء هرباً من برد خوارزم الشديد ونقل نساءه واهل بيته واخاه محمداً الضرير الذي سبق فسلم عينيه يوم كانا (٢٢٣) نازلين عند نهر حالم . ووثب انوشتكين على مسعود في الف عبد واورقه ومضى به الى اخيه محمد الضرير واجمعوا على ان يملك الضرير . فقال الضرير ل اخيه مسعود : لست اصنع بك ما صنعت بي ولكن اختر لك مكاناً تذهب اليه فيمن تشاء . من ذوبك . فاختر مدينة كاسا وانتقل اليها مخفوراً بظاهر التكريم . وبعد هذا تشاور الزعماء وانتزعوا بحيلة خاتم محمد الضرير وارسلوه مع بعض الجنود الى حاكم كاسا ففتح لهم الباب فدخلوا واجهزوا على السلطان مسعود . وكان مودود ابنه في خوارزم فلما سمع بما جرى لابيه حشد خمسة آلاف رجل ووثب على عشرين الفا كانوا مع عمه فانتصر عليهم وقتل عمه . وثقب مفاصل قتلة ابيه وربطها بالحبال فسحبهم الجند على الارض حتى ماتوا . وانقلب هو الى غزنة واستقر في ملك ابيه سوى خراسان واذربيجان اذ كانا للآراك .

وفي السنة ١٣٥٣ لليونان (١٥٤٢) وللرب توفي ميخائيل ملك الروم دون عقب . وتولى شؤون المملكة ابنتاه زواي وثودورا ثلاثة اشهر . ثم عقد الاقطاب المشورة وانتقوا منهم ثلاثة اشخاص كفونين وكتبوا اسماءهم في اوراق وضعوها في صندوقة وختسوها بالشمع واحضروا صيماً مديده واستخرج احداها وبها اسم مونوماخس . فرقوا اليه ثودورا المذكورة ونادوا به ملكاً باسم قسطنطين . وأسنت ثودورا لاختها زواي تسعة قناطير ذهباً بدلاً من الملك . وكان قسطنطين هذا متصفاً بالشهامة والسخاء ومصاباً بدهاء النقرس .

وفي السنة ٤٣٤ للعرب (١٠٤٣ م) حدثت زلزلة مريعة في تبريز (٢٢٤) قوضت قلعته وسورها واغلب دورها وحماماتها واتلفت تحت الانقاض خمسين الف نسمة . اما صاحبها فقد افلت من الغائلة لانه كان متغيباً في الحديقة . فلبس المسح وجلس على الرماد حداً على خراب المدينة . ثم انهزم فتحصن في احدى مدنه خوفاً من الغز الذين استحوذوا على خوارزم . وتولى خراسان

ابراهيم بن يوسف اخو طغرل بك من أمه . وكتب رسالة الى بغداد مؤداهما :
ان شاهنشاه الكبير اعني طغرل بك الساجوقي ملك الملوك قد احتل خراسان
وخوارزم وهو مصتم ان يوجه الجيوش الى بغداد اذ بلغه تعدي المعديين على
الحجاج المتوجهين لیسجدوا في بيت الله واكثرهم من السبي والنهب . فيجب
ان تستقبلوهم بالتكريم والعتاء . كما تستب الطائفة في كل الاطراف . ثم
رسم على الرسالة شكل قوس . وسهم وبعث بها مع سفيره .

وسقط في هذه السنة برّد ضخم وزن الحبة رطلاً بغدادياً او رطلين
واكتسح اكثر من ثلاثين قرية بضواحي بغداد .

وفي السنة ١٣٥٤ لليونان (١٠٤٣ م) ظهر في بلاد الروم ميناخوس الخارجي
وانضم اليه نحو عشرين الفا . فوجه الملك قسطنطين اليه كسطفور الحاجب في
اربعين الفا فاجهز عليه وعلق رأسه في قسبة واركب اكثر من مائتي رجل من
اصحابه على حمير موثقين ووجروهم معكوسة في اذنان الحمير . وجعل في جبين
كل منهم اربع خصى ورثة وكبداً من اعضاء القتلى . وأمر المتادين ان ينادوا
امامهم في شوارع العاصمة : هذا عقاب من يعصى الملك ويتسرد عليه . وبعد
هذا أشفق عليهم وسرحهم وهو يقول : اذهبوا الى حيث شئتم . ودفع الى
كل من الجنود سبعين ديناراً او خمسة وثلاثين ديناراً مكافأة لجهادهم .

وفي السنة ٤٣٥ للعرب (١٠٤٣ م) (٢٢٥) وجه طغرل بك سفيراً الى
الخليفة القائم يقول : اني خادم لا إمام الدولة العربية . وقد اذعت المناداة باسم
الخليفة في البلاد التي ملكتها . وأنقذت الناس من مظالم السلطان محمود
والسلطان مسعود اللذين سبقاني ولست أضعف منها . فقد كانا هما من عبيد
الخليفة ثم استبدأ بالسلطنة . اما انا فاني حرٌّ ومن عترة الملوك الهونيين . فاذا
عززتموني مثلها اصبحت افضل منها بطاعتي وتقادمي .

قيل ان طغرل بك كان يجلس على كرسي عالٍ وراءه تروس وارماح
وامامه قوسٌ معتبرة وييده سهران يلعب بها . وكان يلبس ثياباً بيضاء قطنية
ويصوم يومي الاثنين والخميس ويثابر على تلاوة الصلوات الخمس . ووصف أقضى

قضاة بغداد ذكاهه فقال : لما زرته بنبابة سفير كتبت رسالة سرية الى بغداد اوردت فيها عبارات عن عتوم وفظاظته وريانه في صلاته وهجوته هجواً مرأ . ودفعت الرسالة الى رجل من امني فسقطت منه عفواً وعثر عليها احدهم ونقاها الى طغرل بك . فاطلع على كل ما بها وظل يوانسني ويكرمني . ولم اشعر بما جرى حتى اطلعتني على الحقيقة كاتب صديقي كنا سائرين معاً في الطريق فأكد لي ان ناقل رسالتي الى طغرل بك قد أضعها في الطريق .

واعتاد الجنود ان يتوافدوا كل يوم فوجاً فوجاً ليؤدوا الطاعة لطغرل بك . يتألف كل فوج من الفتي شخص . وكانوا ينحدرون عن خيلهم من بعيد ويقبلون الارض ويقفون . ثم يشير الحاجب اليهم بان تحييتهم قد قبلت . فكانوا يقبلون الارض ثانية ويركبون وينصرفون فيأتي فوج ثان . ولم يكن يدنو منه احد او يجادته . وتعود الجنود التخريب والسبي والقتل اينما اتجهوا . ولم يسع الناحية التي يقيمون بها احتمالهم اكثر من اسبوع واحد بسبب كثرتهم . وطالما اضطروا ان يتوجهوا من ناحية الى ناحية انتجاعاً لقوتهم وعلف خيلهم .

مركز تحقيق كويت علوم ودراسات

وساروا في تلك العزون وعاثوا في بلد نصيين وميا فرقين وسنجار والحلبور وقتلوا في آمد زيرك حاكمها ، ثم زحفوا الى الموصل وطالبوا معتمد الدولة صاحبها خمسين الف دينار لتركوها وينصرفوا . فلم يلبث الطلب فاحتلوا المدينة وانهزم هو من باب تحت الارض ينفذ الى دجلة . وقصد الغز داره واحتوا على ما ساوى مائتي الف دينار واقتسموا سبع عشرة نساءه العربيات والكرديات وجواريه الكثيرات . ثم نهبوا المدينة سوى حي شهرسوي فان اهله ادوا لهم خمسة عشر الف دينار واشترى نساء معتمد الدولة آباؤهم واقام الغز ولاية في الموصل وانطلقوا الى مدينة بلد فامتعت عليهم .

وتحوش احد الغز بعد ايام وجيزة بصبي موصلية وطعنه بالرمح . فسخطت امه وكانت صحابة مهذارة فلطخت وجهها بالدماء وخرجت تنادي في الشوارع ان الغز قتلوا ابني وابنتي واوقعت صيحة عظيمة استفزت العرب فوثبوا الى الغز وقتلوه . فبادر سائر الغز من بلد الى الموصل وانحنوا في الفتي شيخ .

وفتي وظلوا اثني عشر يوماً يغزون ويقتلون. وكانوا يقولون لكل من قبضوا عليه : اشتر نفسك . هكذا استأفوا كل ما كان في الموصل من فضة ظاهراً وخفياً ثم نادوا بالامان . وبعثوا الفلاحين الى مزارعهم وأسروهم ان يحرثوا اراضيهم . وما مر القليل حتى استجمع المعتد قواه وحشد المعدين وناوش الغز وقهرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وانهمزم من تبغى منهم الى اذربيجان .

وفي سلخ تشرين الاول ١٣٥٥ لليونان (١٠٤٤ م) توفي ابو الفرج الراهب النسطوري والفيلسوف الفاضل الحميد الاثر . وقد نقل (٢٢٧) العهدين القديم والجديد وتصانيف ارسطو الى اللغة العربية . وتطرف لدم جثالة النساطرة بسبب تفاضيمهم عن العلوم البيئية وغيرها . غير انه فيما اظن لم يكن متضلماً من السريانية اذ عثرت في بعض شروحه على اغلاط اذكر منها لفظة **ممنامه** الواردة في سفر ايوب بضم الحاء وتغليظ التاء بمعنى نظرتة . ففهما هو **ممنامه** بفتح الحاء وتلين التاء وشرحها بمعنى آخرته .

وفي هذه السنة زحف جيش عرمرم من الصقالبة اعني الروس الى عاصمة الروم بجزاً وبراً فأنجده الله عز وجل الروم وأضرمو النيران في سفن العدو واحرقوها مع من فيها واغرقوهم واوثقوا الكثيرين من عساكر البر وبتروا ايديهم اليسنى وانتصروا عليهم انتصاراً باهراً .

واستفحل في تلك الغضون أمر الدخلاء من الارمن والعرب واليهود في قسطنطينية فثار الوطنيون واحتشدوا بباب بلاط الملك قسطنطين يدعون بانه فتك بالملكين ثودورا وزاوي وحاولوا ان ينهبوا البلاط ودور الزعماء . فاجتمع الملك بالاقطاب واستدعى الملكتين فبرزتا رافلتين بالحلل الملكية . وما ان شاهدهما الثوار حتى اطأنت خواتمهم وكفوا . ولما بحث الملك عن سبب الفتنة الجوهري قيل له . ان الدخلاء أثاروها قصد اجتياح المدينة . فاصدر الأمر بترحيل كل من مرّ عليه في العاصمة ثلاثون سنة ويبسل عيني من يبقى منهم فيها . ففادرها حالاً نحو مائة الف نسمة .

وفي السنة ٤٣٦ للعرب (١٠٤٤ م) وجه الخليفة القائم سفيراً الى طغرل

بك في اربع مسائل : الاولى ان امير المؤمنين يقول لك يكفيك ايها الامير طغرل بك محمد ما احتلته من البلاد . فلا تطعن بسائر بلاد ملوك العرب ولا تؤذينهم . والثانية : ان تطيعنا وتحلف لنا شرعاً بانك ان خالفت امرنا لزمك ان تُطلق نساءك الشرعيات وتعتق عبيدك وتركي اموالك كماها (٢٢٨) . والثالثة : ان تازم العدل وتحجم عن الظلم ولا تولي الظلام شؤون ابنا. الرعية . والرابعة : ان تبعث لنا كل سنة بجزية البلاد التي اغتصبها كعادة من سبقك . فاذا نفذت ذلك عززناك بتحفير والقابر كريمة واصبحت سلطنتك شرعية منزهة عن الظلم والعدو .

اصفى طغرل بك الى تلك المسائل وقال في الجواب الاول : ان جنودي كثيرون لا تكفيهم هذه البلاد . قال السفير : لانك انت اخربت بها . فلو ملكت الارض كلها واخربت بها لما كفتك وكفت شعبك . وقال في جوابه الثاني : ان هذا النوع من الحلف يكاد يجلبه العلماء فكيف يتيسر لي التوقي في تصرفاتي الامور الزهيدة ؟ قال السفير : حسبك ان تعرب بكل قلبك عن طاعتك وتلزم العدل فلن تزل . وقال في جوابه الثالث : الي افرغ الجهد قدر طاقتي في ان الزم العدل في حكمي . ولكن ما حيلتي اذا اذنب احد الجياع الذين معي ؟ وقال في جوابه الرابع : اطلعتني على مقدار الجزية اذفها ان تيسر . على ان الحقيقة هي ان طغرل بك لم يقبل مسألة واحدة من المسائل الاربع .

وفي السنة ١٣٥٦ لليونان (١٠٤٥ م) غرقت بيوت مدينة ارزنجان كلها سوى بيت آل قرياقس السريان . فاصبح كجزيرة لم تدخله المياه . ذلك لما امتازوا به من الحسنات والتصدق على الفقراء .

وفي السنة ٤٣٨ للعرب (١٠٤٦ م) دوخ الغر مدينة الحلة واحرقوها واضطروا الاهالي حتى اكتشفوا المطامير كماها واحتوا عليها وارتكبوا المنكر من النساء والعداري وانقلبوا .

وفي هذه السنة وجه مطران النساطرة من سمرقند رسالة الى الجاثليق تليت في دار الخليفة منطوقها ان شعباً غفيراً يحاكي الجراد كثرة اخترقوا

ترعة في جبل ما بين تبت وكوتان (٢٢٩) كان اسكندر الكبير فيما ذكرت الاخبار السالفة قد سدّها فخرجوا ووصلوا الى كشكر يتولاهم سبعة ملوك مع كل ملك سبعمائة الف فارس . واسم كبيرهم ناصرت اعني المسلط باسم الله . وهم سود كالهنود لا يغسلون وجوههم ولا يشطون شعورهم لكنهم يعضونها كاللباد ويتخذونها بمثابة ترس يجرسهم . وهم محتكون برمي النشاب ويكتفون لطعامهم بالقليل العادي . وهم رحماء مستقيمون وخيلهم تأكل اللحم . وعند قراءة الرسالة قال احد الوجهاء العرب : لا يُصدق ان الحصان يأكل اللحم . فعارضه وجيه ثانٍ وقال : لا يدهشك ذلك فقد شاهدت بعيني حصاناً عربياً يأكل لحماً وسكاً مطبوخاً . قلنا : لعلهم ينشفون اللحم ويدقونه كالتبن ويلقمونه الخيل . لان الصيد في تلك الاطراف كثير والعشب قليل . وفي السنة ٤٣٩ للعرب (١٠٤٧ م) ظهر رجل في راس العين اسمه الاصفر ادعى ان القرآن ذكر عنه انه سيشرق دين العرب . وتوغّل مرتين يتلصص ببلاد الروم وغزا غزوةً وانقلب . فكتب ملك الروم الى ابن مروان يقول : بما ان بيننا وبينك صلحاً وولاءً لزمك ان تمنع هذا اللص ان كان من عبيدك . والّا فأفدنا لنعمل ما نرى . فاستدعى ابن مروان بعض الامراء المعدّين وقال لهم : يظهر ان هذا الاصفر يحاول ان يحرس بنا الروم فاذا زحفوا ازعجوننا وازعجونكم . فالرأي عندي ان تحتالوا وتقبضوا عليه . فحمل عليه المعدّيون وجعلوا يحثّدون نشاطه وهمته بشأن العرب . ثم ركبوا وركب معهم وجعلوا يطاردون متفافرين بفراساتهم ريثما ابتعدوا عن القرى . ثم اطلقوا عليه ومضوا به الى ابن مروان فاعتقله وسجنه وجدّد الصلح مع الروم .

واستفحل المرض والوباء هذه السنة في كل الاقليم الرابع حتى (٢٣٠) بيعت زهرة اللينوفر بدرهم بغدادي ويبيع فرخ الحجل بدرهمين فضة . ولم يكثر البغداديون للقمح والشعير اصلاً . واشتدّ الجوع والمرض والوباء في الموصل بسبب الجراد حتى بيع كور الخنطة بستين ديناراً .

وفي السنة ٤٤٣ للعرب وهي السنة ١٣٦١ لليونان (١٠٥٠ م) وجّه السلطان طغرل بك سفيراً الى ابن مروان صاحب ارمينية في الطاعة لامره .

فرحب به وأدى له ثلاثين قطعة من القماش الفاخر وخمسة دینار وخياماً وعشرة بغال موسقة بضائع وحصاناً عربياً واسيراً من بطارقة الروم كان الروم قرروا ان يؤدوا له ثلاثين الف دينار دية عنه . ثم قال للسفير : ليس عندي تقدمة اخرى توافق السلطان . فاقنع بها السفير وعقد معه صلحاً وموادعة وانطلق .

سمع قسطنطين الملك بما جرى فارسل الى ابن مروان يرغب اليه كي يسعى لانقاذ البطريق وقال له : اني عارف ان السلطان طغرل بك صاحب مروءة وشهامة وان ينعني ان طلبته باسمي . فكتب ابن مروان الى السلطان فأبدى السلطان شهامة كبرى ووجه البطريق مع سفير الى قسطنطين دون ان يطالبه بشمن او تعويض . فسّر الملك سروراً عظيماً وجدّد مسجد العرب الكبير في عاصته وعلّق فيه القناديل وأقام له مصلين عرباً عين لكل منهم معاشاً . ثم سیر الى طغرل بك الف قطعة أطلس وخمسة ثوب مختلفة الاشكال وخمسة حصان وثلاثمائة جحش مصري وألف عزة عيونها بيضاء وقرونها سوداء . وكانها الجحاش ضخامة .

وفي هذه السنة تضايق اهالي اصفهان بسبب محاصرة طغرل بك لمدينتهم تسعة اشهر فارسلوا يتوسلون الى خليفة بغداد ليكتب له في الافراج عنهم . وكان طغرل بك سبق فسأل الخليفة ان يشرفه بالقاب ملكية . فرأى الخليفة ان يتساهل معه وكتب اليه رسالة سيرها مع سفيره نعتة فيها بالملك الشرعي وملاذ المسلمين وركن الدين . وسأله بشأن اهالي اصفهان . وكان السلطان يتوقع مثل تلك النعوت فلبي طلب الخليفة وارسل اليه عشرين الف دينار باسم خزائنه والفي دينار باسم حاشيته . وجعل منذ إذ يرسم شكل قوس في طفرائه ويسجل فيها الطغرائي النعوت الموما اليها .

وفي السنة ٤٤٣ للعرب (١٠٥١ م) وجه قسطنطين ملك الروم سفيراً الى القائم خليفة بغداد في رسالة بالرومية تحلّت سطورها ترجمتها بالعربية . ورقت بحروف ذهبية على قطعة ارجوانية افتتحها بهذه العبارة : قسطنطين الملك المؤمن العظيم التقدير بالمسيح الله اغوسطس موناخس الوحيد في دولة الروم . الى

الصديق الودود الكريم ابي جعفر إمام المسلمين وامير المؤمنين . الى غير ذلك من عبارات الولاء .

وفي السنة ٤٤٦ للعرب (١٠٥٤ م) اصبحت بلاد فارس جميعها خاضعة للسلطان ركن الدين طغرل بك فوجهه الاخطا نحو بلاد الروم وزحف الى قلعة منازكرد وضيق عليها زمناً طويلاً ولم يتمكن منها فقرا البلد وسار الى ارضروم وهي للروم وغزاها كذلك وعاد ليشتي في اذربيجان ناوياً العودة ثانية الى بلاد الروم .

وفي كانون الثاني ١٣٦٥ لليونان (١٠٥٤ م) توفي قسطنطين الملك زوج ثودورا وتوأت هي تدير المملكة سنة واحدة ووجهت سفيراً الى خليفة بغداد وجددت عهد الصلح بجزية تطوعت بها .

وفي السنة عينها ارسل السلطان ركن الدين طغرل بك سفيراً الى الخليفة يقول : اود لو احضر الى بغداد واتشرف بالخدمة النبوية (٢٣٢) ثم ارجع مكة واصل فيها واقطع دابر المعتدين المتلصقين في طريق الحج ثم أتوجه الى محاربة الخوارج في سورية ومصر ان شاء الله . فكذب له الخليفة علي كرم منه كتاباً اثني على همته في سبيل الدين واستعجله على القدوم الى بغداد . غير ان عساكر الديلم والأتراك ضجوا وعجوا وقالوا : لا نقبل البتة ان يوافي الغزاة الى العاصمة والأفلا بد لنا من مناوشتهم . لكن ضجبتهم هذه لم تجدهم نفعاً لان جيوش الغزاة تدفقوا وبلغوا حدود بغداد . وخرج زعيم الزعماء وقاضي القضاة واغلب الاعيان الى لقاء السلطان وتحققوا له في كل مكان حله وبلغوه عواطف الخليفة الطيبة ورغبوا اليه ان يخرج على جيوشه العيث في ارض بغداد لكونها عاصمة الخلافة ومقرزة الشرع الديني .

رحب السلطان بهم واقتنع بجديتهم ومشورتهم . ولمساً قرب من باب الشماسية ضج الديلم والأتراك وبعض العامة وامتشقوا السيوف على الغزاة اذ رأوهم قد دخلوا المدينة لبيتاعوا لهم طعاماً وحيلهم تبنياً وعلفاً . فسخط امراء الغزاة ودخلوا المدينة وقتكوا بالثوار وقبضوا على زعمائهم وذهبوا بهم الى السلطان فامر باعتقالهم لديه في الحيام . وارسل الى الخليفة يشكو ما اتاروه من الفتنة

وأعلمه ان فريقاً من الديلم اصحابه قُتلوا وفريقاً ضاعوا . ثم قال : لولا كرامتك لاجتاح عسكري المدينة كلها بالسيف . فسُري عن الخليفة واطمأن قلبه وارسل مع حجابه وحشمه الهدايا الى السلطان ولما شارفوا المعسكر أمر السلطان باعتقالهم وابتزاز كل ما معهم .

وصباح الفد دخل الغز بغداد (٢٣٣) وقبضوا على الكثيرين من المعديين واغرقوهم في دجلة . وانهزم اغلب الاهالي من بيوتهم الى جوار بلاط الخليفة فاحتلها الغز . وبعث الخليفة برسالة الى السلطان يقول : ما كنت اؤمل منك ذلك بل كنت اعتقد ان شرفي يزداد بقدمك ويتعزز الدين بقربك . ولكني لما شاهدت خلاف ذلك تأثرت جداً والقيت اتكالي على الله تعالى .

فاجابه السلطان يقول : اني طائع لأمرك . وانت تعلم ان الذي حدث انما حدث بسبب الاتراك الاردياء القامسين بخدمتك . فلا لوم علي . ثم امر فوجه القبيلة على الاتراك العشرة الذين اتاروا الفتنة فوطنتهم وبطشت بهم . ثم احتل العاصمة واقام بها من رجاله حراساً وجباة . وامسى الاتراك خبازين وبياعين بقول وسجاري حمأهات ~~بزره كندا احتل الغز جميع~~ جمع البلد وعاثوا فيه وأبطلوا الحراثة حتى بيع ثور الفدان بعشرين درهماً واللحم بعشرة دراهم . ثم انشأوا سكة دراهم ودنانير باسم سلطانهم . وبعد هذا اضاف السلطان الى ما كان يخصه الديلم والاتراك العبيد بالخليفة من الارزاق خمسين الف دينارٍ وخمسمائة كور حنطة . وأقسم له انه لولا كثرة جيوشه المعززة للدين العربي لردّ اليه كل ما كان الاتراك يقبضونه . فطابت نفس الخليفة واحب ان يصاهر الغز فزفت اليه خاتون السلجوقية ابنة جعفري بك اخي السلطان طغرل بك . وشاد لها عنها قصرًا بجانب بلاط الخليفة وبعث الخليفة بعرض مذهب مرصع بالحجار الكريمة رُكِّزَ هناك واستوى عليه السلطان وراح الاقطاب يتوافدون الى زيارته .



السنة ٤٤٨ للعرب (١٠٥٦ م) اشتد المرض والجوع في بغداد حتى بيعت الرمانه بدينار . وفرغت المدينة من الادوية وازداد (٢٣٤) الذباب وفسد المناخ وهلك اكثر من ثلث الاهالي . وحدث مثل ذلك في سورية وفي مصر ولاسيا في فارس حتى شيع كل يوم في بخارى ثمانية عشر الف نعش . وأحصي عدد موتاهم مدة ثلاثة اشهر فكان الف الف وسبعمائة وخمسين الفاً . ومات في سمرقند مدة شهرين مائتان وستة وثلاثون الفاً . وعلى ما يظهر لم يحدث طاعون كهذا منذ بدء الخليفة .

وفي السنة ٤٤٩ للعرب (١٠٥٧ م) التحم القتال بين المعديين والغز بجوار الموصل فانكسر الغز وباد منهم الف ومائتا رجل وانهزم قتلهم قائدهم مع فريق منهم الى جبل سنجار . فسد التجاريون الابواب واستهزأوا بهم . فسع السلطان وانتوى ان يكر بذاته على الموصل . لكن الخليفة ثبطه وارسل يقول له ان يتريث ريثما يصل جيوشه من فارس . فسخط السلطان جداً وقال : الآن عرفت ان نية الخليفة غير صافية فبعد اشار اول بدءه ان اقتصر على ارسال الجيوش فارتضيت وهلك اغلبهم . والآن يشير علي بمثل ذلك .

ظل السلطان ثلاثة عشر شهراً في بغداد وغادرها دون ان يواجه الخليفة . وأمر ان تُنقل خيامه الى ظاهر المدينة . وتآلب جنوده واخربوا دور الجانب الشرقي من العاصمة واتخذوا جسورها ليعملوا منها متاريس . وسار السلطان الى تكريت وحاصرها وسأل الاهالي مساعدة فقالوا : نحن معديون ولا يتيسر لنا ان نساعدك ما لم يأمرنا البساسيري زعيمنا . فثار السلطان سخطاً ووضع فيهم السيف وأجلى كثيراً من النساء والفتيان . وبعد هذا خضع التكريتيون فصالحهم وانطلق الى بيت وازيق وساعده اهلها . ثم توجه الى الموصل وكان البساسيري (٢٣٥) والاغنياء قد هجروها . فاقام السلطان اياماً في البلاط وقصد مدينة بلد فالتمس منه هزاراسب القائد ان لا يغزوها . فقال السلطان : انت ترى ان خزانتنا فارغة وان الذين معنا جياع متضايقون فلا بد لنا من الغزو . فعليك اذن ان ترحل الى الموصل كبارها وصغارها مع كل ما يمكنهم ان

يحملوه معهم من بيوتهم . ولما تم ذلك دخل الغز ونهبوا المدينة . وأحصي عدد الراحلين فكان عشرة آلاف سوى النساء والصبيان وبعث هزاراسب معهم من يحرسهم في الطريق .

أما زعماء المعديين سوى البساسيري الذي انهزم الى سورية ولاذ بالمصريين فلما عجزوا عن مقاومة الغز ارسلوا يطلبون الصلح . فرحب بهم السلطان والبسهم ثياباً حسنة واعتم الذهاب الى بلد ابن مروان بارمينية . فسأله المعديون ان يغفر له كما غفر لهم . فقال : انكم انتم اقررتم بذنوبكم فغفرنا لكم فاذا اقرر هو كذلك غفرنا له . وانتهى السلطان الى جزيرة قردو فاطاعه اهله وادوا له ذهباً كثيراً فلم يغرمهم .

وسار عشرون فارساً من الغز الى دير النساطرة المعروف بدير كتول وفيه اربعمائة راهب فذبحوا منهم مائة وعشرين راهباً واقتدى البقية نفوسهم بستة اكيال ذهباً وفضة .

أما ابن مروان فوجه الرسل الى السلطان خاضعاً خائفاً وراضاه بمائة الف دينار فانقلب السلطان الى سنجان وحاصرها ودونها وقتل اربعة آلاف من رجالها حتى سالت دماؤهم كالسواقي واحرق مسجدتها الكبير واجتاح دورها كلها . فانتشرت روائح الجثث وافسدت المناخ وارتحل السلطان الى تل عفر فتوسل اليه (٢٣٦) الزعماء ان يعدل عن مذبحه سنجان فارتضى شرط ان لا يبقى فيها نافع نار . عند ذلك خرج جميع من اختفى وتشتوا في مختلف البلاد واقفرت المدينة من السكان . وكان حافظة السلطان يمنعون التعدي على الهاريين . جرى ذلك كله بسبب ما قذفه السنجاريون بالغز من الشتائم لما هربوا من وجه المعديين . وارتحل السلطان من هناك الى الموصل واستعمل عليها سيف الدولة ابراهيم اخاه من امه . وكان هذا رجلاً عادلاً جاءه يوماً عشار موصلية فسأله ان يقرر له كل يوم مائة دينار ذهباً يقبضها ممن يبيعون ويشترون في السوق . فجمع الزعماء وقال لهم : هل انتم راضون بهذا العشار ؟ قالوا نعم اننا راضون به اذا كفت عنا يد ضباط المعجم وجباة الغز . فأشفق عليهم وقال : لقد كففناهم عنكم ولن نطالبكم باكثر من ضريبة الغلال والثار في وقتها .

وامر المنادين فنادوا باعفاء الشارين والبائعين . فهتف الجميع بحياة سيف الدولة واثنوا على طول اناته .

وانحدر السلطان من الموصل الى بغداد ولما شارفها وجه الخليفة وزيره الكبير الى لقائه وقدم له كأساً خسروانية ذهبية مطعمة بمحجار ثمينة من ياقوت وزمرد وفيروز وقال له : لقد سرّ امير المؤمنين جداً بانتصارك وابتهج بقربك وهلمّ جراً . فشكر السلطان للخليفة وقال : انا خادمٌ لهذه الدار شاكرٌ لما غمرتني من اللطاف السنية ولم يبق لي الا التشرف بمقابلة الخليفة والتشع برويته النبوية ولا يسعني حرمانها بعد هذا . فقال الوزير : لا مانع من ذلك وقد اصبحنا بيتاً واحداً وامترجتنا معاً بالمصاهرة . ثم ودّعه الوزير وعاد فاخبر الخليفة بما جرى . وتوجه السلطان الى الدار الجديدة التي سبق فشاها (٢٣٧) .

وبعد ايام دُعي السلطان الى بلاط الخليفة فركب يتقدمه حشمه ابنا الاسرة المالكة راجلين . ولما دنا من باب القصر وقف برهة راكباً ثم فتح له ودخل الفناء وخرج رجال الخليفة الى لقائه وكشفوا السجف فدخل الدار الاولى ثم كشفوا السجف الثاني فدخل وشاهد الخليفة مستويّاً على عرش يعلو عن الارض نحو سبع اذرع وكان معمّماً بعمامة سوداء وموشحاً برداء اسود . يمثل هذا كان يتوشح بنو العباس ويوشحون اقطابهم خلافاً لحلفاء مصر فانهم يتوشحون بثياب بيضاء هم واقطابهم . وكان بيد الخليفة صولجان ذهبي والى جانبه حاجبان .

انحنى السلطان عندما شاهد الخليفة وسجد مراراً وأمر الخليفة فأصعدوه الى عرش ثانٍ اوطأ من عرشه نحو قامة رجل . وقال الخليفة للترجمان : قل للسلطان : ان امير المؤمنين يثني على همتك وعلى اتعابك وقد ابتهج بزيارتك ، وهو الآن يستودعك كل ما استودعه الله تعالى من الرعايا والبلاد . فعليك بتقوى الله والعدل في مملكته واشكر الرب ما انعم به عليك . فنهض السلطان وانحنى الى الارض وهو يقول : اني عبد طائع لامرك واثق بالله ان يعضدني في انجاز رغبتك . فامر الخليفة فوشحوه بسبعة ثياب سوداء ذات زييق واحد . ووضعوا برأسه عمامة سوداء مذهبة يعلوها تاج مدبج بياقوتين

ثمّنين رُصّت كل منها بلائى فاخرة جداً . وجعلوا في معصية دملجيين ذهبيين . امّا الطوق الذهبي فلم يرَ السلطان ان يتقلّده بل جعله في طبق حمله حاجب امامه . ورام ان ينهني ثانية فلم يتيسر له ذلك بسبب التاج الثمين الذي برأسه . ثم دفع له الخليفة ثلاث رايات ارجوانية كتّيب فيها كلمات ذهبية وأنيطت بارماح واطاف اليها الخليفة فرماناً ملكياً وامر المسادين ان ينادوه ملكاً للشرق والمغرب . ولما أمر السلطان بالذهاب سأل الخليفة ان يعدّ اليه يده فقبلها مرتين وأمرها بجبينه وخرج . فاركبوه احد احصنة الخليفة وذهبوا به في حفاوة وكبكية الى داره .

وفي شتاء السنة ١٣٦٩ للمونان (١٠٥٨ م) زحف الى ملطية ثلاثة آلاف تركي وكان سورها متداعياً منذ احتلها قرياقس من العرب . فقتلوا الاهالي وكوههم كوماً كوماً وراحوا يبتغون بن بقي ويريدونهم على ابراز المطامير . واجزوا من الجملة على الشساس بطرس معلم الصبيان وهو ينسخ كتاب الصلوات القانونية وقد وصل الى هذه العبارة « يشبه رأس يوحنا عنقوداً قطفته هيروديا » فاذا برا شماً صبره على هامته ووضعوا على صدره طستاً مملوءاً جمرات نارية . وما ان شاهد النيران عاققة بقدميه حتى قال : طوبى لكم لانكما تطهرقا ! قال هذا وفاضت روحه . وظلّ الاترك عشرين يوماً في ملطية يجتاحون وينهبون ويحرقون . ولما انقلبوا باغتهم شتاء قاس . وهم بجانب جبل السناسنة فهبط عليهم الارمن وفتكروا بهم قاطبة . وعاد من نجا الى المدينة المهشمة في جملتهم الراهب يوسف وقد نظم ثلاث قصائد في هذا الصدد ونظم يوحنا بن شوشان كذلك اربع قصائد منها قصيدتان بوزن مار افرام السباعي وقصيدتان بوزن مار بالاي الحفاسي . وخرّب دير برجاجي في هذه الجائحة ولم يتعمر بعد .

وفي السنة ٤٥٠ للعرب (١٠٥٨ م) حشد البساسيري قائد المعديين وقريش القائد الثاني جيوشاً ضخمة من عرب وعجم واتراك متن ينتسبون الى خايفة مصر وزحفوا الى قلّ عفر فانهزم اينانغ قائد الغزّ الى قلعة الموصل فلحقه المعديون وحاصروا المدينة . وحدث فيها غلاء شديد حتى أكل الغزّ خيلهم وبغالهم وجعلوا يتقوضون البيوت (٢٣٠) ويحرقون الاخشاب والجسور

ثم انهزموا الى بغداد والحواء على السلطان ليسي بنفسه ويقا تل المعدين . فقاد ر بغداد وسمع البساسيري فاجتاح المدينة وانهزم الى البرية . ولما وصل السلطان رأى المدينة قد خربت بالمرّة . وقيل له ان ابرهيم ينايل اخاه من أمه يُضمر خلع طاعته وان بينه وبين خليفة مصر مراسلة . فخاف السلطان ان يحتل ابرهيم العجم ويضم اليه عساكر الفزّ التركان فارتحل حالاً الى همدان واستقر بها وسير الجيوش ليقاتلوا ابرهيم في جبال شهرزور فقبضوا عليه وأودوا به .

ولما سمع البساسيري وقريش بسفر السلطان سارا الى بغداد واحتلاها بسهولة وقبضا على الخليفة القائم وأركباه ناقه الى الحديدية ونهبها بلاطه وناديا بالمستنصر خليفة مصر وضربا باسمه سكة دنانير ودرهم . واقاما قضاة وفقها . وموآذنين ألباسهم ثياباً بيضا . كزي المصريين بدلاً من ثيابهم السوداء . أما كبير الوزراء وهو الذي استدعى الفزّ الى بغداد فوضعه ضمن جلد ثور سلخ حديثاً وخاطاه عليه وتركاه وجهه فقط وجملا قرني ثور على رأسه وألقيا صئارات في فكه وظل اليوم كله يتقأ ويتكوى والاهالي يبصقون عليه ويشبعونه شتاً ولعنأ لانه كان سبب تلك الشرور كلها .

وارسلت والدة الخليفة القائم من مخبأها الى البساسيري تقول : اكاد اموت جوعاً فارجو ان ترحمني . فاستحضرها واسكنها في احدى غرف البلاط وخصص بخدمتها جاريتين وعين ثلاثهن كل يوم اثني عشر رطلاً خبزاً واربعة ارطال بغدادية لحماً . وكانت هذه المرأة ارمنية المحتد . أما ارسلان خاتون امرأة (٢٤٠) الخليفة فكانت عند قريش وبعث السلطان يطلبها فارسلوها اليه مكرمة مفرزة . وفي هذه السنة مات داود جفري بك اخو السلطان طغرل بك وخلف ثلاثة بنين اكبرهم ألب ارسلان . ووجه السلطان سفيراً الى قريش يشكر له اهتمامه برسالة ارسلان خاتون وقال له : ارجو ان ترد الخليفة الى عاصمته وتتوكلى انت تدبير شؤونه . وكن على ثقة بانى ان اعود الى بغداد لاني منصرف الى تدبير شؤون مملكة العجم . واذا تعذّر عليك اقتناع البساسيري لزمك ان تلوذ باحدى القلاع او البراري حرصاً على نفسك الكريمة وعلى آك لنلا يلحق بهم جنودنا اذى دون تعمد وهم زاحفون الى تلك الاطراف . فلقد مننت

علينا بئمة كبيرة اذ ارسلت الينا ولدنا ولا سبيل لنا الى مكافأتك مهما بذلنا لك .

فكتب قريش الى البساسيري وهو في واسط يقول : علام هذه المصارعة كلها ؟ الأجل المصري الذي لم يتزل ان يبعث الينا برسالة اعتيادية مع اننا أذعنا المناداة به في بغداد عينا ؟ فالخليق بنا ان نتفق مع السلطان ونعيد الخليفة الى عاصمته . غير ان البساسيري لم يذعن لمشورة قريش . فاضطر هذا ان يرحل الى البرية في أهله . ثم زحف السلطان في جيوشه الى حدود بغداد . ولما شارف الخديثة سارع اليه اميرها مستصعباً الخليفة اذ كان محبوساً عنده . فوجهه السلطان الى بغداد بمظاهر الاجلال واعتذر له قائلاً : اني بسبب وفاة اخي جفري بك وتنظيم بنيه وخروج ابراهيم اخي الثاني علي تأخرت عن استدراك مسئلتك . فابتهج الخليفة وسري عن قلبه الهم . وبعد هذا وجه السلطان عساكره نحو البساسيري فوثبوا اليه وهو منزوم وحزوا رأسه وجاؤوا به الى السلطان فأمر ان يربطوه برأس قصبه ويعلقوه على باب البلاط . هكذا استراح السلطان من عدا المحدثين (٢٤١) وقفل راجعاً الى خراسان .

وفي السنة ٤٥٥ للعرب (١٠٦٣ م) توفيت خاتون امرأة السلطان طغرل بك . وكانت عزيزة على قلبه جداً . اذ كانت كل الشؤون الدولية بيدها . وارسل الى الخليفة في خطبة ابنته فأبي ان يُرَف ابنة عربية الى غريب عن قبيلته وعن أسرته . فارتاب السلطان وعاتبه عتاباً مرّاً وتظاهر بالعداء له . فتخوف الخليفة وزف اليه ابنته على كرم منه وشرط ألا تغادر البلاط وان يكون السلطان عندها كلما زار العاصمة . وبعد اخذ ورد رخص لها ان تنتقل الى الدار التي ابتناها السلطان حديثاً . ثم يم السلطان بغداد وأدّى مائة الف دينار ذهباً ومائة وخمسين الف درهم واربعة آلاف قطعة قماش فاخر بثابة جهاز . ولما زفت اليه العروس ودخلت داره نهض السلطان وحشمه ورقصوا كعادتهم يركمون تارة وطوراً يققون ويغنون اغاني تركية وهي مستوية على عرش ذهبي وركع السلطان كذلك امامها وهي متقنعة ولم يجلس بل تركها ومضى . وظل كذلك سبعة ايام . وأصبح العرس مجلبةً لهجة السلطان وكمد

الخليفة ولاسيما لما غادر السلطان بغداد الى خراسان واستصعب ابنة الخليفة امراته قسراً خلافاً لما أبرمه من اليهود ببقائها في وطنها .

وفي هذه السنة ١٣٧٤ لليونان (١٠٦٣ م) زحف الروم الى آمد وحاصروها اياماً كثيرة . وتآلب الاتراك والعرب وتناوشوا وهلك الكثيرون من كلتا الناحيتين وترك الروم المدينة ورجعوا .

وفي ٧ ايلول هذه السنة مات طغرل بك (٢٤٢) في الري بفارس بالغاً السبعين قضى منها ثلاثين سنة ملكاً وثماني سنوات في بغداد . وأوصى بالملكة لسليان بن جفري بك . لكن اخاه الب ارسلان زاحمه وملك مكانه ونودي بضياء الدين سلطاناً في بغداد وغيرها .

وفي السنة ٤٥٦ للعرب (١٠٦٣ م) حدث بعض الصيادين الاكراد ببغداد انهم لما كانوا في البرية يقتنصون شاهدوا خياماً سوداء وسمعوا اصوات عويل ونوح وبكاء فقصدوا المكان وسمعوا صوتاً يقول : اليوم مات بعزوب رئيس الجن . فالذي لا يقيم الحداد عليه اياماً ثلاثة يُنقض بيته من اساسه . فسمعت نساء بغداد تلك السخافة وهروا الى المقابر ومكثن ثلاثة ايام ينحن ويندين ويمزقن ثيابهن وينتفن شعورهن ويسخن وجوههن بسواد القدور كأنهن يسترضين الابالسة لثلاث تبطش باغزائهن . وانتشر مثل هذا الخبر في ارض سنعار والموصل وارمينية .

وفي هذه السنة سار السلطان الب ارسلان الى مدينة آني وهي أولى مدن الروم بناحية ارمينية ودونخا وحدث فيها مذبحاً فظيعة . واتي هذه مدينة عامرة يحيط بثلاث نواحيها نهر آراس الكبير وفي ناحيتها الرابعة خندق عميق تجري فيه مياه ذلك النهر يعبره الاهالي على جسر غادين رانحين . وكانت تشتمل على سبعمائة الف دار وعلى الف كنيسة . على ان الاتراك لما آيسوا هبط بغتة احد ابراجها باشارمة عنوية فوضعوا جسراً ودخلوها . واطلقوا على سلطانهم بسبب ذلك لقب ابي الفتح .

ومنذ كسرين الاول حتى كانون الاول تلك السنة حدث حراً لافح في

بغداد لحقه مرض ووباء حتى بيع من التمر الهندي بأربعة دنانير ذهبية (٢٣٤) وحدث في كانون الثاني برد شديد وجمد دجلة وهبط في بغداد ثلج كثير.

وفي السنة ٤٥٨ للعرب وهي السنة ١٣٧٧ لليونان (١٠٦٦ م) سار السلطان الب أرسلان الى خوارزم واستعمل عليها ابنه سلاشاه وعاد الى نيسابور.

وفي هذه السنة اجتمع ثلاثمائة لص ارمني بقيادة خزرريج كبيرهم واخذوا يكمنون في جبال ملطية ويفترون بسلد جوباس وقلودية وينهبون الاديار . فكروا على دير سرجسية وبعثوا عظام الشهداء واخذوا صندوقها . وساروا الى قرية سنجاس بجوار دير ماديق واستزفوا من المؤونة ما قيمته الف ومائة دينار سوى البقر والحير وخمسة دنانير نقداً . وقرر زعماء ملطية ان يؤدوا لهم جزية عن جوباس وعن قلودية . ثم ارسل الارمن الى الملك فوجه اليهم فرماناً بامتلاك اربع قرى شرط ان لا يعودوا الى النهب والغزو . لكنهم لم يكفوا عن التعدي بل اتتوا ان ينهبوا دير برضوما ويتحصنوا به واذا صوت يباغتهم يوصول الاتراك الى ملطية تكراراً . فانهمز اهالي قلوديا الى الدير المذكور في عشرة من اللصوص الارمن وظل بقيتهم في الجبل وتم الاتفاق على ان اولئك العشرة يفتحون لهم الباب ليلاً يدخلوا الدير ويتحصنوا به . فشرع الراهب ايونيس بالمكيدة وانتقى رجالاً اشداء من قرية تل تورا المباركة وكانوا يومئذ في الدير فقبضوا على اولئك العشرة والقوهم من شرفة الدير دون علم الرئيس وشاهدوا في الصباح صرعى بلحف الجبل وانهمز اصحابهم الارمن . وبعد ايام يم الدير رهبان وناك من ملطية فوثب اليهم اولئك اللصوص وبطشوا بثلاثة منهم . وبعد ثلاث سنوات ابنتي الرهبان (٢٤٤) البرجين العالين وابتنوا برجاً ثالثاً ما بينها بعد اثنين وثلاثين سنة . وفي السنة ١٤٧٥ لليونان (١١٦٤ م) شيد البطريك ميخائيل المعبوط البرج الجنوبي وحصن الدير العالي .

وفي السنة ٤٥٩ للعرب (١٠٦٦ م) سار كوشتكين القائد التركي الى الرها وتغلب على الدوناس وأوثقه فافتدى نفسه بمشرين الف دينار وعاد الى المدينة . واحتل كوشتكين حران وسروج والرقه . ثم توجه يريد زيارة السلطان الب أرسلان وعند وصوله الى خلاط سخط على احد امرائه وبطش به وكان

لهذا الامير اخ اسمه افشين . هذا عمد الى كوشتكين وأجهز عليه وهو سكران .
وبعد هذا حشد الاتراك وزحف بهم الى انطاكية يغزوا ويسبي .
وفي هذه السنة زُفَّت ابنة اخت فقراط ملك الكرج في ابكار الى
السلطان الب ارسلان واحتفلوا بالعرس في همدان وما مرّ القليل حتى دفع لها
كتاب الطلاق واقتون بها احد العطاء .

وفي السنة ٤٦٠ للعرب (١٠٦٢ م) برز ارسطاكيس البطريق الارمني من
حصنه وسار في مائتي رجل الى حصن امنع خيفةً من الاتراك . فوثب اليه
الامير بشروانشاه التركي فهلع الارمن وقالوا له اننا ماضون الى السلطان لنجاهر
بالاسلام بين يديه . فسيرهم اليه مكرمين وجاهروا بالاسلام مرغمين واختنوا .
وقرّر السلطان ان يدفع للبطريق كل سنة عشرين الف دينار لمعاشه . غير ان
اولئك الارمن ما عثم ان عادوا الى ارمينية الداخلية ورجعوا الى ديانتهم
النصرانية .

وتوفي قسطنطين دوقس ملك الروم وخلفه رومانس ديوجنيس . فرحف
عام ١٣٨٠ لليونان (١٠٦٩ م) في مائتي فارس الى سورية وقاتل المعديين بني
كلب وقهرهم واحتل (٢٤٥) قلعتي عم وارتح وكالتا للعرب . وانتشر الروم
في ضواحي منبج وانهمز اغلب اهاليها الى حلب . وبلغ كراه الجمل من منبج
الى حلب ثمانين ديناراً ذهباً . واحتل الروم منبج وقتلوا خلقاً كثيراً وقوضوا
سورها وابتنوا بجوارم قلعتها القديمة . وفشا الغلاء فيهم اذ لم يستطيعوا امتياز
الغلال من حدود الاتراك المتعودين الغزو والنهب فصار رطل الخبز بدينار وست
حفنات شعير بدينار . وحدثت بعض المعديين انهم قتلوا رجلاً رومياً وبقروا بطنه
فعثروا على حبات شعير صحيحة . وبلغ الملك ان افشين التركي زحف الى بلاد
الروم واحتل عمودية فاقام حراساً في القلعة التي احدثها في منبج وعاد الى بلاده .
وفي السنة ٤٦٢ للعرب (١٠٦٩ م) حدث غلاء في مصر حتى اكل الناس
بعضهم بعضاً . ولم يبقَ فيها سوى ثلاثة احصنة للخليفة وأكل سائر الخيل
والبعال والجباش اصحابها . وبيع الكلب بخمسة دنانير وعشرة دراهم .
وبيعت وزنة البصل بدرهم فضة . وتزل الوزير يوماً عن بغله ليزور الخليفة

فسارع بثلاثة رجال وخطفوا البغل من يد الصبي وذبحوه واكلوه . وبلغ الخليفة الخبر فأمر بشنق الثلاثة . فاقبل تحت الليل رجالٌ انزلوهم عن الاخشاب وذبحوا لحمهم وانصرفوا . ووجدت عظامهم صباحاً مجردة مكومة تحت تلك الاخشاب . وقد امتد الجوع الى بلاط الخليفة نفسه حتى اضطر ان يبيع امتعته الملكية باثمان بخسة . وبيعت عشر لآكي وزنها عشرة مثاقيل باربعمان دينار . وكان في تليس وهي صاعان احدى مدن مصر (٢١٦) ثلاثمائة رجل يؤدون الجزية فأمسوا اقل من مائة حين الغلاء .

وفي السنة ٤٦٣ للعرب وهي السنة ١٣٨٢ لليونان (١٠٧١ م) زحف السلطان الى اركسطيا وهي ارغيش ودوخها وقتك بالكثيرين من اهلها واحرز غنائم وافرة بعث بها الى خراسان . وأجرى مثل ذلك في مدينة منازكرد . ثم ارتحل الى ميافرقين وهي للعرب واستدرف من صاحبها اكثر من مائة الف دينار وانطلق الى آمد ودنا من سورها وتبرك بحصانته . وسار الى سويوك وهي للروم وأخذ من اهلها الف دينار وتركهم . ثم توجه الى الرها وحاصرها اياماً كثيرة ولم يفتحها فقطع اشجارها وأتلف بساتينها ووعده الرهاويون بخمسين الف دينار شرط ان يرحل عنهم . فارتضى السلطان فقال له الرهاويون : ان ندفع شيئاً ما لم تحرقوا المنجنيقات وتلتفوا ساثر ادوات الحرب لاننا نخاف ان تطعموا بالذهب وتستأنفوا الحرب . فأمنهم السلطان واتلف ادوات القتال . غير ان الرهاويين لم يدفعوا له شيئاً فتركهم السلطان حاقداً وعبر الفرات .

وعند ذلك وصل سفير الملك ديوجنيس وقال للسلطان : بما انك تركت وطنك وأتيت فنحن نرد لك منبج وانتم تردون لنا ارغيش ومنازكرد . ونؤدي لكم الجزية المعتادة حولاً فحولاً . فرضي السلطان وعاد الى خلطاف فارسل اليه الافشين يقول : اني زحفت الى بلاد الروم ورجعت في غنائم وافرة دون ان يعارضني احد . فاستجمع السلطان قواه وانقلب مسروراً الى بلاد الروم وهلك في الطريق اغلب جماله الموسقة ذخائر بسبب جريها السريع . وتوغل الافشين (٢٤٧) في تلك البلاد حتى وصل الى ساحل البحر الذي يمر بقسطنطينية وغزا وسي وانطلق الى مقدونية . ولما وصل الى سينادو باغته الثلج المتراكم فارسل

الى امرأة يونانية اسمها مريم كانت متولية القلعة يسألها السماح للجيش التركي كي يدخل القرى والمدينة لابتياح الموزونة . وهددها بقلع الاشجار والكروم والبساتين ان أبت . ولكنها لبّت طلبه .

اما الملك ديوجنيس فحشد الفياق وبرز من ناحية ارمينية متغطرساً متغطرفاً ووصل الى منازل كود وكشف عنها اصحاب السلطان دون أذى . فسمع السلطان وعدل عن الزحف الى بلاد الروم بسبب قلّة عسكره . ووجه سفيره سوتكين ليعقد الصلح مع الملك ويؤيده بقسم ويعود كل الى وطنه . لكن ديوجنيس تجرّ وقال : لا يتيسر لي الرجوع بعدما افرغت خزائني من المال وطوّحت بجودي واصبحت الغلبة بجاني . كلاً ليس لكم عندي الا السيف !

عند ذلك عزز الله سبحانه المذلل المتكبرين عزائم السلطان فجهز جنوده ونفخ فيهم روح البسالة والشجاعة . وألقى عنه القوس والسهم ولبس الدرع وقبض على الخنجر والرمح وربط ذنب حصانه وركب وركب الاتراك مثله ووثبوا الى الروم يوم الجمعة وقت الظهيرة وهم بين خلاط ومناز كود وتنشّوا فيهم وهم يضجون وينعجون . فهلع الروم اي هلح وقاتل الاتراك كثيرين منهم واعتقلوا غيرهم وانهمزم بقيتهم . وعند المساء اقبل كهريا الحاجب التركي وقال للسلطان : ان احد عبيدي قد اعتقل الملك ديوجنيس وهو عنده . وكان هذا العبد من المضروب عليهم وقد منع قائده عنه المعاش . فقال له كهريا انه هو هو (٢٤٨) الذي اعتقل الملك فلا تستهزئ به . اما السلطان فعلى رغم ارتيابه في الامر سير الشاب شادي فوراً ليطلع على الحقيقة . وكان شادي المذكور قد ذهب غير مرّة الى قسطنطينية مع السفراء وشاهد الملك بام عينه . فذهب ورأى ديوجنيس معتقلاً وانحنى امامه . ثم عاد مسرعاً الى السلطان فأكد له انه هو الملك ذاته . فأمر السلطان ان ينصبوا لديوجنيس خيمة ملكية معتبرة ويمضوا به اليها . واوثقوا يديه وعنقه واقاموا مائة تركي يحفرونه . وعند الصباح أمر السلطان باحضاره وصفعه اربع صفعات بيده وقال له : لماذا رفضت طلبي وقتما سألتك الصلح والموادعة ؟ وكان ديوجنيس حكيماً خبيراً فاجابه بكلام متزن وقال : لقد صنعت ما امكنتي ولم اتعد ما يصنعه الملوك مثلي .

غير ان الله اكل مشيته . فالآن دع العتاب واصنع ما بدا لك . فقال السلطان : قل لي الآن ما كانت زيتك ان تصنع بي لو وقت بيدك ؟ قال الملك : كل سوء اذا ما من عدو يلاقي عدوه الا ليسيء اليه . قال السلطان : صدقت في ما نطقت . ولو اجبت غير هذا الجواب لما صدقتك . فقل لي الآن : ما ظنك ان اصنع بك انا ؟ قال الملك : واحدة من ثلاث : الاولى ان تقتلني . والثانية ان تفضحني فتطوف بي في بلادك ليطلع الناس على غلبتك ونصرتك . والثالثة لا حاجة الى ذكرها . لان ذلك وهم بعيد جداً عن الحقيقة . قال السلطان : ما ضررك لو قتلته لي ؟ قال الملك : ان تعيدني الى وطني مغزاً فاغدو كاحد بطارقتك ؛ اذا دعوتني لبيتك واذا امرتني اطعك . قال السلطان : لا اتوي الا انجاز هذا الامر الثالث الذي قطعت (٢٤٩) منه املك .

ثم طلب السلطان من ديوجنيس عشرة آلاف الف دينار فدية . فقال الملك : لو وهبت لك مملكتي كلها لكانت كلاشي . نظراً الى نجاتي . ولكن لا يخفى عليك اني افرغت خزائن الروم برمتها منذ توليت امرهم وانفقتهم على الجند الذين استخدمتهم . واخيراً أطلق السلطان سبيله على ان يؤدي الف الف دينار دية عن نفسه وثلاثمائة وستين الف دينار كل سنة حزية . ثم أمر فحلوا وثاقه وأجلسه على الكرسي الذي انتزعه منه وأكلا وشربا معاً . ثم طلب السلطان انطاكية والرها ومنبج ومناز كرد فقال الملك : متى رجعت الى مملكتي أرسل انت جنودك ليحتلوها وانا اكتب الى اصحابها ليسلموها . والأفاذا كتبت لهم الآن لا اظن انهم يطيعوني . فاذا احببت ابعثنى الآن الى بلدي قبل ان يقيموا ملكاً بدلاً مني . والأفلا يتيسر لي ان انجز شيئاً من هذا كله . وبعد هذا أمر السلطان ان يركب مع الملك مائة عبد واميران الى قسطنطينية . وودعه هو نفسه مسافة فرسخ ولماً عول على الرجوع احب الملك ان ينزل عن حصانه ليودعه فاستحلفه السلطان ان يظل راكباً وهكذا ثلاثاً وتعاثا راكبين واقتربا .

هكذا رأينا هذا الخبر في نسختين احدهما عربية والثانية فارسية . غير ان البطريرك ميخائيل المعبوط ذكر ان ابن اخت السلطان هو الذي قبض على

الملك وان رجلاً كردياً وتب فقتله واوثق الملك كأنه هو الذي أحرز الغلبة . وان السلطان لما سأل الملك ما كانت نيتك ان تصنع بي لو وقعتُ بيدك؟ وان ديوجنيس قال له : كنت أحرقتك بالنار . فعلى ما يظهر ان عبارة كهذه لا يعقل ان يقولها ملك لملك . زد عليه ان رجلاً كردياً لا يتيسر له ان يقتل ابن اخت السلطان ويخطف الملك من يده مدعياً انه هو الذي اوثقه . اذ كان هذا الكردي يخشى (٢٥٠) اقله ان يفضح الملك كذبه .

أما اليونان فلما بلغهم ما حدث لديوجنيس نادوا بميخائيل بن قسطنطين ملكاً وهذا قبض على امه التي كانت امرأة ديوجنيس وجعلها في الدير قسراً . واقام عمه ايونيس مديراً للمملكة . ولما وصل ديوجنيس الى العاصمة وسمع ما جرى قصد قلعة دوقية واقام بها ولقي هناك مائتي الف دينار بعث بها الى السلطان مع الاميرين اللذين صحباه وأخبره بما جرى . ثم توشح باسكيم الرهبنة هناك وبعث يقول لميخائيل الملك : حسبي اني جاهدتُ جهاداً حسناً في سبيل المسيحيين حتى الآن . فلتكن لك المملكة مباركة فهي جديرة بك وقد احسنتُ في ما صنعت . واشير عليك مشورة امين صدوق بان تقرّر الصلح مع السلطان وألا فلن ترتاح ولن يرتاح المسيحيون . فشكره الملك وصرح بانه يمثل مشورته .

غير انه بعد ايام اضطره البعض فكتب الى ديوجنيس يقول : ان كنت راهباً حقيقياً لزمك ان تترك القلعة وتنقطع الى احد الديورة فترسل نحن من يجرسها . فسخط ديوجنيس وقال : ألا استحق قلعة واحدة من كل المملكة الرومية ؟ ثم نزع ثوب الرهبنة واستقرض النقود من تجار دوقية وجمع جيشاً . ثم جاءه ابن سنحاريب بطريق ارمينية الصغرى فقبض عليه وسمل عينيه واستترف منه ثمانين قنطاراً ذهباً . هكذا اشتد ساعده وسار الى ملطية وارسل الى السلطان الب ارسلان يستنجده فوعده بان يوافي بذاته الى نجدته كلما دعت الحاجة . ثم انتقل ديوجنيس من ملطية الى قيليقية ففاجأه ايونيس عم الملك وحصره في اطنة وقبض عليه وأخبر الملك ميخائيل فكتب له الملك ان يحضره اليه بكل اكرام وتحفظ ليضعه في احد (٢٥١) الديورة . غير ان ايونيس فآ عيني ديوجنيس قبل ان يوصله الى العاصمة فقال ديوجنيس يضرب رأسه في

الجدار حتى لفظ روحه . وقد ارتاب الملك والاقطاب وحنقوا على ايونيس لانه فعل ما فعل دون امر الملك .

وفي هذه السنة انتزع الفرنج صقلية من العرب . وكان حاكمها قد ابتاعها من خليفة مصر .

وفي السنة ٤٦٥ للهجرة للعرب (١٠٧٢ م) مات السلطان ألب ارسلان وخلفه ابنه ملكشاه . وقت وفاة السلطان هكذا : كان شمس الملك بن طباجاج متولياً أمر بخاري وسمرقند وسائر ما وراء نهر جيحون من البلاد . وكان الياس بن ألب ارسلان متولياً خوارزم . فتحرش احدهما بالآخر وثار ابن طباجاج على امرأته وهي بنت السلطان ورفسها برجله غير مرة حتى أجهز عليها وهو يقول : لست امرأتى بل جاسوسة عندي تثيرين اخاك ليأتي ويتلف بلادي . وما ان سمع السلطان بقتل ابنته حتى اخذته النخوة فحشد الجنود وعبر النهر واقام الحصار على مدينة كان حاكمها خوارزمية ناورشه القتال واغواه بالوعود ثم غزله . فأمر ان يوثقوا يديه ورجليه باربعة مسامير ويرشقوه . فاحتدم الخوارزمي سخطاً وجعل يشتم السلطان الى ان قال : ويحك ايها الخنث أهكذا تقتل من كان مثلي ؟ فارت دماء السلطان وقال للجنود : دعوني ارشقه دون وثاق واقتله . فتركوه فرشقه سهماً واحداً فاخطأه . ووثب الخوارزمي على السلطان وطعمه بسكين في خاصرته عثر عليه هناك . وألقى احد الحجاب بنفسه على السلطان فتركه الخوارزمي وجعل يطعن الحاجب بسكينه . عند ذلك يادر رجل ارمني ممن يخدمون الحيام مسرعاً وضرب الخوارزمي على يافوخه بمرزبة وبطش به . اما السلطان فلم يمش بعد تلك الضربة الا اياماً معدودة ومات وشيع الى مرو ودُفن (٢٥٢) بجانب ابيه جفري بك . وأوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه . واقترن اخوه قاروت بك بخاتون امرأته وتولى بلد شيراز سوى القلاع فقد ظلت في حوزة السلطان .

اماً قاروت بك وكان يتوقع وفاة اخيه من امدٍ مديد فلماً نُعي اليه سارع في السفر من كرمان بحراً في الشتاء . ووصل الى شيراز . ثم قصد خراسان وحشد الجنود ليقاتل ملكشاه ابن اخيه . فتهماً ملكشاه لمحاربة عمه وتغلب عليه واعتقله

وفتك به . وفقاً عيون ابنائه الحسة وتوفي الابنان الصغيران وعاش الثلاثة عمياناً وهم : سلطانشاه وتركانشاه ووردنشاه . ولو ظل ملكشاه في وطنه لازداد اعتباره كالسلطان اخيه .

وفي السنة ٤٦٦ للعرب وهي السنة ١٣٨٤ لليونان (١٠٧٢ م) هبطت أمطار غزيرة متواصلة منذ تشرين الثاني حتى ٢٤ شباط . وفاضت الانهار وطفحت المياه في ارض بغداد وتفجرت وقوضت دوراً شتى . وانهزم الاهالي الى غربي المدينة . وغمرت الامواه دار الخليفة عند باب نوبة الذي يحرسه الحجاب النوبيون . فانهمزوا هم والحواري وكل من كان في الغرف وهي الف وخمسةائة غرفة . وخرجوا ساجدين وانطلقوا الى ناحية بغداد الغربية واعتصموا ببيوت العامة . وغمرت المياه سرير الخليفة فانهمز نحو الباب ولم يتيسر له العبور فاقبل احد الحجاب وحمله ووضع في زورق ووضع معه كذلك نساءه وبعض ما امكنه ان يأخذه من الاثاث تملصاً من الفرق . واتشح الخليفة بقميص نبيهم وقبض على الصولجان كمن يحاول منع طغيان المياه دون جدوى . واقام الكثيرون في القوارب بلا طعام حتى ان الخليفة ذاته ظلّ يومين لا يصيب طعاماً .

وحدث مثل ذلك للوزير اذ ظلّ يومين دون طعام وهو في قارب ملقى على الاخشاب . وغمرت المياه الصحراء وأغرقت كثيرين من المعديين . قيل ان بدويّاً لما دنت منه المياه اركب امرأته حصاناً وابنته حصاناً ثانياً وركب هو حصاناً ثالثاً فطفحت المياه واغرقت امرأته وابنته وخنقتها . وبادر البدوي الى شجرة قريبة تسلقها وترك الحصان وظلّ كذلك اياماً حتى قلت المياه . وشوهدت سباع وجواميس واقفة في قم الجبال مبهوتة وقد اكتنفتها المياه ولم يؤذ بعضها بعضاً .

وفي السنة ٤٦٧ للعرب (١٠٧٤ م) توفي الخليفة القائم بدار الحنّاق ليلة الخميس لثلاث عشرة من شعبان . وعاش خمساً وسبعين سنة . وكان اصفر اللون بسبب اكثاره من اكل الباليون . وخلفه ابنه المقتدي . وعلى زعم المنجيين انه كان في خطر الموت تلك الليلة لان طالعه كان المريخ وقد هبط

تلك الليلة من برج العقرب الى برج الجوزاء، في دائرة زحل ببرج القوس . ووصلا
كلاهما الى برج الاسماك وبه كان انقضاء تلك السنة .

بعد القائم المقتدي ابنه

تولّى تسع عشرة سنة وخمسة اشهر . وفي السنة ٤٦٨ للعرب (١٠٧٥ م)
اندعوا قلعة منبج الجديدة من الروم . وقد اقام الروم فيها ثمانى سنوات لا
يفتر العرب من محاصرتها حيناً فحيناً . وحدثت حرب شديدة عام ٤٦٩ للعرب
(١٠٧٦ م) في سورية بين عساكر التركمان والمصريين . وتبع الحرب غلاء
ووباء ولا سيما في دمشق اذ هلك سكانها كلهم تقريباً . وكان مجموعهم فيما
سبق ثلاثمائة الف نسمة فأمسوا ثلاثة آلاف نسمة فقط . وكان فيها مائتان
واربعون خبازاً فلم يبقَ فيها سوى خبازين لا غير . وبيعت الدار التي كانت
قيمتها ثلاثة آلاف دينار بدينار واحد ولم يكن من يشتري . ولما صار فيها
رخصٌ تفانقت الفيران على الاهالي بسبب موت الخنافس (٢٥٤) . وكان
لامرأة دمشقية داران اشترت الواحدة بثلاثمائة دينار والثانية باربعائة دينار .
فباعت احدهما بسبعة دراهم فقط واشترت قطعةً لتنجو من أذى الفيران .

وفي السنة ٤٧٠ للعرب وهي السنة ١٣٨٩ لليونان (١٠٧٨ م) اصبح
ميخائيل الملك عاجزاً عن سياسة الدولة لما عرض له من داء الحصاة . فأتوى
في البلاط وانصرف الى معالجة جسده ولم يستطع ان يقابل احداً . وشذ عن
طاعته نيقيفور البستاني وكان هذا فلاحاً ترقى رويداً رويداً حتى تولّى جزيرة
قبرس فانطاكية . ثم عُزل وغدا في دقعا، الفاقة . فاتفق مع امير يتحدّر من
الاسرة السلجوقية اسمه قلميش ابن بيغو ارسلان بن سلجوق وكان قد فرّ من
وجه السلطان الب ارسلان ولاذ ببلاد الروم وحاصرا معاً قسطنطينية اربعة
اشهر حتى شمل القحط اهاليها وبيع رغيفاً الخبز بدينار والدجاجة بدينار وخمس
عشرة بيضةً بدينار . وتبع القحط وباء . وذكر رجل ممن يشعرون الموتى الى
مقبرة الكنيسة الكبرى ان تلك المقبرة ضاقت عن استيعابهم فجللوا يلغون

الجث في البحر من باب يشرف عليه ويقبضون عن كل ميت فلساً واحداً .
قال : قبضت في هذه الاشهر الاربعة مائة وستين الف فلس . قلنا : ان كمية
كهذه وافرة غير قابلة التصديق . وقد نقلنا ما نقلنا عن سيقنا . على ان
البطريك والاعيان لما رأوا ان الملك ميخائيل عاجز عن مقاتلة المحاصرين فتحوا
ابواب العاصمة وسلموها الى نيقيفور فدخلها وسار اليه الملك ميخائيل مترجلاً
حاملاً التاج الملكي بيده وقال له : خذ التاج واكف عن محاربة الاهالي
بالسيف . فلو طلبته مني لاعطيتك دون نزاع . فأمره نيقيفور ان يقص شعره
ويذهب . وانقطع عن اكل اللحم فتعافى وقضى حياته زاهداً .

وحق نيقيفور على ابني الملك ميخائيل فانزع خصيتها (٢٥٥) واقرن
بأمتها . فاشمأزه الاهالي جميعاً وغادرته النعمة وملكه الرعب فلزم البلاط ولم
يخرج الى حرب البتة .

أما السلطان ملكشاه فوجه عبده برسوق في جيش ليرد قتلش . ولما
شارف قسطنطينية ارسل يطلبه من نيقيفور . فقال له نيقيفور : ان ديننا لا
يسمح لنا ان نسلم من استجار بنا ولئن سلمنا كلنا . وبعد هذا تبارز قتلش
وبرسوق وباد الكثيرون من الاتراك من كلتا الجهتين . ثم ارسل برسوق
يقول لقتلش : الى مَ هذا النزاع بيني وبينك ؟ هلم نتصارع معاً فالذي يغلب
صاحبه يتولى امر الجميع . فوافق قتلش . واحتال برسوق فألبس أحد عبيده
ثوبه وسلاحه واركبه حصانه الخاص وسيّره ليبتش بقتلش وظل هو واقفاً
مع عشرين فارساً كأنه يشرف على مسرح . فتطاعن الحصان وحمل قتلش
على العبد وجندله عن حصانه والحدر ليقطف رأسه . فبادر برسوق ووثب
اليه هو ومن معه وأجهزوا عليه . ولم ير ان يعود الى السلطان إلا بالقليلين
من اصحابه خوف ان يبتش به بسبب غدره بقتلش . أما سائر الجيوش فقد
انضتوا الى سليمان بن قتلش وغادروا بلاد الروم وزحفوا عام ٤٧٥ للعرب
(١٠٨٢ م) الى بعض المدن الساحلية كالطرطس وطرسوس وفتحوها واحتل
سليمان بعد ذلك انطاكية .

وفي السنة ٤٢٦ للعرب (١٠٨٣ م) احتلَّ شرف الدولة بن قريش مدينة حرَّان وفتك بقراصي صاحبها . وفي ٢٣ ايلول تلك السنة انتزع فيلردس الارمني مدينة الرها من الاتراك . وسنأتي بعد هذا على ذكره قريباً (٢٥٦) .
 أما نيقفور فقد اساء التصرف في الرعيَّة مدة سنتين حتى كاد يفضي بها الى الدمار . فعقد القائد الكسيس قنينس سرّاً مع الاقطاب وانطلقوا الى مكان ملائم خارج العاصمة ونادوا به ملكاً . ثم عادوا الى المدينة مسرعين دون ان يعارضهم احد . ودخل الكسيس البلاط فغادره نيقفور وعوقب حسب عمله وأشبع شتاً وسباً .

وفي السنة ٤٢٧ للعرب (١٠٨٤ م) كان ابن مروان متولياً من الموصل حتى سواحل الفرات واتقأ بالعساكر المعديين لا يخضع كما يجب للسلطان ملكشاه . فارسل السلطان الى الامير ارتق ليحشد جنود التركمان ويتأهب للقتال . فسمع ابن مروان وأرسل الى شرف الدولة بن قريش امير المعديين الكبير يستنجده . فاحتشدوا وشارفوا آمد واقبل ارتق كذلك . ولما رأى شرف الدولة كثرة التركمان أرسل يقول لارتق : اني انا وابن مروان عبدان للسلطان فعلام هذا النزاع ؟ ارجو اذا ان تعودوا فأعود انا ايضاً ويتم الصلح بيننا . فوافق الامير ارتق لكن التركمان تدمروا لانهم عائدون فارغين دون غنيمة يقتنومها . وركبوا عند نصف الليل وحملوا على المعديين صباحاً وفتكوا بالكثيرين منهم وانهزم شرف الدولة مأيساً الى آمد ولاذ بابن مروان . وسار التركمان الى خيام المعديين واوثقوا النساء والفتيان واحتوا على ما فيها . ثم ربطوا اعناق الامراء المعديين ومضوا بهم نحو سور آمد وباعوا البعض بعشرة دنانير والبعض باقل من خمسة دنانير . وبيع الحصان العربي الجيد بخمسة دنانير والناقة بدينار والجحش بخمسة دراهم والحروف بنصف درهم . وحطّوا اكثر من عشرة آلاف رمح واحرقوها تحت القدور . ثم ثار نزاع ما بينهم (٣٥٧) فتركوا آمد وانصرفوا . وانطلق شرف الدولة الى الرقة .

وضعت دولة الروم يومئذٍ اذ كان الاتراك يغزون بلادها في كل مكان . واجتمع زهاء خمسين رجلاً من رجال الحرب الأرمن واصطلحوا على دخول

البلاد وسلبها . ولما وصلوا الى مرعش صادفهم فتى ارمني اسمه فيلردس اطلعوا على دهائه وبطشه وشجاعته في الغزو والقتل فولّوه هدايتهم واقاموه زعيماً عليهم . وما عم ان استفحل امرهم ونشوا يسلبون امكنة حصينة ببلاد قيليقية . فسمع ملك الروم وارسل الخلع الى فيلردس فانطلق الى قسطنطينية ورحب به اليونان وجادوا عليه بالذهب والسلاح ورقوه الى رتبة سبسطس . فخرج واحتل قيليقية وانطاكية ثم احتل كذلك مرعش والكيسوم وربعان والرها وجيحان وملطية . وانضم الى اصحابه الارمن رجال من العجم والاتراك . واسترسل في الظلم والعتو حتى قبض على زعماء انطاكية واغتصبهم اموالهم ووزعها على عساكره . فأبغضه الانطاكيون بغضاً شديداً وولّوا عليهم حاكماً فارسياً يقال له اسمعيل فغادرها فيلردس وانصرف .

وسمع سليمان بن قتلميش الذي قُتل ابوه في العاصمة كما ذكرنا أن فيلردس انترج عن انطاكية فجهز السفن وزحف من انطرطس وطرسوس الى انطاكية من جهة الجبل واحتلها بمساعدة حاكمها اسمعيل المذكور . وفتح كنيسة القسيان الكبرى واحتوى على امتعتها وآنتها الذهبية والفضية وعلى ما اهداه اليها الانطاكيون من التحف الوافرة وحولها الى مسجد . ونادى بالأمان في المدينة وحرّم على الاتراك الضرب بالسيف ودخول اي بيت من بيوت المسيحيين ومصاهرة بناتهم على الاطلاق . وفرض عليهم ان يبيعوا كل ما غنموه من الانطاكيين في (٢٥٨) انطاكية عينها وبشنر بنجر . وهكذا طيب قلوب الاهالي وولّى الحاكم حراسة القلعة . فاستراح الانطاكيون وتمتعوا بالطأنينة اكثر من ايام فيلردس النصراني بالاسم .

وزحف سليمان كذلك الى بلاد الروم واحتل نيقية ونيقوميديّة وقونية واقام بها ابنه قلعج ارسلان وعاد الى انطاكية . اما سبسطية وقيسارية والبنطس فقد تولّاها في تشرين الثاني ٤٧٧ للعرب و١٣٩٦ لليونان (١٠٨٥ م) الامير اسمعيل بن دنشمند وسُمّي ذلك المكان باسمه حتى يومنا .

وفي السنة المذكورة انترج شرف الدولة من الارمن سيمساط وسبي خال ابن قتلميش التركي بلد ملطية .

وفي السنة ٤٧٨ للعرب (١٠٨٦ م) حشد سيف الدولة الجنود المعديين وسار الى انطاكية فبارزه سليمان بن قتلميش وأجبر على اصحابه وقتك به .
 اما الامير ارتق الذي ذكرنا انتصاره على المعديين في آمد فلما أحس انقلاب السلطان ملكشاه عليه ارتحل في جيشه الى سورية . ولما وصل الى الموصل وجه اليه السلطان شخصين من زعمائه في ثياب ملكية وحصان وفرمان بخمسة آلاف دينار ليستيله اليه . لكنه أبى وقال : ان في خدمة السلطان خصا لي لا يدعه ان يُخلص لي المودة . وهذا قاصد سليمان بن قتلميش كي أنهيه عن التعرض لبلاد السلطان . فوافقه الزعميان وعادا راجعين .

وفي هذه السنة استفحل الوباء في العجم وفي سنعار وسورية . واقفرت من السكان قرى كثيرة . وكان اذا وقف الشخص هنيهة اخذته القشعريرة فسقط ميتا . ولم يجهل الداء فتكته بكائن من كان اكثر من ستة أيام (٢٥٩) .
 وأخبر احد الحياطة الاتراك قال : مررت بباب بيت في قرية موحول بجانب بغداد فأبصرت فتاة تبكي وتقول : من ينقذني من الموت ويأخذني ؟ فقد دخل الوباء بيتنا وأتلف ابي وامي واخوتي واخواتي . فدخلت واحصيت هناك تسعة موتى وخفت وخرجت . ثم تعظمت على تلك الفتاة وعدت لأتقدها فلمحتها ساقطة على حضن امها ميتة .

وفي ٢٧ ايلول ١٣٩٦ لليونان (١٠٨٥ م) عصفت ريح سوداء في بغداد واكفهر الجو وارتفع غبار كثيف في الفضاء وسار مثل جبل ضخمة . وهلك كثير من البشر والبهائم وحيوان القفر . ودخل المشعوذون الحمامات وخطفوا ما فيها من البسة ونهبوا الاسواق . وغرقت سفن كثيرة .

وفي السنة ٤٧٩ للعرب (١٠٨٦ م) نشبت حرب بين الامير ارتق بك وبين سليمان بن قتلميش صاحب انطاكية وقتل سليمان في تلك الحرب . قيل انه لما شاهد انكسار اصحابه انتحر بالسكين وشوهد مجنونا والسكين مفروسة في بطنه . ولما سمع السلطان ارتحل من خراسان الى سورية وسار الامير ارتق الى اورشليم ووضع عياله وامواله في برج داود وتحصن به . ولما وصل السلطان الى الرها وصاحبها يومئذ فيلردس سلمه اياها الاهالي بسهولة .

على ان فيلردس سبق فصرف ما يضره له الرهاويون من البغضاء. فسار الى خراسان ليقابل السلطان لكن السلطان لم يشاهده اذ كان قادماً في طريق اخرى . وبعد ما احتل الرها اقبل فيلردس ووعده بتأدية الجزية والمناداة باسم الخليفة والسلطان . وما عثم ان مرق من دينه وأسلم على يد السلطان واختن وانتابه المرض وجعل يطوف مع عساكر السلطان في رحلاتهم . وظل الرهاويون حاقدين عليه (٢٦٠) فأعطاه السلطان مرعش بدلاً من الرها فذهب اليها ومكث بها زماناً حتى مات تاعساً . قيل انه عاد فتنصر وآمن بالمسيح ومات .

وسار السلطان من الرها الى قلعة جهر وفيها جمهور من اللصوص خرجوا الى مقاتلة الاتراك . فتسلق السور ثلاثة اترك من جانب لا يتبادر الى ظن احد ان هناك مكاناً للتسلق . ونادوا باسم السلطان . فدهش اولئك اللصوص واستحوذ عليهم الرعب وارتحمت غرائمهم . فقبض عليهم الاتراك وقتكوا بجمعهم زعيمهم . وهبطت امرأة شجاعة من السور وتغلغت الريح في رداها حتى وصلت الى الارض دون أذى . وذهبوا بها الى السلطان فسألها : علام صنعت هكذا ؟ قالت فضلت الموت على ان يمسي احد غير زوجي . فسألها : من أين انت ؟ قالت : انا دمشقية . فأمر ان يمضوا بها الى أهلها سالمة .

وارتحل السلطان من هناك الى حلب وانطاكية واحتلها . وعاد الى بغداد بسبب اشتداد القلاء والجوع في سورية . وزف ابنته الى الخليفة . ثم استأنف السير الى خراسان . واستعمل الامير يوزان على الرها وعلى ملطية والامير آقسنقور على حلب .

وفي السنة ٤٨٥ للمرب (١٠٩٢ م) غادر السلطان خراسان الى بغداد . وحصل خلاف بينه وبين الخليفة . ذلك انه سأل الخليفة ان يخلفه ابنته الذي ولدته زوجته ابنة السلطان فتشع . فارسل السلطان يقول له : يجب ان تغادر بغداد . فقال الخليفة : اني ممثل أمرك فتسهل علي عشرة أيام ريثما اتهيأ للرحيل . وفي اليوم التاسع ادركت السلطان حمى محرقة قضت على حياته . وقيل ان عبده كرديك سقاه سمًا فمات . وكانت امرأته تُرکان خاتون رزينة

عاقلة فاستحوذت على شؤون الدولة ونادوا بابنها محمود بن (٢٦١) ملكشاه سلطاناً في بغداد وهو في الخامسة من سنه ووصف بعضهم رزاقته فقال : ارسل الخليفة ووشحه ببنة ملكية واجلسه على العرش . فلم يمد يده ولا رجليه ولم يغمض عينيه ولم يتحرك ولم يتكلم بل ظل هامداً كالصخر حتى أدهش الحاضرين . وبعد هذا اخذت تركان خاتون ابنتها السلطان محموداً وانطلقت الى اصفهان . فاحتشد بعض الاتراك وأحضروا تركيارق ابن السلطان ملكشاه وكانت أمه ابنة عمه وابعوه بالسلطنة . وانضم اليه عشرة آلاف من الجند والى محمود اخيه عشرون ألفاً . ولما التقى الفريقان غدر بمحمود اصحابه وانضموا الى جيش تركيارق واصبحوا معه .

وتولى تاج الدولة تنش اخو السلطان ملكشاه الموصل ونصيبين وميافرقين وسورية ودمشق . ثم توجه الى اذربيجان وخرج الى استقباله السلطان تركيارق ابن اخيه ورحب به في قرية سعد آباد بتبريز . ثم عاد تنش الى دمشق . وظل آفستور ويزان الاميران خاضعين للسلطان تركيارق . ثم سار تركيارق الى بغداد فرحب به الخليفة ووشحه ببنة ملكية وكتب له فرماناً ونادى باسمه سلطاناً .

وفي السنة ٤٨٧ للمرب (١٠٩٤ م) اذ كان الخليفة المقتدي على مائدته يتغدى دجاجة مشوية غشي عليه فقال للجارية الواقفة امامه : من هم هولاء الداخلون دون رخصة ؟ فالتفتت الى ورائها ولم تشاهد احداً . ثم عادت فرأته قد استلقى على ظهره ميتاً قبل ان يغسل يديه . هكذا مات الخليفة بغتة وخلفه ابنه المستظهر .

بعد المقتدي المستظهر ابنه

تولّى الخلافة خمسا وعشرين سنة وخمسة اشهر . وفي هذه السنة توفيت تركان خاتون ام السلطان محمود . وكانت شجاعة حكيمة (٢٦٢) يتصل نسبها بافداسياب رأس الملوك الهونيين . وابوها طفراج ملك الخزر . ولم يبق

لابنها الا اصفهان فقط . وبعد قليل سار السلطان تركيارق الى اصفهان في شردمة من جنوده فاغلق زعماء اخيه السلطان محمود الابواب في وجهه . ثم نوا ان يدخلوه ويقبضوا عليه . ولما فتحو وادخلوه اقام يوماً واحداً فانتابت اخاه محموداً حتى حادة قضت عليه في اليوم عينه وهو في السابعة من سنه . فاتفق الزعماء مع تركيارق وملكوه اصفهان كذلك .

وفي السنة ٤٨٨ للعرب وهي السنة ١٤٠٦ لليونان (١٠٩٥ م) اقبل قلعج ارسلان بن سليمان سلطان قونية الى ملطية وحاصرها . وارسل احد الزعماء بمثابة سفير ليحادث مطران المدينة سعيد بن صايوني الذي دُعي صاحب السدرات . وكان رجلاً قديساً وملفاناً خبيراً . فكلمه الزعيم بحضور جبرائيل اليوناني صاحب المدينة باللغة اليونانية وقال : ان السلطان يريد ان تسلّموه المدينة فيحسن معاملتكم والا فسيأخذها بالسيف وسيطالبكم الله تعالى بدمكم ودماء الاهالي جميعاً . فقال له المطران : لا تهذر فان مدينتنا لا يستطيع احد ان يدوّخها بعونه تعالى . لان فيها خيراً يكفيها اكثر من عشر سنوات ومياها تجري وتخرج منها . وفيها رجال حرب كثيرون مثلما تشاهدون . ولما كان المطران يحدث الزعيم كان جبرائيل اللعين واقفاً وراءه ينصت لكلامه . ولما انطلق الزعيم قال المطران لجبرائيل : لقد اصفيت يا مولاي الى ما قلته . فالحليق بنا ان نرحل السلطان عنا بكلمات طيبة وهدايا موافقة . وانت ترى ما يعاني الاغنياء والفقراء من الضيق (٢٦٣) . فضغن اللعين على المطران وأمر في الغد بقتل احد الضباط . فسمع المطران وسارع الى جبرائيل يتوسل اليه بشأن الضابط وقد شاهده ركباً حصانه ما بين سورَي المدينة . غير ان اللعين سخط على المطران وشتبهه وانقضّ عليه وضربه بسيفه كان بيده وأجهز عليه . ولم يتيسر للمؤمنين ان يشعروه ويدفنوه في الكنيسة الا بعد يومين . اما السلطان فلما بلغه قدوم الفرنج ترك ملطية وانصرف راجعاً .

وفي السنة ٤٨٩ للعرب وهي السنة ١٤٠٧ لليونان (١٠٩٦ م) قدر المنجمون حدوث طوفان كطوفان ايام نوح . فاستدعى الخليفة المستظهر ابن عيسون المنجم واستطلع له طلع الخبر فقال : ان الكواكب السبعة السيارة اجتمعت

ببرج الاسماك في عهد نوح فحدث ذلك الطوفان العرم . غير انه في هذه السنة لا اثر لرحل في ذلك البرج فلو كان مع تلك الكواكب لحدث فيما اظن طوفان نظير ذلك الطوفان . ولكنه ستحدث جماهير غفيرة في مكان ما وسيجرفهم العر ويغرقهم قاطبة . وما عم ان وصل الخبر بان الزوار القاصدين الحج في مكة باقتهم سيل جارف واغرقهم جميعاً .

وفي هذه السنة حمل جبرائيل اليوناني صاحب ملطية على ابي سالم الرئيس القويم الايمان صهر آل عمران وسقاه سماً أودى بحياته . ثم أجهز اللعين عينه على التجار المؤمنين الاتقيا . وهم برصوما ابن الراهبة وابنته وباسيل حواً وسهدو شماس طانطيني وابتر من بيوتهم ومن بيت ابي منصور بن ملكا ذهباً وفضة وبضائع . وانتزع من كنيسة المطران صلباناً ومباخر وقتينة ميرون وغير ذلك من الاثاث واخرب الدور وابنتى القلعة والسور .



وفي السنة ١٤٠٨ لليونان (١٣٨٧ م) برز ملكان فونجيان وسبعة قامصة واقبلوا الى انطاكية وانتزعوها (٢٦٤) من يد الاتراك . وسبب قدومهم ان التركان بعد ما احتلوا سورية وفلسطين وغيرهما من البلاد جعلوا ياملون اغلظ معاملة جمهور المسيحيين القادمين ليصلوا في اورشليم ولا سيما الحجاج الموافين من ايطالية واصقاعها . لذلك تحمّسوا وحشدوا الجنود وتوجهوا اول بدء الى اسبانيا واحتلوا مدنها وارقوا دماء الكثيرين من العرب وبتروا آذانهم ومناخيرهم وشفاههم وسلوا أعينهم . ثم زحفوا الى قسطنطينية فلم يسمح لهم الكسيس ملك اليونان ان يمروا من هناك . فظلوا يحاصرون العاصمة سبع سنوات ثم خرجوا واقبلوا الى انطاكية واحاطوا بها تسعة شهور ولم يقووا على أخذها . وبعد هذا تعاقدوا سرّاً مع رزباه الفارسي حارس البرج الذي بجانب مخاضة كشكروف ووعدوه بذهب . وكان ذلك البرج مؤسساً على قضبان حديدية فاقبلوا ليلاً ودخلوه وتسلق بعضهم السور بالحبال . ولما ازداد عددهم هتفوا بالايوات في الهزيع الاخير من الليل . فاستيقظ جيسفان الحاكم التركي ظاناً ان

الفرنج احتلوا القلعة واضطرب كل الاضطراب وفتح باب المدينة وانهزم في طريق حلب مع ثلاثين رجلاً . ولما أصبح جعل بعض انامله ندماً ويقول : كيف تركت المدينة واهلي واولادي واموالي وخرجت ؟ وجعل يلتفت نحو انطاكية ويبكي . ولشدة كده سقط عن حصانه فاركبه اصحابه غير مرة فسقط فتركوه وانصرفوا . واقبل رجل ارمني كان يقطع حطباً في الجبل فوثب اليه وقلق هامته ومضى بها الى الفرنج .

هكذا احتل الفرنج انطاكية ونهبوا من فيها من عرب و اترك وفتكوا بكثيرين منهم وولوا عليها بوهيمند (٢٦٥) احد قاصتهم وظلوا ثلاثة عشر يوماً لا يظفرون بما يأكلون حتى أكل الكثيرون لحم خيلهم . ولما بلغ الامر السلطان تركيارق سير الى انطاكية مائة الف فارس فوصلوا الى بغراس وخطوا رحالهم هناك .

ورأى احد ملوك الفرنج حطاً فحظروا موضعاً في بيعة القسيان عثروا فيه على مسامير صليب ربنا يسوع فصاغوا منها صليماً وسانان رمح واتخذوها بمثابة راية وزحفوا الى الاتراك فنجم الرب الغلبة حتى ملأوا الارض من جثث القتلى .

وبعد هذا ساروا الى المعرة واحتلوا وفتكوا باكثر من مائة الف نسمة بها وظلوا اربعين يوماً واحتلوا على غنيسة وافرة . ثم توجهوا الى جبل لبنان وفتكوا بخلق كثير من النصرانية . ثم اقبلوا الى عرقة بجانب طرابلس وحاربوها اربعة اشهر فامتنعت عليهم . فغادروها الى شيزر فأطاعهم صاحبها ابن منقذ العربي وأدى لهم الجزية فتركوه وانتقلوا الى حمص فخرج جناح الدولة صاحبها الى لقائهم وأدى لهم الخضوع فتركوه وساروا الى اورشليم وبها افتتخار الدولة من قبل المصريين وحاصروها اكثر من اربعين يوماً وابتنوا برجين خشبيين الواحد من الناحية الجنوبية بصهيون والثاني عند باب مار اسطفانس الشرقي : وألقى العرب النيران ببرج صهيون وما كاد ينتهي الحريق حتى وقعت صيحة بان الفرنج دخلوا من الناحية الشرقية . ثم وضعوا السيف في الاهالي اسبوعاً كاملاً . وقتلوا في هيكل سليمان اكثر من سبعين الفا من العرب .

وانتزعوا من عند الصخرة اربعين قنديلاً فضيةً وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وسمائة درهم . وأخذوا كذلك مائة وخمسين من القناديل الصغيرة بينها عشرون قنديلاً من الذهب المصري . وأخذوا كذلك (٢٦٦) منارةً فضيةً وزنها اربعون رطلاً سورياً يساوي كل رطل ستة اربطال بغدادية . الى غير ذلك من الاواني والزخارف الوافرة . واول من ملك اورشليم غودفروا عام ١٢٠٩ لليونان (١٠٩٨ م) تولى سنتين وترفي وخلفه بغدوين سبع عشرة سنة .

ولما درى المصريون بما جرى زحف الافضل ابن القائد الكبير في جيش كثيف ولاقاه الفرنج عند عسقلان وانتصروا عليه وفتكوا بعدد جم من رجاله . وسار الفرنج بعد ذلك الى عسقلان فدفع لهم الاهالي اثني عشر الف دينار فتركوهم وعادوا الى اورشليم .

وفي السنة ٤٩٢ للعرب (١٠٩٨ م) انتقض على السلطان تركيارق اقطاب الاتراك يحاولون الانتقام من الوزير مجد الدولة لانه كان يعتهم ويشدد عليهم . فبطشوا به واغضوا عن تركيارق وقصدوا محمداً اخاه وبايعوه بالسلطنة . ووافق الخليفة عليه وكتب له فرمان الرضى وسُمي غياث الدنيا والدين ابا شجاع محمداً . وفر تركيارق الى بغداد وتتبع اخاه محمداً . والتقى الجيشان غير مرة ينتصران وينكسران .

وفي السنة ٤٩٣ للعرب (١٠٩٩ م) مات يحيى الطبيب البغدادي ابن جزلة مؤلف كتاب المنهاج الشهيد الذي تتداوله ايدي اطباء عصرنا . ينطوي على الادوية والاعذية البسيطة والمركبة . وكان نصرانياً قرأ المنطق على ابي علي ابن الوليد . فهو له ابو علي السفسطي ان الاتحاد الحبي والاقتنومي على زعم النساطرة لا يتيسر تصويره في الطبع الالهي . وهكذا حسن له الاسلام فأسلم وكان يحيى غنياً ولم يعد مريضاً بغير عوض (٢٦٧) الا اصدقاءه المرضى فقط .

وكان الامير ابن دنشمند يلج على جبرائيل اليوناني صاحب ملطية في الطلب ويُقبل في اثناء الصيف من سبسطية ويعيث في البلد ويأكل غلاله وينصرف في الشتاء . فكتب جبرائيل الى الفرنج وحلف لهم ثلاثاً بانه يسلمهم المدينة . فوثقوا بكلامه وسار الملك بوهيمند مطمئناً ليجتلبها .

وكان فريق من الارمن منذ أيام فيلاردس يتولون بعض امكنة منهم كوع
باسيل اغني اللص صاحب الكيسوم ورعبان . وابناء روفين اصحاب بعض
نواحي ارمينية . فهؤلاء، خشوا ان يستولي الفرنج عليهم ويخرجوهم من نواحيهم
فكتبوا سرّاً الى اسمعيل بن دنشند ليكمن لهم . امّا جبرائيل الملعون فلماً
وصل بوهيند الى قرية جفنة فوق ملطية جعل يملئه ويؤجله من يوم الى يوم
ريثاً وصل ابن دنشند واقام الكميناء تجاهه ثم قبض عليه وبعثه الى سبسطية
واقبل هو الى ملطية وشدّد عليها . وظلّ جبرائيل الاثيم يسترسل في شروره
وينهب الاهالي دون رحمة حتى سقط عليه ضابطان ودفعا المدينة الى الاتراك
يوم الاربعاء ١٨ ايلول ١٤١٣ لليونان (١١٠٢ م) وفي النسخ العربية عام ١٤١٢
لليونان (١١٠١ م) .

دخل الاتراك ملطية المنكودة الحظّ وانتهبوا ثروتها برمتها ورخص ابن
دنشند جنوده ان يضعوا الايدي على اموالها دون اهلها اذ دافع عنهم كأنهم
خاصته وردّهم الى بيوتهم ولم يقتل احد منهم . ونقل من بلده حنطة وثيراناً
وحاجيات أخرى ووزعها عليهم . وترع الملبطون في مجابح المعيشة في ايامه .
واستعمل على المدينة رجلاً عادلاً تقيّاً اسمه باسيل وارتحل .

امّا جبرائيل فقد غضب الله العادل عليه فأخذ الاتراك يتزلون به أفدح
الاعذبة . وطالما ذكره النصارى بمساوئه وتعديته على المطران البارّ وعلى الزعماء
المظلومين وقتكه بهم . وبعدها (٢٦٨) أشبعوه شتياً سار به الاتراك الى
قلعة قطيعة حيث كانت امرأته . وأمروه ان يبتغها لتسلمهم اياها . غير انه
ظلّ يراوغهم فقال لها : سلمي القلعة وهذه لك اشارة مني : اني قبل ايام
ارسلت اليك فتى اسمه ميداس . وميداس لفظ ارمني يراد به لا تسلمي . وما
ان اطلع الاتراك على الحقيقة حتى بطشوا به وألقوه للكلاب .

واستدعى ابن دنشند الى ملطية بوهيند ملك الفرنج وأطلقه باثة الف
دينار فعاد الى انطاكية وتخلّى عنها لابن أخته وقفل راجعاً الى وطنه .

وفي السنة ١٤١٤ لليونان (١١٠٣ م) كان سان جيل في طرسوس وبلغ
العرب ان جنوده قليلون فاجمعوا على مبارزته واقبلوا من طرابلس ودمشق وحمص

ولم يكن مع سان جيل إلا ثلاثمائة فارس لا غير وجه المائة منهم نحو الدماشقة والمائة نحو الطرابلسيين والحسين نحو الحصين وأبقى الحسين لمؤازرته . ولما التقى الصفان لاذ المحصيون والدمشقيون بالفرار نحو الجبال وكانوا اكثر من خمسة آلاف وظل الطرابلسيون وهم ثلاثة آلاف فشد عليهم سان جيل في من معه وهم خمسون وطعطعهم وتتبع المنهزمين وقتل من العرب نحو سبعة آلاف وغادر قيليقية الى طرابلس وشد عليها واحتل انطرطس وقتك بكل من بها من العرب . ودوخ عدة قلاع . واقبل يومئذ قمص آخر في البحر وحاصر عكة وضيق على اهلها . واحتل الفرنج الزها وصاروا يسبون ويغزون ما في حوزة العرب من البلاد السورية .

وفي السنة ٤٩٨ للعرب (١١٠٤ م) تفاقمت على السلطان ركن الدين تركيارق (٢٦٩) امراض مختلفة كالسل والبواسير وغيرها من العاهات فأحس الموت واستحلف الاقطاب بشأن ابنه ملكشاه الصغير ووجهه الى بغداد . ونودي باسمه جلال الدين ملكشاه وهو في ربيع الرابع . وتوفي تركيارق ابوه ودفن في اصفهان . ولما كان في بغداد وافى عمه السلطان محمد فاضطرب البغداديين جداً وتخوفوا ان يحدث خلاف بين السلطانين ويستهدفوا للسي والنهب . وكان الامير اياز وصي الملك ملكشاه متصفاً بالفطنة ومتولياً قيادة جيوش تركيارق وهي خاضعة له ومؤتمرة بأمره . فقصد السلطان محمداً واستحلفه وقال له : ان هذا الفتى هو ابن اخيك فيجب ان تعني به كل الاعتناء وتوظده في ملك ابيه وارثه اكثر مني . فقال السلطان : ان ملكشاه هو ابني . ووعده خيراً فودعه الامير اياز وزار السلطان ملكشاه فرحب به كل الترحيب . وفي الغد اعد الامير مائدة وسأل السلطان ان يحضرها فلبى وذهب . واتفق لسوء الطالع ان حضر كاتب متسطق بدرع تحت ثيابه وهو واقف يخدم لا يتحرك الا متثاقلاً . ففرس فيه السلطان و اشار الى عبد صغير ممن كانوا واقفين ان يذهب ويتجسسه وينظر ما به وما سبب تعثره في ذهابه وايابه . فذهب الخادم وجسه كمن يلاعبه ثم عاد وأخبر السلطان بانه متسطق بدرع ضمن قميصه . فقال السلطان ما زال الكتاب يتدرعون فما قولنا عن الفرسان الاتراك ؟ وغلب على

ظنه ان اياز يضر له العدر فأمر سيافاً واقفاً امامه ان يفلق هامته . وسمع الاتراك اصحاب اياز فأخذوا ما تيسر من مالهم ومن مال غيرهم وانهمزوا الى سورية . وفي اذار ٤٤٩ للعرب وهي السنة ١٤١٧ لليونان (٤٧٠) (١١٠٥ م) فاضت الانهار ولا سيما الفرات واخرّب دوراً كثيرة في بغداد . وبلغت المياه شرفات دار رجل غني حتى كادت تغمرها فأعدت سفينتين مملأهما امواله ونساءه واولاده وجواريه . وأمر الملاحين ان يمضوا بهم الى مكان عالٍ . وما ان عبروا قليلاً حتى غرقت احدى السفينتين وكان فيها تسع جوارٍ غاليات الثمن وفتاة هزمتها أمها معهن فاختنقن جميعاً وغرق كل ما معهن من الامتعة . أما السفينة الثانية فلما شاهد الذين فيها ما جرى عادوا الى دارهم . وصباح الغد قلت المياه فأدى الشكر لله تعالى جميع الناس ومجدوا احكامه غير المدركة وعرفوا ان خلاص البشر دونه تعالى باطل .

وفي هذه السنة مات في سبسطية دنشند وتولى ملطية سنتين . فاقبل بعد ذلك قلعج ارسلان وحاصرها في ٢٨ حزيران واقام المنجنيقات على البرج المدور شرقي شمالي المدينة واحتلها بقسم وليس بالسيف ذلك بعد معارك طاحنة . وتم ذلك في ٢ ايلول ١٤١٧ لليونان (١١٠٦ م) ولم يُلحق أذى باحد من الاهالي مذ تولى أمرها .

وفي السنة ٥٠٠ للعرب (١١٠٦ م) كان جكرميش الامير التركي متولياً الموصل فانتزى الخروج على السلطان محمد . أما السلطان فأعد الامير جاولي التركي وولاه مكان جكرميش وأنجده بجيش كافر . وما ان انتهى الى اربيل حتى حشد جكرميش عساكره وزحف اليه فقهره جاولي واعتقله . فحالف المواصلة زنكي بن جكرميش وتأهبوا لمنازلة جاولي وأرسلوا الى قلعج ارسلان ابن سليمان بن قنليش سلطان قونية يستنجدونهم : أما جاولي فدخل الموصل وجكرميش في قبضته مأسوراً وحفر جياً هناك ودلاًه فيه خيفة ان يسرقه الاهالي وفيه قضى انفاسه (٢٧١) .

وكان ابو طالب بن كسيرات الموصل في وقعة جكرميش وهرب الى اربيل . فارسل جاولي يطلب من ابن موسك صاحبها ليرسله اليه فلبى طلبه .

وبعث جاوولي الى صاحب اربيل ابنه وكان مأسوراً عنده . ولما وافى ابن كسيرات ليزور جاوولي وعده بان يسلمه الموصل ويجمع له كمية من الذهب ممن يعرفه هو . فتحصن له جاوولي واكرمه . غير ان ابن ودعان قاضي الموصل وكانت العداوة متأصلة بينه وبين ابن كسيرات أرسل الى جاوولي يعده بتسليم المدينة على شرط ان يفتك بخصه فنفذ جاوولي شرطه وبعث اليه برأس عدوه . فاغتاظ اترك الموصل ووثبوا الى ابن ودعان وبطشوا به وجوزي في أيام معدودة شراً بشراً .

وشخص يومئذ قلعج ارسلان من بلاد الروم الى جزيرة قردو ففر جاوولي الى مدينة بلد وغراها ثم انتقل الى سورية . ووصل قلعج ارسلان الى الموصل واحتلها دون مناهضة . وتساهل مع زنكي بن جكرميش ومع اصحابه ولم يمس احداً باذى . وأمر ان كل من رافع احداً لديه اقتراء فتك به فتكاً . ثم رد القاضي عبيد الله بن القاسم الشهرزوري الى منصبه . وأبطل المناداة في الموصل باسم السلطان محمد فجعلوا ينادون باسم قلعج ارسلان بعد الخليفة . واقام في القلعة محافظاً اسمه بزيميش . ونادى باسم ابنه ملكشاه ملكاً وهو في السن الحادية عشرة . واقامه هناك مع أمه في البلاط وارتحل الى الخابور في خمسة آلاف فارس .

اما الامير جاوولي فاتفق مع رضوان صاحب حلب وحشد اربعة الاف فارس من الشجعان الاقوياء وزحف بهم الى الخابور . وانتشبت المصلحة بينه وبين قلعج ارسلان . وقد ابدى هذا بسالة عجيبة غريبة اذ خرق صفوف (٢٧٢) جاوولي وضرب يد حامل الراية وبترها وضرب جاوولي نفسه بالسيف الا ان درعه حفظه سالماً . على ان اصحاب جاوولي ورضوان لما شاهدوا قلعج ارسلان مستبسلاً دون اصحابه كروا عليهم ومزقوهم شراً ممزقاً . فاضطرب قلعج ارسلان على حياته اذ بقي وحده واعتقد انهم ان عفوا عنه واعتقلوه ومضوا به الى السلطان فلن يتركه في قيد الحياة ولا سيما لانه ألغى المناداة باسمه في الموصل . بناء عليه اتقى نفسه وهو راكب حصانه في نهر الخابور يطمئن بنشابه كل من لحقه في الماء . وكان درعه الحديدي ضخماً فاستقله هو وحصانه وظل يجاهد برشق نشابه

حتى تعثر الحصان في محل عميق وغرقا كلاهما . وبعد ايام لفظته المياه الى الشاطئ واقبل البعض فنقلوه ودفنوه في الشسانية .

وسار رضوان الى اطراف الرقة وانقلب جاولي الى الموصل وفتح له العامة ابوابها فدخلها وقبض على احد حجاب جكرميش واستنزف منه اربعين الف دينار ذهباً . وبعث الى بزيميش ليسلمه القلعة ويرد كل ما اصابه من المواصله وكل ما عنده ويرحل سالماً الى بلده . فلم ير ان يعارضه ولا سياً لان موت قلعج ارسلان مولاه خيب آماله . فانحدر فوراً من القلعة واخذ امرأة قلعج ارسلان وجميع اهلها واهله وانطلق الى ملطية . اما ملكشاه الغتي ابن قلعج ارسلان فكان جاولي قد سبق فسيره الى السلطان . وبعد هذا انطلق جاولي الى الجزيرة وضغط على اهلها فدفن له حباشي بن جكرميش ستة الاف دينار وحصاناً عربياً فتركها وانقلب الى الموصل وغزل القاضي ابن شهرزوري واقام بدلاً منه ابا بكر الاربلي . وعلى اثر غلبته هذه تجرد وتكبر (٢٧٣) وخلع طاعة السلطان غياث الدين محمد ولم يرسل اليه كالعادة شيئاً مما غنمه بما حمل السلطان على الارتباب في امره فوجه اليه الامير مودود وغيره من الامراء في جيش كثيف عام ٥٠٢ للعرب (١١٠٨ م) . فلما عرف جاولي حصن المدينة وترك فيها امرأته وهي اخت برسوق احد اولئك الامراء القادمين الى الموصل واقام محاربين في السور وخرج من المدينة لثلا يحاصر فيها وسار كمن يريد ان يأتي برجال لمساعدته . واخذ معه كذلك بغداديين القمص الفرنجيين وكان مأسوراً عنده . وفرض عليه ان يؤدي سبعين الف دينار ويعتق من عنده من الاسرى العرب ويأتي الى نجدته مع الفرنج كلما دعت الحاجة . ثم ارسله الى قلعة جعبر ليقم فيها ريثما يتم اليهود . فاستدعى بغداديين ابن اخته جوسلين وجعله رهينة مكانه وانطلق ليعد الذهب .

اما امرأة جاولي التي ظلت في الموصل فقد أهبزت الاهالي بالضرائب وسار بعض عملة الجص الى برج من ابراج المدينة وأوقفوا صيحة صاحبة يقولون : فليحي السلطان الكبير محمد غياث الدين . ثم دخل الامير مودود واصحابه واحتلوا المدينة . وخرجت امرأة جاولي الى اخيها برسوق . وسار جاولي يريد

ايلقازي صاحب نصيبين وماردين وكان يومئذ في رعبان قرب الحابور . وافرغ الجهد في اقناعه ليتفق معه فأبى وتركه وتوجه الى قلعة ماردين . وسار جاولي الى الرحبة وحاصرها سبعين يوماً وبعث في استحضار جوسلين من قلعة جعير ووشحه بجلية ملكية واعطاء حصانه ووجهه الى بغدادين خاله ليسارع في تهيئة الذهب واعتاق الاسرى . ولما وصل جوسلين الى انطاكية دفع الى طنكرت ملكها (٢٧٤) ثلاثين الف دينار ارسلها الى جاولي في مائة اسير عربي رجالاً ونساءً من بلد حلب .

وغادر جاولي الرحبة الى الرقة وحاصرها اياماً كثيرة . وارسل اليه السلطان غياث الدين الامير حسين بن اتابغ في الطاعة والعودة الى الموصل كالسابق فأبى وانطلق الى بالس وحاصرها ودوخها وغزاها واكثر فيها الدمار . ولما رأى رضوان صاحب سورية ما احدثه جاولي في بلاده ارسل يستنجد طنكرت ملك انطاكية فاقبل اليه في الف وخمسة فارس فرنجي وستائة فارس تركي من اصحاب رضوان عينه . وارسل جاولي كذلك الى بغدادين وجوسلين ليأتيا الى نجدته . فاقبلوا وانتشبت المعركة عند تل باشر فانتصر الفرنج واتراك رضوان على الفرنج وعلى اتراك جاولي وطحطحوم . وهلك الكثيرون من الاتراك في المعركة . ولم يقتل الفرنج بعضهم بعضاً بل كانوا يكتبون بالقاء الواحد عن ظهر حصانه . وبعد هذا انهزم بغدادين وجوسلين الى تل باشر في بعض اصحاب جاولي وعالجوا الجرحى واعادوهم اليه .

ولما خارت غزائم جاولي لم يَرَّ وسيلة الا الاستغاثة ثانية بالسلطان . فبدل هيئته وغير اسمه وسارع في بعض اصحابه من سورية الى خراسان وقطع ثلاثمائة وستين فرسخاً في سبعة عشر يوماً . ولما وصل الى المعسكر قال لحفظة الطرق انا هو جاولي ارجو ان تمضوا بي الى خيمة الامير حسين وكان قد سبق فعرفه في الرحبة . ثم مضى به حسين الى السلطان وهو حامل كفته . فاشفق عليه وصالحه واتخذته خدمته .

اما بزيميش فأخذ امرأة قلعج ارسلان من الموصل الى ملطية ونادى بطغرل ارسلان بن قلعج ارسلان الفتي سلطاناً (٢٧٥) . وكان هناك امير ثان اسمه

ارسلان فشرطت عليه امّ الفتى . ان يفتك بابنها ويتزوجها . فامتثل مشورتها وبالع في التحكم في الملتين ليجعوا له الذهب . ثم اتفقت ام الفتى مع البعض فقبضوا على ارسلان وسجنوه وتبادر الى الظن انهم بطشوا به . لكنهم اطلقوه بعد سنة وارسلوه الى السلطان غياث الدين بخراسان . وهذا ارسل الى ملطية السلطان ملكشاه بن قليج ارسلان ونادوا به ملكاً وخلع طغرل اخاه الصغير وحبس اخويه مسعوداً وعرباً .

واقام ملكشاه اعواماً في ملطية يضايقه ابن دنشند . فسار يريد الكسيس ملك الروم لينجده . فرحب به واجزل له العطاء . ولما عاد وضع له ابن دنشند كفاً . قبضوا عليه واحضروه اليه فسل عينيه . وعند ذلك اخرج امراء ملطية مسعوداً من السجن ونادوا به سلطاناً . فترك مسعود اخويه عرباً وطغرل ارسلان في ملطية وانطلق الى قونية واتخذها عاصمة له .

وفي السنة ١٤٢١ لليونان (١١١٠م) احتل الفرنج طرابلس وانتزعوها من يد العرب بعد حصار استغرق سبع سنوات . وفي القابل سار طنكرت ملك انطاكية في جيش كثيف من الفرنج واستحوذ على حصون كثيرة من العرب وفلك بكل من فيها . وارتمل الى منبج فلم يشاهد فيها احداً وكذلك في بالي فاحرقها وعاد الى طرابلس ليرعى المواشي الكلاء ويعود .

وامسى عرب سورية في خطر عظيم وتعدّر عليهم مهادنة الفرنج الا بالذهب فوجه رضوان صاحب حلب الى طنكرت اثنين وثلاثين الف دينار وعشرين حصاناً عربياً واربعين قطعة قماش فاخر . وارسل اليه صاحب صور سبعة الاف (٢٧٦) دينار . وصاحب عسقلان اربعة الاف دينار . وابن منقذ صاحب شيزر اربعة الاف دينار . وعلي الكردي صاحب حماة الف دينار . وعقدوا الهدنة الى زمان الحصاد فقط على ان يقدموا الغلة للفرنج .

وفي هذه السنة ضرب الفرنج الجنوبيون الوفاً كثيرة من العرب القادمين من تيس ودمياط . واعتقلوا سبعين تاجراً عربياً وباعوهم باثمان غالية . وانتزعوا منهم اربعمائة صندوق مملوءة سكرًا مصرياً وخمسين حملاً اقشة دمياطية وغير ذلك من الامتعة .

ووصل في تلك الغضون من حلب الى بغداد فقيه حلي يبكي ويندب ما صار اليه العرب بسبب تغلب الفرنج عليهم . فاحتشد الاهالي في المسجد الكبير يوم الجمعة وحطوا المحراب وأبطلوا الصلاة يتذمرون من الخليفة ومن السلطان لانها يتغاضيان عن مسألة دينهم . وما ان سمع السلطان حتى هياً ابا الفتح مسعوداً ابنه والامير مودود في جيش كثيف ووجهها الى الموصل ليستعدوا لمناوشة الفرنج .

وفي السنة ١٤٢٢ لليونان (١١١١م) التزع اتابك سلطان ماظية بلد جيطان من الفرنج . وفي السنة عينها زحف الامير مودود صاحب الموصل الى سورية في جيوش ضخمة واحتل في طريقه بعض حصون شبكتان وقتل من فيها من الفرنج . ثم انتهى الى الرها وحاصرها زماناً ولم يتيسر له احتلالها فغادرها الى تل باشر وهي للفرنج ولم يقوَ كذلك على اخذها فغادرها الى حلب . فاغلق رضوان ابوابها في وجهه فتركها واستأنف المسير الى دمشق فخرج الى لقائه الامير ططكين واعرب له عن اخلاصه . لكنه خاف ان يغدر به ويحتل المدينة فارسل الى الفرنج يهادنهم مرددياً به .

وفي هذه السنة مات الغزالي (٢٧٧) العلامة العربي الكبير ودفن في طرسوس قيليقية . وطالما قرع في تصانيفه العرب بسبب اهتمامهم بالنسل وتطهير الجسد فقط واغماضهم عن تنقية القلب من حيث تنفجر الخطايا . فكان يحثهم على الزهد والعفاف ويورد لهم البراهين الجمة من سير الاباء . السياح في مؤلفه الضخم ولذا ذكرناه .

وفي السنة ١٤٢٤ لليونان (١١١٣م) خرجت الخاتون امرأة قلعج ارسلان سلطان ملطية وسارت الى بلك صاحب قلعة بولا تريد الاقتان به وقالت له : قد سمعتُ السلطان يثني عليك دائماً مصرحاً بأنه ليس في امراء الاتراك احكم واشجع منك لذلك آثرت ان اقدم اليك لتحفظني وتحفظ ابنائي . فلبى بلك طلبها وعظم امره لاقترانه بامرأة السلطان . ولما عادت الخاتون الى ملطية طردت اتابك واستقلت هي وابنها بالقلعة . ثم ان رجلاً تركياً كان متولياً حصن زايد فضيق عليه بلك حتى اشتراه منه سلطان ملطية . وما عم ان

شخص ابن محمود سلطان خراسان وانتزعه منه . وفي هذا الزمان ابدى الملطيون عطفاً جزياً فاشتروا من الاتراك اسرى كثيرين من اهالي حصن زايد ومن بلد عرقا واعتفواهم .

وفي السنة ٥٠٧ للعرب وهي السنة ١٤٢٥ لليونان (١١١٤م) توفي طنكريت صاحب انطاكية وخلفه رَجِير . وتلاقى مودود في سبعة الاف فارس مع بغدوين وجوسلين في الفبي راجل وفارس فقط بناحية طبرية . فانكسر الفرنج وقتل منهم الف وثلاثمائة راجل . وعلى اثر ذلك وصلت اليهم نجدة من طرابلس بقيادة سان جيل واقبل كذلك رَجِير ملك انطاكية في جيشه . وقصد الفرنج جبلاً هناك يُسرف على العرب . واقام الجيشان ستة وعشرين (٢٧٨) يوماً دون ان يقابل احدهما صاحبه . ثم انحدر الفرنج الى نهر الاردن .

وارتحل العرب الى ضواحي دمشق لان الجوع نهكهم لبعدهم عن مدنهم وتوجه الامير مودود الى المسجد ليعلي يوم الجمعة . ولما انتهى من الصلاة قبض على يد الامير طنكرين وجملاً كلاهما يتأملان في ابنته العجيبة . وحين ذاك اندس اليها رجل اسمعيلي وضرب مودود بالسكين اربع ضربات فصلوه الى دار طنكرين وتوفي هناك . ثم وثب عييد مودود على الجاني وقطعوه ارباً ارباً . وظن البعض ان رضوان صاحب حلب هو الذي بعث الاسميلي ليقتله وقال البعض الاخر ان طنكرين نفسه هو الذي اعد القاتل وكان محبوساً لديه بسبب شروره ووعدته بمجازة ان اجهد عليه اذ كان يتخوف ان يحتل مدينته . وعلى اثر قتله خلفه في القيادة الامير آقسنقر برسوق . وهذا كره على الرها وحاصرها شهرين في خمسة عشر الف جندي .

وكان الفرنج في السنة ٥٠٨ للعرب (١١١٥م) يواصلون الخروج من الرها ويجهزون على العرب . وقبضوا ذات مرة على احد عشر عربياً واستاقوهم الى المدينة وبتروا ايديهم وارجلهم وطلقوا جثثهم على السور تجاه الاتراك . فسخط آقسنقر واجهز على خمسين اسيراً فرنجياً . ولما اشتد الجوع على الاتراك غادروا الرها الى سيمساط وكانت امرأة كوغ باسيل الارمني متولية امرها وامر مرعش والكيسوم وربعان . وقد عاملت الرعية بالحسنى بعد وفاة زوجها وحشدت

جيشاً ضخماً من خيالة ورجالة وجعلت تدفع لكل خيال اثني عشر ديناراً ذهباً
ولكل راجل ثلاثة دنانير .

اما حكومة الارمن آنشد فكانت على هذه الصورة . ذلك ان اليونان
لما اشتد ساعدتهم استرجعوا بعض بلادهم من العرب (٢٧١) ولكنهم لم يتيسر
لهم ان يناهضوا الاتراك بل ظلوا في داخل بلادهم واتخذوا الارمن عملاء لهم .
فتحصنوا في الجبال وفي الاماكن الحزيزة . فكان الاخوان ابنا قسطنطين
ابن روفين في قليقية . وميخائيل واوهنيس في جرجو وبيت بولا . وكوغ باسيل
اغني السارق في الكيسوم وربعان وبيت حسنة ورومي قلعة . وقسطنطين
وتبتوغ وبيستفور ابنا سنبل في كورة سيمساط وهؤلاء كانوا سريناً انضموا الى
كوغ باسيل والى باسيل الفتى الذي ربه امرأة كوغ باسيل وكان يدبرها كديك
الشرير مبعوض السريان . فهو الذي اغتصب ديرهم المعروف بالدير الاحمر بجوار
الكيسوم ووجهه لغريغوريوس جاتليق الارمن وحول خمسة اديارهم التي في بيت
قنايا بجبل زابار الى قرى . وطارد رهبان دير عرنيش واقام فيه جنوداً وحراساً
وضغط على رهبانه حتى استنزف منهم الفتي دينار .

وظل طنكريت ملك انطاكية يحاصر الكيسوم ستين حتى اخذها . وكان
كديك المذكور آنفاً داهية حياً لالم يتسكن الفرنج من التغلب عليه حتى استألوه اليهم
وزفوا اليه كلاماري الفرنجية اسوة بالفلسطينيين وشمشون وهي التي سقته السم وقتلته .
اما امرأة كوغ باسيل فلما رأت الجيش التركي يعيث ببلدها ارسلت الى
آقسنقور امير الخابور ولاطفته ووعدته بالمساعدة . فوجه اليها سنقور درار الطويل
بمئابة سفير . وسبقت فاستوت على العرش الملكي واقامت حواليها الفتيات
جواريهن رافلات بالحلي والحلل . فدخل سنقور وجلس على كرسي تجاهها واخذت
تحادثه حديثاً لطيفاً ممزوجاً بالدهاء . وقالت له : مر جيوشك المقيمين في الحيام
ان يدخلوا المدينة (٢٨٠) ولا يبيتوا خارجاً فقد اخبرني جواسيسي ان الفرنج
مستعدون للهجوم . غير ان سنقور لم يعبا بكلامها وظل متنظراً متنظراً حتى
انقض سبعمائة فارس فرنجي واجزوا على اصحابه الاتراك ولم يفلت منهم الا
الزر اليسير . وبعد هذا اعادته الى الامير آقسنقور في تحف وهدايا فسار الى

سروج وحاصرها خمسة ايام وافنى عساكره زروعها وغلاها . ثم انطلق الى
شبكةان واعده هناك ولية فاخرة وجاء اليه من حران الملك مسعود ابن
السلطان إذ كان باقياً هناك ولم يذهب مع مودود . وبعد هذا اعتقل سنقور
اياز بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردین . وغزا بلده .

وفي ٢٩ تشرين الثاني من السنة ١٤٢٦ لليونان (١١١٥م) و ٢٩ من الشهر
السادس العربي حدثت زلزلة عنيفة جداً اجتاحت مرعش برمتها وامست مقبرة
لاهلها . وسقطت دور كثيرة في سيمساط وقتل فيها قسطنطين صاحب جرج
مع كثيرين . وسقط من سور الرها ثلاثة عشر برجاً وقسم من سور حران
ومائة دار في بالس ونصف قلعتها . وقوضت في الكيسوم كنيسة مار يوحنا
وكنيسة الاربعين شهيداً ثم تجدد بنائها بمساعي السيد ديونيسيوس اسقفها .

وفي السنة ٥٠٩ للعرب وهي السنة ١٤٢٧ لليونان (١١١٦م) انقض رجير
صاحب انطاكية في خمائة فارس على الامير آسنقور ما بين حلب والمرة .
فانهزم مع زككي اخيه الى احد التلال وواصل الفرنج فتكهم بالجيش التركي
وغزوا من معهم من التجار والسوقة . وفر آسنقور واخوه مع عدد قليل .
فتبعهم الفرنج نحو فرسخ ولم يدركوهم فعادوا واعتقلوا ثلاثة الاف تركي
وحطوا صناديقهم واعمدت خيامهم واضرموا فيها (٢٨١) النيران . واحرقوا
الصبيان والشيوخ الضعفاء غير القادرين على العمل . واستاقوا البقية الى انطاكية

وفي السنة ٥١٠ للعرب (١١١٧م) مات السلطان غياث الدين محمد بن
ملكشاه في اصفهان وخلفه ابنه السلطان محمود . ومات كذلك الخليفة المستظهر
في بغداد وخلفه ابنه المسترشد الصغير . وفي آب السنة عينها مات الكيس ملك
اليونان وكان حكيماً شجاعاً حافظ برصانته على عاصمته ولم يدع الفرنج ان
يدخلوها . وخلفه ابنه ايوني فقدر به اخوه واخته و أمه ولم يستب له الملك
الأبعد ما نفى اخاه واخته وقص شعر امه واقامها في الدير . وفي هذه السنة
كذلك مات صاحب مصر وصاحب غزنة . وبعد قليل قتل رجير صاحب
انطاكية . ففي هاتين السنتين توفي ثلاثة عشر ملكاً سبقت وفاتهم الزلزلة
الهائلة كما ذكرنا .

بعد المستظهر المسترشد ابنه

تولى سبع عشرة سنة وثمانية شهور . ولما يبيع بالخلافة حطم خوايي خمر وافرة كانت لايه وأتلفها . وطرده المطربين والمطربات من البلاط . ورأى أباه في الحلم يقول له : أخرجني من عندك لتلاً آخذك الي . فاضطرب ونقله ودفنه في مكان آخر . وجعل يبدي التصوف . وكبس دار المحامي ابي طاهر ابن احمد وعثر فيها على بيعة بنا فيها من آنية المذبح وقال له : ما هذا ؟ فقال : كانت لي زوجة نصرانية صنعت ذلك دون معرفتي .

وفي السنة ٥١٢ لله للرب (١١١٨م) احتل (٢٨٢) حران الامير ايلغازي بن ارتق وأوثق شيخها المشاهير وقاضيا . وكان صاحب حلب قد سبق فدفع لرجير صاحب انطاكية ذهباً وافراً ولم يقدر ان يهادنه الا اربعة اشهر فقط ريثما أقبل الحصاد ورفعت البيادر فعاد رجير الى حلب وحاصرها فاستغاث الحلبيون بالامير ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين فحشد سبعة آلاف تركي واقبل يناوش الفرنج حتى كسرهم وقتل رجير في المعركة وانهمز سائر الفرنج الى انطاكية . فرحف اليها الاتراك واحتلوا ضواحيها وفتكروا برهبان كثيرين في الجبل الأسود . وبلغ بغدوين الثاني ملك اورشليم ما صار فتبع الاتراك . وكان كمناهم قد اجتاحوا الرجالة الفرنج وانقض عليهم وبطش بهم قاطبة . ثم عاد يريد ايلغازي واستنقذ الغنية من يديه ورجع بها الى انطاكية . وذكر البطريك ميخائيل المغبوط ان غازي بن دنشند هو الذي كسر الفرنج وقتل رجير . ولعل تشابه الاسمين اوقعه في الخطأ والغلط .

وفي هذه السنة احتل صاحب ملطية بلد جيحان وابلستين وقلعة قطيعة . وفي شباط تلك السنة غزا الفرنج بلد ملطية وغزا الاتراك بلد جرج . وغزا صاحب ملطية بلدة قحاح فسار صاحبها الى طرابزون واستغاث باليونان فبعثوا معه القائد جهراس . فناوشه صاحب ملطية وبلك وظفرا به واعتقله فدفع لها ثلاثين الف دينار وعاد الى وطنه . وانتزع ايوني ملك قسطنطينية ثلاثة حصون من

الاتراك . وأحرق ايلغازي غلات بلد الرها . وغزا ضواحي انطاكية . ومات
 طفتكين صاحب دمشق وخلفه ابنه فحمل عليه التتاش التركي وبطش به
 وتولى مكانه .

وفي السنة ٥١٥ للعرب (١١٢١م) انتقض الملك مسعود في الموصل على اخيه
 السلطان محمود دون موافقة الامير زنكي . وحشد الجيوش ونازل اخاه السلطان
 فكسره السلطان وقبض عليه واوثقه بالأغلال . وولى الامير برساقى بلاد
 الموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبعثه اليها .

وارسل ملك قسطنطينية اليوناني في تلك الغضون الى ايلغازي بن ارتق
 يقول : ان جماهير غفيرة من الفرنج خرجوا من البحر الى سورية فيجب ان
 نستعد لمقاتلتهم . واذا احتجت فاني منجذك بثلاثين الفا . فسارع ايلغازي
 وسد الموانئ واجهز على الكثيرين من الفرنج وتقهقر البقية الى فروجية . وتم
 ذلك بدسياسة اليونان المكارين .

وكان ارمن جرجر يتلصصون يومئذ في اطراف حصن زياد ويولا وملطية
 فأرسل بلك الامير التركي الى ميخائيل الارمني صاحب جرجر يعده بان يؤدي
 له كل سنة الف حمل حنطة وثلاث قرى من قراه بشرط ان يمنع اصحابه عن
 التلصص . فأقسم له ميخائيل في ذلك غير مرة ولكنه حث في نفسه فكانت
 الحنطة تصل اليه ولصوصه يواصلون احراق القرى في هتزيط . وعند ذلك عبر
 بلك جليد الفرات الى جوبلس في شباط وكانت الثلوج متراكمة في الجبال فوجه
 الف حصان قطعت جبل قريونا الشاهق وشقت الثلوج فسارت الجيوش التركية
 ووصات في يوم واحد الى دير برصوما . وفي تلك الليلة شق الاتراك جبل
 الجدار في جرجر وانقضوا صباحاً على ملطية المنكودة الحظ وغزوا ضواحيها
 يوم الاثنين اول كانون الثاني ١٤٣٢ لليونان (١٢٢١م) واجتاحوا الاهالي
 والبهاثم وانطلقوا . وأسفق بلك على الفلاحين المسيحيين وترك لهم ما لهم كله
 وذهب بهم الى هتزيط وشد عليهم الأمر بان لا يعودوا الى جرجر وألا فانه
 متى اقبل ثانية الى تلك النواحي فلن يشفق عليهم .

وفي السنة ١٤٣٣ لليونان (٢٨٤) (١١٢٢ م) وجه السلطان محمود جيشاً ضخماً من الاتراك الى بلد الكرج فأوصد الملك الثغور وفتك بالكثيرين منهم . وغزا جوسلين الفرنجي بلد جوباس . وفي هذه السنة مات ايلغازي بن ارتق .
 أما جوسلين فبعد وفاة امرأته اقترن بابنة رجيير صاحب انطاكية واراد ان يأخذها معه الى الرها . لكنّ بلك اقام لها كناء قبضوا عليها ومضوا بها الى يولا . وتخلّى ميخائيل الارمني للملك بغدوين عن جرجر على اثر تغلب الاتراك عليه واكتفى بموضع آخر .

وفي السنة ٥١٧ للعرب (١١٢٣ م) شخص ابن شهرزوري قاضي الموصل الى بغداد وأدى للخليفة خمسة آلاف دينار واحتلّ غربي دجلة كله من حدود الموصل حتى البصرة .

وكان الفرنج في السنة ١٤٣٤ لليونان (١١٢٣ م) يخيمين في شاطىء نهر سنجا فانقضّ عليهم كين بلك الامير التركي وناولسهم وقبض على الملك بغدوين يوم الاربعاء من اسبوع البياض . وتآهب القنصان جوسلين وغلاران كل الصيف لمنازلة الاتراك حتى تلاقى الجيشان في ايلول . فانكسر الفرنج واعتقل القنصان ليلة عيد الصليب وسجن بلك ثلاثتهم في جبر بقلعة خرتبرت وهي حصن زياد . ولما عرف بعض العتمة الارمن ان ليس في القلعة الا القليلون احتشدوا في بابها يتذمرون بسبب اجرتهم . ثم وثبوا وانتزعوا ما هناك من السيوف وفتكوا بالحراس الاتراك . وسارعوا الى الجب فانتشلوا الملك بغدوين وجوسلين وغلاران واجهزوا على العرب واحتلوا القلعة . ثم احتال جوسلين فغادر القلعة ليلاً مع رجل ارمني وذهب ليأتي بجيش يحتل القلعة ان تيسر او ينقذ الملك بغدوين . غير انه ما كاد يخرج جوسلين (٢٨٥) حتى وصل بلك وصوب المنجنقات نحو القلعة واحتلها وقتل سبعين من الفرنج والارمن . واخذ الملك بغدوين وابن اخته غلاران ومضى بها الى منبج وحاصرها فرماه احداهم من السور بسهم قضى عليه وانهمز عساكره الى حلب وولوا تيمورطاش ابن عمه زعامتهم فباع الاسيرين بمائة الف دينار . وعاد بغدوين الى اورشليم . وتولّى حصن زياد سليمان نسيب بلك وتولّى صاحب ملطية مسارا وجرجر .

وظهر نجم ضخيم طوله من الجنوب الى الشمال . وعرضه كقربة حصان
وظل مدة شهرين .

ويوم الجمعة ١٣ حزيران ١٤٣٥ لليونان (١١٢٤م) انقضت على ملطية الامير
غازي بن دنشمنند صاحب سبسطية واجتاح ضاحيتها كلها وحصر المدينة شهراً
واحداً . ثم ترك في قرية سامان ابنه محمداً مع جيش كثير وأمر بتابعة
الحصار دون ان يدع احداً يدخل المدينة او يخرج منها . وكان عرب صاحبها
غائباً يتلصص بلد دنشمنند ويحتاجه . وتقام جوع الملتين حتى بيع قفيز الخنطة
اعني حمل الجحش بستة وثلاثين ديناراً ذهباً . وفي القوت اخيراً بالمرّة وجعل
الاهالي يبلون الجلود اللينة وغلف الكتب والأجذية ويسلقونها ويأكلونها .
واضحلت السنابير والكلاب والحجر اضمحلاً تماماً . هكذا انتابت ملطية
التاعسة ثلاث ضربات أليمة : السيف يفتك بكل من يغادرها والجوع يحتاج
من في داخلها وايزابيل الثانية ام السلطان التي فرّت من الموصل تشدد على
الاعيان لتسلبهم الذهب وتنهزم او تجتاحهم قاطبة وتنطلق .

وظهرت يومئذ نجوم تنساقط من السماء

وحين ذاك تحنّ الربّ (٢٨٦) على خصاصة المسيحيين فارتحلت تلك الملعونة
مع ابنها ليلة الاربعاء عاشر كانون الأوّل ١٤٣٦ لليونان (١١٢٥م) ودخل
الامير غازي وشاهد البقية الباقية كأنها خارجة من القبور بسبب الجوع . وأبدى
للجميع كلمة التشجيع والتسلية وأعطى الفلاحين حنطة ليزرعوها واستحضر البقر
والثيران والاعنام حتى انتعشت المدينة .

وذكر البطريوك ميخائيل المغبوط ان الخليفة المستظهر مات في هذه السنة
وخلفه ابنه المسترشد . وعلّمه اخطأ في روايته بسبب اختلاف سير اعوام العرب
القمرية واعوام اليونان الشمسية .

وفي السنة ١٤٣٧ لليونان (١١٢٦م) فتك الفرنج في كفرطاب بصاحب
حماة واحتلوا جبلة وشددوا على صور حتى وصلت مراكب البندقيين الفرنج
واقبل ملك اورشليم الى مساعدتهم واحتلوا المدينة بعد معارك طاحنة .

وحشد الملك عَرَب جنوده وحمل على اخيه مسعود سلطان قونية لاتفاقه مع ابن دنشند . فانهمز مسعود الى قسطنطينية ورحب به ايوني ملك اليونان ترحيباً جميلاً واعطاه ذهباً وجيشاً كثيراً فخرج قاصداً غازي ثم انطلقا معاً يريدان عَرَب فانهمز عرب الى بلد تورس الارمني صاحب قيليقية .

وفي السنة المذكورة طفر عشرة اسمعيليين على آقسنقور برسوق أمير الموصل وهو في مسجدها الكبير القديم فنقض وبطش بثلاثة منهم ثم حمل عليه بقيتهم وقتلوه . وخلفه عز الدين مسعود ابنه في الموصل وجزيرة قردو وما بين النهرين وحلب وحماة وغيرها . وعاش سنة واحدة ومات . وخلفه اخوه الصغير يناظره الامير جاولي التركي احد عبيد ابيه برسوق . وهذا جاولي ارسل أبا الحسن علي بن شهرزوري قاضي الموصل وصلاح ياجوبساني بمثابة سفيرين الى السلطان في بغداد تأييداً لابن برسوق الصغير في الولاية . غير انها قالوا للسلطان : ان الموصل في حاجة الى رجل (٢٨٧) منجذ في الحرب يستطيع مناهضة الفرنج الذين زعزعوا العرب جميعاً . وأشاروا الى اابغ زككي بن قاسم الدولة آقسنقور وكان شحنة في واسط وبغداد . فوافقها السلطان وكتب له فرماناً ووجهه الى تلك المدينة . فرأى ببلدة بيت وازيق واحتلها ولما بلغ الموصل بعث جاولي الى الرحبة وولى صلاح ياجوبساني حراسة القلعة ونصب ابن شهرزوري قاضياً على الموصل وملاحقاتها يخلفه في القضاء نسله على كرور الزمان . وتولى زككي كذلك الجزيرة واربيل وسنجار والرحبة وحلب وحماة وحمص .

وفي السنة ١٤٣٨ لليونان (١١٢٧ م) اقتبل غازي وعَرَب كذلك فانكسر عَرَب وحلقه غازي وابتدأ خيامه وانطلق الى قومانة وانقرة وحاصرهما حصاراً شديداً حتى احتلها وأخرج محمداً ابنه وكان ملك عَرَب قد حبسه هناك . ثم حشد عَرَب الجيوش ثانية وزحف يريد غازي فانكسر وانهمز الى بلاد اليونان وضاع خبره .

وفي السنة المذكورة أقبل من رومية يوهيند بن يوهيند الفرنجي ووصل الى انطاكية وتولى امرها . وثار خلاف بين الفرنج فقرا جوسلين ضواحي

انطاكية كلها . فسخط عليه بطريقهم وأغلق ابواب الكنائس وأبطل قرع النواقيس والصلوات ريثما ردَّ جوسلين الغنيمه بأسرها .

وفي السنة ١٤٣٩ لليونان (١١٢٨م) قرَّر الحلبيون ان يؤدُّوا لجوسلين كلَّ عامٍ اثني عشر الف دينار خوفاً منه لتلايضيق عليهم . واذا ذاك أغوى بعض اترك حلب فريقاً من طبأخي الفرنج ودفعوا لهم ذهباً فسقوا جوسلين وستة من فرسانه سماً قضى على حياة الستة وصانت العناية الالهية جوسلين وعالجه الاطباء حتى تعافى فقتل الذين سقوه السمَّ وقتك باولادهم جميعاً .

وفي هذه السنة سار طغرل ارسلان الى ملطية (٢٨٨) وكانت قد انزعمت من يده فقرا اطرافها الخارجية وانقلب وضاع خبره .

وفي السنة ١٤٤٠ لليونان (١١٢٩م) وصل جوسلين الى آمد وغزا التركان والاكراد في جبل آشوم ونهب قري آمد حتى باها .

وفي السنة عينها بلغ زنگي ان السلطان ينوي ان ينصب دُبيس زعيم المعديين اميراً بدلاً منه في الموصل . فأنحدر الى بغداد وتذلل له وأدى له مائة الف دينار وتوسَّل اليه ليؤيده في مكانه . وقدم للخليفة هدايا وافرة كمي لا يدع لدُبيس مكاناً يتولاه البتة . وكان قد جرى بين الخليفة ودُبيس وقائع كثيرة حتى انضمَّ الى السلطان وازدراه وسار الى بغداد وجعل يركب غادياً رائحاً مطشناً مستحقراً الخليفة . ولما مرض السلطان سرق دُبيس ابنه الصغير وانهم فغزا الكوفة والبصرة والحلة وحشد ذهباً وافراً وضمَّ اليه عشرة آلاف فارس مضى بهم الى البرية . وقس على ذلك حيلة جتة لا يسع هذا المؤلف الوجيز استقصاءها فاضربنا عن سردها . وقيل انه في عراك جرى بين الخليفة ودُبيس انكسر دُبيس وسقط اصحابه جميعاً وأفلت وحده وعبر الفرات على ظهر حصانه . فشاهدته عجوزٌ معدية وقالت له بطمانينة : هل حضرت يا دُبير ؟ اعني يا تاعس الحظ . فتبسَّم دُبيس ولم يسخط عليها وقال لها : ان التاعس الحظ هو من يتغيَّب ولا يحضر !

ودارت رحى الحرب في هذه السنة بين الفرنج والاسماليين واجتاح الفرنج منهم زهاء عشرة آلاف واحتلوا ما كان بيدهم من الحصون الكثيرة في فينيقية .

ووقع رعب الفرنج في قلوب عرب سورية جميعاً . وسار الفرنج الى دمشق وضيقوا عليها ثم فرضوا على اهلها عشرين الف دينار في السنة جزية وتركهم (٢٨٩) وانصرفوا . واستولى الفرنج في تلك الاثناء على جميع البلاد من ماردين وشبكتان حتى عريش مصر . ولم يبق للعرب في سورية الا حلب وحماة وحمص ودمشق تؤذي باجمها الجزية للفرنج . فكانوا يأخذون من حلب نصف غلاتها حتى من الرحي التي بباب الجنائن . ووجهوا وفوداً الى دمشق أحصوا كل من فيها من العبيد النصارى ونقلوا كل من لم يشأ الاقامة مع العرب دون ان يدفعوا شيئاً من الاثمان لمواليهم . ووصلت جيوش الفرنج الى آمد ونصيبين وراس العين . وأمسى اهالي الرقة وحران بسببهم في ضنك شديد . وتعذر على العرب السفر من المشرق الى دمشق الا في طريق البادية .

وفي السنة ١٤٤١ لليونان (١١٣٠م) مات تورس والي قيليقية وخلفه لاون اخوه وناوشه بوهيمند الفرنجي صاحب انطاكية .

وفي ٨ اذار السنة عينها وهي السنة ٥٢٤ للعرب حدثت زلزلة عنيفة في بغداد قوّضت مساكن كثيرة . وظهرت في الموصل سمابة كثيفة صبّت وابلًا من الامطار تبعثها جمرات نارية هائلة هبطت من الجوّ الى الارض واحرقت دوراً شتى مع اثائها .

وفي هذه السنة سار قسيانس الزعيم اليوناني يريد غازي بن دنشمند وسلّمه حصوناً كثيرة في بلاد البنطس وتولى قبذوقية باجمها وحشد جيوشاً كثيفة وزحف الى قيليقية ليغزوها . وحدث ان بوهيمند صاحب انطاكية دخلها من ناحية اخرى دون ان يشعر احدهما بصاحبه . وعند ذلك اشتعلت الحرب بين الاتراك والفرنج وظل لاون الارمني قابلاً لم يتعرض للخصمين . فتغلب الاتراك واجهزوا على بوهيمند يجهلون انه الملك . امّا لاون فأغلق الثغور تجاه الاتراك وقتك بكثير منهم .

وفي السنة ٥٢٥ للعرب (١١٣٠م) قبض صاحب دمشق على دُبيس المديني وأوثقه وبشه الى زنكي (٢٩٠) صاحب الموصل واسترجع ابنه المأسور لديه .

وفي السنة ١٤٤٢ لليونان (١١٣١ م) اقبل ملك اورشليم الى انطاكية وجاء اليها كذلك جوسلين من الزها فأغلق الانطاكيون الابواب في وجهها حتى أبرما بقسم ان تبقى المدينة لابنة بوهيمند ريثا تدعرع وتتزوج فيكون زوجها خلفاً لوالدها في انطاكية .

ودخل الامير غازي بن دنشند قيليقية ودوخ بعض الحصون . فتدخل له لاون الارمني وحلف ان يمنع لصوصه عن العبث في بلده . وان يؤدي له الجزية سنة فسنة . لكنه أخلف في قسمه ثانية ولم يؤدي له شيئاً .

وسار اسحق اخو ملك اليونان الى قيليقية وزف ابنته الى لاون المذكور واعطاه المصيصة وآطنه بدلاً من جهازها . ثم حصل بينهما نزاع وانهم اسحق وابنه الى بلد سلطان قونية .

وتوفي جوسلين وخلفه في الزها جوسلين الثاني . وفي تلك السنة غادر السلطان محمود مدينة بغداد وتوجه الى خراسان . فاقبل اليه مسعود اخوه واستعطفه وحمل امامه غطاء السرج قتالاً . وولاه السلطان محمود شؤون البلاد والعساكر وركب الى همدان ومات هناك بالغاً الثامنة والعشرين . فنارت الحصومة بين داود ابن السلطان محمود وبين مسعود وسلجوق شاه وطغرل وكان طغرل مع الملك سنجر عنهم . وارسل الثلاثة الى الخليفة يطلب كل منهم السلطنة لنفسه . فوافق الخليفة اول بدء على سنجر وبعث الى البقية يقول : فليات الي من يوافق عليه ويدفع له كتاب الرضى فاقبله انا كذلك . ثم كتب الى سنجر يقول : انا لن يزيد غيرك ولن نسبح لاحد ان يتسلط دونك . ولما بلغ مسعوداً جواب الخليفة سار الى الموصل يريد زنكي وسأله (٢٩١) ان يسعفه بما يؤديه للخليفة ويسلمه لدؤيس زعيم المعتدين ليذهب به اليه وبذلك يصنع اليه جميلاً . اما زنكي فقال : اني ادفع خمسين الف دينار ذهباً وكل ما تشاء من عبيد وجوار وخيل ولكني لا اسلم دؤيس اصلاً لان السلطان سنجر نهاني عن تسليمه ولا يتيسر لي ان اخالف امره . فارتاب مسعود وخرج فاقام غربي الموصل . واغلق زنكي ابواب المدينة ورحل جميع المساكين الذين يتعذر عليهم ان يعيشوا في الحصار وتحصن هو في القلعة . اما مسعود فلم يحارب الموصل بل انحدر

الى بغداد وارسل يقول للخليفة : ان ناديتم باسمي اصبحتُ صديقاً وطائماً والآ
فليس لكم عندي الا السيف .

فبرز عساكر بغداد وتعاركوا مع عساكر مسعود فكسروا وانكسروا .
وجاءت الاخبار في اثناء المعركة بان سنجر قادم الى بغداد في جيوش ضخمة .
فتخوف البغداديون ورأى الخليفة ان مسعوداً أقوى من سنجر فعاهده وأدخله
وأقامه في القصر الملكي واتفق الجميع على مناوشة سنجر .

وفي السنة ٥٢١ للهـ للعرب (١١٣١م) وصل سنجر الى همدان واحتلها ونادى
فيها باسم طغرل بن محمود وكان معه . اما مسعود قائد جيش الخليفة فتوجه
كذلك الى همدان متتبعا جيوش سنجر . وارسل الى الخليفة لينذهب بنفسه الى
مقاتلته . ولما تهيأ للرحيل وصل الخبر بان زنكي ودُبيس المعدي قد اتفقا
وعولا على التزول الى بغداد . فعاد الخليفة الى داره ليستعد لمحاربتها . ثم برز
في الفين من جيشه وتغلب عليها . وانهزم زنكي الى تكريت ودُبيس الى
سواحل الفرات . وارسل زنكي القاضي ابن شهرزوري الى الخليفة يستغفره
وينتظر أمره لينذهب (٢٩٢) اليه ويتولى شحنة بغداد من قبل سنجر . فقال
الخليفة للقاضي : ان سنجر لا سلطنة له عندنا ولا نقبل له شحنة . واذا احب
زنكي مصالحتنا لزمه ان يسلمنا دُبيس ويمكث هو في الموصل مطشناً والآ فاننا
زاحفون اليه .

وفي الشهر الاول من السنة ٥٢٧ للهـ للعرب (١١٣٢م) دخل السلطان مسعود
بغداد ونودي بعد الخليفة وابنه باسمه واسم سنجر واسم داود معا : ثلاثتهم
سلاطين . وزحف الخليفة المسترشد الى الموصل وحاصرها ثمانين يوماً فامتنعت
عليه . وبلغه الخبر بان السلطان مسعوداً انتقض عليه فترك الموصل وكرّ عائداً
الى بغداد .

اما جوسلين الثاني فاحتل قلعة شبكتان وقوضها تماماً . وزحف ايوني
ملك اليونان ودوخ حصن قسطنونة وانتزعه من الاتراك صلحاً . واحتل حصنين
آخرين عنوة . واحتل بغدوين ملك اورشليم الفرنجي قلعة القصير بجانب انطاكية

عنوة . وسار الى عام فاحتشد هناك الاتراك كالجراد ليقاتلوا الفرنج . وانهزم
الفرنج في اول الامر حتى استدرجوا الاتراك الى البقاع ثم انحدروا وتصلحوا
وتصافحوا وحملوا جميعاً على الاتراك حملة واحدة وضربوهم ضربة قاضية حتى
المساء . وتم ذلك عام ١٤٤٥ لليونان (١١٣٤م) .

وفي تلك السنة ظهر جراد كثير ببلد الرها . واستغاث المسيحيون بالصفي
برصوما^(١) وارسلوا فاستحضروا صندوقة ذخيرة . فارتحل عنهم الجراد باعجوبة
ولم يؤذ البلد كله اصلاً . فضمن الروم وسخطوا وحرضوا ببيوس مطران الفرنج
ليفتح الصندوقة ويشاهد الذخيرة . لكن الرهبان ابا ذلك فجعل الروم يستهزئون
(٢٩٣) ويقولون : لا شيء . في الصندوقة . واضطر الرهبان اخيراً ان يفتحوها
في بيعة الفرنج . وحدث للرجال رعد هائل وتلبدت سحب سوداء . في الجو وهبط
برد قتال ملاء الشوارع واخذ الشعب كافة يصرخون كيرياسون ارحمنا يا صفي
الله ا اما اليونان فانهزموا وانحرفوا . ولما انقطع البرد احتشد الاهالي وثاروا
الصلوات ثلاثة ايام . ولما شاهد العرب الحرانيون تلك الاعجوبة سألوا ان
تنقل اليهم الذخيرة لكن الفرنج لم يلبوا سوىهم بل ردوها الى الدير باكرام .
ثم اقبل الملطيون ونقلوها اليهم في الاناشيد والصلوات . وربط في الجراد ولم
يؤذ الزروع اصلاً .

وفي ٢٣ ايلول احرق الرعد سبعة ثيران وصيياً . واحرق صيياً آخر في سيمنادو .
وحدثت زلزلة قوية في ارمينية اجتاحت مدينة دكودوف . وحدث في ملطية
شتاء قاس . وانزلت تلعجاً أحمر .

وفي السنة ١٤٤٦ لليونان (١١٣٥ م) اقبل من ايطالية ريموند دي فوتيرس
وزفت اليه بنت يوهيند صاحب انطاكية وتولى امارتها . وفي السنة عينها
مات بنديون الثاني ملك اورشليم وزفت ابنته الى فلك فخلفه في مكانه .

(١) ان برصوم هذا كان من الراميين بالطبيعة الواحدة . وقد حرمه المجمع الخلقيدوني
المسكوني عام ٦٥١ بحضور ستائة وستة وثلاثين اسقفاً . وكان ابو الفرج الملطى مؤلف
هذا التاريخ من مناصري ذلك الزعم .

وفي السنة عينها سير زكري صاحب الموصل ابنه الى بغداد مع مفاتيح المدينة وبعض نسائه بمثابة ودائع. وأقسم بالطاعة فحاز الرضى والقبول. واصطلح الخليفة والسلطان سنجر كذلك وارسل اليه الخليفة تاجاً وطوقاً وحصاناً بنعائين ذهبيين . فنهض سنجر وقبل حوافر الحصان وأبدي الطاعة للخليفة .

وفي تلك الفنون خرج ابن جبارا جاثليق النساطرة (١١٣٣ - ١١٣٥) ليلاً الى الحديقة فوطئ حيةً لدغته ومات . وذكر بعضهم ان الحية لم تلدغه لكن الرعب قضى على حياته .

وفي السنة ذاتها ارسل الخليفة طوقاً ذهبياً الى الامير غازي بن دنشمند (٢٩٤) دلالة على العبودية وصوبجاناً ذهبياً واربعة بنود سوداء وطبولاً تسدق امامه وسماء الملك غازي . ولما وصل السفراء شاهدوه مريضاً وما عم ان مات . فاقاموا ابنه محمداً خلفاً له وعادوا . وهذا الملك محمد جد قيسارية قبدوقية التي كانت قد تهدمت منذ امد طويل واتخذها عاصمة له . ثم سار الى ملطية متخوفاً اتفاق الزعماء مع اخيه ونقل معه الهدايا للأحرار ثم انقلب فوثب الى اخيه بياجان وقتله وغزا دولت اخوه الثاني بلد ملطية .

وفي الشهر السابع من هذه السنة ألقى الخليفة المسترشد المنادة باسم السلطان مسعود . وحشد سبعة آلاف عسكري لمقاتلته وقد بلغه ان ليس مع السلطان الآلاف وخمسمائة عسكري لا غير . لكنه بعد هذا اصبح مع الخليفة خمسة آلاف ومع مسعود خمسة عشر ألفاً واصطدم الجيشان فانكسر جيش الخليفة واعتقل الخليفة ذاته . ونهبت الثروة التي كانت معه وهي سبعون حمل بغل ذهباً وفضة وخمسة آلاف حمل حمل واربعائة حمل بغل اقشة وثياباً وسائر لوازم الطريق في جملتها اربعون ألفاً من عمامات وطرابيش واقصة باكامها كاملة الحياطة . ثم أمر مسعود ان ينادى في الجيش بان لكم الاموال والامتعة ولي الدماء . وان من قتل رجلاً قتلته بدلاً منه . ولذا لم يقتل الا خمسة اشخاص فقط . ونادى المنادي كذلك بان من يبقى ههنا من حزب الخليفة يقتل . فازدحم البغداديون وانهزموا عراة حفاة يئمة ويسرة . وارسل السلطان مسعود يقول للخليفة ان يكتب كتاب الرضى ويصرح للبغداديين بانه متسع في مجبوحه

من العيش لديه وانه لن يتأخر عن القدوم اليهم . غير ان البغداديين عرفوا ان الخليفة قد كتب ما كتب (٢٩٥) خوفاً . فأحدثوا ضجة قُتل في اثنائها نحو مائة وخمسين من العامة ثم هذبوا كيفما كان .

واخذت الزلازل تنتاب بغداد في تلك الاثناء . كل يوم خمس مرات اوست مرآت . فارسل السلطان سنجر سفيراً الى السلطان مسعود في رسالتين الاولى سرية ضمنها سباً وشتماً لانه لم يفتك بالخليفة في اثناء المععة . والثانية مفتوحة يقول فيها : اذا طالمت هذه السطور يا بُني غياث الدنيا والدين مسعود فاقصد امير المؤمنين وقيل الارض امامه واستغفره عن ذنبك . اذ لا يسعني الصبر عمّا يحدثه الله سبحانه بسبب ذلك من آيات السماء والارض : كالرياح والصواعق والبروق والزلازل الارضية وقد أمسى العرب قاطبة حزاني والتفت الصلوات وأغلقت ابواب المساجد في بلاد العجم وسنار جميعاً . أعد اذن الخليفة باكرام الى كرسيه دون تعلل او تبجح . وادفع له دُبيس ليجري به ما شاء لانه مسبب هذه الفتن بأسرها .

ولما اطلع مسعود على ذلك كله أمر فقتلوا خياماً كبرى واقاموا الخليفة هناك . وحملوا امامه الاغذية نحو نصف فرسخ ثم جاء به مسعود الى نخيته الملكية الكبرى واستغفره عن ذنبه . وقدم له دُبيس موثقاً ومعه سيف وكفن وقال : ان هذا هو الذي اجترم كل هذه الشرور وهذا اسلمه لك فتر ان يُعاقب حسب جرمه . الا ان الخليفة أدرك ان تلك العبارات صادرة من الفم لا من القلب فغفر لدُبيس . ولذا اضطره مسعود ان يذهب الى بغداد . لكن الخليفة أبي الذهاب وقال : لست اذهب إلّم تأت معي . فقال مسعود اني مرسلٌ معك أمراء يخدمونك لتذهب بكلّ اجلال وتجلس في دارك . لكن الخليفة لم يرضَ لحوفه من ان يضعوا له كميناً في الطريق ويبطشوا به سرّاً اذ لا يسعهم (٢٩٦) ان يقتلوا جهوراً امام دينهم .

واعترم مسعود ان يتوجه الى اذربيجان ليقاتل داود ابن اخيه وتوجه معه الخليفة كذلك . ثم ارسل سنجر وفوداً الى مسعود من مراغة وهو عند بابها

وحرّضه ان يردّ الخليفة الى بغداد دون تريت . وكان في جملة اولئك الوفود سبعة عشر من الاسماعيليين . ويوم الخميس وقت الظهيرة ١٦ الشهر الحادي عشر عام ٥٢٩ للعرب (١١٣٤ م) وثبوا اليه وهو يطالع كتاب القرآن في الخيمة وفي ايديهم السكاكين واجهزوا عليه وعلى ثلاثة من حشده . فركب مسعود واحدق بالحيام وقتك بالقتلة . قيل ان سنجر لم يكن عنده علم بالاسماعيليين لكن الحقيقة هي انه هو الذي ارسلهم دون علم مسعود .

بعد المسترشد الراشد ابنه

تولّى سنة واحدة . ذلك انه على اثر قتل ابيه المسترشد ارسل السلطان سنجر الى شحنة بغداد يأمر ان يجتمع الاقطاب والقضاة وبياعوه بالخلافة ويجلسوه مكان ابيه . فنقذوا امره . وفي تلك الاثناء غدر دؤيب بن صدقة بالسلطان مسعود فكتب رسالة الى زنكي يقول : اني مترقب الفرصة لاغادر هذا واتوجه اليك واحشد من الجنود المعديين ما يقابل رمال شاطئ البحر ثم ننتق معاً ونفعل مع مسعود فعلاً يخلد ذكره الى الاجيال التالية . وقد وقعت تلك الرسالة بيد من اوصلها الى مسعود . ولما اجتمع الاقطاب لديه يوماً وسقاهم ماء السكر كالعادة ونهضوا ليودعوه اشار الى دؤيب ان يتربص وقال له ان لي معك كلمة سرية . فوقف ونهض مسعود ودخل الخيمة الداخلية ودفع رسالة ما الى عبد ارمني حامل سيفاً وقال له : امض فادفعها الى دؤيب وعندما يبدأ قراءتها اضربه من ورائه (٢٩٧) وافلق هامته . فخرج العبد وشاهد دؤيب يضرب باصبعه في الارض ويقول : الموت خير لي من حياة مضطربة . فقدم له الرسالة فاخذها وفتحها وجعل يقرأها ففاجأه العبد بضربة في رقبتة من ورائه وخر هامته . وهكذا انتهت حياة هذا الرجل المراوغ المصارع . وتمّ قتله بعد خمسة وثلاثين يوماً مرت على قتل الخليفة المسترشد خصه .

وفي السنة ١٤٤٧ لليونان (١١٣٦ م) وهي السنة ٥٣٠ للعرب أخلف ميخائيل الارمني بوعده للفرنج اذ كان قد سبق فباعهم اياماً بلك قلعة جرجر

وخرج عنها فانقلب وانحرف عنهم وجعل يغزو قراهم . فادركه الاتراك يوماً في قرية كور زيزونا على ساحل الفرات واحدقوا به من كل صوب ولم يستطع ان يفلت منهم . فألقى بذاته من علو الصخر الى النهر وكان متسقطاً بدرع حديدي فغرق في الماء . ثم طفا وتملص الى جهة النهر الثانية ولم يفرق ولم يلق من يده الترس على ما قيل . وبعد هذا تخلى لجوسلين الثاني عن مدينة جرج وأخذ بدلاً منها موضعاً يقال له سفس . ثم اشتراها باسيل اخو جاثليق الارمن من جوسلين . فحشد ميخائيل العسكر وسار الى الكيسوم وغزا ضاحتها فترصد له الفرنج وفتكوا به . ثم توجه دغسا باسيل يريد لاون في قيليقية وضاهره . وحشد بعض الارمن وانقلب ايناوش الفرنج في كفر زمان فتلف الكثير من اصحابه .

وفي كانون الثاني من هذه السنة اشتد البرد خصوصاً في آمد ففرت الى المدن صنوف الطيور الجليية كالحجل وما شاكله وحيوان القفر كالغزال وغيره . وأمر الحاكم جميع الاهالي ان لا يؤذوها . فاجعلوا يقدمون لها القوت حتى شهر نيسان ثم سرحوها . قيل ان تلك الطيور والحيوانات جعلت منذ الحريف تدخل المغاور كأنها سبقت فشعرت بحدوث البرد منذ إذ بما يدل على (٢٩٨) انه تعالى قد غرس في طبائع الحيوان معرفة تقليات الفصول قبل حدوثها .

وفي هذه السنة سار السلطان مسعود الى الخليفة الراشد سفيراً يطالبه بثلاثمائة الف دينار سبق فوعده بها والده المسترشد يوم كان عنده . وثلاثمائة الف دينار غيرها يجب ان يجمعها من البغداديين مساعدة له ويضم اليها حقوق الخلافة الجديدة كالعادة . فاجتمع الخليفة باقطابه وشاورهم في الأمر وانتهوا بان يحشد الخليفة جيوشه وينازل مسعوداً . فارتضى الخليفة وفتح خزائنه واخرج ذهباً وافرأ واستخدم عساكر كثيرة . ثم ارسل يقول للسفير : انما وعد ابي ما وعد من الذهب لاجل نجاته ولكثرتكم قتلتموه . بناء عليه لا بد لي من الانتقام وليس لكم عندي الا السيف . وما ان سمع السفير هذا الكلام حتى ترك الخليفة وانقلب عائداً . وجعل الخليفة يدأب في بنيان الأسوار وترميم الأبراج . واقبل يومئذ زنكي صاحب الموصل لينجده . ووصل كذلك داود

ابن اخي السلطان مسعود . وحاول الخليفة ان يلقي المناداة باسمه وينادي باسم داود لكن زنكي ابي وقال : لا تتعشروا بمسعود بل قولوا لداود ان يذهب ويقابل عمه فاذا تأيد نادينا باسمه . غير ان الخليفة رفض قول زنكي وألقى اسم مسعود ونادى باسم داود سلطاناً . فارسل مسعود الى الخليفة يقول : قد اصبحتا في غنى عنك واقنا خليفة مرافقاً لنا من سلالة علي فابحث عن مكان آخر واخرج وامض حيث شئت .

اضطرب الخليفة وأرسل الى بهروز امير تكريت وأخبره انه متوجه اليه ليتحصن في قلعه . فكتب له بهروز : انا عبد لمسعود ولا سبيل لي ان اخالفه اذا طلبك مني . فاضطر الخليفة ان يمدّ العدة لمحاربة مسعود وبعث بجيائه الى ضواحي بغداد وابقى عنده زنكي وسائر الاقطاب . ووصل اذ ذاك (٢٩٩) الخبر بان مسعوداً قادم في جيوش كثيفة . وخاطب زنكي الاقطاب فقال : عرفتم ما جرى للمسترشد بسبب انتفاض اقطابه فلم يستفد هو ولا هم شيئاً . فقولوا لي اذن : هل نيتكم مستقيمة ؟ وهل انتم مستعدون بطيبة خاطركم لمحاربة السلطان مسعود ؟ اني ليريد ان اعرف ذلك والا فليرجع كل الى بلده وليضرب عن التصادم والنهب والحرب وليكتف كل بما له .

افهم الاقطاب خطاب زنكي ولاذوا بالصمت وجعل كل واحد يحدث في صاحبه وتحقق لزنكي خداعهم وأخبر الخليفة . وبعد هذا نهضوا جميعاً ودخلوا المدينة ونصبوا خيامهم داخل السور وتركهم زنكي وشأنهم وعاد الى الموصل . ولم ير الخليفة الا ان ينهزم معه اذ تعذر عليه ان يشطهم عن الحرب . ودخل اذ ذاك السلطان مسعود بغداد وأحسن الى اهاليها ونهى ابتزاز اي بيت كان . ثم اجتمع بكل الاقطاب وعرض عليهم صك الخليفة الراشد مكتوباً بخط يده وفيه يصرح قائلاً : اني يوم احشد الجنود واخرج الى مبارزة امير من امراء السلطان مسعود اصبح خليفاً عن الخلافة . وكان حاضرًا في حملة اولئك الاقطاب ثلاثة شهود متن امضوا ذلك الصك بتواقيعهم وأيدوه بشهادتهم . وبناء عليه خلعوا الراشد شرعاً وذكروا من الجملة شكواوى

اخرى بجته منها انه خرق حرمة جواري ابيه وعافر الحُرمة واعرض عن الصلوات ولعب بالكعاب وتقادى في الظلم والتعدى وسفك دماء زكية .

بعد الراشد المقتفي عمه ابن المستظهر

تولّى اربعاً وعشرين سنة وشهرين . بعدما خلع الراشد استدعى السلطانُ الوزيرَ شرفَ الدين زيني وفوض اليه امر انتخاب خلف له . فاختار عمّ المزول لكونه صهره زوج ابنته . وسار السلطان مسعود الى البلاط في اقطابه وأحضروا المقتفي ووافقوا عليه بعد ما قرّر ان يدفع للسلطان مائة (٣٠٠) وعشرين الف دينار . ولم يكن يومئذٍ في خزانة الخليفة دينار واحد . انما كان للمقتفي قبل خلافته عشرة آلاف دينار انفقها في حفلة مبايعته بالخلافة . والتفت الخطبة للراشد وللسلطان داود وتأيدت للمقتفي وللسلطان مسعود . قيل ان السلطان لما غادر البلاط استدعى الوزير زيني وعاتبه بسبب انتخابه للمقتفي وقال له : لقد اسأت بانتخابك رجلاً كاملاً كهلاً عاقلاً . فلو انتخبْتَ فتى ورِيثه لتُنظر اليك نظرة امتنان وشكر وأصبح أمر الخلافة وسياستها بيدك زماناً مديداً ريثما يبلغ الرشيد . والآن فكن على ثقة من ان زمان وزارتك لن يطول مع هذا الذي اصطفيته وسترى حقيقة ذلك .

ولما دخلت السنة ٥٣١ للعرب (١١٣٦ م) ارسل ابن دنشند صاحب ملطية سفيراً الى السلطان في بغداد يتوسل اليه ان يعيده الى منصبه . ولما مضوا بالسفير ليقبل الاعتاب كالعادة تمنع وأبي وقال : لستُ أقبِلُ اعتاب دارٍ طرد منها صاحبها .

اما زنكي فقد حشد جيشاً وسار الى تكريت وناوش قطع السلطان مسعود وانقلب الى الموصل . فأرسل اليه المقتدي ووعده بعشرة اماكن معتبرة بشرط ان يكفّ عن معاضدة الراشد . فقال زنكي : لقد أقسمتُ بان لا اسلمه اليكم ولكن اذا اعطيتموني تلك الاماكن خطبتُ باسمكم وكففتُ عن مساعدته ولكنتي لن اسرحه من عندي . فاعطاه الخليفة تلك الاماكن العشرة

ومنها حربي وحاصيرة وصاريفين والحلة وغيرها . وقد خطب زنكي للمقتفي
والسلطان مسعود وترك الراشد لديه في دار الذهب بالموصل .

وظهر في تلك الاثناء عجوز تحم بيت تاجر بجانب باب الأزج ببغداد .
وسافر التاجر ليتاجر (٣٠١) وظلت امرأته وابنته والعجوز المذكورة في البيت .
ثم اتفقت العجوز مع ابنها وبعض السراق فأقبلوا ليلاً ودخلوا الدار ونهبوا
كل ما فيها . ولما خرجوا قالت العجوز وامرأة التاجر : نشكر الله تعالى
الذي أعمى عيونهم ولم يفتحوا الصندوق . فسمع السراق وانقلبوا ففتحوها
وأخذوا منها اربعة آلاف دينار وحجاراً كريمة ولائى وانصرفوا .

وتبارز مسعود وداود فانكسر مسعود وقتل الكثير من رجاله .

وفي السنة ١٤٤٨ لليونان (١١٣٧ م) سار ايوبى ملك اليونان الى قيليقية
ساخطاً على لاون الارمني ودوخ طرسوس وآطنة والمصيصة وقبض على لاون
وعلى امرأته واولادها ورحلهم الى قسطنطينية . ثم توجه الى انطاكية فامتنعت
عليه . واقبل اليه جوسلين وتم الاتفاق بان الفرنج يعطونه انطاكية متى احتل
حلب وسورية وتحمى لهم عنها . ثم زحفوا الى حلب واحتلوا بزاعة واقاموا
محاربين يحاصرون شيزر .

واقبل حين ذلك مسعود سلطان قونية الى قيليقية واحتل آطنة وأجلى اهلها
جميعاً مع اسقفهم واستاقهم الى ملطية . فسح ايوبى واحرق المنجنيقات وانقلب
الى قيليقية وهادن مسعوداً وعاد الى عاصمته .

اماً محمود صاحب ملطية فقد طرد اخاه دولة وانتزع من يده ابلستين
وجيحان . وسار دولة الى هتزيط فأمد وزار جوسلين وجعل يطوف البيوت
بيتاً بيتاً .

وظهر يومئذ الامير عيسى صاحب سويوك وكان يمت بصلة الى بوغوص
الارمني الذي سار الى بغداد ودخل في دين الاسلام . فحشد الجند وانطلق
الى جرج ليعزوها فشاهدا خربة . فوجه انظاره الى الاديار والصوامع وانتقض
على ديو مار (٣٠٢) ابجاي المعروف بدير السلام ولم يتيسر له الوصول اليه من
ناحية شاطى الفرات فتسلق الصخر وأحدر اليه رجاله فانهزم الرهبان فاحتل

الدير واحتوى على ما به من امتعة وكؤوس واطباق فضية وصلبان واقتلع قناة الماء التي وضعها البطريرك يوحنا بن عبدون (١٠٠٤ - ١٠٣٠) وبعث الربان داود الناسك الى دير شيوا ولم ينج سوى دير ابي غالب المعروف بدير مائدة الملوك وهو باطراف آمد .

وفي السنة ٥٣٢ للعرب (١١٣٧ م) انطلق الراشد الخليفة المزعوم من الموصل الى خراسان ليزور السلطان داود . فتحقق له السلطان وسارا معاً الى همذان وانتزعاها من يد السلطان مسعود . ثم توجه الراشد الى اصفهان فادركه داء عضال ووثب اليه وهو طريق الفراش اربعة خراسانيين وفتكوا به . ولو لم يقتكوا به على ما قيل لما جلته المنية بسبب دائه وقد سقي سماً ثلاث مرات . ودفنوه بباب اصفهان حيث صرع . وقد قتل والده كذلك عند باب مراغة .

ولما كان الاتراك يحاصرون الرها عام ١٤٤٩ لليونان (١١٣٨ م) حشد الفرنج ثلاثمائة فارس واربعة آلاف راجل وساروا من سيمساط لينقلوا المؤونة الى الرهاويين . فوثب اليهم كناه تيورطاش صاحب ماردن وفتكوا بكثيرين من المسيحيين واستاقوا البقية عبيداً وفي جملتهم الشماس ابو سعد الطيب الفيلسوف وميخائيل ابن شومنا وابنه . وانتزع تيورطاش كذلك قلعة كسوس من الفرنج . ودخل مسعود سلطان قونية بلد الكيسوم وغزاه وأحرق القرى .

وفي الشهر الثاني من السنة ٥٣٣ للعرب (١١٣٨ م) حدثت زلزلة هائلة في غزنة ببلاد العجم واهلكت مائتين وثلاثين الف نسمة وقوضت المدينة برمتها وانبتت من أرضها مياه سوداء . وخرج الذين نجوا من العائلة (٣٠٣) وأقاموا في المقابر يندبون اهلهم .

وفي السنة ١٤٥٠ لليونان (١١٣٩ م) زحف الملك محمد صاحب ملطية الى قيليقية واحتل حصن هاجاي وحصن جينوفيرت وسار الى قاسينوس وهي على ساحل بحر بنطس فزاعها وأجلى اهلها جميعاً وباعهم عبيداً .

وفي السنة التالية انفجحت ارض الرقة وبلعت اربعين فارساً مع افراسهم ونجا احدهم كان قد ذهب يتفرط . وظلت اصوات البشر وزمجرة خيلهم تدوي مدة مديدة .

وفي السنة ٥٣٤ للعرب (١١٤٠ م) صح ما قاله السلطان مسعود للوزير شرف الدين وهو انه لم يُصب في انتخاب الخليفة المقتفي اذ نشم هذا يتصرف في شؤون السياسة دون استشارة الوزير واتزوى الوزير في بيته . فاستحضره الخليفة وانتوى في حقه نية خبيثة وكفّ يده عن اعماله شتى وما عثم ان عزله بالمرّة .

وفي تشرين الاول ٥٣٥ للعرب وهي السنة ١٤٥٢ لليونان (١١٤١ م) سار اترك ملطية الى اديار زابار وهي اديار قنايا ونهبوها . واقتل الفرنج في ايار ليثروا ووصلوا الى زبطرة وعرقه ونهبوا اموال المسيحيين كما نهبها الاتراك . ثم زحف الفرنج الى ابلستين ونهبوا المسيحيين وقتلوا بكثير من الاتراك واعتقلوا اولادهم ونساءهم فسخط الاتراك وزحفوا من هذيط وصادفوا مطران قليسورا القديس في جبل ابدهور فقبضوا عليه واعتقلوه هو ومن معه وحاولوا ان يقتلوهم فباغتتهم الفرنج وهزموهم وقتلوا المعتقلين وسرّحوهم .

وزحف ايوني ملك اليونان الى نوقيسارية وظل معسكره ومعسكر الاتراك ستة اشهر لا يناوش احدهم الاخر ثم انفرطوا دون حرب . وكان الاتراك يومئذ مجهزون على كل نصراني يلفظ اسم ملك (٣٠٤) اليونان او الفرنج كيفما كان وقد قتلوا بكثيرين من الملطيين لهذا السب .

وفي السنة ٥٣٦ للعرب (١١٤١ م) أرسل خوارزم شاه الى ملك الهونيين الذين لم يُسلموا وكان العرب يستونهم « كافر ترك » كي ينازل السلطان سنجر قاتل اخيه . فتأهب اولئك الهونيون وهم ثلاثمائة الف وناوشوا مائة الف من اصحاب سنجر عند نهر جيحون واهلكوهم قاطبة . ولم يُفلت سنجر من سيوف الهونيين الا في ستة فقط من رجاله فيما قيل وتوجه الى بلخ . وقد أجلوا امرأته وابنة بنته مع اربعة آلاف امرأة . وهكذا اتلفوا المائة الف قتلاً وسيياً .

وفي السنة ١٤٥٤ لليونان (١١٤٣ م) مات الملك محمود في قيسارية وأوصى بالملكة لابنه دوألنون . لكن امرأته الخاتون استدعت اخاه يعقوب ارسلان واقترنت به ووُلّته سبسطية . فانهمز دوألنون الى سينادو وتولّى

قيسارية . اما الاخ الآخر اعني دولة فقد اتفق مع يونس صاحب حصن مسارا وسارا الى ملطية وحاصرها فامتنت عليهما فغادراها الى عرقة . وارسلت اذ ذاك الحاتون الفتي جندي الى ملطية ليحرسوها ويخرجوا من فيها من الاتراك ويحولهم الى سبسطية . فثار نائر الاتراك وحطموا بالفؤوس باب المدينة وهو باب بوريديه على رغم الحاكم وهزموا الزاحفين وارسلوا فاحضروا دولة في اليوم عينه وولوه المدينة . وعند ذاك زحف مسعود سلطان قونية الى سبسطية ودوخها واخربها وانقلب الى ملطية وحاصرها في سابع عشر نيسان وصوب اليها المتاريس وضايقتها . اما دولة فجعل ينكل بالمسيحيين ويطالبهم بالاموال ليدفع الى المحاربين . وبعد ثلاثة اشهر (٣٠٥) احرق السلطان بغثة المجانيق وارتحل ليلة عيد الصليب ١٤ ايلول واستراح الاهالي .

وفي نيسان تلك السنة خرج ايوني ملك اليونان للقنص . فثار خنزير بري واجهز عليه . واوصى بالملكة لابنه منوئيل الفتي وكان ابنه الكبير غائبا . وتولى الفتي المملكة في نيسان ١٤٥٥ لليونان (١١٤٤ م) ولما دخل العاصمة رحب به اخوه وادى له التحية والاكرام وايده في منصبه . وكان ملك اورشليم الفرنجي كذلك يقتنص وسقط عن الحصان فقضى . وخلفه بغدوين الثالث ابنه الصغير وتولت امه سياسة المملكة بسبب حدائته . وفي السنة المذكورة مات داود صاحب حصن زياد وخلفه قرا ارسلان ابنه الصغير . وكان ارسلان طغيش ابنه الكبير عند زنكي بالموصل . فاقبل زنكي ليعمد قرا ارسلان ويقيم مكانه اخاه . فاستنجد قرا ارسلان بالسلطان مسعود في قونية فانجده بعشرين الف فارس عاد بهم ليارز حصه فانقلب الى الموصل بلده . ثم اقبل مسعود المذكور الى ملطية وحاصرها ثلاثة اشهر ثم تركها وارتحل .

انتزاع الرها من يد الفرنج

في السنة ١٤٥٦ لليونان (١١٤٥ م) كان جوسلين صاحب الرها في انطاكية . فكتب الحرانيون الى زنكي بان المدينة لا عسكر فيها . فاقبل زنكي في

جيش جرّار الى الرها يوم الثلاثاء ٢٨ تشرين الثاني وحلّوا في ضواحيها وخيموا عند باب الساعات قرب كنيسة المعترفين . واقاموا سبعة منجنيقات ضخمة وصغيرة . واقام رهبان الجبل على السور يجاربون . والنساء هناك يتقدّمن لهم الحجار والماء والطعام . وحفر الاتراك تحت الارض حتى بلغوا السور (٣٠٦) وحفر الرهاويون كذلك وبرزوا لمقاتلتهم وفتكوا بمن صادفوه في الحفرة . وعادوا فابتنوا سوراً ثانياً تجاه الحفرة . امّا الاتراك فحفروا برجين . ولما تخالفت سائر الابراج وكادت تسقط ارسل زنكي يقول للرهاويين : خذوا منّا رجلين وابعثوا لنا رجلين ليشاهدا الابراج قد تداعت وسلخوا المدينة قبلما تؤخذون بالسيف .

غير ان (المطران) پيوس رئيس الفرنج في الرها سخر بزكني واتقأ بان جوسلين وملك اورشليم يوافيان قريباً لمساعدة المحاربين : وعند ذلك اضرم الاتراك النيران باخشاب الابراج فسقطت وجعلوا يدخلون التربة ووقف هناك الرهاويون وپيوس والاساقفة معهم ليصدّوهم عن الدخول . وامتلات تلك التربة من جثث القتلى الاتراك والرهاويين . وتجهز الرهاويون جميعاً عند التربة ورأى الاتراك ان المحاربين قد غادروا السور فوضعوا السلام وتساقوا فارتحت عزائم الرهاويين وجعلوا ينهزمون الى القلعة . لعسري ايّ فم يمكنه ان يتكلم ام اي اصعب لا ترتعد اذا حاولت ان تحط ما جرى من العوائل والاهوال في الساعة الثالثة من يوم السبت ثالث كانون الثاني ا فقد دخل الاتراك وسيوفهم مسلولة تشرب دماء الشيوخ والفتيان والرجال والنساء . والكهنة والشمامسة والزهبان والنسك والراهبات والعداري والرضعان والعرائس . يا لها رزيئة اليمة مرة ! مدينة امجر خليل السيد المسيح اُمتت موطناً للاقدام بسبب اثنا ايا للضيقة والشدة ! كفر الابناء بأبايهم والآباء بابنائهم . نسيت الام عطفها على صغارها وسارع كل واحد الى قمة الجبل .

امّا الكهنة الشيوخ فكانوا حاملين صناديق ذخائر الشهداء وهم يقولون مع ميخا النبي : « اني احتمل غضب الرب لاني خطتُ اليه » (ميخا ١ : ٧) فواظبوا على الابتهاال ولم ينهزموا حتى اسكتهم (٣٠٧) السيف . وشهدوا

بعد ذلك وقد تضرجت بدلاتهم بدمائهم . وهناك امهات كثيرات جمن اولادهن كما تجمع الدجاجة فراريجها ينتظرن الموت جميعاً بالسيف او السوق الى العبودية . اما الذين انهزموا الى القلعة فقد اغلق الحراس ابوابها تجاههم وهم يقولون : لن نفتحها لكم لم نشاهد وجه پيوس . ولكن پيوس تعذر عليه القدوم مع الاولين وقد اهلك الازدحام كثيرين وتراكت الجثث كوماً كوماً عند باب القلعة ولما وصل پيوس اصيب بسهم ارداه .

ولما شاهد زنكي تلك الاهوال امر بالكف عن القتل . وشهد المطران باسيلوس عريانا حافياً يجره تركي بالحبل . وما ان رآه زنكي ولمح النعمة التي على وجهه حتى سأل من انت ؟ ولما عرف انه هو المطران أمر فالبسه ثوباً ومضى به الى خيمته وجعل يعاتبه ويلومه لان الرهاويين لم يشفقوا على انفسهم ويسلموه المدينة . فقال له المطران : ان العناية الربانية شاءت ان تمنحك الغلبة وتذيع اسمك بين الملوك وفاقك وتوليننا نحن الاذلاء . دالة لديها لاننا ما غدرنا ولا حنثنا بأيماننا . فاستحسن زنكي كلامه وقال له : قد صدقت في ما قلت ايها المطران . فان الله تعالى والبشر كذلك بكرمون من يحافظون على أيمانهم ولا سيما اذا ثبتوا بها حتى الموت .

وبعد يومين طلب الامان من كان في القلعة وسلموها . وقتك الاتراك بكل من شاهدوا من الفرنج واغضوا عن السريان وعن الارمن . على ان لساننا قاصر عن الاسترسال في ذكر تلك الداهية الدهيا . ولارميا النبي ونظرائه ان يفيضوا في المرثي ويستدعوا الناشئات النادبات لينظمن مثلهم وينحن على الشعب المستحق العطف والشفقة .

وقد التهمت النيران يوم فتح الرها دير القرايط ببلد خرشنة واتلفت غرفه باسرها واجهزت على راهب شيخ وأفلت سائر الرهبان افلاتهم من كور النار . واحترقت في اليوم ذاته قرية ببلد مرعش . وسقطت نار في دير (٣٠٨) مار برصوما واتلفت ثلاث غرف ريثما تمكنوا من اطفائها . وقد نظم في فتح الرها هذا ديونيسيوس ابن الصليبي قصيدتين وباسيلوس مطرانها ثلاث قصائد وخمستها بوزن مار يعقوب .

وبعد ما احتل زنكي الرها سار الى البيرة وهي قلعة حريزة للفرنج تطل على الفرات وحاصرها حصاراً شديداً . ووافاه اذ ذلك الحبر بان فتنة وقعت في الموصل وقُتل نائبه ناصر الدين . فترك البيرة وانقلب الى بلده . اما الفرنج فخافوا ان يعود زنكي فكتبوا الى حسام الدين تيمورطاش بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردین ولسلوه اياها . وخاف ايلغازي ان يزحف زنكي الى بلاده ويحتل قلاعها وسائر ولايته فقتل قلاعاً كثيرة منها قلعة حور عيار وقلعة تلبسما وقلعة توما وقلعة تل شح وقلعة المرأة التي بجانب دير مار حنانيا . واقام تيمورطاش يحاصر قلعة الهتساخ سنة واربعة اشهر حتى انتزعها من صاحبها الكردي وهادنه ودفن له كمية من الذهب وتخلي له عن بعض القرى .

وخرج ارسلان طغيش بن داود صاحب حصن زياد من عند زنكي وسار الى بلد تل ارسانيوس وسأل اصحابه ان يسلموه اياه فأبوا لان اولادهم كانوا رهائن في حصن زياد . فحارب البلد واحتله واستعبد اهاليه وهم خمسة عشر الفاً مع اسقهم طينثاوس وباعهم .

وفي السنة ٥٤٠ للمغرب (١١٤٥م) وجه زنكي جنوداً الى قلعة فنك المجاورة لجزيرة قردو او هي جزيرة ابن عمر . وهي قلعة حريزة تطل على دجلة احتلها الاكراد البشويون منذ ثلاثمائة سنة .

وفي السنة ٥٤١ للمغرب (١١٤٦م) اصلى زنكي ذات البين في الموصل (٣٠٩) على اثر مقتل نائبه ناصر الدولة واقبل الى حلب وهي له وحشد الجنود وزحف الى قلعة جبر . ولما كان يوماً في خيسته احضر اليه الصنّاع طبقاً ذهبياً لينظره فحني رأسه وجعل يتأمله فامتشق احد حملة سلاحه سيفه وضربه من ورائه وحرّ هامة . وكان فيما قيل سكران غارقاً في النوم ليلاً .

وان ثلاثة من عبيده اسرعوا الى اسفل القلعة وقالوا للحراس : اسحبونا اليكم لنبلغكم بشري تهبجكم . فدلّوا زنبيلاً وسحبوهم واحداً فواحداً فأخبروهم بما صار وقالوا لهم : انفضوا بالابواق ونادوا من في اسفل القلعة وقولوا لهم انهضوا واذهبوا فاقبروا مولاكم قبل ان ينتن . فسارعوا اليه وشاهدوه مذبحاً .

اما محمود بن زنكي الذي دُعي نور الدين وكان مع ابيه فقد شدّد القتال

على القلعة حتى كل هو والمحصرون . ثم قال لهم : سلوني قتلة ابي وانتم كونوا في طابئة . فسلموه اولئك الثلاثة فاجز عليهم واحرق جثثهم . وخلف زكي اربعة بنين وابنة واحدة وهم : سيف الدين غازي ونور الدين محمود وقطب الدين مودود ونصرة الدين امير اميران واختهم . وشاد في الموصل دوراً ملكية اذ لم يكن بها قبله الا دار ملكية واحدة تجاه الميدان . وقد عمق اساسها ووطد اسوارها . وفتح باباً يقال له باب عمادي غرس الحدائق حوله . وكانت الثمار ولاسيما العنب قليلة جداً في الموصل قبل زمانه حتى ان الحانوتي كان اذا باع عنقود عنب قطعه بالموسى لثلاث تقع عنبه منه على الارض (٣١٠) . وقد ازدادت الثمار في الموصل بعد ذلك . وكان لزكي اصحاب في بلاط السلطان يخبرونه سرّاً بما يجري هناك ليل نهار . وكان اذا وافاه سفير ماء نهار عن محادثة الجنود والاهالي .

ودفع يوماً لاحد عبيده طيخاً وقال له احفظه لديك . فاخذه ولقه بمندبل ووضعه في عبه وظل معه سنة كاملة وعند انتهائها سأل زكي : اين الطيخ ؟ فأخرجه فوراً من عبه وقدمه له . فاعجبه ذلك العمل وقال : الى مثلك ينبغي ان افوض حراسة البلد . ثم ولأه قلعة كواشي وسيره اليها .

ولزكي صفات اخرى تدل على زهده وعلى بطشه بالمجرمين ايّاً كانوا ضربنا الصفع عنها حباً للاختصار . وقد ملك سورية تسع عشرة سنة . وكان لديه حينما قُتل في قلعة جعب امير كبير عاقل اسمه اسد الدين شيركوه . هذا قال لنور الدين بن زكي : يلوح لي ان وزير ابيك يحاول ان يستميل الجيوش الى اخيك سيف الدين ويأتي به الى الموصل . فالاجدر ان اذهب بك الى حلب لتتولأها انت وتتولى سورية معها . وبعد هذا يسهل عليك احتلال الموصل واقليمها وبلاد المشرق .

ولما تم ذلك اجتمع نور الدين بجيوش سورية ومضى بهم الى حلب وتولأها مع قلعتها . ثم ارتحل اخوه سيف الدين الى الموصل وتولأها وآيده السلطان مسعود اذ كان يُخلص له المودة . وسبق نور الدين فأذى له كذلك خدماً جلي يوم كان والده حياً يُرزق . وارسل السلطان الى سيف الدين حلة ملكية

تأييداً له في منصبه . وكان نور الدين يخاف اخاه المذكور (٣١١) فيبعث اليه بالهدايا معرباً له عن اخلاصه متحذراً ملاقاته . وبعد ما حلف احدهما للاخر سار سيف الدين الى سورية وبادر نور الدين اليه فأنحدر لما شاهده وقبل الارض امامه . وانحدر سيف الدين كذلك وتعانقا وبكيا . وقال سيف الدين لاخيه : لماذا لم تأت الي هل خفت مني ؟ ثق يا اخي بانه لم يخطر ببالي ما خطر بك . وماذا تنفعني الحياة والبلاد اذا اسأت الى اخي ؟ هكذا اتفق الاخوان وعاد كل منهما الى بلده .

وعلى اثر مقتل زنكي سار ريموند صاحب انطاكية الى اطراف حلب وحماة وقتك بكثيرين من العرب وغنم غنائم وافرة . وعند عودته ادركه شيركوه واسترد منه الغنائم . وسار مجيد الدين صاحب دمشق الى بعلبك وشدد عليها حتى انتزعاها من نجم الدين ايوب والد صلاح الدين وترك له بعض القرى وعاد الى دمشق .

وفي تشرين الاول من السنة ١٤٥٨ للهـ الموافق لليونان (١١٤٧ م) شخص جوسلين وبنغدوين صاحب الكيسوم الى الزها وتسلق رجاله الفرنج البرجين ليلاً بجيلة عقداها مع بعض الارمن حارسي السور . فانهمز الاتراك الى القلعة . وعند الصباح فتح باب الماء ودخله جوسلين . وما كاد يمر على ذلك ستة ايام حتى باغتهم نور الدين قادماً من حلب في عشرة الاف تركي . فشد جوسلين على الرهاويين المساكين واستاق الرجال والنساء والفتيان والفتيات قسراً في الساعة الثانية من الليل . ولما اصبح الصباح اردتهم الاتراك ووضعوا فيهم السهام كالبرد وهم يشقونهم رشقاً أليماً . فبا لسحابة السخط والغضب ا تبا ليوم خال من الرحمة ا تبا لليلة جائحة وصباح جهنمي ا فقد انقض الاتراك على الرهاويين الاذلاء ابنا المدينة المضبوطة ا وتركهم الفرسان الفرنج وانهمزوا اذ عجزوا عن المقاومة (٣١٢) اما رجالهم فتعدرت عليهم الهزيمة وقصدوا حصناً خراباً يدعى حصن كوكب واستجاروا به . وظل الرهاويون المظلومون والسيف يسحقهم سحق النار للهشيم . ولم يكتفوا بالقتل بل اخذوا يتزعون احذية الباقين وثيابهم ويوثقونهم بالحبال ويستجلبونهم على الركض حفاة عراة رجالا

ونساء ويضطرونهم ان يتبعوا الحيل . وقد أوفى عدد القتلى في المرتين الاولى والثانية على الثلاثين الفاً . واستعبد الاتراك ستة عشر الفاً ولم يُفلت مع الرجال الفرنج الذين انهزموا الى حصن كوكب سوى الف رجل فقط . وقد باع الاتراك كل من استاقوهم في مختلف البلدان وأمست الرها خاوية خالية مخضبة بدما . اولادها ممتلئة من عظامهم تهجم عليهم وحوش القفر ليلاً وتتغذى بلحومهم . وامست مأوى لبنات آوى .

وقد فُقدت جثة بغدادين صاحب الكيسوم وأُفلت جوسلين اللعين الى سميساط . وانهزم باسيلوس مطراننا وقُبض على مطران الارمن مع كثيرين من جماعته . ولما سمع سائر الفرنج بما جرى من الفوائل في الرها تدفقوا من ايطاليا واقبل ملك الالمان^(١) في تسعين الف فارس وملك فرنسا^(٢) الذي يدعوه العرب فوتش في خمسين الفاً سوى الرجال الذين بلغوا حد الكثرة . وتوجهوا في السنة ١٤٥٩ لليونان (١١٤٨ م) الى قسطنطينية وحاربوها حرباً شديدة اذ اطلعوا على خيانة اليونان وغدرهم . وبعد ما دفع لهم الملك منوئيل ذهباً وافراً وأقسم ان يهديهم الطرق بأمانة غدر بهم وارسل من دهم على طريق وعرة وجبال قاحلة لا ماء فيها . وظلوا ثنتين خمسة ايام وانهزم اليونان هدأتهم قضي روات منهم عطشاً هم وخيلاًهم . وسمع الاتراك فانقضوا على المشتين (٣١٣) في الجبال وجعلوا يفتكون بهم فئة فئة حتى امتلأت بلادهم من الغنائم وبيعت وزنات الفضة في ملطية بيع الرصاص .

اما الفرنج الذين افلتوا وعادوا الى سواحل بحر بنطس فقد اخذ اليونان الحبياء يخلطون كلساً في القمح ويطعمونهم . فكانوا اذا اكلوا سقطوا كوماً كوماً وقضوا . وقد نجح ملك الالمان في ثلاثة من القهامة لا غير وسار الى اورشليم وصلى وتبرك بقبر المخلص واقام بضعة ايام ثم زحف الى دمشق في عشرة آلاف فارس وستين الف راجل . وكان عدد الاتراك والعرب نحو مائة

(١) كونراد ملك النمسة

(٢) لويس السابع (١١٣٢-١١٨١)

وثلاثين ألف راجل سوى الفرسان . ولما عرف الفرنج انهم على كثرتهم لا قوة لهم اخذتهم النخوة والشجاعة فحملوا عليهم حتى وصلوا الى الانهار ودخلوا الجنائن .

أيس المعين صاحب دمشق فارسل سراً الى ملك اورشليم وخذعه بالكلام والذهب وقدم له مائتي الف دينار من نحاس ملطوخة بذهب مصري . وارسل كذلك الى صاحب طبرية خمسين الفاً من الذهب المزيف وقد اطلع الفرنج على ذلك وادركوا الحيانة . على اني طالعت خمسة كتب عربية مختلفة لم اعثر فيها على حكاية هذا التريف . غير ان البطريوك ميخائيل المعبوط ذكرها في تاريخه . ولما اطلع ملك الفرنج على العرش والحداع ترك دمشق وعاد الى وطنه يتفطر قلبه عمماً واسفاً . تلك كانت عاقبة اولئك الجنود الفرنج الكثيري العدد والعدد .

ولما اطلع ملك صقلية على خيانة اليونان سخط جداً وسار الى مدينة تيبايس واحتلها وقوضها وأهلك بالسيف سكانها . وأجرى مثل ذلك في ادريانوبوليس وفي فيلوفوليس واقتل الى قسطنطينية وعاث في ضواحيها . ومات في تلك الفضون لاون الارمني صاحب قيليقية في قسطنطينية وانهمز ابنه توماس راجلاً دون سبب ولبد الى قيليقية (٣١٤) وزار مطران السريان السيد اثناسيوس وطلب صلواته ليرد الله تعالى اليه ميراث آباءه . فصلى عليه واهداه حصاناً بمثابة بركة . وما عم ان لحقه اثنا عشر ارمينياً وسار اوّل بده الى حصن عامودا ولما شاهده الحراس عرفوه انه ابن مولاهم فسلموه دون تردد فدخل الحصن وفتك بن كان فيه من اليونان واحتل في مدة وجيزة اماكن شتى فهابه الروم الذين في سائر الحصون . واتفق معه الفرنج وناوشوا الاتراك وفتكوا بثلاثة آلاف منهم . وذاع صيت انتصاره وبات الاتراك يحسبون له السف حساب . وبعد ذلك احتل عين زربة وغيرها .

وفي تلك السنة استولى نورالدين بن زنكي على افامية وعلى بعض حصون الفرنج . فاقام له صاحب انطاكية كيناً فتك بكثير من عسكره وافلت هو الى حلب مع قليلين .

وفي السنة ١٤٦٠ لليونان (١١٤٩م) وهي السنة ٥٤٣ للعرب زحف نورالدين الى حارم وغزا ضاحيتها وقوض ابنيها التي كانت خارج القلعة . وسار البرنس صاحب انطاكية ليكشفه عنها لكن الاتراك تغلبوا عليه وفتكوا به . وكانوا فيما سبق يهابونه جداً اذ لم يكن اقوى منه ما بين الفرنج . وحصلت فتنة بين الانطاكيين حتى رام اغلبهم ان يسلموا نور الدين مدينتهم . غير ان بعضهم راسلوا ملك اورشليم فسارع اليهم وبث روح النخوة في قلوب الفرسان واقام بطريركهم مدبراً لهم ريثما يتدبرع يوهيمند ابن البرنس القليل . وقتل في هذه المرة صاحب الكيسوم وتولاها جوسلين مع قرية بيت حسنة .

وفي السنة عينها اقبل قلعج ارسلان بن مسعود سلطان قونية وحاصر مرعش وانتزعها من يد الفرنج وسهل للفرسان والاستقف والقسان ان يذهبوا (٣١٥) الى انطاكية بسبب قسم سبق فاقسه لهم . غير ان الاتراك لحقوهم وفتكوا بهم . وفي فتح مرعش هذا نهبت امثلة كنيسةنا بسبب نزاع حدث بين القسان والاستقف في جعلتها قنينة ميرون وكؤوس واطباق ومباخر فضية وحل كهنوتية وسجف وغيرها .

وانتزع قرا ارسلان صاحب حصن زياد من الفرنج مدينة بابولا وارسل كناء الى جرج وكان اهلها جميعاً محتفين في جبال برصوما فاقاموا كناء في ثلاثة اماكن انقضوا صباحاً ونهبوا المواشي والبقر وفتكوا بثلاثة من رهبان الدير . وارساوا الى الرهبان ان سلّمونا اهالي جرج نرد لكم الغنائم حرمة لقديسكم ونقدم له النذور . لاننا لم نأت لتعدى على دير . وليس من نيتنا ان نستعبد الاهالي لكننا نذهب بهم الى قراهم لكي يفلحوها . غير ان الرهبان اختلفت كلمتهم ففريق رأوا ان يسلموا والفريق الآخر أبوا حتى أفضى بهم الخلاف الى ضرب بعضهم بعضاً بالسيف . عند ذلك نهض راهب شيخ واستصحب شخصين من كلا الفريقين وسار خمستهم وواجهوا الاتراك وقالوا لهم : ان كنتم صادقين في طلبكم الاهالي للحرارة لا للعبودية فليات فريق منكم معنا لنذهب ونراجع اميركم المحروس ونأمر بامرته . غير ان مكر الاتراك اتضح جلياً ومن ثم اجمع الرهبان ومن معهم على الرفض . فأحرق الاتراك

المعاصر وسياجات الكروم وانقلبوا فائدين . وسار الرهبان الى حصن زياد وقابلوا الامير فاشفق عليهم ورد لهم الفضيحة كلها .

وفي تلك السنة برز جوسلين من قلّ باشر في مائتي فارس وساروا الى انطاكية يظنون انهم يناوشون الفأ . فباغتهم التركان ليلاً وهزمهم وتبعوهم (٣١٦) وقبضوا على جوسلين ومضوا به الى نور الدين فاشتراه بالف دينار منهم ثم اوثقه وحبسه . وظلّ جوسلين محبوساً تسع سنوات وكانوا يلاطفونه تارة بالوعد وطوراً بالوعيد ليجاهر بالاسلام . لكنّه لبث راسخاً في ايمانه مقرراً ان الرب انما اذبه لتعديبه على دير برصوما كما سنذكر ذلك في تاريخنا اليعبي . ولما دنا أجله استدعى اسقف المدينة فعرّفه وناوله الاسرار المقدسة وقضى هناك في جبّ الحبس . ولما كان مأسوراً حمل الاتراك على كثير من اماكن الفرنج واحتلوها كجرج وكختي وحصن منصور وتاكنكار التي بجانب الدير . وعلى اثر وفاته اقام الفرنج ابنه الفتى خلفاً له في قلّ باشر وكان اسمه كذلك جوسلين .

وفي السنة ١٢٦١ لليونان (١١٥٠م) وجه اهالي الكيسوم مطرانهم ايونيس الى مسعود سلطان قونية وطلبوا الامان للفرنج الذين عندهم كي يأذن لهم ان يذهبوا الى عينتاب . فلبى طلبهم واستولى على مدينتهم وعلى قرى بيت حسنة ورعبان وفرزمان ومرعش . ولما كان يحاصر قلّ باشر اقبل اليه نور الدين فزف اليه السلطان ابنته . فترك قلّ باشر ولم يتيسر له احتلالها . وما مرّ القليل حتى شخص ملك اورشليم ونقل معه امرأة جوسلين وابناءه وجميع الفرنج . واقام في قلّ باشر بعض عمال يونان فاحتلوا عينتاب وعزز ثم ضايقهم نور الدين قتلاً وجوعاً فسلبوه اياها صلحاً .

واحتلّ تيسورطاش صاحب ماردن مدينة البيرة وسيمساط وكوريس وكفرسوت . وكان يومئذ في رومي قلعة ميخائيل الارمني (٣١٧) فكتب الى امرأة جوسلين وابنها ليأمرها غريغوريوس جاتليق الارمن وهو في دير البصرة ان يذهب ويقم عنده ويساعده . لكن الجاتليق خان ميخائيل واحتلّ كل ما له وطرده واستبدّ برومي قلعة .

وفي السنة ٥٤٤ للعرب (١١٤٩م) انتزع سيف الدين بن زنكي صاحب

الموصل مدينة دارا من تيمورطاش صاحب ماردن ثم زحف الى ماردن وحاصرها فزف اليه تيمورطاش ابنته وهادنه . وما كاد يصل الى الموصل حتى اذنف ومات وخلفه قطب الدين مودود اخوه فاقرن بابنة تيمورطاش . وعند ذلك ارسل احد زعماء الموصل الى نور الدين ليتوجه من حلب الى تلك المدينة . فركب مع سبعين فارساً ووصل الى سنجار واحتلها وبعث الى قرا ارسلان صاحب الحصن ووعده بقلعة هيم اذا اقبل الى مساعدته . اما قطب الدين اخوه فحشد الجنود ومشى الى تل عفر ليارز نور الدين فتوسط الزعماء وقرروا حصن نور الدين وازرعوها من سيف الدين . ورد نور الدين سنجار الى قطب الدين وانقلب الى حلب .

وفي ٢٣ آب تلك السنة حدث فيضان في حصن زياد جرف صيباً مع امه وبغلين وحماراً وهلكوا جميعاً . وفي السنة ١٢٦٢ لليونان (١١٥١م) حملت على صاحب ايزنجي امراته وخنقته بوتر القوس واستحضرت اخاه من دياريجي واقترنت به وملكته مكان زوجها الاول .

وسار امير تركي الى دير سيريككا اليوناني في بنطس وانتزع منه الصليب الذهبي الذي كان ينطوي على قطعة معتبرة من خشب الصليب تجري العجائب الكثيرة بواسطته . ولم يردّها الى الرهبان الا بعدما استنزف منهم كمية من المال وافرة . ولقد خجل اليونان الذين يجدفون على مار برصوما ويقولون : لو كان قادراً على صنع العجائب لما ترك جوسلين (٣١٨) يسلب ذخيرته ا

وفي تلك السنة زحف نور الدين الى ضواحي دمشق وارسل الى اهاليها يقول : اني ما اتيت لاحاربكم بل لاكشف العار عنكم اذ انكم ما برحتم تؤذون الجزية للفرنج وقد امسى بنوكم وبناتكم اسرى عندهم لا يساعدهم احد . فارسل اليه الدمشقيون يقولون : اننا مستمعون في بجابع الامان مع الفرنج ولسنا في حاجة الى مساعدتك . فتركنا وارجع الى حلب والافاننا مرسلون الى الفرنج لياتوا ويتفقوا معنا على مناهضتك . فاستشاط نور الدين سخطاً وحاول ان يحاصر المدينة لكن الله سبحانه اهبط من السماء وابلاً من الامطار

متواصلاً ثبُطه عن انجاز عزمه . ثم سار اليه زعماء دمشق وهادنوه بان يُخطبوا له بعد الخليفة والسلطان فتركهم وانتقل الى حلب .

وفي السنة ١٤٦٣ لليونان (١١٥٢ م) برز الفرنج ثانيةً من رومية ساخطين على اليونان المكّارين واقبلوا الى ضواحي قسطنطينية واحرقوها جميعها ثم وافوا الى فلسطين واحرقوا قرى جنة في عسقلان وفتكوا بجمهور غدير من الاتراك والعرب . وساروا كذلك الى مصر واخربوا واحرقوا قرى كثيرة في غربيها وعادوا الى وطنهم .

وفي السنة عينها مات دولة صاحب ملطية وخلفه ذو القرنين ابنه . فسرع مسعود سلطان قونية وهجم على يعقوب ارسلان اخي دولة وأخضعه . ثم نازل ملطية وأفسد ارباضها فخرجت اليه ام الفتى وهي ابنة اخيه وتوسلت اليه بشأنه فقال لها السلطان: اذا أتى اليّ خاضعاً قبلته وتركت له المدينة . فخرج اليه الفتى حاملاً سيفاً وكفناً . فرحب به وأيده وتركه وانصرف . هكذا استحوذت أمه على المدينة واساءت الى النصارى والعرب بالضرائب وحشدت نساء ساحرات عرافات (٣١٩) تتنأن لها بانها ستملك وتتبع من تشاء . فنوت ان تفتك بابنها الصغير . غير ان الزعماء اطلعوا على نيتها فطردوها مع الساحرات وصحّت فيها آية النبي: « امكثي على رُقاك وانواع سحرِك الذي عنيت به منذ صباكِ ... قد أعيت من كثرة مشوراتك » (اشيا ٤٧: ١٢ و ١٣) .

وفي هذه السنة هبطت امطار غزيرة جرفت حجاراً ضخمة وتللاً وصدعت جانباً من الجبل وتدهورت الصخور في الوادي الذي بين ابدهار وترشنا . ووقف مجرى الفرات نحو ثلاث ساعات وبلغت المياه الى قرية فروسيدين المبنية على قبة الجبل . ثم انشئت السدود بلحف جبل قلوذية وفاضت المياه واحدثت خراباً فظيماً في سورية . وفي السنة عينها فتك الوباء باثني عشر الفاً من اهالي دمياط حتى اقرت من السكان بيوت كثيرة .

وزحف نور الدين تكراراً الى دمشق واحتشد الفرنج ليسانعدوا الدماشقة فانقلب راجعاً الى حلب . وفي تلك السنة وهي السنة ٥٤٦ للعرب (١١٥١ م) خرج صلاح الدين من عند نجم الدين أيوب ابيه وهو في بعلبك وسار الى حلب

يريد عته اسد الدين شيركوه وهذا ذهب به الى نور الدين فرحب به ورضخ له بعض المال لمعاشه .

وفي السنة ١٤٦٤ لليونان وهي السنة ٥٤٧ للعرب (١١٥٣ م) حصل نزاع بين ملك اورشليم و امه فتحصنت في برج داود فتوسط الاقطاب وقرروا لها اورشليم ولابنها ساثر المدن ورعاية الجيش . فسار الى عسقلان وهي للعرب المصريين واقام برجا خشبياً ومنجنيقات واحداث هناك ترعة طفر اليها اربعمائة من الاخوة الفرير (الهيكليين) فوثب اليهم العرب وهم عشرون الفا مدججون وفتكوا بهم (٣٢٠) فتأثر الملك اسد التائر وكاد يترك المدينة فثبطه احد المحاربين . ثم تولى الفرنج حراسة الترة ولم يدعوا العرب يرمونها . وعند الصباح حمل الملك الصليب تجاه المدينة ونادى قائلاً : من لم يتبع الصليب لا يعد مسيحياً . فوثبوا باجمعهم ودخلوا المدينة واجهزوا على زهاء خمسة عشر الفا من العرب وانهمز بقيتهم في السفن الى مصر . والحقيقة التاريخية هي ان الفرنج احتلوا عسقلان عام ٥٤٨ للعرب اعني في السنة ١٤٦٥ لليونان (١١٥٤ م) لكن البطريرك ميخائيل ذكر ذلك في السنة ١١٥٣ م وبسبب هذه النصرة التي احرزها ملك اورشليم اتيطت به كذلك اماره انطاكية ورقت اليه ارملة صاحبها . وسار توروس الارمني صاحب قيليقية الى قبدوقية وغزا الاتراك وعاد الى بلده .

وزف مسعود سلطان قونية ابنته الى يعقوب ارسلان واتفقا معاً على الزحف الى قيليقية . غير ان الارمن سبقوا فاقاموا حراساً في كل الانحاء . مما اضطر الاتراك ان ينقلبوا راجعين من الثغور مأيوسين . بناء عليه تشدد توروس وانتزع من اليونان ما بقي لهم في تلك الاطراف . فتار ثائر منوئيل الملك ووجه الى قيليقية اندرونيقس القائد وكان من الأسرة المالكة . وتجهز الارمن والفرنج ونازلوا اليونان على باب طرسوس وتغلبوا عليهم وقتلوا منهم نحو ثلاثه الاف وانهمز بقيتهم في البحر .

وفي هذه السنة ولدت عزة جدياً ذا ثلاث عيون وفمين . وحدث وباء قتال في قيليقية وفي قونية .

وفي تشرين تلك السنة سار الرجال والنساء في الفرات قادمين من حصن زياد الى جوباس ليحضروا موسم مار اغريباس ففرقوا جميعاً في النهر واختنقوا وغلب على الكثيرين الريب في الدين . فكتب أئمة الكنيسة احتجاجاً ذا ثلاث نقاط الاولى : يجب ان لا ننتقد احكام البارى تعالى (٣٢١) غير المدركة . والثانية : ان اولئك الرجال والنساء لم يذهبوا ليتبركوا في تذكار الشهداء يومئذ بل ليتزهوا ويتشكروا . والثالثة : يجب ان لا نحصي في عدد المالكين من يحكم الرب بان موتهم خير من حياتهم . وانما يهلك الوثنيون لا المؤمنون .

وفي السنة ١٤٦٥ لليونان (١١٥٤ م) زحف مسعود سلطان قونية في جيش تركي جرّار الى قليقية . ولما وصلوا الى تلّ حمدون وضايقوا اهاليه ضربهم الله تعالى بان سلط عليهم البق والذبان كما جرى للمصريين في عهد موسى الكليم . وفسد المناخ مدة ثلاثة ايام ودب الوباء فيهم وفي خيلهم فتركوا اثقالهم وانهمزوا وانحدر توروس والارمن من الجبال وظلّوا يفتكون بالبقية الباقية حتى اعيوا وساروا بعد ذلك الى جبدانية او هي دوالو وغزوا الاتراك ورجعوا .

وفي هذه السنة احتل الفرنج عسقلان طبقاً للحساب المدقق وظلت في حوزتهم خمساً وتلاتين سنة ثم اخذها صلاح الدين .

وفي السنة عينها وهي السنة ٥٤٨ للعرب (١١٥٣ م) مات حسام الدين تيسورطاش صاحب ماردن وخلفه ابنه نجم الدين ألي . وشدد في اول الامر على المسيحيين ثم امر اولاده حين وفاته ان يحسنوا معاملتهم ولا يلحقوا بهم اذى . قيل ان مار آباي ظهر له ليلاً واوصاه بذلك . وتولى جمال الدين ثاني ابنائه مدينة حاني وصمصام ثالث ابنائه مدينة دارا .

وفي السنة ١٤٦٦ لليونان (١١٥٥ م) مات مسعود سلطان قونية وخلفه ابنه قلع ارسلان . وتعذر عليه مبارزة آل دنشند ويعقوب ارسلان حتى سار نور الدين واحتل فرزمان وعينتاب دون حرب .

وفي السنة ٥٤٩ للعرب (١١٥٤ م) انزع نور الدين دمشق من صاحبها مجير الدين حرباً . ذلك انه اثار بادئ بدء خلافاً بينه وبين زعمائه وجعل

يكتب اليه سرًا أن احترس من مكر فلان وفلان وفلان لانهم يكاتبوني ويريدون ان يسلموني المدينة . وانا لا أرى ان اترك مناوشة الفرنج و احارب العرب . وبمثل ذلك غرّ مجير الدين المسكين وفتك بقواده واحداً واحداً ولم يبق من يعارضه فزحف الى دمشق واحتلها بسهولة . وولى مجير الدين صاحبها بعض قرى حمص ووجهه اليها . وقد عامل نور الدين الدمشقيين بالحسنى فسروا به معتقدين انه يتغلب على الفرنج .

وفي هذه السنة قُتل الظافر بن الحافظ خليفة مصر وخلفه عيسى ابنه الصغير وهو في الثالثة من سنه وسُمي الفاتر . وتولى وزارته العباس في غياب فارس الدين الامير الكبير . فسخط هذا على العباس وتهدهه لانه جعل يتصرف دون مشورته . فتخوف العباس واخذ امواله وخرج في ثلاثة آلاف من الارمن وبعث يستنجد بنور الدين . غير ان المصريين تتبعوه فشد عليهم الارمن وفتكوا باغلبهم . ثم تطوح العباس ورجاله في الصحراء باغواء هاديبهم وادركهم الجوع والعطش وجرى لهم ما جرى ليوليانس الجاحد . ولما ذهب بهم نحو عسقلان برز اليهم الفرنج ولما لمح الارمن الصلبان في رؤوس الارماح القوا عنهم السلاح وامتزجوا بهم . وقتل يومئذٍ من العرب زهاء خمسة آلاف . وقبض الفرنج على العباس وباعوه من المصريين فاعتقلوه وفتكوا به .

وفي تلك السنة سار الخليفة المقتفي الى تكريت وحاصرها حصاراً شديداً وقوض ابنيهما وصوب القتال نحو قلعتها . فارسل محمد شاه ابن السلطان مسعود الى امراء الموصل يقول : ان آبائي (٣٢٣) قد ولّوكم هذه البلاد لتنجدوهم . والآن فلم يبق لنا في ارض سنعار كلها سوى قاعة تكريت والخليفة يحاول انتزاعها منا . فترغب ان تحضروا دون تريبث وتدفعوه عنها . عند ذلك احتشد المواصلة وزحفوا الى تكريت فسمع الخليفة وملكه الذعر فترك انتقاله وعُدده وهرول عائداً الى بغداد .

وبعد ايام حشد امير تركي زهاء اثني عشر الفا وأرسلهم الى تكريت فانقذوا ارسلان شاه بن طغرل السلجوقي من السجن لانه يتحدّر من سلالة الدولة السلجوقية . وخرج الخليفة كذلك في جيوشه الى لقائهم . وظلوا ثمانية

عشر يوماً في طريق خراسان تجاه بعضهم ثم تبارزوا فانكسر اصحاب الخليفة وحاول الفرار فتوسل اليه رجلان من حشده ان يتربص هنيئاً ومضياً به مع حصانه الى ما قدام على كره منه . فتشجع البنداديون وكروا على الاتراك وهزموهم واحتوا على ائقالمهم جميعها وكانت فيما قيل اربعمائة الف خروف سوى البقر والجمال .

وفي هذه السنة كانت مياه دجلة تسيل كالدماء الحمراء . ونبع دم من الارض في بلد واسط وغيره .

وفي السنة ١٤٦٧ لليونان (١١٥٦ م) تحرش البرنس صاحب انطاكية بتوروس صاحب قيليقية يطالبه بالحصون التي انتزعاها الارمن من اليونان واليونان من الفرنج ليوكي عليها الاخوة الفرير لانهم يقاتلون في سبيل جميع المسيحيين . فتسنع الارمن واصطدموا مع الفرنج عند باب سقنطرون فانكسر الارمن وانهزم توروس ثم تصالح الفريقان وتولى الاخوة الفرير تلك الحصون .

وفي تلك السنة سار صاحب مرعش (٣٢٤) الى احدى قرى الارمن . فحشد اسطفان اخو توروس جيوشه ومضوا ليلاً واختفوا في البيوت . ولما فتح باب القلعة صباحاً نهضوا ودخلوه واحتلوا السور الخارجي وجعلوا يحفرون داخلاً . وبلغهم اذ ذاك ان الامير قادم في جيش تركي فلما رعب وخافوا ان يحصروا ما بين السورين ويتناوب الداخلون والخارجون في مبارزتهم . بناء عليه نهجوا المدينة واضرموا النيران في البيوت وفي سائر ما تعذر عليهم نقله . واستاقوا الاهالي جميعاً وانهزموا . وقد استاق الارمن الحبيثاء من الجملة المطران ديونيسيوس ابن الصليبي فتمكّن من النجاة راجلاً الى دير كاليسيور . ونظم ثلاث قصائد في خراب مرعش هذا لانه كان راعيها يومئذ . ولما وصل الاتراك عاملوا المسيحيين بالحسنى وردوا الى الارمن العائدين الى بلدهم جميع بيوتهم وكرومهم وارضهم . غير انهم سلخوا قسيساً ارمنياً وهو حي وبتروا لسانه ويديه ورجليه واحرقوه بعد ثلاثة ايام بالنيران . وما ان بلغ الارمن ذلك حتى عاملوا هم كذلك بعض الاتراك مثل تلك المعاملة الجافية .

وفي تلك السنة سلخ حياً قسيس آخر ارمني في ملطية . ذلك لانه أغرى

فتاةٌ نُحِطت حديثاً ومضى بها الى الكنيسة وحاول اقتضاها. فاخذت المسكينة تصرخ مستغيثةً . لكن النجس وضع يده على فمها حتى اكل شهوته . وبعد هذا شاهدها على آخر رمق فأجز عليها وبتر اذنيها وبعض اصابعها وقد تورمت وتعذر عليه نزع الخواتم عنها فاخفاها جميعاً في قنديل . ثم لف جثاتها في حافر وجعله ضمن المذبح . وبعد ساعة جعل حَمَوَاها واىواها يفتشون عنها فقال لهم بعض الصبيان الذين كانوا يلعبون في الرقاق : قد رأيناها دخلت الكنيسة (٣٢٥). فسألوا ذلك القسيس فقال : نعم دخلت الكنيسة ولما شاهدتني غلب عليها الحياء فسارعت في الانصراف ولم تتوقف . فصدقوا كلامه تصديقهم كلام كاهن وجعلوا يطوفون المدينة ويبحثون في بيوت الانساب . عنها . ثم شاهدوا ذلك القسيس النجس متحذياً بنعال خارجاً من باب المدينة فقبضوا عليه ومضوا به الى الحاكم فصغعه بعض صفعات حتى أقر وأراهم جثان الفتاة واذنيها واصابعها . واحتشد جماهير العرب والمسيحيين رجالاً ونساءً وشيعوها بكاءً مرّاً ومراراً مؤثرة ودفنوها . أما القس النجس فقد سلخوه وقطعوه إرباً إرباً واحرقوه وهو حي حتى هلك .

وفي السنة ١٤٦٨ لليونان (١١٥٢ م) سار البرنس صاحب انطاكية الى قبرس وهي لليونان وسبي اهلها جميعاً في غنمهم وبقرهم وخيلهم وامتعتهم ولما بلغوا الى ساحل البحر أدى القهرصيون ذهاباً وافراً انقاذاً انفوسهم لا غير فأغض عنهم الفرنج واكتفوا بأموالهم ومواسيهم . واستاقوا الاساقفة ورؤساء الاديار والزعماء الى انطاكية بمثابة رهائن ريثما استوفوا ما طلبوا .

وفي السنة ١٤٦٩ لليونان (١١٥٨ م) حاول اسطفان الارمني ان يفتك باخيه توروس . فشر اخوه وقبض عليه واعتقله عشرة شهور ثم سرحه تلبية لطلب الفرنج وانضم الى جيشهم .

وفي السنة ٥٥٢ للعرب (١١٥٢ م) حدثت في سورية زلازل عنيفة . فني حماة هبطت قلعته وبيوتها جميعاً على الشيوخ والفتيان والنساء واهلكت ربوات من اهلها . وسقطت كذلك قلعة شير برمتها ولم ينج من اهلها سوى امرأة واحدة وحاجب واحد . اما المحصيون فساروا الى ظاهر المدينة ونجوا

وتلفت دورهم وقلعتهم . وانهزم الحلبيون من المدينة وظلوا اياماً خارجاً عنها وافلتوا من الموت . وقد تقوّضت بيوتهم وهلك منهم خمسمائة نسمة فقط . ولم ينجُ احد من اهالي كفرطاب واقامية (٣٢٦) وخربت بيوت كثيرة في رحبوت . واجتبح من مدن الفرنج حصن الاكراد وعرقه ولم يبق في اللاذقية سوى كنيسة الكبري ونجا جميع اهاليها وانفضت ارضها وظهرت فيها مهواة مملوءة وحلاً انفس في وسطه صنم مسبوك . وتضعضت اغلب بيوت انطاكية وطرابلس . وفي تلك السنة مات جوسلين مسجوناً في حاب بعدما ادى توبةً نصوحاً كما ذكر اغناطيوس اسقفها الذي زوّده بالاسرار المقدسة^(١) .

وفي هذه السنة وصل السلطان محمد ابن السلطان محمود في جيش جرار الى بغداد وحاصرها اربعة اشهر وضايقها جداً . على ان بعض اقطابه أغروا الخليفة بالعطاء وتبظروه عن الحرب . وبلغهم الخبر اذ ذاك بان ملكشاه اخا السلطان قد احتل همذان وسباها واختطف نساء الزعماء . فارتحلت عزائم السلطان وغادر بغداد فتبّع جيوش الخليفة وفتكوا بكثيرين من الاتراك دون شفقة . ذلك لما احدثوه من الخراب غربي العاصمة حيث كانوا مخيمين . هذا فضلاً عن ارتكابهم الفحشاء من النساء ضمن المساجد وتجاه رجالهن دع ما احدثوه من القتل واحراق الدور .

وفي هذه السنة مات السلطان سنجر بن ملكشاه بن الب ارسلان بن داود على اثر افلاته من يد الفرّ الذين سبقوا فاعتقلوه .

وفي السنة ١٤٢٠ لليونان (١١٥٩ م) زحف منوئيل ملك اليونان الى قيليقية واسترجع طرسوس وعين زربة وغيرها واقام هناك الشتاء . كله وتوروس الارمني منهزم . وتوجه ملك اورشليم وامير انطاكية وبطريك الفرنج الى زيارة منوئيل واتفقوا معه وصالحوه مع توروس واحضروه اليه فأقامه قائداً لجميع الجيوش اليونانية في ساحل البحر . وأجمع اليونان والفرنج والارمن على الزحف الى حلب (٣٢٧) ودمشق وسائر المدن السورية . وبلغهم الخبر يومئذ

بان اليونان يحاولون اقامة ملكٍ آخر فسارع الملك منوئيل في العودة الى عاصمته ولم يكمل ما عوّل عليه بالاتفاق مع الفرنج والارمن .
 وفي نيسان تلك السنة حدث طوفانٌ في بغداد ضعضع بعض جدران بلاط الخليفة وانهمزم الاهالي الى غربي المدينة حاملين المرضى والعجائز والصغار على الاكتاف خوفاً من الغائلة . وبلغت اجرة الزورق في احد المعابر اربعة دنانير ذهباً .
 وفي السنة ١٤٧١ لليونان (١١٦٠ م) اصطلح ابن جوسلين الأسير على الخروج من حارم والبيث في اطراف حلب . فاقام له نور الدين كميناً قبض عليه وألقاه في الجب الذي كان فيه والده . وفي اذار تلك السنة وهي السنة ٥٥٥ للعرب لليلتين من ربيع الأول مات الخليفة المقتفي بدهاء الخناق وخلفه ابنه المستنجد .

بعد المقتفي المستنجد ابنه

تولى اثنتي عشرة سنة . وما كاد يتوفى والده حتى سارع ايشاهده في غرفته . غير ان امرأة ابيه والدة اخيه الصغير وهي تركية هيأت جواربها في السكاكين وتأهبن ليفتكن بالمستنجد حالما يدخل الغرفة فتصبح الخلافة لابنها . على ان احدى تلك الجوارب خرجت مسرعة واخبرت المستنجد فحشد الجند وقبض على اخيه واعتقله وسجنه . ثم قصد اولئك النساء وسجنهن واحدة فواحدة وأجهز على بعضهن وتأيد في الخلافة .

وفي السنة ١٤٧٢ لليونان (١١٦١ م) توجه سير آموري شقيق ملك اورشليم الى مصر واحتوى على اموال جزيلة وعاد . وما عم ان مات الفاتر خليفة مصر وارتضى المصريون ان يؤدوا للفرنج كل سنة مائة وستين الف دينار ذهباً . وزحف جورجى ملك الكرج الى آني وانتزعها من (٣٢٨) الاتراك وغنم غنائم جمّة واعتقل الكثيرين من العرب وعاد الى بلده .
 وامتاز جمال الدين الامير الموصلى بعطفه وحسناته الوافرة فارسل المغريان اغناطيوس سفيراً الى جورجى المذكور ليفتدي الأسرى العرب . فرحب به جورجى اجمل ترحيب وأطلق الكثيرين من الأسرى مجاناً واعاده في هدايا الى

الامير وبعث معه سفراء كرجيين استقبلهم الامير أحسن استقبال . ووصل
المفريان والسفراء الى الموصل والصلبان تتلألاً في رؤوس الارماح بما انعش
المسيحيين وابهج العرب خصوصاً بتسريح أسراهم .
وظهر أنثذر سارق فرنجي في بغراس وحاول الفرنج ان يقبضوا عليه لكنه
انهزم يريد نور الدين وانقلب من عنده في بعض الاتراك ليتلصصوا بضواحي
انطاكية فوضع له الفرنج كيناً قبض عليه واحرقه بالنار .

وفي تشرين الاول ١٤٧٣ لليونان (١١٦٢ م) مات ذو القرنين صاحب
ملطية وخافه ابنه الصغير . اما قلعج ارسلان سلطان قونية فلما عرف ان يعقوب
ارسلان وسائر الأمراء يحاولون خلعهم ليقبضوا اخاه بدلاً منه سار الى قسطنطينية
وتحتمى له اليونان . وظل هناك ثمانين يوماً يرسل اليه الملك كل يوم الطعام
مرتين في اطباق ذهبية وفضية جديدة ويشير بابقائها لديه . وظل كذلك طول
اقامة السلطان في العاصمة . وفي اليوم الاخير تناول الملك والسلطان طعام الغداء
مما على مائدة واحدة . ثم أسنى اليه الملك آنية وزخارف وتحفاً ثمينة وأهدى
الى الاتراك وعددهم الف تركي عدة هدايا . وعاد السلطان الى عاصمته فأدى له
يعقوب ارسلان الطاعة وتهادنا .

وأولم في تلك الغزوة اندرونيقس اليوناني حاكم طروس وليمة لاسطفان
اخي توروس صاحب قيليقية (٣٢٩) . وشوهد اسطفان أنثذر مقتولاً ومطروحاً
على باب المدينة . فاحتدم توروس غضباً وفتك باكثر من عشرة آلاف يوناني .
ثم اقبل ملك اورشليم واصلح ذات البين بين الارمن واليونان .

وفي السنة ١٤٧٤ لليونان (١١٦٣ م) حاصر قرا ارسلان صاحب حصن
زياد مدينة آمد حصاراً شديداً . وحصل اذ ذاك خلاف بين عسكره اضطره
ان يترك المدينة وينقلب راجعاً . وزحف يعقوب ارسلان الى بلد قرا ارسلان
وانتزع منه قلعة شوموشكي وأجلى زهاء مائة الف نسمة وترك القرى قفراء
وعاد . وكان في جملة من أجلى اغناطيوس مطران تل ارسانيوس فأعاده من
قحاح الى ملطية واعاد كذلك مطران حصن زياد بعد يومين .

وكانت امرأة البرنس المسجون في حلب تحاصم يومئذ ابنها وترامحه في الولاية

فعارضها الزعماء فوجهت الى ملك اليونان صهرها ليأتي اليها ويتولى انطاكية. وما ان شعر البطريك والاقطاب حتى استدعوا توروس من قيليقية فأقبل الى انطاكية ونفى الملكة وأيد ابنها في الامارة .

وفي السنة ٥٥٨ للعرب (١٢٦٣ م) حشد نور الدين جيوشاً من الاتراك كثيفة وسار الى حصن الاكراد يريد غزو ضواحي طرابلس . واذا كانوا ذات يوم مجتمعين مطمئنين في خيامهم انقض عليهم الفرنج في صلبانهم فلهعوا واندعروا . اما نورالدين فلما شاهد ألوية الفرنج قفز من خيسته في معطفه دون قيص وركب حصانه وهو معتقل كالعادة فبادر احد الاكراد وقطع الربط فانهمز نور الدين وافلت . ولحق الفرنج ذلك الكردي وأجهزوا عليه وعلى الكثيرين من الاتراك واوثقوا البقية واستاقوهم الى طرابلس .

وفي السنة ١١٧٥ لليونان (١١٦٤ م) باغت الموت يعقوب ارسلان عند نهر سانجر على شاطئ (٣٣٠) شهر أليس . وخلفه اسميل حفيد اخيه واقترن بامراته وهي بنت السلطان .

واحتشد يومئذ خمسة زعماء هم : البرنس صاحب انطاكية وقمص طرابلس وتوروس صاحب قيليقية ودوقاس اليوناني صاحب طرسوس والمستر رئيس الفريز وزحفوا في ثلاثة عشر الف فارس وراجل ليناوشوا نور الدين وهو يحاصر حارم . فانكسر الفرنج اقبح انكسار وقبض الاتراك على القمص وعلى دوقاس والبرنس ومضوا بهم الى حلب . وفتكروا بالاخوة الفريز قاطبة . وافلت توروس الى انطاكية . وقد اقام بطريك الفرنج مناحة عامة وحطم النواقيس وأبطل الصلوات . اما نور الدين فقد احتل حارم ودير سمعان واستاق الرهبان والاهالي عبيداً .

وفي السنة ٥٥٩ للعرب (١١٦٣ م) وجه نور الدين الى مصر الامير أسد الدين شيركوه اخا نجم الدين ايوب ابي صلاح الدين . وكان الاخوان شيركوه وايوب وكذا شادي كوديين اصلهما من دوين مدينة بارمينية . توليا خدمة مجاهد الدين بهروز الحاجب امير تكريت محب النصارى . واتفق ان شيركوه قتل رجلاً نصرانياً تكريماً عزيزاً على قلب الامير وانهمز مع اخيه الى الموصل

فرتحّب بها زنكي وعظم امرهما لديه . وبعدهما احتلّ زنكي بعلبك استعمل على قلعها نجم الدين أيوب وظلّت بيده حتى موت زنكي فسأها الى صاحب دمشق . وتولى اسد الدين شيركوه اخوه خدمة نور الدين ثم استعمله على حمص ورحبوت . وقد ساعد أيوب نور الدين في احتلاله دمشق وكان الاخوان مغرّزين لديه .

فلما دعت الحاجة الى ارسال الجيوش الى مصر بسبب ضعف المصريين واقبل وزيرها شاور يستنجد بنور الدين سيّر معه شيركوه (٣٣١) . وما عم ان احسّ شاور بان شيركوه يحاول احتلال مصر فبعث يهادن الفرنج ويغض عنه وأبى ان يدفع له ما وعده به من الذهب والاماكن الملوّمة . عند ذلك ارسل شيركوه جيوشه الى مدينة بلبس واحتارها . وارسل شاور الى ملك اورشليم فرحف في جيش كثيف وانهزم شيركوه وتحصّن في بلبس . ثم اتفق المصريون والفرنج وحاصروه هناك ثلاثة اشهر . على ان ملك اورشليم لما بلغه ان الفرنج انكسروا في حارم واعتقلوا رخص اشيركوه ان يغادر بلبس ويهود الى بلده ويدع مصر للمصريين فوافق على ذلك دون تردد وانقلب الى دمشق . وفي السنة ١٢٧٦ لليونان (١١٦٥م) زحف قلعج ارسلان سلطان قونية الى جادوج واباستين وطورنده واحتلها وجعل يعادي بني دنشمند .

واحتلّ نور الدين بانياس وعزّزها . وغزا تروس الارمني مرعش واعتقل اربعمائة تركي وارسل الى نور الدين يقول : اني مزعم ان احرقهم او تردّ اليّ الزعماء المسيحيين الذين عندك . فاضطرّ نور الدين ان يطلق كلّ من كانوا لديه بائنة الف دينار وفي جملتهم بوهيند البرنس الفتي . وسار هذا الى قسطنطينية لزيارة حميه ملك اليونان . فجاد عليه الملك باموال وافرة وعاد الى انطاكية مستصحباً اثناسيوس بطريرك اليونان . فارتلب بطريرك الفرنج وارتحل الى قلعة القصر وارسل فابرم الحرم على الانطاكيين الفرنج .

وفي شباط تلك السنة توفي امين الدولة ابن التليذ الطبيب المسيحي في بغداد بالنّاسميين . وكان متضلّماً في مختلف العلوم ووحيد عصره في الطب وخبيراً راسخاً في الفصاحة ونحو العرب وشعرهم (٣٣٢) لا ينقصهم علماً وفضلاً .

وتقلب أيام حياته في خفض من العيش والقربى من الملوك . قيل ان ابنه سأله قبل وفاته ما الذي يؤمك ؟ فقال : كية التسعين من عمري . وسأله كذلك : ما تشتهي ؟ فقال : أن أشتهي .

وفي السنة ١٤٧٦ لليونان (١١٦٥م) بلغنا خبر عجيب عن اهالي قرية آيناس ذلك انه لما اجتاحتها الوباء بسبب غزارة المياه سار اليهم رجل تركي وقال لهم : اجمثوا عمن مات الاول في هذا الوباء . ولما فتجروا قبره وقد مر على موته اربعة اشهر شاهدوا جسده باقياً وعينه مفتوحتين وفمه مفتوحاً نحو شهر واربع اصابع وكفن رأسه وصدره مأكولاً ولحيته مقصوصة ويده اليسنى مبتورة وهي بجانبه . ثم ان ذلك التركي سدّ فمه وبستره بدمار ضخم ومنذ إذ لم يمّت احد في تلك القرية .

وفي السنة ١٤٧٧ لليونان (١١٦٦م) وقعت حرب بين اليونان والبلغار وأصيب الملك منوئيل وسقط عن حصانه . وحاول رجل بلغاري ان يفتك به إلا ان الملك عرفه انه هو منوئيل وحلف له انه ان مضى به الى قسطنطينية جاد عليه بعوارف جمّة . فأتى البلغاري طالبه وانجز الملك وعده له وزاده اضعافاً . قيل ان هذا الملك خان زوجته الملكة وسقاها سماً لانها لم تلد له ولداً ثم اقترن بامرأة ثانية خلافاً لشريعة الملوك .

وفي السنة ١٤٧٨ لليونان (١١٦٧م) وهي السنة ٥٦٢ للعرب وبجّه نور الدين تكراراً الى مصر الامير اسد الدين شيركوه وصلاح الدين ابن اخيه . وكان شيركوه يتوق الى ذلك جداً فبادر في الرحيل وعبر النيل من الناحية الغربية وسار مطمئناً حتى الصعيد . وعندئذ أرسل الوزير شاور (٢٣٣) يستنجد الفرنج فساروا في جيوش كثيفة واتحدوا مع الجيش المصري وزحفوا نحو شيركوه . فإشار الزعماء عليه ان يعود راجعاً الى سورية من الناحية الشرقية مصرحين له بعجزهم عن مقاتلة الفرنج والمصريين جمعاً ومؤكدين له ان الانكسار اقرب اليهم من الانتصار وان جميع الاهالي ضباطاً وفلاحين هم اعداء للاتراك .

وبرز اذ ذاك بنفوش عبد نور الدين وهو شاب شجاع مصارع وقال لهم : ثقوا ايها الزعماء بانكم اذا تخليتم عن محاربة الاعداء وعدتم غاليين او مغلوبين الى نور الدين فلا بد من ان يقطع عنكم المعاش ويطلبكم بما سبق فاعطاكم .

فالذي يهاب الخطر لا يصلح ان يكون جندياً بل فلاحاً او مهملًا يلزم بيته كالنساء . فقال شيركوه : هذا هو رأيي كذلك ووافقته صلاح الدين ايضاً .
وحينئذ اجعروا على القتال . واحتشد المصريون والفرنجة دون توقف والتحم القتال بين الفريقين على كره منهم .

ثم اشار شيركوه الى صلاح الدين ابن اخيه ان ظلّ انت في قلب الجيش مع الانتقال كمي يغلب على ظنّ الفرنج والمصريين اني انا هو . ثم لا تلبثوا تجاههم بل أسرعوا فأعطوهم ظهرهم ولا تخافوا اذا تتبعوكم لاني انا سأزحف وراءهم . ولما التحم القتال انتقى شيركوه ابطال جنوده ممن اعتمد على بطشهم وجهادهم . وما ان زحف الفرنج والمصريون حتى انهزم اصحاب صلاح الدين وتبعهم الفرنج والمصريون . وعند ذلك شدّ شيركوه وراءهم وعاد الاولون كذلك إليهم حتى أمسى الفرنج والمصريون في القلب فطحطحهم الاتراك وكسروهم (٣٣١) وانهم من امكنه الانهزام . قيل ان شيركوه لم يكن معه سوى الفتي جندي لا غير مع ان الفرنج والمصريين كانوا اكثر من عشرة آلاف .

وبعد هذا سار شيركوه الى الاسكندرية واحتلها دون حرب . واحتشد المصريون والفرنجة في القاهرة وارسلوا اليه في الصلح على ان يؤدوا له خمسين الف دينار ويعود الى بلده وان تبقى الاسكندرية للمصريين وان يؤدي المصريون للفرنجة كل سنة مائة الف دينار ويعودوا الى بلدهم ويقبوا شحنة وفرنساناً يجرسون ابواب الاسكندرية كمي لا يطمع بها اصحاب نور الدين فيما بعد . هكذا ترك شيركوه مصر وانتقل الى دمشق .

وفي هذه السنة زحف قرا ارسلان صاحب حصن زياد الى آمد واحتل برجين من ابراجها بدها . حراسها . غير ان سائر الحراس وثبوا الى الاعداء . وفتكوا بهم . فانقاب قرا ارسلان خازياً كثيراً الى بلده وادركته المنون في ١٢ تموز وخلفه ابنه .

وفي كانون الثاني ١٤٧٩ للميونان (١١٦٨ م) مات توروس صاحب قيليقية وكان قد انتقل الى الرهبة في اواخر حياته وأوصى ان يخلفه ابنه الصغير ويتولى الاشراف عليه توماس ابن خالته وحرم اخاه ملبح وراثته . فامتعض وقصد نور

الدين وعاد بجيش تركي الى قيليقية وأجلى ستة عشر ألفاً من فتيان وقتيات
ورجالٍ ونساءٍ وقسوسٍ ورهبانٍ واساقفةٍ واستاق الجميع الى حلب وباعهم ودفع
اثمهم الى الأتراك . وبعد هذا ارسل الارمن فاستدعوه وولوه نصف البلاد
فأقسم لهم انه يترك النصف الثاني للفتى . غير انه أخلف في أقسامه واحتل
البلاد كلها وفقاً عيون الكثيرين من الاساقفة والاعيان وبتد ايديهم وارجلهم
وسلخ البعض احياء والقاهم الى الوحوش .

وفي السنة ٥٦٣ للعرب (١١٦٧م) شاخ (٣٣٥) زين الدين الامير التركي
قيم قطب الدين صاحب الموصل وطرش وهي . وتخلّى لقطب الدين عن سنجار
وهران والعقر وحصون الهكارية وتكريت وشهرزور واكتفى بارييل وحدها
اذ كانت في حوزته منذ عهد زنكي وانتقل اليها وفيها قضى اجله . وخلفه
ابنه مظفر الدين وأصبح قيّم مجاهد الدين . وكان زين الدين ممتازاً بعدله
وحسناته وسخائه . متوخياً السذاجة في تصرفه . جاء يوماً فارسٌ بيده ذئب
حصان وذكر له ان حصانه قد هلك فأمر ان يُعطى حصاناً آخر . ثم ذهب
ودفع ذلك الذئب الى فارس . ثابن أتى به كذلك الى الامير فأمر له بحصانٍ ثانٍ .
وهكذا تناوب اثنا عشر فارساً في الذهاب بالذئب والحصول على حصان جديد .
على ان الامير قال لآخر واحدٍ منهم : لقد استغربتُ انكم لم تحجلوا مني
خجلي منكم . فقد عرفتُ ان الذئب عينه أحضر اليّ اثنتي عشرة مرةً ومع
ذلك كله لم اخجلكم وارفض طلبكم بل اجزلت لكم العطاء . كمن يؤذي
فرضاً لازباً ولم اثقل على احد منكم . وجاء يوماً شاعرٌ وانشده قصيدةً
فقال له : اني لم افهم ما قلت ولكنتي عرفتُ انك تطلب شيئاً . ثم امر له
بخمائة دينار وحصانٍ وكسوةٍ قيمتها كذلك خمائة دينار .

وفي السنة ١١٨٠ لليونان (١١٦٩م) انتزع قلعج ارسلان سلطان قونية من
بني دنشند مدينتي قيسارية قبدوقية وسينادو . وفي السنة عينها وهي السنة
٥٦٤ للعرب انتزع نور الدين قلعة جعبر من شهاب الدين الامير المعدي المتصل
ببني عقيل واعطاه بدلاً منها سروج والمالحة وباب بزاعة وعشرين الف دينار .
وأقام شهاب الدين زماناً (٣٣٦) في سروج وسأله بعض اصدقائه : اي البلدين

أطيب لك ؟ فقال ان ههنا الوارد اكثر ولكننا تركنا العز في القلعة . وفي السنة عينها انتزع قلج ارسلان من اليونان انقرة وقتنقار .

وفي تلك الغزوة ارسل الفرنج المقيسون في مصر والاسكندرية لاجل جباية الضرائب وحراسة الابواب يقولون لاموري ملك اورشليم ان البلد خالي من الجيوش وان في استطاعتكم احتلاله . وانتوى الزعماء ان يلّبوا الطلب . غير ان الملك الحكيم تبطهم وقال : ان اموال مصر تأتينا عفواً صفواً واذا زحفنا اليها فلا بد من ان العرب بسبب حقدهم علينا يستجرون بنور الدين ويكتبون اليه في الحضور فيثب اليها المصريون والغرباء جميعاً ويتغلبون علينا . غير ان الزعماء لم يذعنوا لمشورته بل قالوا اننا سنحتل مصر قبل ان يُعد نور الدين العدة للقدوم . هكذا تنأبوا على الملك واحتشدوا وساروا في الرحيل واحتلوا بلبس وانتهبوها وأجلوا اهلها ثم ساروا الى القاهرة وحاصروها فخاف المصريون ان يحدث لهم ما حدث لاهالي بلبس وشجع بعضهم بعضاً واصطفوا فوق الاسوار وجاهدوا اقوي جهاد حتى ان العاضد خليفة مصر قص ضفائر نسائه وبناته وبعث بها الى نور الدين يقول : ان نسائي يتذللن باقيات بدموع مدرارة ويلتسن ان تسارع الى اغاثتهن وقتنذهن من ايدي الفرنج . غير ان نور الدين ظل شهرين يحشد الجنود وبسبب تهله هذا واشتداد القتال كتب شاور وزير مصر الى آموري وزعماء الفرنج يقول : انكم عالمون بمودتي لكم . ولو عرفت ان العرب يطبعوني لتخلت لكم عن مصر دون تريت . لكني (٣٣٧) اعتقد انهم اذا سمعوا شيئاً من هذا القبيل اهلكوني لا محالة . فأرى اذن من الموافق ان تقبضوا من الذهب ما شتم وتعودوا الى بلدكم وتقيسوا لكم وكلاء يجيئون لكم الجزية كالسابق . ولا يخفى عليكم انه اذا جاء نور الدين واحتل المدينة فحينئذ تحسرونها وتحسرون الجزية معاً .

اقتنع الفرنج وعقدوا الصلح وفرضوا على المصريين الف الف دينار . ودفع لهم شاور مائة الف دينار حالاً وقال : اذا تركتونا وانصرفتم فانا اجمع بقية الذهب وابعث بها اليكم . وعلى هذا الاتفاق غادر الفرنج مصر وعادوا الى بلدهم .

ولما سمع ذلك نور الدين ظلّ يرسل الجيوش الى مصر لانه كان يضرهم السوء. لا الخير. ولذا سير شيركوه في جيوش ضخمة وسير معه صلاح الدين ابن اخيه . ولما وصل شيركوه الى مصر زار الخليفة العاضد واحتلّ لديه وجعل يلقه بكلمات لا تحلو بطائل ولا سيما لان الوزير شاور المتوآي توزيع الارزاق لم يكن يؤذي للخليفة وحشمه شيئا من المال . وكان ياول ان يولم وليمة لاسد الدين ويقبض عليه وعلى ابن اخيه لكن ابنه ثبته عن انجاز اربه . اما صلاح الدين فكان يريد ان يفتك بشاور ولكن شيركوه عمه نهاه عن ذلك . وذهب ذات يوم شاور ليؤر شيركوه كالعادة ولم يصادفه اذ كان قد توجه ليتبرك بقبر احد مشايخ دينهم . وبعد هذا ركب شاور وركب معه صلاح الدين وفيما هما يتحدثان القاه صلاح الدين عن حصانه وأوثقه ولم ير ان يفتك به دون امر عمه . على ان عمه قال له : اننا لا نستطيع ان نعمل شيئا دون امر الخليفة . لكنها لما اخبر الخليفة وافق على مسا نوبا لانه لم يكن يطيعه بشي من الأشياء . هكذا قتل شاور ونهب بيته وتولى (٣٣٨) شيركوه مكانه وسُمي ملكا وقائدا اسوة بسائر وزراء مصر . وعاش شيركوه شهرين وزيرا ومات بداء الخناق وخلفه ابن اخيه صلاح الدين فاستمال اليه بسخائه جميع الجنود واحتل مصر .

ولم يخلف شيركوه سوى ابن واحد يقال له ناصر الدين أنيطت به وبابنائها مدينة حمص . اما نجم الدين ايوب فكان له ستة بنين : اولهم شمس الدولة توران شاه الذي تولى الاسكندرية . ثانيهم شاهنشاه والد عز الدين فروخ شاه وتقي الدين عمر الذي تولى حماة هو وبنوه . ثالثهم سيف الاسلام دقتكين الذي تولى اليمن . رابعهم صلاح الدين يوسف الذي تولى مصر وفلسطين وسورية وما بين النهرين . خامسهم الملك العادل ابو بكر الذي خلف صلاح الدين . سادسهم تاج الملوك بوري وقد مات لما كان اخوه صلاح الدين يحاصر حلب .

وفي السنة ١٢٨١ لليونان (١١٧٠م) تغلقم بغض المملطين كبارا وصغارا لمحمد صاحبها بسبب التصاقه بامرأة زانية ساحرة . فاخذها وغادر المدينة وجعل

يطرف من بيت الى بيت . فولى الزعماء بدلاً منه ابا القاسم اخاه الصغير .
وسمع ملك اورشليم ان مليح الارمني صاحب قيليقية يتعدى على المسيحيين
فرحف اليه تدعوه النخوة والحمية وحبسه في احد الحصون حتى تضايق وأدى
التوبة مستغفراً واقسم له بالطاعة والعدول عن صحبة الاثراك . فعفا عنه وعاد .
وفي السنة ٥٦٥ للعرب (١١٦٩ م) مات قطب الدين مودود بن زنكي
صاحب الموصل وأوصى ان يخلفه ابنه عماد الدين زنكي . وكان لقطب الدين
نائب وقيم يقال له فخر الدين عبد المسيح (٢٣٩) اصله من انطاكية ووقع
اسيراً . وكان يبعث عماد الدين فاتفق مع قطب الدين وغيرها الوصية واقاما
سيف الدين غازي الابن الصغير خلفاً لابييه وعاهده الزعماء . كذلك . وعند ذلك
غادر عماد الدين الموصل يريد عمته نور الدين في سورية . وجعل يبكي ويتظلم
من عبد المسيح لانه حرمه الوراثة والمملكة معاً .

ويوم الاثنين ٢٩ حزيران و ١٢ شوال حدثت زلزلة عنيفة جداً حتى اهتزت
الارض اهتزاز سفينة في البحر مما لم يُسمع له مثل في العصور الغابرة . قال
البطريوك ميخائيل المنبوط : كنا واقفين في هيكل دير مار حنانيا (الزعفران)
نتلو صلاة الصبح يوم عيد القديسين بطرس وبولس فسمعنا بفتة صوت رعد
قوي وسقطنا على وجوهنا امام المائدة المقدسة وتشبثنا بها ونحن نميل هنا
وهناك . وبعد مدة طويلة افقنا كمن يفيق من القبر وانتبهنا انتباه من ينهض
من رقاد . وتدحرجت الدموع من عيوننا وأطلقنا الألسنة بالشكر والتسبيح
له تعالى . وسقطت في تلك الزلزلة اسوار حلب وبعليك وحماة وحمص وشيزر
وبغراس وجميع حصونها ودورها واتلفت اهلها . واجتاحت بيعة اليونان
الكبرى بانطاكية ومذبح بيعة القسيان وهي للفرنج وقد أشفق الرب الرحيم
على بقية شعبنا وتعطف على ذلنا نحن الذين لم يبق لنا ملك ولا حاكم منا .
على ان حلب كلها سقطت سوى كنيسةنا وقس عليها ثلاث كنائسنا في انطاكية
وهي كنيسة والدة الله وكنيسة مار جرجس وكنيسة مار برصوما . ثم كنيسةنا
الصغيرة في جبلة وكنيسةنا في اللاذقية . ذلك تعجيداً لله عز وجل وتشجيعاً
للخصاصة المتبقية من شعبنا القويم المعتقد . وقد استفرقت مناوبة الزلزلة خمسة
وعشرين يوماً .

وفي السنة ١٤٨٢ لليونان (١١٧١م) رُفِت الى ابي القاسم صاحب ملطية ابنة قرا ارسلان صاحب حصن زياد . وفيما كان اهالي العروسين يقضون افراح العرس ويلعبون في ميدان الخيل تهوّر العريس عن ظهر حصانه وهو يطارد بشدة . فانقلبت افراحهم حزناً وحداداً . ووكى الملطيين بدلاً منه اخاه افريدون الصغير وزفوا اليه العروس المذكورة على رغم منها .

وجيش الجيوش يومئذ قلع ارسلان وزحف من قونية الى ملطية وأجلى اهالي ضواحيها وانقلب الى قيسارية فثار عليه نورالدين وصاحب ماردين وحصن زياد وارمن قيليقية وابن دنشمند صاحب سبسطية ووصلوا الى باب قيسارية فلم يخرج قلع ارسلان ليبارزهم بل طلب الصلح وردّ الذين أجلاهم . ثم طالبوه بابناء اخوته الاربعة المعتقلين عنده لكنه تخابث فذبح احدهم وشواه ووضعهم في طبق وارسله الى أبيه وأقسم لهم بانهم اذا طابروا الثلاثة الباقين فهو مستعد ان يذبحهم ويشويههم كأخيهم . فذكروه وعادوا .

وفي السنة ٥٦٦ للعرب (١١٧١م) اغتصب قلع ارسلان جميع بلاد بني دنشمند . وفي السنة عينها نُعي الى نور الدين اخوه قطب الدين وخلفه ابنه سيف الدين . وظلّ عبد المسيح يتصرف كما شاء . في شؤون الموصل ويشدّد الضغط على الاهالي . فتحنّس نور الدين وهو يقول : ينبغي ان اتوكى انا تدبير ابناي اخي لا عبد المسيح . وغادر حلب الى الرقة ونازلها واحتلها واحتلّ الحابور كله ونصيبين ايضاً . وزاره محمد بن قرا ارسلان صاحب حصن كيفا ووصل الى جبل سنجار واحتلّه واستعمل عليه عماد الدين ابن اخيه . ثم توجه الى مدينة بلد وعبر دجلة واناخ شرقي الموصل جهة نينوى . ومن الغريب انه يوم وصوله الى الموصل سقط احد ابراجها الضخمة . وعلى ما ظهر ان الزلزة (٣٤١) المنيفة التي حدثت في السنة الماضية صدعته فتخلخل وسقط في اليوم المذكور مصادفة .

أما عبد المسيح فلما رأى العرب قاطبة ميالين الى نور الدين خاف ان يفتكوا به فارسل يطلب الأمان بشرط ان لا يتزع الموصل من سيف الدين . فاجاب نور الدين اني لست اريد انزع المدينة من ابنائي لكنني اروم انقاذ

اهاليها من ظلك يا عبد المسيح وأنقلك معي من الموصل الى سورية لا غير . وهكذا تم الصلح . ودخل نور الدين الموصل واقام في قلعتها وترك سيف الدين متولياً امورها كما كان من قبل . واقام ديزاداراً يحافظ القلعة اسمه سعد الدين كومتكين . ووزع تركة اخيه على جميع أبنائه وعفا الاهالي من ضرائب كثيرة وابتنى مسجداً فضاء سمي المسجد النوري باسمه . واطاف الى الموصل جزيرة قردو وظل ١٢ يوماً في الموصل وعاد الى سورية مستصحباً فخر الدين عبد المسيح وسماه عبد الله واعطاه أرزاقاً وافرة . وكان يتظاهر بالاسلام ويضمر النصرانية ويعامل النصارى خير معاملة ويبغض العرب وعلماءهم بغضاً تاماً . وقد شبهه البطريق ميخائيل بمردخاي .

وفي هذه السنة أصيب الخليفة المستنجد بداء المفاصل حتى أيس الزعماء ولا سيما الاستادار من بقاءه حياً . وفتحوا ابواب السجن واطلقوا اخوتهم المسجونين وارسل الوزير فاخر الخليفة فسخط وأمر الطبيب النصراني ابن صفية وهو لديه ان يكتب الى الوزير ليقبض على الثاثرين ويفلق هامهم . ولم يكن احد غيره من الاطباء يعود الخليفة في اثناء مرضه . وبعد ما كتب الرسالة (٤٤٢) ووضع الخليفة ختمه استدعى حاجباً صغيراً وقال له : خذ هذه الرسالة وانطلق كمن يلعب وسر الهويانا واقصد الوزير وادفعها اليه . فامتل الحاجب الأمر وخرج ومكث الطبيب هنيئاً وخرج كمن يخرج ليتغوط وبادر الى الاستادار وأطلعه على الحقيقة . فأسرع وبعث من قبض على ذلك الحاجب ومضى به الى الاستادار وفلأه وانزع منه الرسالة وقتله والقاه في الجب . ثم نهض مسرعاً مع اصحابه ودخلوا دار البلاط الجوانية فصرخت الجوارى في وجههم قائلات : كيف هجتم يا كلاب علينا هجومكم على سفيات عاريات ؟ لكنهم لم يكثرثوا لمن بل دخلوا غرفة الخليفة وهو مضطجع وقالوا له : ان الطبيب أمر ان ننقلك الى الحمام . فاستشاط غضباً وقال لهم : لست بحاجة الى حمام . لكنهم لم يكثرثوا لقوله بل عروه قسراً ومضوا به الى بيت داخلي فضايقه الحر جداً وسقط وجعل يصرخ متأوهاً وكانوا يقرعون الباب قرعاً عنيفاً لثلاث ساعات الجوارى والبيد صوته فيقولوا انهم هم الذين قتلوه اذ تعذر على الزعماء طردهم . وما عم

ان دخل احد الزعماء ووطى بطن الخليفة برجله وبعجه وما كادت ترهق روحه حتى نقلوه على آخر رمق ليشاهده المبيد والجواري ويتحقق لديهم انه لم يُقتل بعجا . وعند ذلك طلب الخليفة ماء فأبوا ان يقدموه له مدعين ان الماء يؤذيه . غير ان الطبيب قال لهم أعطوه معتقداً ان الماء متى وصل الى شفثيه مات فوراً . واكن الخليفة لم يتسكن من امتصاص الماء لان حلقومه كان قد يبس واستدّ فمات في تلك الساعة . وطالعنا في كتاب آخر ان هذا الخليفة كان كلفاً تجارية اسمها بُنْفَشَة (٣٤٣) فغارت منها امرأة الخليفة وحضت ابنه ليضاجعها ولما طلبها الخليفة كالعادة قالت له امراته: لا تحلّ لك بعد هذا لان ابنك ضاجعها . فاتزع الخليفة واضطرب وخولط في عقله ومرض . وسخط على ابنه وأمر ان يُقتل . لكن الزعماء فعلوا خلاف امره فقتلوه وبايعوا ابنه بالخلافة .

بعد المستنجد المستضيء ابنه

تولّى تسع سنوات . بعدما اجبر الزعماء على المستنجد وقع اختيارهم على مبايعة احد بنيه الذي لم تحظر الخلافة بباله اصلاً وكان حليماً وضيعاً . فاستحلفوه ان لا يقتك باحد منهم وان يردّ لهم كل ما انتزع والده منهم . فاقسم لهم بذلك واحضروا اخاه واستحلفوه مثله وهددوه بالقتل وصنعوا مثل ذلك بجميع ابنا . الاسرة . ولما اقسوا جميعاً بايعوه بالخلافة وأسموه المستضيء .

وفي السنة ١١٨٣ لليونان (١١٧٢ م) عمّ الثلج الارض كلها حتى الهند التي لم يعرف اهلها الثلج قطعاً . وقد بلغ علوه هناك اربعة عشر شبراً فيما قيل . وجمدت الانهار والينابيع وتلفت الحيوانات والطيور جوعاً وعطشاً . ولزم الناس بيوتهم كأنهم في قبور لا يتيسر لهم الذهاب من قرية الى قرية . وخنق الثلج كثيرين من سكان الحيام والمسافرين . وتفاقم الجوع في بسطية بسبب بُعد المسافة وطلب الزعماء . من اسميل بن دنشند صاحب قبدوقية قحاً لهم ولذويهم يكفيهم الى الصيف لثلا يهلكوا . وكان عنده اهراء كثيرة مملوءة ذخيرة لكنه رفض طلبهم فوثبوا اليه وقتلوه هو وامراته وهي اخت السلطان قلعج ارسلان وقتلوا معها خمسمائة شخص من حشمها ومبيدتها وجواريتها واحتلوا

الاهراء باسرها . وارسلوا الى دمشق وطلبوا عمه دوالنون الذي كان منزهماً (٣٤٤) من وجه السلطان فاقبل وتولى سبسطية .

وفي السنة ٥٦٧ للعرب (١١٧١ م) كتب نور الدين الى صلاح الدين ليلقي الخطبة باسم العاضد خليفة مصر ويخطب خليفة بغداد . لكن صلاح الدين تخوف حدوث ثورة فاجل القضية . فاضطره نور الدين ثانية ولم يستطع ان يخافه فاستشار زعماء مصر فاختلفوا فرقتين احدهما حتمت بذلك والثانية نهت عنه . وحضر هناك رجل فارسي يقال له الامير العالم فقال لهم : انا ابتدى الخطبة واكفيكم الهم . وصعد المنبر يوم الجمعة ودعا للمستضي . ابن العباس بدلاً من العاضد ابن علي . ووافقه الجمهور . وجرى مثل ذلك يوم الجمعة التالية في مساجد مصر جميعها والتفت خلافة المصريين .

وكان العاضد خليفة مصر يومئذ مريضاً ولم يخبره اصحابه بما تم خيفة ان تعاجله المنون فقضى دون ان يشعر بما صار . واعتقل صلاح الدين ابنا الخليفة وآله وفصل الذكور عن الاناث قطعاً لتسلهم . واعتق العبيد والجواري . فابتهج العرب اصحاب شيعة القدر والقضاء وشيعة مؤيدي الحرية والاختيار . ويقال ان خلفاء مصر لا يتحدرون كما يزعمون من علي وفاطمة بل من رجل يهودي او مجوسي . وقد نظم الشعراء قصائد حجة في الثناء الدولة الفرعونية وظهور الدولة اليوسفية . وقام منهم اربعة عشر خليفة في المغرب : ثلاثة في افريقية وهم : المهدي والقائم والمنصور . واحد عشر في مصر وهم : المعز والعزيز والحاكم والطاهر والمستنصر والمستعلي والامير والحافظ والظافر والفاتر والعاضد .

واستقل صلاح الدين بمصر (٣٤٥) لا يعارضه احد قطعاً سوى نور الدين فقد كتب اليه يقول : هذا احاصر الكرك فاحشد الجنود واستعجل في القوم الى هناك . لكن صلاح الدين لم يلبه . فسخط نور الدين واعتزم الذهاب بذاته الى مصر ليخرجه عنها . فاجتمع صلاح الدين بالزعماء وشاورهم في الامر فسكتوا ولم يدروا ما يقولون سلباً ام ايجاباً . وعند ذلك نهض الشاب ابن اخي صلاح الدين وقال : اذا جاء نور الدين فاننا نحاربه ولا ندعه يدخل

مصر . ووافق في ذلك سائر الشبان زملائه . غير ان والد صلاح الدين وخاله غضبا عليهم ثم تكلم والد صلاح الدين وقال هل بين جميع الحضور من يرغب لك الحيز نظيري ونظير خالك ؟ قال صلاح كلاً . قال والده : كمن على ثقة من اننا انا وخالك اذا شاهدنا نور الدين خرنا امامه وقبلنا الارض خاضعين . واذا كان ذلك كذلك فمن تراه يتجاسر ان يشهر السلاح عليه ؟ فهذه بلاد مصر باجمعها وغيرها ايضاً انما هي لنور الدين واذا شاء ان يعزلك فلا حاجة ان يزحف اليك في جيوشه بل حسبه ان يرسل شخصاً واحداً في سطرين منه فيلقي الحبل في رقبتك ويقودك الى دمشق ويستعمل على بلاده من شاء . ثم نهض الشيخ نجم الدين وانهى الزعماء . وقال : ثقوا باننا جميعاً عبيد لنور الدين وله ان يصنع بنا ما شاء . وبعدها انصرف الزعماء . قال الاب لابنه صلاح الدين : انك فتى بعد لا عقل لك ولا سياسة عندك . الا تدري ان نور الدين اذا سمع انك تمردت عليه ترك كل شيء وتبعتك حتى يقضي عليك ؟ ومن من الجنود يا ترى يتركه ويتبعك ؟ اعلم ان ما احدثك به الان لا بد من ان يصل اليه . اذن يجب ان ترسل اليه سفيراً يخاطبه خطاب متضخ ويصرح له بانك عبد (٣٤٦) مطيع لاسره . وان احوال مصر مضطربة بعد وان الحوف من الفرنج يصدك عن الذهاب اليه فيخمد غضبه ويغض عنك . وقد صار مثلاً قال الشيخ .

وفي تلك الغزوة اقبل جمهور غزير من النوبة الى اطراف الصعيد وسبوا قرى كثيرة . فوجه صلاح الدين العساكر وانتشبت القتال بين الفريقين وهلك الكثيرون من الجهتين ثم تقوى السودان وارسل صلاح الدين اخاه شمس الدولة تورانشاه في جيش ضخم . فانهزم النوبة وتبعهم العرب وغزوا وقتلوا واحتلوا قلعة ابريم واقاموا بها حفلة ولما عاد العرب عاد النوبة كذلك واسترجعوا قلعتهم وارسل ملكهم سفيراً الى شمس الدولة وهو في قوس وسأله الصلح فلبى الطلب وشرط ان يؤدى جزية . وسير مع سفير النوبة سفيراً من قبله اسمه سعود الحلبي ووصل الى دونغولا العاصمة واطلع على المضايق وعرف ان الاهالي لا يزرعون غير الدخن وان عندهم اشجار نخل وهم يأكلون دخنهم ملتوتاً بنحرهم ومواشيهم وليس عندهم ابنيسة سوى دار واحدة هي بلاط ملكهم . اما

الاهالي فيجتمعون في الحيام والمغاور . قال السفير : شاهدتُ الملك يوماً قد خرج عرياناً وركب حصاناً عرياناً كذلك والتف بثوب اطلس غير مخيوط ورأسه أصلع ومكشوف ولما دنوت وسلّمتُ عليه ضحك وقهقهه وأمر فكروا يدي شكل صليب ودفن لي خمسين رطلاً قمحاً وأطلقني .

وفي السنة ٥٦٩ للعرب (١١٧٣ م) سار شمس الدولة المذكور الى ارض اليمن واحتلها وملكها . وفي ايار ١٤٨٥ لليونان (١١٧٤ م) مات (٣٤٧) نور الدين في دمشق بدهاء الخناق . وحدث الرحيّ الطبيب الدمشقيّ الذي ادركتُ انا الحقيّر ابيه الطيبين الفاضلين قال : لما تفاقم دا. نورالدين ودُعيت الى عيادته مع سائر الاطباء شاهدناه في بيت ضيق صغير وقلنا له : ان يفصد الوريد فأبى . ولم نزل ان نلحّ عليه لاننا كنا نهابه جداً . وما عم ان مات . وكان رجلاً اعتيادياً طويل القامة دون لحية تحت ذقنه بعض شعرات بسيطاً في هندامه وكسوته مبغضاً للعرب المتسلسلين من علي . وقد استرجع من الفرنج اكثر من خمسين مدينة وقلعة وابتنى بيارستاناً كبيراً ومدرسةً في دمشق ومسجداً في الموصل فخماً .

مركز تحقيق تكوير علوم رسيدي

وقام بعد نور الدين ابنه الملك الصالح اسمعيل وحالفه جميع الزعماء وخطب له صلاح الدين في مصر وضرب الدراهم والدنانير باسمه . اما سيف الدين غازي صاحب الموصل فلما نُعي اليه عنه نور الدين فرح الفرح كله واوغز الى المنادين لينادوا باطلاق الحرية للاهالي في الشرب والسكر والبذخ علانية . ثم حشد الجيوش واقتبل الى بلاد ما بين النهرين واحتلّ الرها وحرّان وما حولهما . وارسل الامير شمس الدين قائد الجيش الحلبيّ الى زعماء دمشق يقول : ابعثوا الملك الصالح الى حلب قبل ان تُترع من يديكم . غير انهم خافوا ان يتولى هو سياسة الدولة فلم يدعوا الملك الصالح ان يغادرهم . ثم ارسل صلاح الدين يعاتبهم لانهم لم يستدعوه الى مساعدتهم الى ان قال : لو عرف نور الدين ان بينكم من هو انشط مني لولاهُ ملكة مصر . والآن فاني قادم اليكم اذ يتربّ علي ان ادبر مولاي وابن مولاي دونكم . عند ذلك وجه الزعماء الصالح الى حلب وجعل قيمه (٣٤٨) سعد الدين الحاجب وكان هذا حافظاً

فيا مضى لقلعة الموصل ثم انهزم واقبل الى دمشق .

وتخوف الدمشقة من صلاح الدين وبعثوا يطلبون الصلح من آموري ملك اورشليم وقبلوا ان يؤدوا له جزية . الا ان اموري توفي في عكة في ١١ تموز بعد مرور اربعين يوماً على وفاة نور الدين . وقد امتد كمد المسيحيين بوفاة هذا الملك البطل الذي كان عرب مصر وسورية قاطبة يهابونه . وخلفه ابنه بغدوين الرابع .

ولما بلغ قلعج ارسلان سلطان قونية خبر وفاة نورالدين حليف دوآلنون بن دنشمند زحف الى سبسطية ونوقيسارية وقومانا وملكها . فسار دوآلنون الى قسطنطينية واستنجد بملك اليونان . وانتهت يوم ذاك زعامة بني دنشمند التي استغرقت ١٢٢ سنة .

ثم ان امير ميافرقين ضايق الارمن السناسنة فارسلوا الى شاه ارمن صاحب خلاط وسأوه حصونهم . وعاد ملك الكرج فانتزع مدينة أني من العجم .

وفي السنة ٥٧٠ للهـ (١١٧٤ م) حشد صلاح الدين جيوشه واقبل الى دمشق يتظاهر بانه قادم ليساناء ابن مولاة ودخل دار ابيه واقام بها ثم وسوس الى ريحان الحصي حافظ القلعة ففتح له بابها ودخلها اخوه سيف الاسلام واصحابه واحتلها وأيد الخطبة للملك الصالح اسمعيل . ثم غادر دمشق الى حمص وأخذها ووصل الى حماة وملكها . ووصل الى جبل جوشن قرب حلب فحشد اميرها الحلبيين قاطبة كباراً وصغاراً في ميدان باب العراق واثاروا الى الصالح ان يخرج ويكلم (٣٤٩) الجماعة كلاماً مؤثراً . فانصب في راس الميدان ونال : يا ايها الحلبيون انكم انتم ربيتموني وهذا استغيث بكم وليس لي اب او أخ سواكم . واجهش بالبكاء حتى كاد يخنق وبكوا جميعاً لبكائه وصرخوا صرخة واحدة وقالوا : اننا كلنا عبيد لك وفدى امامك .

اما الفرنج فقد بعثوا السفراء الى صلاح الدين يلومونه وينكرون عليه عمله هذا وقالوا له : انك بعملك هذا تشكر جميل مولاك . فاصغر الى كلامنا واترك حلب والآفاننا بأجمعنا شب اليك ونناهضك . ولما رأى صلاح الدين

ان الامور لن تتمشى طبقاً لما ربه وانه يتعذر عليه ان يمدح الحلبيين انقلب عائداً الى بعلبك واحتلها وسار الى حمص وملك قلعها . ثم ارسل الحلبيون الى سيف الدين صاحب الموصل يقولون : اذا تركت صلاح الدين يحتل حلب فكنت على ثقة بانه لن يترك لك الموصل . فسير جيشاً كبيراً بقيادة اخيه عز الدين واتفق مع الحلبيين وساروا معاً الى حماة وارسلوا سفيراً الى صلاح الدين وهو في حمص يلحون عليه ليرد جميع حصون مولاة ويكتفي بدمشق لا غير ويكون حكاثر الامراء الخاضعين للملك الصالح . فأجابهم صلاح الدين : اني لم آت لاحارب ابن مولاي بل لاحفظه واحفظ بلاده وخزائنه . ولن اخالف قولكم مطلقاً . لكنهم لما عرفوا استعداداه للصلح ظنوه ضعيفاً فاستحقروه وقالوا له : يجب ان تغادر سورية كذلك وتعود الى مصر وليس لك عندنا الا السيف . ثم زحفوا الى الرستن وأقبل صلاح الدين اليهم وتبارز الجيشان في قرون حماسة فانكسر المواصلة والحلبيون وارتدوا الى ورائهم منزهين . وأمر صلاح الدين جيوشه ان يقفوا ولا يتبعوا المنهزمين ولا يقتلوا احداً . وعند ذلك ارسل اليه (٣٥٠) الملك الصالح يسأل الصلح وان يتولى صلاح الدين دمشق وحماة وحمص ويترك سورية الخارجة للصلح . لكن صلاح الدين لم يرض الا بعدما اضافوا الى ذلك المعرة وكفرطاب . عند ذلك وافقهم وأقسم بان يخطب للملك الصالح في كل البلاد التي تحت يده وان يوافي الى مساعدته كلما دعت الحاجة .

ولما بلغت المستضيء خليفة بغداد اخبار نصرة صلاح الدين ارسل اليه حلاً ملكية وسيفاً وألوية وفرماناً . وكان قطب الدين قيباز قد خرج يومئذ على الخليفة وحاصره في بلاطه . فهلع الخليفة وقصد السطح وأمر المنادي ان ينادي بأعلى صوته ويقول : ايها البغداديون هذا وقت مساعدتكم لمولاكم وإمام دينكم فأبدوا تحمسكم في سبيل ايمانكم . وعتت الصيحة المدينة واقبل الاهالي في سيوف وعصي وقراميد وحجار وهزموا قيباز واعوانه الى الصحراء فادركهم العطش وعثروا على صهريج خنقت فيه الحيات فشربو منه وانتشر الوباء فيهم وفي خيلهم وتوجهوا الى الموصل وهلك اغلبهم في الطريق وقضى بقيتهم في الموصل .

وفي السنة ١٤٨٦ لليونان (١١٧٥ م) خرج زعماء ارمينية على مليح أميرهم وحاولوا ان يقاتلوه فانهمزم الى احد الحصون ووثب اليه الحراس وقطعوه ارباً ارباً والقوا جثته للكلاب انتقاماً منه لما اتزله بالمسيحيين من الاعذبة والمساوي . ثم استدعى الزعماء روفين ابن اخيه اسطفان من طرسوس وولوه أمرهم فأجهز على قتلة عمته مليح ولا سياً لانهم ألقوه للكلاب .

وفي السنة ٥٧١ للعرب (١١٧٥ م) ارسل سيف الدين صاحب الموصل الى الصالح في حلب (٣٥١) يومه أشد اللوم لانه هادن صلاح الدين . ثم حشد نحو عشرين الف فارس واقبل الى حاب وفك زعماء الفرنج المسجونين هناك منذ امد طويل . وباع قمص طرابلس بثمانين الف دينار وجوسلين بن جوسلين بخمسين ديناراً والبرنس امير انطاكية بمائة وعشرين ديناراً واستحافهم ان يساعدوا العرب دائماً .

وحشد صلاح الدين كذلك عساكره وزحف الى اطراف التركمان بين حلب وحماة وتبارزوا فانكسر الخليجون والمواصلة ولاذوا بالفرار واحتل صلاح الدين خيامهم واثقالهم وشاهد هناك طائفة من الطيور كالليام والحمام والبلابل في اقفاصها ومائة من العاهرات المطربات . واستدعى واحداً من مشخصي الروايات وارسله الى سيف الدين مع تلك الاقفاص وقال له : اذهب وسلم بدلاً مني على سيف الدين وقل له : ارجع الى شنشنتك ولاعب طيورك لانها تحبب كل خطر . وبعد ما اوثق زعماء الموصل وفي جملتهم فنخر الدين عبد المسيح فكلمهم وألبسهم ثياباً واعطاهم خيلاً وهدايا وردداهم بسلام . وترك حلب على ما كانت ومرو بقلعة بزاعة واحتلها وسار الى منبج وتولاها وعثر في قاعتها على ثلاثمائة الف دينار . ثم اقبل الى عزاز وحاصرها اربعين يوماً واحتلها .

وفي السنة ١٤٨٧ لليونان (١١٧٦ م) شاد منوئيل ملك اليونان مدينتين في حدود الاتراك ووضع فيها الجنود وجعلوا يزعمجون اصحاب قلج ارسلان وكان منوئيل يلج عليه ايرد الى آل دنشمند اما كنهم فأبى . فوجه الملك ثلاثين الف فارس يوناني مع دوألنون التركي بن دنشمند وحاصروا نوقيسارية (٣٥٢) وكتب لهم اتراكها رسالة في اليونانية بلسان اهاليها النصارى يقولون : لا

تصدقوا دوالنون فهو يواصل الاتراك برسائله ويحاول ان يغدركم ويدفعكم الى اصحابه . فخاف اليونان وغادروا المدينة وتبعهم الاتراك وفتكوا باين اخت الملك . فسخط الملك وحشد جيوشاً ضخمة وسار الى حدود الاتراك وترك المعجلات وانقالها . وجعل اليونان ينهبون ويحرقون القرى التركية وهي خالية من الناس والزاد . على ان الرجالة الاتراك خرقوا الجبال والادوية العيقة ووصلوا الى معسكر اليونان ونهبوا ما به واحرقوا عجلاتهم وجعلوا يدحرجون من قم الجبال حجاراً ضخمة سحقتهم هم وخيلهم . وعند الليل ارسل الملك الى السلطان سفيراً يطلب الصلح . فلبى طلبه ولا سيما لانه هو كذلك كان خائفاً . ثم اقام ثلاثة امراء اتراكاً سيدهم في خدمة الملك حتى وصل الى حدود بلاده . وكان مع اليونان كثير من الكنائس (النقاله) والصلبان والحلل في جملتها صليب يشتمل على قطعة من عود الصليب انتهبها الاتراك جميعها ثم ارسل الملك الى السلطان ذهاباً وافراً واسترجع عود الصليب .

وفي هذه السنة مات نجم الدين صاحب ماردن واستغرق ملكه اثنتين وعشرين سنة وعامل النصارى وكنائسهم واديارهم خير معاملة وخلفه ابنه قطب الدين فتحرش بعينه صاحب حاني وصاحب دارا ثم صالحها واقبل اليه طائعين . ولما ذاع خبر موته سارع المعديون ليغزوا بلده فاستجمع قواه ووثب اليهم وفتك بألف منهم وانتزع منهم (٣٥٣) اثني عشر الف جمل وانهمز من بقي منهم . وفي السنة ٥٧٢ للعرب (١١٧٦ م) شخص صلاح الدين ثانية الى حلب فتذلل له الصالح صاحبها وطلب المودعة اذ تعذر عليه ان يقاومه . فارتضى وابرم صلحاً عاماً مع حلب والموصل وارمينية الصغرى . ثم وجه اليه الصالح اخته الصغيرة فطلبت منه عزاز فأجاب الى طلبها . وبعد هذا غادر حلب الى دمشق واقترن بعصمة الدين امرأة نورالدين وقلد اخاه شمس الدين تورانشاه امور دمشق وعاد الى مصر وابنتى سوراً واحداً يحدق بمدينتي مصر والقاهرة وشاد قلعة فوق الجبل المتوسط .

وفي السنة ٥٧٣ للعرب (١١٧٧ م) وهي السنة ١٤٨٩ لليونان (١١٧٨ م) زحف صلاح الدين في جيوش كثيفة الى عسقلان وغزا واستأسر وسفك دماً .

كثيرين من النصارى . فذعر الفرنج وكان ملكهم في اورشليم مبتلى بداء الجذام فقتلوا واجتمع بجنوده والمحدر عن حصانه وخر على وجهه امام الصليب المقدس وجعل يبكي فتأثرت قلوب الجنود واقسموا انهم يحاربون ويجاهدون حتى النهاية . بناء عليه أغمضوا هنيهة حتى توغل الاتراك في الضواحي وانهمكوا في الغزو وكفوا عن استئناف القتال معتقدين ان الفرنج ضعفاء . اما الفرنج فرحفوا اليهم وادركوهم وهم يعبرون النهر . وارسل الرب عاصفة شديدة جرفت الرمال من ناحية الفرنج على الاتراك وأعمتهم . ووضع الفرنج فيهم السيف فقتلوا وضلوا وتاهوا في الصحراء القفراء . ولحقهم الفرنج خمسة ايام وهم يفلونهم ويجمعونهم طائفة طائفة ويوتقونهم ويقتلونهم وقد افلت صلاح الدين مع قليلين الى القاهرة . قال المؤرخ : شهدت (٣٥٤) حاملي البشري راكبين وسحمت المنادين ينادون في شوارع مصر ان السلطان انتصر والفرنج انكسروا فبادرت لاستخبرهم عن كيفية الانتصار فقالوا : افرحوا وابتهجوا لان السلطان سالم . فعرفت ان البشري كانت عكس الواقع .

وفي هذه السنة تم الصلح بين قلعج ارسلان ومنوئيل ملك اليونان وأقبل قلعج ارسلان الى ملطية وشدد عليها اربعة اشهر ولم يدخلها وأمر جنوده فابتنوا لهم بيوتاً من لبن ليشبوا بها وشادوا له بيوتاً واسعة بججارة نقلوها من المقابر . اما امير المدينة وهو من عشيرة دنشمند فخاف ان يتفق الزعماء محتجين بالغلا . ويسلوه المدينة فأرسل الى السلطان في الأمان وسار الى حصن زياد . فاحتل السلطان ملطية يوم الاربعاء ٢٥ تشرين الاول ١٤٨٩ لليونان (١١٢٨ م) .

وفي السنة التالية اتفق الفرنج قاطبة مع الملك بغدوين وابتنوا مدينة على شاطئ الاردن في مكان يقال له ممبر يعقوب كي يضايقوا دمشق .

وسار صلاح الدين من مصر الى بعلبك بسبب خروج حاكمها عليه وشدد عليه الحصار حتى طلب الهدنة وسلمه المدينة . ثم انقلب الى فلسطين فثار الفرنج وهزموه وغزوا نواحي العرب وانصرفوا . واذ كانوا مطمئنين هادئين كأنهم احرزوا النصر باغتتهم كمناء العرب واعتقلوا منهم نحو مائة محارب وقبضوا على رئيس الفرير . ثم توجه صلاح الدين الى المدينة التي احدها الفرنج وامتلكها

وكان فيها خمسمائة من الاخوة الفرير فلما شاهدوا العرب قد تغلبوا عليهم ألقى البعض بنفوسهم في النار فاحترقوا والبعض في نهر (٣٥٥) الاردن فاختنقوا والبعض على الصخور فترصصوا وقضوا . وحصدت البقية سيوف العرب .

وفي السنة ١٤٩١ لليونان (١١٨٠ م) وعك منوئيل ملك اليونان ولما شعر بدنو الاجل انتطع الى احد الاديار ووضع التاج لابنه ألكس وبايه . وجعل امرأته وهي والدته ألكس راهبةً واناط بها خزائن الدولة . ونصب اثني عشر زعيماً ليشرّفوا على تدبير الجيوش . غير ان الملكة الراهبة ارتكبت القبيح مع واحد من اولئك الزعماء الاثني عشر وحاول سائر الزعماء ان يخلعوا ابنها ويقيموا ابنة منوئيل وهي من امرأته الاولى بدلاً منها ويبايعوا زوجها بالملكة ولكنهم لم يتوقفوا . وما عم ان ظهرت المكيدة وخاف الزعماء وانهمزوا الى الكنيسة الكبرى والتحم القتال ضمن المدينة سبعة ايام وسفكت الدماء . وصوب احزاب الملك المنجنيقات نحو كنيسة اجيا صوفيا . وسار ثودوسيوس البطريرك وقابل الملك وامه فأقما له انها لن يؤذيا احداً ممن هو ضمن الكنيسة فخرج جميعهم مطمئنين . لكن الملك وامه خرقا الايمان وسملا عيون الزعماء الاحد عشر وقتلا احزابهم . فامتعض البطريرك وأبرم الحرم على المدينة جمعاً . وغادرها الى دير قريب وألقى قرع النواقيس والصلاة تسعة شهور وجعلوا يشيرون الموتي ويدفنونهم دون صلاة .

وفي تلك السنة وجه السلطان قلع ارسلان جيشاً الى رعبان فوثب اليه جنود دمشق وهزموه الى قبدوقية . وكان ذلك الجيش منجداً في محاربة الفرنج . وفي هذه السنة وهي السنة ٥٧٥ للعرب (١١٧٩ م) مات الخليفة المستضي . وخلفه ابنه الناصر .

بعد المستضيء الناصر ابنه

تولى سبعا واربعين سنة . ولما بويع بالخلافة قبض على الوزير ابن الطار وزجه في السجن وأوثقه وانتزع كل ما له . ووقعت وفاته ليلة الاربعاء ١٢ ذي القعدة (٣٥٦) ولما شيعوه ثار البغداديون وطرحوه عن كتف حماله

وفسخوه وشدوا في ذكره حبلاً وسحبوه في البلد ووضع الصبيان بيده مفرفة وهم يقولون : وقع لنا يا مولانا. وظلوا يسخرون به حتى اقبل الاتراك ونقلوه ودفنوه . وحدث في تلك السنة غلاء فظيع ووبا. قتال شل الارض كلها .

وفي السنة ١٤٩٢ لليونان وهي السنة ٥٢٦ للعرب (١١٨١م) زحف صلاح الدين ليناوش السلطان قلعج ارسلان بسبب صهره نور الدين بن قرا ارسلان بن داود بن ارتقى صاحب حصن كيفا . وكان هذا يسي . معاملة زوجته وهي ابنة السلطان ولا يراعي حقوق الزواج فأرسل يتهدده . فاستنجد بصلاح الدين فكتب الى السلطان يسأله ان يغفر لصهره فأبى . فاتفق صلاح الدين مع الفرنج الذين في ساحل البحر وحشد الجنود وسار يريد حلب وحل في برج قرا حصار عند نهر الازرق بين الحصن وحصن منصور . ثم زحف الى نهر كوكسو واقبل اليه نور الدين فرحب به وأمنه . وبعد هذا ارسل السلطان سفيراً الى صلاح الدين وجرت المصالحة بعد ما استخلف نور الدين ان يعيش مع امراته عيشة مرضية ويحترمها احترام ابن لابيه . وارتحل صلاح الدين من هناك الى النهر الاسود ودخل جنوده ليغزوا ضواحي قيليقية وكان روفين صاحبها قد فتك بمجاعة من الرعاة التركمان وسبي نساءهم واولادهم وهواشيهم . فارسل روفين كتاب خضوع وتذلل الى صلاح الدين في ذهب وافر وأعتق خمائة من الاسرى (٣٥) الاتراك وبعد ما عقدا الصلح سافر صلاح الدين وعاد قلعج ارسلان الى ملطية ورسم سورها .

وفي تلك الغزوة سرح البرنس صاحب انطاكية امراته اليونانية الشرعية واتخذ امرأة زانية . فحرم البطريرك الانطاكي القسيس الذي صلى عليها وحم المدينة كلها وألقى قرع النواقيس والصلوات . فسخط البرنس ونهب كنائس الفرنج واديارهم بأسرها . واذ ذاك وافى بطريرك اورشليم مع القمامصة وصالحوه ووافقوا على اقتراحه بالمرأة الغير الشرعية^(١) ورد كل ما سلبه من الكنائس والاديار .

(١) لم يوافق البطريرك والقمامصة على الزواج الثاني بل تركوه مقيداً بالحرم بسببه . واكتفى البطريرك بالغناء حرمه للمدينة لا غير .

وفي تلك السنة مات سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل . وكان مدمناً الرغد والرفاهية ومعاقرة الحرة . وعاش المواصلة في ايامه عيشة اطمئنان وخصب . وخلفه اخوه عز الدين مسعود ودُعي ابا الفتح ومار سيرة وفتة منتظمة . اما صلاح الدين فسار الى دمشق وغادرها الى مصر وانجز بنيان قلعة القاهرة . ومات اخوه شمس الدولة في الاسكندرية .

وفي السنة ٥٧٧ هـ للعرب (١١٨١ م) مرض الملك الصالح اسمعيل صاحب حلب ولما شعر بدنو الاجل ارسل الى ابن عمه عز الدين مسعود يحثه ليسارع ويتولى مكانه قبل قدوم صلاح الدين . واجتمع بالزعماء . واستحلفهم في ذلك ومات . قيل ان احد العبيد سقاه سماً في عنقود عنب وقيل بل مات بداء المفاصل . وقد بكاه الحلبيون (٣٥٨) والياروقيون القاطنون في ضواحي حلب . وارسل هولاء الى عماد الدين زنكي صاحب سنجار يستدعونه ليسلموه المدينة . لكن الحلبيين ارسلوا يتهددونه لينصرف عنهم والّا فهم مستعدون ان يعقلوه ويسئوا معاملته . فلم يروا الا الرحيل عنهم وعندئذ وصل عز الدين مسعود من الموصل وقصد القلعة واحتلها واقربن بام الملك الصالح وارسلها الى الموصل . ثم فتح الخزائن وهي مملوءة منذ عهد نور الدين وزنكي اموالاً وافرة وارسلها بأجمعها الى الموصل . وعقد هدنة مع بوهيمند البرنس صاحب انطاكية لمدة سنتين وترك في قلعة حلب ابنه نور الدين الصغير واقام له وصياً وتوجه الى مرج قرا حصار وبعث سفيراً الى اخيه عماد الدين صاحب سنجار وكان قد غادرها في عياله وابنائهم واهله الى قرقيسيا معولاً على الاستغاثة بصلاح الدين ليساعده ويعيد اليه مملكة ابيه . فقال للسفير اني لن ارجع ما لم يعطني حلب او الموصل او ما بين النهرين . ووافق عز الدين على ان يوليه حلب فقط ويقيم ابنه في قلعتها . فلم يوافق عماد الدين محتجاً بانه لا يرضى ان يكون تحت طاعة ابنه في حلب . فأضاف عز الدين الى ذلك عربان والمجدل وغيرها من بلاد الخابور فلم يرض عماد الدين . عند ذلك اشار الزعماء بان يعطيه حلب وقلعتها ولا يناهضه بها لا يتيسر له ان يصونه من صلاح الدين . ثم قالوا له : انك لم تترك شيئاً في حلب وقد نقلت ثروتها جميعها الى الموصل واخيراً اتفق الاخوان واستولى عماد الدين

على حلب وضواحيها وترك سنجار والموصل لغزّ الدين .
 وفي تلك السنة سارت سفن كبيرة من سفن الفرنج الى دمياط وهم في
 مودعة مع العرب (٣٥٩) لكن العرب غدروا بهم واعتقلوا الفين وخمسمائة من
 تجارهم وملاحيم محتجين بانتهاء مدة الهدنة . ولذا خرج الفرنج الى مدينة
 ايلة على ساحل البحر الاحمر واعدوا سفناً كثيرة ومراكب وساروا في اماكن
 لم تسر فيها سفن افرنجية قطعاً واصلاً واحتلوا كثيراً من سفن العرب وهي
 موسقة امراً وذخائر وافرة وفتكوا بجواهر من اهالي عيذاب وسير صلاح الدين
 من الاسكندرية سفناً في احمال جمال في البحر ادركت سفن الفرنج وقتل
 الكثيرون من الجهتين .

وفي السنة ١٤٩٤ لليونان (١١٨٣م) احتال اندرونيقوس الزعيم اليوناني
 الذي سبق الملك منوئيل فطرده من العاصمة فأغوى الكس الفتي وانه وعاد الى
 قسطنطينية يتظاهر بالطاعة . وما عم ان زج في البحر ام الفتي وابنتها وصهرها
 وقتك سراً بالفتي الكس . وقتل اكثر من الف زعيم واحرقهم وسمل عيون
 بعضهم . وحمل هذا الشيخ النجس على امرأة الكس واغتصبها ونفى الفرنج من
 العاصمة . ولما انصرف هولاء احرقوا اربعة عشر الفا من اديار وقرى بلاد
 اليونان . وبعد ذلك اقبل ملك صقلية واجتاح مدناً شتى يونانية واخلاها من السكان .

وفي السنة ٥٢٨ للعرب (١١٨٢م) زحف صلاح الدين من مصر الى دمشق
 والى حلب وحاول ان يحتلها . لكن الزعماء اشاروا عليه ان يعبر الفرات اولاً
 ويحتل مدن ما بين النهرين وآثر ثم يعود الى حلب ويمتلكها بسهولة . فاقنع
 وعبر الفرات ومرّ بالرها وحران واحتلها واحتل الرقة ووصل الى عربان فدفع
 اليه حراسها المقاتيح فتولاها وتولى بلدة ماكسين . وعامل بالحسنى اهالي
 الخابور وسار (٣٦٠) الى نصيبين وتهيأ اصحابها لمبارزته فوضع هناك جيشاً
 صدهم عن العدو والرواح فتضايقوا وسلموه المدينة . وسار الى الموصل وحاصرها
 من جهاتها كلها . فأرسل عزّ الدين صاحبها الى خليفة بغداد يسأله ان يتوسط
 في الصلح بينه وبين صلاح الدين فلبى طلبه وأرسل سفيراً في ذلك . فطلب
 صلاح الدين ان يؤذي له المواصلة نفقات رحلته او يتخلوا له عن حلب . فقالوا :

ليس عندنا ذهب أما حلب فصاحبها هو عماد الدين وليس في امكاننا ان نعطي ما لا نملك . فتركهم وانطلق الى سنجار ونازلها وانتزعها من شرف الدين بن قطب الدين مودود . ومن هناك اقبل الى دارا وقابله صاحبها صمصام الدين بهرام من بني ارتق وادى له الطاعة فترك له المدينة وعاد الى حران وسرح الجنود ليستريح كل منهم مدة الشتاء وصوم العرب وعيدهم وظل هو هناك مع القليلين . وتخوف الموصل ان يعود اليهم صلاح الدين في الربيع ويحتل مدينتهم كما احتل سنجار فأرسلوا الى شهرامان صاحب خلاط يستنجدونهم فلبى طلبهم مجوداً واتفق مع ابن اخته قطب الدين ايلغازي بن ألي بن تيمورباش صاحب ماردين خال عز الدين صاحب الموصل . واحتشد الماردينيون والموصليون والخلاطيون في البارية وجاءهم كذلك الف وسبعمائة فارس من الياورقين المجاورين لحلب وتأهبوا قاطبة لمناوشة صلاح الدين . فلما سمع باحتشادهم ملكته الرعدة فأرسل يستعجل جيوشه ليوافوا اليه فاجتمعوا في مدة ثمانية ايام قادمين من حماة وحمص وما بين النهرين (٣٦١) وجاء كذلك ابن قرا ارسلان من حصن كيفا . ولما رأى شهرامان تأهب اصحاب صلاح الدين للقتال وضعف الذين معه قال لصاحبي الموصل وماردين : لقد اقبل الشتاء . ولست أرى فائدة من الحرب فالأحرى ان يعود كل منا الى بلده ثم نجتمع في الربيع ثانية . هكذا تفرقوا وتشتتوا دون جدوى . ثم ارسل صلاح الدين الى الخليفة يخبره بما صنع الموصلية وانهم هم الذين يتجرشون به وحصل منه الأمر لينازل آمد .

وفي محرم ٥٧١ لله للعرب وايار ١٢٩٤ للموتان (١١٨٣ م) احتل صلاح الدين آمد بعد حصار شديد . وكان صاحبها ابن نيسان يقاتل الاعداء قتالاً عنيفاً . غير ان الأمديين اغضوا عنه . وسبب ذلك انه لما ازدحم اصحاب صلاح الدين ما بين سورى المدينة انقض عليهم الاهالي وضغطوهم هناك وقتلوهم وكتب صلاح الدين على الرايات عبارة تهديد قاس واقسام مغلظة بانه لن يجيد عن المدينة ما لم يحتأها ويحرقهم جميعاً ان رفضوا تسليمها . فخافوا وارتمت عزائمهم وارتعب ابن نيسان وطلب الامان له ولاهله وامواله . فامهله صلاح الدين ثلاثة ايام ريثما ينقل ما شا . نقله . ثم دخل المدينة . وقد نقل ابن نيسان ما نقل

من ذهب وفضة وحجار كريمة وآنية . قيل انه لم يتيسر له ان ينقل عشرَ
امواله في تلك الايام الثلاثة اذ كانت كثيرة جداً . وبعد ما احتل صلاح الدين
المدينة ولى عليها نور الدين بن قرا ارسلان مع كل ما بها . فقيل له : انك
انما وعدته بالمدينة لا بكل ما بها بما ينيف على ثلاثة آلاف دينار . فقال
صلاح الدين (٣٦٢) : لا يحمل بنا ان نعطي صديقنا مدينة فارغة . قيل انهم
عثروا في احد ابراجها على مائة الف شعبة وكان في مكتبتها الف الف واربعون
الف مجلد اعطاها صلاح الدين للقاضي الفاضل كاتبه . وايد ابن قرا ارسلان
في ولايته وحلف له وعبر الفرات الى عينتاب واطاعه صاحبها نصير الدين بن
كمرتكين ثم غادرها الى حلب وحاصرها . وكان عماد الدين صاحبها قد
تسلّمها فارغة حتى انه لم يبق له ما يقوم بحاجات جنوده ولم يحصل على شيء
من الحلبيين ومن اهالي ضواحيها . ولما قال لاحد الزعماء ان ليس عندي ما
اؤديه لك قال له الزعيم : بيع حلي امرأتك واعط المحاربين ان شئت ان
تكون ملكاً . وأفضى به العوز الى حد ان الاهالي كثروا يقدمون الطعام يوماً
فيوماً له ولاهل بيته . ذلك ما حمل الزعماء والجنود على ترك الحرب بخلاف
الاهالي فنزلوا يواصلونها

ولما تعذر على صلاح الدين احتلال حلب عنوة شاور زعماءها سراً واستألمهم
بالعطاء . فاشاروا على عماد الدين بالتسليم والاكتفاء . بما كن اخرى ذلك لتلا
ياخذها غيره ويبقى هو دون شيء . ثم قالوا له : هل تظن ان العامة تدافع
عنك وتكتفي برزقها . وقد نفذت الاقوات ولم يبق عندك ما تعطيهم ؟ تبصر
اذن في ما يجب ان تصنعه . ارتضى عماد الدين بما اشاروا وارسل الى صلاح الدين
يطلب سنجار ونصيبين والحابور والرقة بدلاً من حلب . فلبى طلبه وكتبها له
وارسل اليه الصك موقفاً بخط يده وحلف له انه يتخلى له عنها بأجمعها . ولما
سمع (٣٦٣) الحلبيون ذلك شملهم الكمد واحتشدوا عند القلعة وجعلوا
يشتمونه . وعلقوا امامه طستاً ورداء وصاحوا قائلين : تبا لك من خنتي الا
يصلح لك الا غسل الاواني . وكان ينظر اليهم من الشرفة ويسمع شتمهم .
وليلة ١٨ صفر من تلك السنة انحدر عماد الدين من القلعة وخرج الى خيمة

أعدت له وتسلمها صلاح الدين مع المدينة. وتوجه عماد الدين الى سنجار وتولاهها مع البلاد المذكورة . على ان صلاح الدين سراً باحتلاله حلب اكثر من سائر المدن التي احتلها . قيل انه لما كان ماراً بدرجات القلعة كثر ما ورد في القرآن نقلاً عما كتبه دانيال النبي فقال : « ان العلي يتسلط على مُلك البشر ويجعل له من يشاء . » (دانيال ٤ : ٢٩) . ثم التفت وقال لمن معه من الرعاء : الآن عرفت ان الملك استتب لي . صدقوني اني لم احسد نور الدين المتوفى الا على حلب ولم اشتع سواها . وبعدهما احتلها صلاح الدين ألغى جبايات جنة ونقص الضرائب ووزع اموالاً طائلة بلغ مجموعها ثمانمائة وخمسين الف دينار .

وأصيب في هذه المعركة تاج الملوك بوري اخو صلاح الدين الصغير ووعك أياماً ومات . ولما عاده اخوه قال له : ينبغي ان تفرح وتبتهج لاننا ملكنا حلب وهي لك منذ الآن . فقال له تاج الملوك : ان السيادة انما تفيد الاحياء لا المدنفين مثلي . كن على ثقة بانك ملكها بأمان غالية اذ ضيقت اذاك بامتلاكك اياها . وكان تاج الملوك هذا منجداً في الحروب . فبكى صلاح الدين وبكى معه الحاضرون بكاءً مراراً *مراحمية كويتية علوم رسيدي*

وحاول صاحب حارم يومئذ ان يبيع بلدته من الفرنج وشعر الحراس بما انتوى . ولما خرج يوماً الى التتزه وعاد اغلقوا الابواب في وجهه (٣٦٤) وكتبوا الى صلاح الدين ليأتي ويحتل المدينة . فأرسل لذلك ابن اخيه وابن عته لكنهم بعثوا يطلبون حضوره بذاته فلأني طلبهم وانطلق وملك البلد واجزل لهم العطاء وأخرجهم من القلعة ولم يتعد على صاحبها لان الرعاء دافعوا عنه وقالوا ان الحراس خدعوه .

واقام صلاح الدين ابنه الملك الظاهر في قلعة حاب وعاد الى دمشق ومنها سار في جيوشه الى قلعة الكرك وحاصرها حصاراً شديداً . فاحتشد الفرنج واعتزموا الهجوم فشر صلاح الدين وانقلب الى دمشق . واقبل اليه اخوه الملك العادل من مصر في ذهب كثير فولاه حلب وملحقاتها من رعبان وسواحل الفرات حتى حماة . ولما دخل العادل قلعة حلب غادرها الظاهر بن صلاح الدين بعد ما اقام بها ستة أشهر وعاد الى ابيه .

وفي السنة ٥٨٠ للعرب (١١٨٤ م) أعد صلاح الدين العدة ليؤخف الى الكرك وأرسل فاستدعى نور الدين من حصن كيفا والعاذل اخاه من حلب وقي الدين من مصر واحتشدوا جميعاً هناك . واحتشد الفرنج كذلك فتخوف صلاح الدين وامر ان يحرقوا المنجنيقات ويتركوا الكرك فانتقلوا الى بلد السامرة وغزوه .

اما البرنس أرناط^(١) صاحب الكرك فقد حصنها تحصيناً متيناً . وسار البرنس صاحب انطاكية الى حارم في مائتي فارس وغزا ضواحيها وقتك بالكثيرين من العرب وهم مجتمعون في جسر الحديد ووثب الى الكمنا بالجيل وهم اربعمائة راجل وعشرون فارساً وأجهز عليهم كافة .

وفي تلك السنة مات قطب الدين ايلغازي بن نجم الدين الي بن تيمورطاش ابن ايلغازي بن (٣٦٥) أرتق صاحب ماردين وخلفه حسام الدين يولق ارسلان وهو بعد فتي . واقام طاهر الدين شهرامان خاله وصياً له اسمه نظام الدين . واقترن نظام الدين بام الفتي وساس الملكة خير سياسة . ثم مات الفتي وله اخ اصغر منه اسمه قطب الدين باسم ابيه فجعله نظام الدين مكان اخيه . واصبحت السياسة بيده ويد عبده لؤلؤ . ولما نما الفتي وعرف انه متول بالاسم لا بالفعل عاد يوماً نظام الدين وهو مريض ولما خرج من عنده سار معه لؤلؤ الى الباب كرماناً له . فوصلا الى مكان ضيق واستل قطب الدين السكين وضرب لؤلؤ وقتك به وانقلب الى نظام الدين وهو مضطجع في فراشه فأجهز عليه كذلك . واخذ الرأسين وألقاهما الى الزحما من القلعة . وما ان شاهدهما حتى ملكهم الرعب واذعنوا له بالطاعة واستغرقت وصاية نظام الدين عشرين سنة وتم قتله في السنة ٦٠١ للعرب (١٢٠٤ م) .

وفي السنة ٥٨١ للعرب (١١٨٥ م) سار صلاح الدين الى حلب ثم عبر الفرات الى الرها وانتزعها من مظفر الدين بن زين الدين صاحبها . واستأنف السير الى راس العين ودارا وجاء الى زيارته عماد الدين بن قرا ارسلان بدلاً

(١) هو ارنادس رونود .

من اخيه نور الدين الذي كان مريضاً ، ومن هناك سار صلاح الدين الى مدينة بُلْد ثم الى الموصل واقبل اليه صاحب اربيل زين الدين بن علي كوجاك . وكان مظفر الدين صاحب حران مع صلاح الدين . ولما ضايق صلاح الدين الموصل خرجت اليه ام عز الدين صاحبها وهي ابنة ارتق وخرجت معها بنت نورالدين ابن زنكي وتوسلتا اليه ان يترك المدينة لعز الدين متذكراً (٣٦٦) الايام القديمة وعوارف آل زنكي وبكتا امامه وتشببتا بأذياله فلم يكثرث لهما . فتركناه وانقلبتا خائبتين . فهاج المواصلة عند ذلك وماجوا كباراً وصغاراً وهم يعربون عن ولائهم لآل زنكي وتصاققوا على احتلال الأسوار وعلى الجهاد في القتال . وجعلوا يستحقرون صلاح الدين بكونه غامطاً لمعروف مواليه . فلم يد صلاح الدين إلا ان يترك الموصل ويتوجه الى خلاط وقد بلغه ان صاحبها شاه ارمن مات وناب منابه بكتمر عبده وأحسن الى الخلاطين واحبهم واحبوه حباً جماً . ولما سمع ان البهلوان بن ايلدكر سلطان العجم قادم ارسل الى صلاح الدين يستنجده فيسلمه المدينة . فسار اليه ورآه متحصناً فلم يخرج الى لقائه . ثم وصل شمس الدين البهلوان من العجم وحل في الجانب الآخر من المدينة واستعد ليحاربها . لكن الزعماء قاتوا له : اذا ضايقت بكتمر ومال الى صلاح الدين فلن يتيسر لك ان ترتاح او تنجح . بناء عليه ارسل البهلوان الى بكتمر وطيب قلبه وزف اليه ابنة من ذويه وتركه وانصرف .

ولما رأى صلاح الدين ان الخلاطين والعجم قد اتفقوا انقلب الى ميافرقين وكان صاحبها قطب الدين ملك ماردن قد مات وتولاها ابنه الفتى كما ذكرنا . فحاصر صلاح الدين المدينة وكان قائدها اسد الدين بريس وكانت خاتون امرأة قطب الدين صاحب ماردن كذلك هناك مع بناتها فاخذت تحمس المحاربين وتشجعهم . ولما طالت الحرب (٣٦٧) ارسل صلاح الدين يلقى المرأة ويعدها بأخذ احدي بناتها زوجة لابنه . فارتضت وسأته ان يتخلى لها عن قلعة الهتاخ ثم سلمته المدينة وارتملت الى تلك القلعة .

واقبل كذلك قطب الدين سقمان بن نورالدين بن قرا ارسلان صاحب آمد الى زيارة صلاح الدين فرحب به أجمل ترحيب ثم عاد الى مدينته . وبعد هذا

غادر صلاح الدين ميافرقين الى ساحل نهر قرمان والى كفر زمار على ساحل دجلة .

اما المواصلة فتضايقوا جداً وارسلوا تكراراً المرأتين المذكورتين الى صلاح الدين يتوسلون اليه في الصلح والمواعدة . وتوسط بين الفريقين عماد الدين صاحب سنجار . ونحلى عز الدين صاحب الموصل لصلاح الدين عن شهرزور وعن الزابيين وبيت وازيق وساثر الشرق وارضى ان يُخطب له وان تضرب الدراهم والدنانير باسمه . وبناء على ذلك عُقد الصلح ما بينها . وانقلب صلاح الدين الى حران ومرض هناك وادنف ثم تعافى وكان معه ابن عمه ناصر الدين ابن اسد الدين شيركوه فغلب على ظنه ان صلاح الدين يموت لا محالة فتركه وعاد الى حمص مدينته واجتمع بالشبان واستحلفهم فقرروا بانه متى مات صلاح الدين يتفقون على ان يئلفه هر في الملك . وقد شاء الله تعالى فتعافى صلاح الدين ومات ناصر الدين وتوجه صلاح الدين الى حمص واحتوى على كل ما كان له وولى مكانه ابنه الفتي الملك المجاهد . قيل انه بعد سنة زار هذا الفتي صلاح الدين فسأله : الى اين وصلت من القرآن ؟ فقال الفتي الى الآية : ان آكلي اموال اليتامى انما يأكلون تاراً في بطنهم . فدهش صلاح الدين واتى على ذكائه وقال : ان كان هذا الفتي قد فهم ما قال لزم ان يخافه .

وفي السنة ١٤٩٦ للهيولان (١١٨٥ م) تحقّر (٣٠٨) اندرونيقس الطاغية ليفتك باسحق الذي بقي من اسرة منوئيل الملكة فتحصن اسحق في داره وارسل اندرونيقس قائد العسكر في طلبه . فما كان من اسحق الا ان استلّ السيف وأجهز عليه ثم امتطى حصانه وخرج يريد الكنيسة الكبرى والسيف بيده مخضباً بالدم وهو يصرخ ويولول . فتبعه ريوات الاهالي وانضم اليهم جمهور من الزعماء المناوئين للطاغية . ودخلوا الكنيسة واضطروا البطريرك فتوج اسحق ملكاً . وما ان سمع اندرونيقس حتى فر من البلاط يريد الهزيمة بجرأ . فادركه وردوه الى العاصمة واخذوا يقطعونه بالسكاكين وينهشونه وينكّلون به أشد التنكيل ثم احرقوه على مرأى من الجماهير .

وفي هذه السنة اشتدّ داء الجذام على بغداديين ملك اورشليم فاستودع

المملكة لابن اخته الصغير بغدوين (الخامس) وما عم ان توفاه الله تعالى .
وفي السنة ٥٨٢ هـ للعرب (١١٨٦ م) تعافى صلاح الدين وغادر حران الى
حلب وحمص واستيقن ان ناصر الدين ابن اخيه شمس الدولة قد مات فانزع
قلعة حمص من ابنه . ولقي فيها مواد وافرة ثم سار الى دمشق . وانقلب فاخذ
حلب من العادل اخيه واعطاها لابنه الملك الظاهر واعطى دمشق لابنه الثاني
الملك الافضل . واعطى مصر لابنه الملك العزيز وبعثه اليها مع العادل اخيه .
وكان تقي الدين ابن اخيه هناك فلما سمع ان مصر انتزعت من يده ارتاب
واستعد للذهاب الى افريقية . غير ان صلاح الدين ارسل يلاطفه واستدعاه اليه
وطيب خاطره وذكر له انه انما يرغب اقامته لديه طمعا بقوته . وولاه حماة
والمعرة وسلامية ومنبج وقلعة نجم واطاف اليها ميافرقين (٣٦٩) . وارسل
فاستحضر ابنه الملك المنصور من مصر مع جيوشه . غير ان مملوكه بوزباه ابي
التقدم اليه وانطلق الى المغرب وملك افريقية .

وفي السنة ١٤٩٧ للهونان (١١٨٦ م) كان اجتمع الكواكب السيارة
الستة في برج الميزان سوى زحل فقد كان على شكلين في ١٤ ايلول و٢٩
جمادى الآخرة . وسبق المنجمون فقضوا انه سيحدث طوفان عمومي في ربيع
شديدة ويهلك البشر قاطبة . ويكون مثله مثل طوفان نوح اذ اجتمعت
الكواكب في برج الاسماك واغرقت المياه الارض كلها ؛ وقد صدق قلعج
ارسلان سلطان قونية ذلك الزعم اكثر من كل الناس وانفق مبالغ طائلة في
حفر سراديب في قلب الارض وابتناء بيوت محكمة عميقة . غير ان الله سبحانه
وتعالى كذب زعم المنجمين . ولما كان ذلك اليوم المحدود وقد اعتصم الكثيرون
بالسراديب والمغاور لاح الجو صافياً نقياً والهدوء سائداً اكثر من سائر الايام
ولم يحدث الا كسوف اعتيادي في الشمس . وسقط المنجمون من عيون الملوك
والعامة بسبب كذب رأيهم . وان منجماً من مشاهيرهم كان يقول : ان المنجمين
غير صادقين في زعمهم . فاستدعاه السلطان واستخبره فأكد له قوله بتوقيعه
وامضائه مصرحاً بانه لن يحدث ما يدعيه المنجمون ولن يصاب احدٌ بأذى .
ولما تحقق كلامه استفسره السلطان وقال له : كيف عرفت ذلك ؟ فقال اني لم

أقل ما قلته استناداً الى علم التنجيم غير اني عرفت انه اذا حدث الطوفان فلن ابقى انا ولا يبقى من يلومني . واذا لم يحدث اكون قد رجحت الجائزة وقد رجحتها . فضحك السلطان وجاد عليه وأطلقه .

وفي تلك الغضون عقد البرنس صاحب انطاكية الصلح مع صلاح الدين وقبض بالحيلة على روفين صاحب قيليقية واوثقه بسلاسل حديدية واعتقله . وحشد الجنود وزحف الى بلاده فناهضة لاون مناهضة البطل وردّه الى بلاده خازياً . وبعد هذا (٣٧٠) دفع له الارمن ثلاثين الف دينار مع المصيصة وادنة فأطلق روفين . غير ان روفين انقلب فاسترجع المدينتين فسخط البرنس وجعل يبعث ويغزو بلاد قيليقية جميعها .

وفي تلك الاثنا . قُتل البهلوان سلطان العجم وحدثت معامع طاحنة بسبب ذلك . وتحرش الاكراد والتركمان كذلك في اطراف نصيبين . ذلك ان تركمانياً ذهب فتزوج بتركمانية من غير عشيرته . ولما مر اهالي العرس بجصن من حصون الاكراد ببلد زوزان وقف الاكراد في طريقهم وطلبوا منهم وليمة العرس . واختلف التركمان في ذلك فشد عليهم الاكراد وخطفوا العروس وعادوا الى حصنهم . ومن ثم حصل قتال شديد وقطعت الطرق ونُهبت البضائع وقُتل من كلتا الجهتين زهاء عشرة الاف نسمة . ثم احتشد ثلاثون الف كردي او اكثر ونازلوا التركمان بجانب الحابور فانكسر الاكراد وسقط قتلاهم منذ شواطئ الحابور حتى نصيبين . ثم تبارز الفريقان ثانية بضواحي الموصل وانكسر الاكراد كذلك . واغار التركمان على الاكراد غير مرة وشدوا عليهم حتى هزمهم الى قيليقية وانحنوا في الرجال والنساء والفتيان . هكذا أفنى التركمان الاكراد من سورية وما بين النهرين وتوغلوا في ارمينية وقبضوا على ستة وعشرين الفاً من الارمن واستاقوهم عبيداً وباعوهم . واحرقوا دير كرايد الكبير وفتكوا برهبانه . وقتلوا في تلبسم مائة وسبعين رجلاً سريانياً . واجهزوا على مائتي شاب سرياني من حملة السلاح في قرية أمرون ببلد قلودية التابعة للمطية . واحدثوا معامع حجة في قبدوقية وماطية بأسرها . والتحم القتال كذلك بين العرب والاسميلييين وبتش بعضهم ببعض بطشاً ذريعاً .

وفي تلك السنة حصل نزاع بين الفرنج . ذلك ان صاحب طبرية قبل وفاته سلم ابنه الصغير الى قنص (٣٧١) طرابلس لينهض بتربيته . وما عم ان مات الصبي وافضى الامر الى امه . فكلفت برجل اسمه جي لم يكن من اسرة ملكية واقترنت به وتوجته ملكاً^١ . ومن ثم سخط قنص طرابلس وقصد صلاح الدين وانضم اليه وتشم يحفر الحفائر للملكة طبرية ولسائر النصارى . وفي السنة ٥٨٣ للعرب (١١٨٢ م) رأى صلاح الدين ان البرنس ارتناط نكث اقسامه ونهب قافلة تجار عرب وحشد الجنود وتهايا للحرب فسار الى الكرك في جنوده واكتسح اشجارها واتلف ما حولها من القرى . وغادرها الى شوبك وفعل مثل ذلك . وزحف ابنه الملك الافضل الى طبرية وغزا وبرز الفرنج وناوشوا العرب وكاد يُقضى على العرب قضاء مبرماً لو لم يساعدهم الحلبيون . وبعد هذا عاد الفرنج الى المدينة وساء الافضل ومن معه الى صلاح الدين . ثم اجتمع ملوك الفرنج وزعمائهم وتشاوروا في منازلة العرب . لكن القنص صاحب طرابلس قال لهم : اعلوا يا اخوتي ان في مبارزة صلاح الدين خطراً جسيماً . فقد كان فيما سبق رجلاً كسائر الرجال واصبح اليوم مستولياً على مصر وفلسطين حتى بلاد المشرق . فارى من المفيد ان نعقد معه الصلح ويطمان كل في بلده .

غير ان جي الملك الحديث الذي اقترن بملكة طبرية اعتر بنفسه وقال : لا بد من المبارزة . فقال له القنص : سترى عاقبة غايتك . اما صلاح الدين فاجتمع كذلك بزعمائه وشاورهم (٣٧٢) فقالوا : لا يوافق الان ان تبارز الفرنج وهم في فورة اجتماعهم . فالاجدر ان نضعهم شيئاً فشيئاً حتى اذا اخذوا ينشثون استسهلنا مناوشتهم والبطش بهم . غير ان صلاح الدين لم يوافقهم بل قال لهم : متى يا ترى يجتمع لدي مثل هذا الحشد الففير ؟ فالاجدر ان تشجعوا وتنشددوا وتبارزوا . وما يريد الله تعالى يفعله . قال هذا

(١) هي ابزاييل اخت بندوين الرابع ملك اورشليم ووالدة بندوين الخامس . فلما ترملت اقترنت ببي دي لوسيان . ولما توفي بندوين الرابع والخامس افضت الملكة اليها واصبح زوجها نبي ملكاً على اورشليم لا على طبرية فقط .

وركب واركب جنوده وزحفوا الى الاردن وخطوا رحالهم على شواطىء بحيرة طبرية . واحتشد العرب في صفورية . واقام الصفان اياماً لا يناوش احدهما صاحبه . وبعد هذا وجه صلاح الدين قسماً من جيوشه في طريق مجهولة الى طبرية ليلاً . ولما اصبح وثبوا ودخلوا المدينة ووضعوا فيها السيف والنار . وتحصنت الملكة^(١) في القلعة .

اما جي زوجها فلما سمع الخبر انحلت عزيمته ولكنه تشجع وشجع الفرنج وركبوا جميعاً وانقضوا على العرب . ولما كان المساء اقام الصفان احدهما تجاه الآخر واحبوا الليل كله ساهرين . وغلب العطش على الفرنج لان العرب كانوا محتلين ناحية الاردن وشددوا عزائمهم للمبارزة . ولما اصبحوا وشاهد العرب شجاعة الفرنج وهم يقتحمون اقتحام الدبابير ولا يتقهقرون اضطربوا كل الاضطراب وفشلوا وارتعدت ركبهم . وما ان شاهدهم صلاح الدين على تلك الصورة حتى بادر الى الوسط ووقع فيهم صيحة عظيمة واسمهم كلمت ممزوجة بالمثل والمرارة تارة يشجعهم وطوراً يهددهم . وان شاباً باسلاً اسمه منغوراس وهو مملوك صلاح الدين استبسل وخرج من صفوف العرب وبلغ الى وسط الصفين فادركه شاب فرنجي باسلاً وطعته برمحهم والقاه عن حصانه وانحنى فقبض على ضفيرته وجره نحو صف (٣٧٣) الفرنج واحتر رأسه . ولما شاهده الفرنج تقروا واشتدوا ظانين انه احد ابنا صلاح الدين .

اما قمص طرابلس وكان قلبه مملوءاً غشاً ومكرراً فتخوف ان يجرز الفرنج الغلبة التامة وتعدو مشورته بالمدول عن القتال لاغية فتظاهر كمن يحاول تتبع العرب والبطش بهم . ففتحوا له الطريق ما بين صفوفهم لانهم سبقوا فمرفوا ان قلبه غير مستقيم مع ابنا دينه . وهكذا مر بينهم وتوجه الى طرابلس مدينته . وقد اصبح انهزامه هذا مدعاة كبرى الى انكسار الفرنج ولم يبق بينهم من يثق بصاحبه . غير انهم لم يروا بدءاً من المبارزة فحاضوا ما بين العرب وشلت السيوف ولم يستفيدوا شيئاً اذ قطعوا الرجا . بسبب انهزام القمص . وعند ذلك حمل عليهم العرب حملة شعواء . واوثقوا جي صاحب طبرية^(٢)

(١) لم تكن ايزابيل ملكة اورشليم بل امرأة ريموند قمص طرابلس .

(٢) ملك اورشليم .

والبرنس ارناط صاحب الكرك وجمهوراً من الاخوة الدواوية الاسيتالية^(١) وغيرهم ولم يتمكن من الهزيمة الا القليلون .

ولما نحدث الحرب جلس صلاح الدين في خيمته واجتمع عنده زعماءه وامر باحضار جي زوج الملكة صاحبة طبرية والبرنس ارناط . وابدى الاكرام لحي واجلسه الى جانبه واجلس ارناط كذلك . وكان العطش قد اجهد جي فطلب ماء ليشرب . فامر صلاح الدين فأتوه بماء ممزوج بالثلج فشرب نصفه ودفع النصف الثاني لارناط . فقال له صلاح الدين : لا يجوز ان تسقيه دون امري . قال جي : ان الاعتقال موت فلا تُمته موتين (٣٧٤) . والانكسار قتل فلا تقتله قتلين . فاعجب صلاح الدين بكلامه واعترم ان يغفر عن ارناط لكن الزعما حرضوه على قتله وقالوا : لا يستحق هذا ان يبقى حياً لانه اقسم مراراً وحنث في يمينه . وبعد هذا ارسلها كليهما الى خيمة اعدت لهما . وما مرت ساعة حتى بعث فاحضر ارناط وحده واستل السيف وقتك به بيده^(٢) . وكان ارناط هذا شيخاً منجداً بالحروب ذا بطش وشجاعة فائقة يهاب العرب سطوته . وبعد هذا سار صلاح الدين الى قلعة طبرية ولاطف الملكة واقسم لها وانزلها وبعثها الى طرابلس مع ذوبها وكل ما لها واعطاها بعض عطايا . اما الرهبان الدواوية والاسيتالية وكانوا ثمانين عدداً فقد اعتقلهم ثم فتك بهم . وقد باع الفرسان منهم كل فارس بمجسمائة دينار وقال : ان هؤلاء يفوقون الفرنج كافة في ايقاع الضرر بالعرب ويؤثرون القتل في سبيل ايمانهم فيجب الاجهاز عليهم . ثم اقبل صلاح الدين الى عكة وانهمز الزعما . كافة في البحر الى صور وبقية المساكن فطلبوا الأمان . وعندما احتل عكة احتل كذلك حيفا ونابلس وهي السامرة وتبنين وصيدا وقيسارية ويافا وبيروت والناصرية . ويقصر اللسان عن وصف ما احتمله النصارى القاطنون في اصقاع العرب يومئذ من الاستهزاء والازدراء . اما صاحب جبيل وكان معتقلاً فقد سلمهم المدينة ونجا .

(١) هم رهبان جنود محافظون اصقاع المسيحيين . واسمهم فرير اعني اخوة ويقال لهم دواوية وهبكلينون واسبتاليون اعني مضيقيين وقد صنعوا خيراً عظيماً بضيافتهم .

(٢) قد قُتل ارناط لانه أبى ان يجاهر بالاسلام .

وسار صلاح الدين الى عسقلان وهي حافنة برجال الحرب وحاصرها حصاراً شديداً ولم يقوَ على أخذها فاستدعى صاحب طبرية (ملك اورشليم) وكان معتقلاً عنده وقال له : ان سلمتني عسقلان اطلقت سييلك . فارسل واستدعى اليه حاكمها وامره ان يسأها (٣٧٥) فأبى . فقال للملك للعرب الذين يحرسونه اوثقوه واوثقوا من معه وبعد هذا ارسل الى اهالي المدينة ليسلحوها وينجروا . فاختضعوا له وسأوها .

وعزل اهالي صور كذلك على التسليم غير ان القمص (كوزآد) شخص اليها وتولى حراستها جيداً .

وزحف صلاح الدين من هناك الى اورشليم وحاصرها ونصب منجنيقات ضخمة على سورها في الناحية الشمالية لاتساعها وموافقها لاقامة المحاربين وظل ثلاثة ايام كذلك . ثم اشتد الفرنج وهم ستون الفاً من فرسان ورجالاة وخرجوا الى قتال العرب وفتكوا بكثير منهم في جهلهم عز الدين عيسى صاحب قلعة جعبر وغيره من المشاهير . واذ ذاك اخذ العرب يستعملون قذف السهام ليلها الواقفين في السور حتى تشبث به الحلييون العملة واقتلوا حالاً الحجار ونقبوا ثقباً أسندوها بالأخشاب حتى اذا لعبت بها النيران يسقط السور .

ولما قنط الفرنج وآيسوا ارسلوا اثنين من العقلاء الى صلاح الدين يطلبون الامان . لكنه ابي وقال لن افتح المدينة الا بالسيف وسأفعل بكم كما فعلتم انتم بالعرب حين ملكتموها اذ قتلتم وسيتم . فقال له احد ذينك الزعيمين ان لي كلمة اخرى اقولها لك ان وعدتني بانك لن تحتق . قال له صلاح الدين : لست احنتق قل ما بدا لك . فقال : لو لم نعرف فطنتك وانك لا تقدر ان تخالف شريعة من سبقك من الملوك الاقدمين اذا انكسر اعداؤهم والقوا سلاحهم وطلبوا الامان لما اقبلنا اليك . والآن فقد اتينا (٣٧٦) ولم يبق لنا امل في كرمك فاعلم اننا عائدان الى المدينة لنبلغ رجالنا الابطال المجاهدين . وسنفتك اول بدء بالعرب الاسرى الذين عندنا . ثم نحرق مسجدكم الكبير ثم الكنائس وسائر الابنية ثم الاموال والامتعة ثم نذبح بيدنا نساءنا وابناءنا وبناتنا ولن ندعكم تكتملون فيهم شهوتكم . وبعد هذا كله فالواحد منا لن يسلم

ذاته للقتل ألا بعد ان يقتل واحداً او اثنين منكم .

أدهش صلاح الدين هذا الخطاب وقال للزعيمين ان يقيا في احدى الحيام ريثما يشاور زعماءه . فقالوا له : ان كل ما قاله هذان صحيح وان الفرنج يصنعون اكثر من ذلك . فالاجدر ان نصالحها . فاستدعى صلاح الدين فينك الزعيمين الفرنجيين وقال لهما : اني قابل بما طلبتا غير انه لا يمكن ان يخرج الاهالي كلهم مجاناً وأمراي يطلبون ذهباً لانهم تعبوا وخسروا في الحرب خسائر وافرة . واستقر الرأي ان يدفع كل رجل عشرة دنانير وكل امرأة خمسة وكل ابن وبنات دينارين ويخرج الجميع في كل ما يمكنهم حمله . فوافق الفرنج على ذلك . ووزنوا ثلاثين الف دينار عن الفقراء والمساكين وادى الاغنيا . عنهم وعن غيرهم من الفقراء وخرجوا جميعاً بالامان . وبقي خمسة آلاف ممن لم يمكنهم ان يدفعوا شيئاً فاستاقهم العرب أسرى . وقد ارتقى بعض الحراس العرب من كثير من المسيحيين ديناراً ديناراً او اكثر وسرّحوهم . أما مظفر الدين بن زين الدين فقد اطلق نحو الف شخص من السريان والارمن مجاناً وهو يقول ان هولاء هم رهاويون من ابنا رعيتي . ونهج نهجه ابن شهاب الدين صاحب البيرة فاطلق الكثيرين من ابنا بلده .

وكان في اورشليم يوشع ملكة يونانية متوشحة بثوب الرهبانية منقطعة في احد الاديار فارسلت الى صلاح الدين تلتس منه ان لا يتعدى عليها احد . فامر ان تخرج هي (٣٧٧) والشامسة والشهات والخدم وتنقل معها كل اموالها . وارسل معها بعض الفرسان اوصلوها الى حدود الفرنج . وصنع مثل ذلك لسائر الملكات الفرنجيات اللواتي كن في اورشليم . ونقل البطريرك جميع امتعة كنيسة القيامة وسائر الكنائس وقناديل الذهب والفضة وارتمل . وباع الاهالي ما لم يتيسر لهم نقله . وبالجملة فقد سلموا المدينة فارغة من الذخيرة . على ان العهد الكاتب قال لصلاح الدين : علام ينقل هولاء كل هذه الاموال وانت لم تقرر لهم الا الامان ؟ فقال له : صدقت ولكن الفرنج لا يفهمون ذلك واذا منعناهم عن اخذ اموالهم اذا عوا عنا اننا اقسنا وحنثنا باقسامنا وألقوا بنا ذكرى سيئة : هكذا احتل صلاح الدين اورشليم يوم الجمعة ٢٧

رجب طام ٥٨٣ للعرب (١١٨٢ م) و ١٢ تشرين الاول ١٤٩٨ لليونان . وتمّ ذلك بعد مضي ٢٨ يوماً من اجتماع الكواكب السيارة الستة .

ولم يملك المسيحيون اورشليم بعد هذا التاريخ . غير ان صلاح الدين اقام اربعة رهبان من الفرنج في كنيسة القيامة لينهضوا بخدمة القبر المقدس . وبعد زمن قليل تولى بطريرك اليونان ادارة تلك الكنيسة .

ولما فرغ صلاح الدين من امر اورشليم سار الى صور وهي في قلب البحر وابنتى ابراجاً متينة وافرغ كل قوته في محاربتها وهو يجرّض عساكره ويقول لهم : لم يبق للفرنج في ساحل البحر مكان يقيمون فيه الا صور فاذا انتزعناها منهم كفوا عن الزحف ونجونا منهم . وبمثل هذه العبارات دفعهم الى القتال حتى النهاية . غير ان المركز الذي اقبل من رومية حصن المدينة بالحنادق وبرجال اشداء . ملاحين وجعلوا يخرجون ويفتكون بالعرب ويعودون (٣٧٨) وعند ذلك ارسل صلاح الدين الى الاسكندرية واستقدم الف سفينة ضخمة اُرسّت تجاه المرفأ . وخرج ليلة ملاحو الفرنج في سفن محكمة وحطّموا اغلبها واعتقلوا ملاحين شهيرين من بلاد المغرب والقي البقية انفسهم في البحر وهلكوا وانهمز بعضهم في سفنهم الى بيروت فاذا ركبهم الفرنج واعتقلوا اغلبهم وغرق الباقيون . ولما شاهد صلاح الدين تلك الالهوال وبسالة الفرنج في البحر قطع الامل هو واصحابه واحرقوا ما ابنتوا من الابراج والمنجنيقات والبقية الباقية من السفن واقبلوا من صور وتوجهوا الى عكة . ثم امر صلاح الدين جنوده ان يذهب كل منهم الى وطنه ويستريح في بيته .

وفي تلك الاثناء وقع خلاف بين الخليفة الناصر وبين صلاح الدين لان هذا اغمض عن ارسال جزية سورية اليه . ولم يرسل اليه كذلك شيئاً مما كان يجنيه من مصر . وطالما صرح صلاح الدين في نشوته بانه مستعد ان يلقي الخطبة للخليفة ويجدها للفاطميين بمصر . وقد امتعض الخليفة اي امتعاض عندما نقل اليه رجل حقير بغدادى كان سابقاً في خدمة صلاح الدين البشري باحتلاله اورشليم .

وفي تلك السنة حشد رجل تركمانى من الرعاة يقال له رستم خمسة آلاف

فارس وجمهوراً غفيراً من الرجال وسار الى قيليقية ليسبي ويغزو . وما ان شعر
لاون صاحبها حتى سد الثغور في ناحية مرعش واجهز على اولئك التركان . ثم
احتشد خمسة آلاف رجل منهم في اطراف حلب (٣٧٩) ليغزوها فبرز اليهم
البرنس يوهيسند وسحقهم جميعاً .

وفي السنة ٥٨٤ للعرب (١١٨٨ م) زحف صلاح الدين بذاته الى حصن
الاکراد وحاصره يوماً واحداً فامتنع عليه . فانقلب الى انطرطس وقبل ان
ينتهوا من نصب الحيام كلها احتل الحلبيون اسوار المدينة وتحصن الفرنج في
برجين من ابراجها واخيراً سلموا . فقوض صلاح الدين سورها وقلعتها وكنيستها
الشهيرة المعروفة بكنيسة مريم والدة الله وسائر ابنتها وانطلق الى قلعة المرتب
فلم يرَ احداً من السكان فيها . وانتهى الى جيلة فسلبه آياها من فيها من
العرب . ثم زحف الى اللاذقية ونازلها بشدة وحفر الحلبيون خندقاً تحت الارض
طوله ستون ذراعاً وعرضه اربع اذرع . فخاف الفرنج وطلبوا الامان . فرخص
لهم صلاح الدين ان يخرجوا في اولادهم ونسائهم واموالهم سوى البهائم والقمح
وآلات الحرب . واستعمل عليها ابن اخيه تقي الدين صاحب حماة .

واقبل في تلك الايام جيوش من الفرنج في سفن كثيرة من صقلية ليسانعوا
المسيحيين . وانطلق قائدهم ليعادث صلاح الدين وقال له : لقد استوليت
على كل ما كان للفرنج في سواحل البحر ولم تترك لهم سوى القليل الخفيف .
فيبغي ان تكف عن قتالهم لئلا يتدفقوا قادمين من البحر ويستبوا لك عناء
جسيماً . فلا جدر بك ان تحسن معاملته جيرانك هولاء . لانهم بمثابة حصن حصين
بينك وبين الاهالي . فقال صلاح الدين : ان شريعتنا قضطرتنا ان نعزز ديننا .
والرب يصنع ما يشاء . فعاد ذلك القائد الى بلده ثم زحف صلاح الدين الى
صهيون وهي على صخر (٣٨٠) ما بين واديين عميقين وحاصرها واحتلها بالامان
واستعمل عليها ناصر الدين منغوراس بن كرتكين مملوك مجاهد الدين بن
بوزان . واحتل كذلك شوغر بكاس وزحف الى دربساغ ونازلها واحتلها .
وانتهى الى بغراس وهي خالية من الجيش الكافي وانتدعها من الاخوة
الدواوية . واصبحت تلك البلاد جميعاً للعرب . فضاف الانطاكيون خروفاً

شديداً ولاسيما لان الطرق سُدت تجاههم ونقصهم الزاد . بناء عليه ارسل البرنس الى صلاح الدين يتذلل ويطلب الامان فلبى طلبه لمدة ثمانية اشهر وتركه وانصرف الى حلب ثم الى دمشق واستراح هنيئاً . ثم زحف الى صفد وحاصرها حصاراً شديداً حتى انزاعها من اصحابها وانزع معها بلدة كوكبة بعد ما ضايقها جداً .

وفي هذه السنة مات الموفق اسعد الطيب الدمشقي المشهور بابن المطران الذي هجر النصرانية وأسلم حباً للدنيا الزائلة . واقتنى اموالاً وافرة وزف الى صلاح الدين احدي جواريه وما عم ان مات واضمحل ذكره . على اثر موت صلاح الدين شوهدت امرأته مع فتى عزيز عليه يطوفان بيوت الضباط ويستعطيان .

وفي السنة ٥٨٥ للعرب (١١٨٩ م) خرج يوهيمنند البرنس من انطاكية وغزا بلد حارم ووصل الى شيخ وقتك بالعرب والمسيحيين معاً . اما ارناط صاحب صيدا وكان على اثر انزاعها من يده قد سار الى شقيف ارنون برخصة من صلاح الدين فقد شخص اليه واستمهله ثلاثة اشهر ليرحل اهله عن صور ويقيم في مكان يكفيه ببلد دمشق ثم يسلمه الشقيف المذكور . وقد أذن له في ذلك ثم احس انه يخادعه ويواصل حفر الخندق وبناء السور . ومن ثم خرج صلاح الدين يوماً كعادته (٣٨١) واستأسر ارناط ووجهه الى دمشق ولم يطلقه الا بعد ما سلمه الشقيف .

وفي سنة ١٥٠٠ لليونان (١١٨٩ م) حدث نزاع بين السلطان قليج ارسلان وبين ابنه الكبير المقيم في سبسطية . وقد قُتل نحو اربعة آلاف من الاتراك الذين مع الولد . وبعد هذا اصطلحا على يد الامير بهر شاه صهر السلطان . ثم ان السلطان رحل عنه اختيار الدين الحسن الامير حاجبه لانه كان السبب في القاء الفتنة بينه وبين اولاده . وعند ذلك حشد اختيار الدين زهاء مائتي فارس من اولاده وانسبائه واقاربه وقصد مرج كنيوك فوجه ابن السلطان بعض التركمان حملوا عليه وفتكوا به وبينه وبين معه . ثم قطعوه ارباً ارباً وعلقوه في رؤوس الرماح وطافوا به في سبسطية يوم عيد الصليب .

وفي تلك السنة تولى ملطية مفرّ الدين قيصر شاه ابن السلطان قلعج ارسلان .
 وفيها كذلك اقبل الى صور جماهير مختلفة من الفرنج يفوق عددهم حدّ
 الكثرة وزحفوا من هناك الى عكة . فسمع صلاح الدين ودبّ الرعب في
 قلبه وارسل فاستدعى جميع جيوشه وزحف وحطّ رحاله بالقرب من الفرنج .
 وشاهدهم يزدادون يوماً فيوماً ويأتيهم القوت من البحر فجار في امره واجتمع
 بزعمائه وشاورهم فقرّروا ان يسارعوا في المبارزة قبل ان يزداد عدد الفرنج
 اكثر فاكثروا . وتأهبوا ليلة الجمعة اول رجب ولما كان الصباح التحم القتال
 واستغرق النهار كله حتى غروب الشمس ورسخ الجانبان رسوخاً تاماً وبات
 الجميع ليلتهم على ظهور خيلهم . واشتعلت نيران المعركة يوم السبت كذلك
 حتى المساء . ولما كان الفرنج يواصلون القتال وقد أخذوا جهة عكة الشمالية
 حيث لم يكن لهم خيام اغتتم صلاح الدين الفرصة ودخلها (٣٨٢) في كثير
 من الرجال والمؤن والذخائر وأخرج منها الضعفاء . ثم خرج هو كذلك وأمر
 الداخلين ان لا يكتفوا بمحاربة السور فقط بل يقاتلوا الفرنج على المدى لعلهم
 يضعفون اذا شاهدوا الداخلين والخارجين يشددون عليهم . اما الفرنج فلكثرتهم
 لم يدعوا العرب يخرجون جيوشهم بل واصلوا غاراتهم . ولولا ذلك لاحتلوا
 المدينة سريعاً .

ثم ركب الفرنج يوم الاثنين أحصنتهم ودفنوا من خيام العرب دون ان
 يدعوا احداً من رجالهم يرافقهم . ووضعوا السيف في الكثيرين من العرب
 ورجعوا . فنتبهم العرب الى تلّ المصلوبين حيث كانوا متحصنين . ولما شاهد
 صلاح الدين قوتهم في ذلك التلّ سار الى تلّ آخر تجاهه يشرف على عكة .
 وكان العرب الرجال يخرجون كل يوم ويبارزون الرجال الفرنج . قيل ان
 الفرنج خاطبوا يوماً العرب الداخلين قائلين : لقد سئنا الحرب نحن وانتم
 واكتفينا . فاليوم زوم ان ننسرح بمبارزة الفتيان الصغار . ثم هبوا مائة فتى
 فرنجي ومائة فتى عربي جعلوا يبارزون بقذف الحجارة ثم بالعصي والرماح واخيراً
 هزّم الفتيان الفرنج الفتيان العرب وحشروهم في المدينة .

ويوم الاربعاء ٢٠ رجب كانت الملحمة العظيمة اذ برز الفرنج من خيامهم

كالجراد وبرز الملك كذلك وامامه كتاب الانجيل مجللاً بقمش حرير احمر يحمله الكهنة فوق رؤوسهم . فهلج صلاح الدين وأوقع صيحة هائلة في جنوده وخوفهم (٣٨٣) وأذعرهم . وبعد هذا وثب الفرنج من الناحية اليسرى الى العرب في الناحية اليمنى حيث كان تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين وقد جاهد جيداً تجاه الفرنج . ولما شاهد ملك الفرنج ان العرب لم يترفعوا تشدد بروحه وصنع اشارة الصليب على وجهه وخرق قلب الجيوش العربية حيث كان الافضل والظافر ولدا صلاح الدين وقطب الدين بن نور الدين بن قرا ارسلان صاحب حصن كيفا وابن لاخين صاحب نابلس وغيرهم كثيرون . وما ان اشتبك احدهم بالآخر حتى اخذ الفرنج يحصدون العرب حصاد القمح بالمناجل ولاذ العرب بالهزيمة وتبّعهم الفرنج في سيوفهم وهم يهتفون بأبواقهم هتافاً شديداً . وانكسر العرب كسرة هائلة . وقصد الفرنج مصكرهم ونهبوا خيامهم وفتكوا بكل السوقة . ووصل المنزومون الى دمشق وطهرية .

اما الفرنج فبعد ما طاردوا العرب نحو فرسخ عادوا فرأوا الباقيين مطشنيين في الناحية الشمالية لا يترجزحون . وبما انهم أعيوا لم يروا ان يتحرشوا بهم بل قصدوا خيامهم ليستريحوا . غير ان صلاح الدين جعل يصيح وينادي ويشجع المنزومين حتى عادوا الى خيامهم كالاموات . وأحصي عدد القتلى فكان اربعة آلاف ومائة . على ان صلاح الدين أمر العرب الذين في عكة ان يلقوا الجثث في البحر فقام احدهم وبيده خيط وجعل كلما القوا واحداً عقد عقدة . وسقط من الفرنج نحو الفين . حينئذ اشار الزعماء على صلاح الدين ان يرحلوا ويتعدوا قليلاً عن الفرنج يتعلّلون بحدوث فساد في المناخ من جرى نتونة اجسام القتلى . فارتحلوا الى مكان بعيد واشتغل الفرنج بحفر خندق كبير من التل حتى البحر بينهم وبين الجيش العربي الخارجي ثم احدقوا بعكّة من جهة البحر وسدّوا الطريق في وجه العرب وتعذّر الدخول الى المدينة والخروج منها .

(٣٨٤) وبلغ صلاح الدين ان ملك الالمان^١ قادم بطريق قسطنطينية في مائتي الف فارس ورجال فتأثر اشدّ التأثر وارسل بهاء الدين بن شداد سفيراً

(١) فردريك الاول ملك النمسة .

الى خليفة بغداد والى سائر ملوك المشرق يستنفرهم ويستعجهم ليساعدوه والّا فالعربية تضحلّ لا محالة .

ولمّا دخلت السنة ٥٨٦ للعرب (١١٩٠ م) اطأن صلاح الدين بسبب انتزاعه عن معسكر الفرنج الذين وتجهوا افكارهم كلّها نحو عكّة . غير ان الفرنج باغتوا معسكر العرب وكان صلاح الدين يتصيد فأوقع اخوه العادل صيحة في الجنود فركبوا وناوشوا الفرنج وسقط قتلى كثيرون من كلتا الجهتين ولو لم يدركهم الليل لأصبح الانكسار تاماً . وانتقل الفرنج الى معسكرهم وهبطت الامطار وحصلت الأحوال بين الفريقين وتعذّر على ايّ كان ركوب الحيل ومناوشة احدهم للآخر . وانقطعت الاخبار بين صلاح الدين وبين الذين في عكّة . وقد سبّح احدهم في البحر ووصل اليه واخبره ان الفرنج يحاربون المدينة حرباً عواناً وقد ابتنوا ابراجاً شاهقة تطل عليها وأمسى من في داخلها في ضيق شديد .

فركب صلاح الدين وتوجه نحو الفرنج ليلاهم هنية عمن هم ضمن المدينة وصادف هناك خنادق عميقة قد حفرها حولهم واصبح البلوغ اليهم مستحيلاً . فعضّ اصابعه ندماً وانقلب وحلّ في تل العجول بعيداً جداً عن الفرنج . وأقبل اليه ملوك العرب كافة . نذكر منهم عماد الدين زنكي صاحب سنجار ومغز الدين سنجرشاه بن سيف الدين غازي بن مودود صاحب الجزيرة وعلاء الدين كرم شاه بن مسعود صاحب الموصل ومظفر الدين بن (٣٨٥) زين الدين علي كجك صاحب اربيل . ثم ادخل صلاح الدين الى عكّة صناعاً محتكين باضرام النيران وأحرقوا ثلاثة ابراج كبيرة للفرنج . غير انه تعالى اغاث الفرنج بريح شديدة هبت نحو المدينة ولولاها لاحتوتوا جميعاً في لهب تلك الابراج الهائل . زد عليه ان الحندق الذي حفره تبطّهم عن الفرار من تلك النيران المتأججة . أما الابراج المذكورة فكانوا قد أسسوها على عجلات يدفعونها متى أرادوا بأرماحهم ويلصقونها بالسور والحاربون ضمنها . واذا أرادوا اجتذبوها اليهم بالحبال التي عندهم . ذلك عمل غريب يُذهل من يشاهده ويرعبه .

أما ملك الالماني فلم يدعه اليوناني ان يغادر قسطنطينية لكتنه عاندهم

وتغلب عليهم ففتحوا له الطريق ووصل الى بلاد قلعج ارسلان فحشد قطب الدين ملكشاه ابن السلطان جيوش التركمان وناولش الالمان فانكسر وولى هارباً في جيوشه . ووصل الالمان الى قونية وفتكوا بكثيرين من اهلها . وفي تلك الاثناء توجه پياس ميخائيل القسيس اليوناني والكاتب الملطي الى قونية ليدفع الحراج فاجهز عليه التركمان وقتلوه . وظل قلعج ارسلان متحصناً في قلعة قونية ثم ادى مبالغ لملك الالمان وعقد معه الصلح وفتح له الطريق فاقبل الى قيليقية وانطلق اليه لاون بن اسطفان بن لاون صاحب قيليقية وزاره في طرسوس واعرب له عن خضوعه وطاعته . ثم توجه ملك الالمان وهو شيخ ليسج في النهر وكان الهرد شديداً يومئذ فوعك ومات^١ هناك ونقل ابنه رفاقه الى انطاكية . ثم توجه سائر الالمان الى اطراف طرابلس وقد خارت قواهم وركبوا البحر الى عكة غير ان اغلبهم قضوا مرضى في قيليقية ولم يبق منهم الا النزر القليل .

(٣٨٦) واقبل في تلك الغضون ملك انكلترا^٢ ونزل في قبرس وانترها من اليونان واستأنف المسير الى عكة فاشتد ساعد الفرنج بقدمه . وكان في تلك المدينة عشرة امراء عرب فارسلوا يقولون لصلاح الدين : ان المارك المتواصلة قد اوهنت قواتنا واضعفتنا ودب المرض فينا . فكان جوابه ان يغادروا المدينة بحراً . وارسل من ناب منابهم ممن لم يكونوا منجذرين في القتال على السور . بناء عليه تعزز الفرنج واقاموا سبعة منجنقات وجهوها نحو برج واحد . وارقد ملك انكلترا سفيراً الى صلاح الدين يقول : لا بأس ان نختلي انا وانت في مكان ما وندبر تدبيراً يفيد الطرفين . فأجاب صلاح الدين : ينبغي اولاً ان ندبر امر الصلح وبعد هذا نجتمع معاً . لانه لا يحل بنسا ان نعود الى القتال بعد المحادثة والمنادمة . واتفق ان ملك الانكليز وعك يومئذ واشتد مرضه مما آخر الفرنج عن متابعة الحرب . ولما تعافى ارسل تكررراً سفيراً الى صلاح الدين يقول : لا تلحنني بسبب سكوتي لان المرض اعاقني عن مراسلتك . والآن فقد تعافيت وارسلت استأذنك في ان اوجه اليك بعض الهدايا اذ لا

(١) ذكر ورخو الفرنج ان هذا الملك غرق في النهر في حزيران ١١٩٠

(٢) هو الملك رشر الذي بسبب بسالته أطلق عليه لقب « قلب الأسد » .

يُحَدِّدُ بِالْمَلُوكِ أَنْ يَقْطَعُوا حَبْلَ الْمُوَاصَلَةِ وَالْمُبَادَلَةِ بِالْهَدَايَا وَالسُّفْرَاءِ وَالْعِبَارَاتِ الْحَبِيَّةِ حَتَّى فِي اثْنَاءِ الْحَرْبِ . هَذَا مَا تَلَمَّنَّا إِيَّاهُ شَرَائِعَ آبَائِنَا الْمُلُوكِ الْأَقْدَمِينَ . فَقَالَ صَاحِبُ الدِّينِ : أَنْ بَادَلْتُمُونَا بِالْهَدَايَا بَادَلْنَاكُمْ بِئِذَاهَا . قَالَ السُّفِيرُ : أَنْ عِنْدَنَا يُوَاشِقُ وَنَسُورًا وَطَيُورًا وَحَمَامَ زَاجِلٍ قَدْ أَدْرَكَهَا الضَّعْفُ فَأَعْطَوْنَا دَجَاجًا وَزَغَالِيلَ تَقَاتُ بِهَا وَتَنْتَمِشُ ثُمَّ نَحْضِرُهَا إِلَيْكُمْ . تَبَسَّمَ الْعَادِلُ اخُو صَاحِبِ الدِّينِ وَقَالَ (٣٨٧) لِلسُّفِيرِ مِمَّا زَحَا : بِنَا أَنْ مَلِكًا أَنْكَلْتُمَا قَدْ أَبَلَ مِنْ وَعَكْتِهِ فَلَا رَيْبَ أَنْهُ يَحْتَاجُ إِلَى زَغَالِيلٍ بَتَعَرَّضَهُ لَذِكْرِ الْبُؤَاشِقِ .

وَبَعْدَ هَذَا وَسَّحَّ صَاحِبُ الدِّينِ السُّفِيرَ الْأَنْكَلِيزِيَّ بِجَلَّةٍ مَلَكَتِيَّةٍ وَسَيَّرَ مَعَهُ طَائِفَةً مِنَ الدَّجَاجِ وَالزَّغَالِيلِ وَالْحَمَامِ . وَمَا مَرَّتْ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ حَتَّى عَادَ السُّفِيرُ الْفَرَنْجِيَّ إِلَى صَاحِبِ الدِّينِ وَطَلَبُوا مِنْهُ ثَمَارًا وَتَلَجًّا فَأَعْطَاهُمْ وَعَادُوا . قِيلَ أَنْ مَلِكَ الْأَنْكَلِيزِيِّ لَمْ يَتَوَخَّ فِي أَرْسَالِ الْوَفُودِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ أَخْبَارًا فَارِغَةً لِكَيْتَهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَقِفَ حَقِيقَةً عَلَى مَا عِنْدَ صَاحِبِ الدِّينِ وَالْمُلُوكِ الَّذِينَ مَعَهُ مِنَ الْجِيُوشِ . وَلَمَّا اشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَى الْعَرَبِ ضَمِنَ عَكَّةَ بَعَثُوا إِلَى صَاحِبِ الدِّينِ قَائِلِينَ : أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا مَنْ يَنْجِدُنَا وَالْأَفَانْنَا نَسَلِمُ الْمَدِينَةَ . وَكَانَ صَاحِبُ الدِّينِ لَا يَهْتَمُّ إِلَّا أَنْ يُشْغَلَ الْفَرَنْجِيُّ فِي الْقِتَالِ . وَلِذَا قَسَمَ الْفَرَنْجِيُّ جِيُوشَهُمْ قَسَمِينَ فَوَضَعُوا إِلَى الْأَوَّلِ مِبَارِزَةَ الْعَرَبِ خَارِجًا وَالثَّانِي مِبَارِزَتَهُمْ دَاخِلًا . وَلَمَّا اسْتَيْقَنَ الَّذِينَ ضَمِنَ الْبَلَدَ بِالْأَنْكَسَارِ سَأَلُوا الْأَمَانَ . فَقَالَ لَهُمُ الْفَرَنْجِيُّ : لَنْ نَأْبِي طَلْبَكُمْ إِلَّا إِذَا رَدَّ لَنَا صَاحِبُ الدِّينِ جَمِيعَ الْأَسْرَى الْفَرَنْجِيَّ وَجَمِيعَ الْمَدِينِ الَّتِي انْتَزَعَهَا مِنَّا . فَرَأَسَلُوهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : أَنِي أُطَاقُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ أَسِيرٍ فَقَطُّ بَدَلًا مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ فِي عَكَّةَ . وَإِذَا تَرَكَوْنَا لَنَا عَكَّةَ بِأَدْلَتِهِمْ مَدِينَةَ عَوْضَ مَدِينَةَ . وَالْأَفَايَاخُدُوا تِلْكَ الْمَدِينَةَ بِالسَّيْفِ كَمَا سَبَقَتْ فَأَخَذْتُهَا .

وَلَمَّا بَلَغَ الْفَرَنْجِيُّ ذَلِكَ تَعَرَّشُوا حَالًا بِالسَّلْمِ إِلَى الْأَسْوَارِ وَانْحَدَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . وَبَطَشُوا بِالْكَثِيرِينَ . ثُمَّ حَشَدُوا بَقِيَّةَ الْأَهَالِيِّ فِي نَاحِيَةٍ فَقَالَ لَهُمْ هُوَلَاءُ : اعْفُوا عَنَّا رِيثًا نُرَاسِلُ صَاحِبَ الدِّينِ لِيَنْقِذَنَا بِالذَّهَبِ وَبِمَنْ تَطْلُبُونَ مِنَ الْأَسْرَى الْفَرَنْجِيَّ . فَوَافَقَ الْفَرَنْجِيُّ عَلَى ذَلِكَ وَاعْطَاهُمْ مَهْلَةً أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا حَتَّى يَبْدُوَ الْقَمَرُ الْجَدِيدَ . وَقَالُوا : إِذَا دَفَعْنَا لَنَا صَاحِبُ الدِّينِ مَائَتِي أَلْفَ دِينَارٍ ذَهَبًا وَمِائَةَ أَسِيرٍ مَمَّنْ (٣٨٨)

نكتب اسماءهم من القمامة والكوننية وغيرهم مع الف وخمسة اسير مجهل
اسماءهم فعند ذلك نعتكم . فارسل اولئك العرب الى صلاح الدين واخبروه
بالامر فاجتمع بزعمائه وشاورهم فقالوا بضم واحد: ان هولاء العرب هم اخوتنا
فيجب ان ننقذهم . فامثل المشورة وكتب الى البلاد فجمعوا الاسرى الفرنج .
اما بشأن الذهب فقرر ان يؤدي ثلثه في كل عشرة ايام . وعند انتهاء الايام
العشرة ارسل الى الفرنج يقول : اطلقوا جميع من عندهم من العرب ثم ندفع
لكم ثلث الذهب والرهائن بدلاً من الثلثين الباقين . او ادفعوا لنا رهائن
بدلاً من ثلث الذهب الذي تقبضون . فقال الفرنج: تكفيكم كلمتنا وتقريرنا
بشأن الرهائن . فاستغلظ صلاح الدين جوابهم ورفض طلبهم فسخطوا كل السخط
واوثقوا جميع اولئك العرب بالحبال واستاقوهم الى تل بظاهر المدينة وكوموا
حولهم حطباً كثيراً وجبالاً عتيقة وبراميل خمر وحشروهم واستلوا السيوف
وبطشوا بهم قاطبة وكان كاتب الديوان واقفاً يشاهدهم . وبلغ عدد قتلى
العرب على اسوار عكة ودخلها وخارجها في التل مائة الف وثمانمائة نسمة .
وجرى ذلك في رجب ٥٨٢ لله للعرب وفي آب السنة ١٥٠٢ لليونان (١١٩١م) .
ولقد اسهبنا الكلام قليلاً في وصف هذا الحصار لما له من الشهرة لدى العرب
وقد كتبوا مجلدات في ذكر ما نالهم من الضيق هذه المرة من الفرنج .

وبعد ١٠ احتل الفرنج عكة اقاموا فيها جيشاً يحرسها وبنائين يرمتون اسوارها
وارتحلوا نحو ارسوف . وارتحل صلاح الدين كذلك وكان الفرنج والعرب
يتعشرون بعضهم ببعض وهم سائرون في الطريق (٣٨٩) وقد ناوش العرب
ذات يوم القتال الفرنج فاغتاظ ملك انكلترا وحمل عليهم ببأس شديد وهزمهم
وشتت شملهم ولم يبق مع صلاح الدين الا سبعة عشر من خيرة العرب وناقضي
الابواق وحاملي الرايات . ولولا خوف الفرنج من كين يترصدهم لقبضوا في ذلك
اليوم على صلاح الدين ذاته وقوضوا دعامة العرب تقويضاً تاماً .

ووجه صلاح الدين يومئذ بنائين وفرساناً الى قلعة بغراس لينقلوا منها
الذخيرة ويدكوها . ولما وصلوا وباشروا العمل بلنهم ان لاون صاحب قيليقية
متأهب لينصب عليهم فتركوا القلعة ولاذوا بالفرار . وبلغ الانطاكين خبر

هزيمتهم فزحفوا الى تلك القلعة وشاهدوا فيها اثني عشر الف مكوك من الحنطة فنقلوا ذلك كله الى انطاكية وانفرجوا وكان الجوع يومئذ قد ضايقهم جداً . وما مر القليل حتى اقبل لاون وتغلب على الفرنج وانتزع منهم بغراس .

وارسل صلاح الدين فحارب عسقلان وافرغها من السكّان . وكان الفرنج قد ابتنوا يافا وعمروها وهي واقعة بين اورشليم وعسقلان . ولهذا السبب ادعى العرب بانهم لا يستطيعون الى حراستها سيلاً . وسار صلاح الدين الى اورشليم وأشرف عليها وحصنها بالرجال والعدة . وسار اليه يومذاك معز الدين صاحب ملطية يرفع الدعوى على ابيه السلطان قلعج ارسلان وعلى اخوته اذ كانوا يحاولون انتزاع ملطية منه . وقد رحب به صلاح الدين وزف اليه ابنة اخيه الملك العادل واعاده الى ملطية وشجعه بقوله : لا تخف أباك ولا اخوتك .

وارسل ملك انكلترا سفيراً الى صلاح الدين يقول : لقد افنت الحرب عسكرنا وعسكركم فإلى متى تبقى الحال كذلك ؟ قد ارتوت سيوفنا وسيوفكم من الدماء . فاردد ما اخذته منا من البلاد ولا سيما اورشليم مقام ديننا وقد غادرنا اوطاننا بسببها فاذا وافقت على ذلك تركنا كل شي . وعدنا (٣٩٠) الى وطننا فستريح منا . فاجاب صلاح الدين : ان هذه البلاد لم تكن لكم فيما مضى بل لليونان . وقد انتزعتها العرب منهم في غاراتهم الاولى ولما استضعفتهم اقبلتم فانترعتموها منهم . والآن فقد استرجعنا بلادنا منكم . أما اورشليم التي قلمت انها مقام دينكم فهي مقام ديننا كذلك ونعتبرها اكثر منكم مثلما اوصانا الله في قرآنه .

ثم ارسل ملك انكلترا ثانية الى صلاح الدين يقول : أريد ان يصاهرنى اخوك العادل فازف له شقيقتي التي قدمت معي لتسجد في اورشليم . فاذا وهبت المدن التي بساحل البحر لآخيك واكتفيت انت بالقلاع والمدن فقط وظلت القرى باجمعها للاخوة الدواوية والاسبتالية فحين ذاك يتم عقد الزواج وانا استعمل اختي على جميع المدن الساحلية التي بيد الفرنج ويكون مركزها في اورشليم . لكن صلاح الدين لم يرض بذلك أما ابنة العادل فقد كاف بالابنة ووجه الزعماء والشيوخ الى اخيه ليقنعوه في ذلك . غير انه رفض كل الرفض

فقال له اولئك الدهاةُ : نحن عالمون ان الزواج لن يكون قطعاً وان ابنة الملك الكبير لن ترضى الاقتران بعربي واخاه يعرف ذلك حق المعرفة . ولله قال ذلك على سبيل المزاح كما دته . وبناء عليه فلا تكسر خاطر اخيك . اقتنع صلاح الدين وأرسل سفيراً في القبول . واقام السفير لدى الملك ثلاثة ايام ثم قال له في اليوم الثالث : قضيت هذه الايام الثلاثة احاول ليل نهار اقناع اختي فلم تقتنع الا بشرط ان يتنصر العادل . هكذا عاد السفير خائباً . وفي تلك الايام مات تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين في طريق خلاط وهو ذاهب ليحاربها فحملوه وردّوه الى ميافرقين ودفنوه . وكان هذا يفيض (٣٩١) المسيحيين البغض كله ويفتك دون شفقة بالارمن الفلاحين المظلومين ببلد جبل جور . وكان معه ابن الملك المنصور فتحصن في ميافرقين وارسل يقول لصلاح الدين : ان تزعت مني بلاد ابي تقي الدين انضمت الى بكتمار صاحب خلاط . فلم ير صلاح الدين الا ان يفيض عنه مدة . وبعد ايام قلائل استعمل العادل على بلاد ابيه واستعمله هو على الرها وحران وسميساط .

ولما ارتحل الفرنج والعرب الى عسقلان اقام العرب بعد يوم كميناً للفرنج وهم خارجون من المعسكر ليجمعوا حطباً . وما ان اكتشف الفرنج الكمين حتى امتطى كل منهم حصانه ووثبوا اليه وفتكوا بثلاثة من زعماء صلاح الدين وقبض العرب على فارسين من الفرنج اعتياديين . ووجه ملك انكلترا سفيراً الى العادل يعاتبه بشأن الكمين ويقول له : ارجب ان اشاهدك واحداثك . ونصب الفرنج خيمة كبيرة خارج معسكرهم فاقبل العادل واقام اليوم كله لدى ملك انكلترا ثم ودع احدهما الآخر عند الغروب . وقال الملك للعادل : ارجب ان اجالس اخاك السلطان كذلك في هذه الخيمة واشاهده واحادثه . لكن صلاح الدين لما اخبره اخوه بذلك رفض الطلب لسببين اولها خوفه وثانيها لانه لم ير ذلك موافقاً وكتب اليه يقول : لا يجدر بالملوك ان يجتمعوا معاً الا بعد عقد الصلح والحال ان ذلك لم يتم بعد . واذا افترضنا عقده فانا لست افهم لغته ولا هو يفهم لغتي . ولا بد من مترجم يترجم بيننا . فالأحرى اذا ان نقيم السفير ترجماناً ونعدل عن المواجهة . ولما اقبل الشتاء سار ملك انكلترا

الى عكة وصلاح الدين الى اورشليم وبعث اليه باربعة وعشرين الف دينار ذهب في اعتاق الاسرى العرب .

ولما دخلت السنة ٥٨٨ للمعرب (١١٩٢م) زحف (٣٩٢) الفرنج الى عسقلان وجعلوا يرمون ابنيها . وكان المركيز صاحب صور قد اختلف مع ملك انكلترا وحاول ان يستبد بها فاراد الملك ان ينتزعها من يده . فكتب المركيز الى صلاح الدين في الانضمام اليه ومبارزة الفرنج ابنا . جنسه . ولما كان سفير المركيز لدى صلاح الدين وثب اليه رجلا اسمعيليان تريا بزى الرهبان وطعنه احدهما بالسكين . وانهمز الثاني الى كنيسة قريبة نقلوا اليها سفير المركيز كذلك فثار اليه الاسمعيلى المذكور عندما سمعه يتكلم واجهز عليه ضمن الكنيسة بطعنة ثانية . وقد قبض الفرنج على ذينك الاسمعيلىين ونكلوا بهما فادعيا ان ملك انكلترا هو الذي سيرهما . فوثق الفرنج بقولها بسبب الخلاف الذي حصل بين الملك والمركيز كما ذكرنا . غير ان الحقيقة انجحت اخيرا واتضح ان سينان زعيم الاسمعيلىين هو الذي ارسلها ليفتكا به .

وبعد هذا استعمل ملك انكلترا على صور الكنت هنري فاقتن بامرأة المركيز وضاجعها وهي حامل خلافا للناموس .

ثم تشدد الفرنج وساروا الى داروم وانتهوها من المسلمين عنوة واجهزوا على كل اهلها . وفي تلك الغضون تعرض الفرنج لقافلة من المسلمين كبيرة قادمة من مصر حاملة ذهابا لصلاح الدين . وبلغ صلاح الدين ان الفرنج متأهبون للزحف الى اورشليم فشد جيوشه واستعد للمعركة . وحصن اسوار المدينة وافسد جميع القنوات التي بظاهرها . عرف ملك انكلترا فشبط الفرنج عن الزحف وقال لهم : (٣٩٣) ان ضواحي اورشليم خالية من المياه وقد افسد العرب المياه المجاورة لها والنهر بعيد عنها فرسحا وكسورا ولا يغلبن على ظنكم ان اورشليم هي مثل عكة . صدقوني لولا البحر لما تيسر لنا ان نحصرها اكثر من يومين . فوافق الجميع على مشورته وزحفوا نحو غزة .

اما صلاح الدين فقد سر بانتراح الفرنج عن اورشليم واكنه بات يتخوف على مصر . واذا ذلك وجه الملك سفيراً اليه يقول : لا تتادرن الى ظنك اني

اغضتُ خوفاً او ضعفاً . كلاً . فان الكباش لا يعود القهقري الا ليضرب
الراس . فان رأيتَ ان نعقد الهدنة على ما نطلب فذلك اذكى لك وقد سبتُ
فاخبرتُك . وبعد مراسلات شتى عُقدت الهدنة على ان تبقى بلاد الفرنج للفرنج
اعني يافا وضاحيتها وقيسارية وارسوف وحيفا وعكة وانطاكية وطرابلس .
وتبقى سائر البلاد للعرب وتسمي عسقلان خراباً . ودفع صلاح الدين للفرنج جميع
ما انفقوه على ترميمها . وفتحت الطرق واقبل جمهور من الفرنج وزاروا
اورشليم وبالغ صلاح الدين في اكرامهم وبذل لهم العطايا واعطاهم خيلاً لركوبهم .
قيل ان ملك انكترا ارسل الى صلاح الدين يقول : كل فرنجي خالٍ من
علامتي لا تدعه يدخل اورشليم . فاجتمع صلاح الدين بالعتلا . واستفسرهم عن
تلك العلامة . وبعد التروي قالوا له : ان اقوى داعٍ يحمل الفرنج على حج
اورشليم انما هو العبادة لا غير فاذا حجوا وعادوا الى اوطانهم فلا تبقى لهم رغبة
في العودة . ولهذا فالملك يخرج عليهم الحج حتى اذا عادوا ثانية واراد ان يأتوا معه
لزمهم ان يكونوا مستعدين . ولما فهم صلاح الدين السبب ارسل يقول للملك : ان
هؤلاء الناس هم غرباء يتهدر علي ان ازعجهم اما انت ففي وسعك ان تنهاهم .
وبعد ما احتل الفرنج عكة اعتقلوا زعيمين عربيين (٣٩٤) وهما ابن المشطوب
وقرقوش الحاجب وهذا كان رومي الاصل وارسله صلاح الدين الى افريقية
وفتح مدناً كثيرة وعاد الى مصر وابتنى سوراً عُرف باسمه حتى اليوم . ثم
أحيلت اليه قيادة الجيش في عكة . ولما قرّر الفرنج ان يدفع لهم ثمانية آلاف
دينار ديةً قال لهم : بكم اعتقم ابن المشطوب ؟ قالوا بثلاثين الف دينار .
قال لهم : اني أودّي مثله اذ ليس من الصواب ان يؤدّي هو ثلاثين الفاً وانا
ثمانية آلاف . فقهمه الفرنج وقبضوا منه كذلك ثلاثين الفاً . ولقرقوش هذا
حكايات مثل هذه منها ان شاعراً نظم فيه كتاباً كاملاً لم يبرزه الا بعد موته .
وبعدما عُقد الصلح سار صلاح الدين الى بيروت واقبل اليه البرنس يوهيند
صاحب انطاكية فبالغ في اكرامه ووشحه بجلل ملكية ووشح كذلك الزعماء .
الاربعة عشر الذين معه واعطاه نصف ريع بلد انطاكية الذي احتله العرب .
ولقد دهش صلاح الدين من قدوم البرنس اليه بثقة وطأنينة ولذا اكرمه

اكراماً جزيلاً وودعه بسلام . ومن بيررت توجه صلاح الدين الى دمشق .
اما ملك انكلترا فقد استعمل على عكة القمص هنري ابن اخته واجر
الى وطنه . ويقال انه توفي قبل الوصول اليه^(١) .

وفي سلخ آب ١٥٠٣ لليونان (١١٩٢م) مات السلطان قلعج ارسلان في قونية .
وكان ذا هيبة وصوله وذكا . وانتزع عدة مواضع من اليونان . لكنه عندما
بلغ الشيفوخة وزع بلاده على اولاده وامسى بينهم نظير عاجز وكان اذا قام
مدة عند احدهم لاجل عدائه انهزم الى ابن اخر . وعندما سار الى غياث الدين
كيسكرو صاحب مدينة بروغلو رحب به كل الترحيب (٣٩٥) ونهض بخدمته
اجل نهوض . وحشد الجنود واسطصحب اياه الشيخ وقصد قونية وانتزعها من
قطب الدين اخيه . ثم زحفا الى اقصره وهناك وعك قلعج ارسلان فنقله ابنه
كيسكرو الى قونية وفيها توفي ودُفن وتولاها هو حتى انتزعها اخوه ركن
الدين وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى . واستغرق ملك قلعج ارسلان بن مسعود
ابن قلعج ارسلان بن سليمان بن قتلش بن بيغو بن سلجوق بن توقاق ثاني وثلاثين
سنة . وخلف اثني عشر ملكاً .

وفي تلك العصور انتابت صلاح الدين حمى شديدة ومات في دمشق ليلة
الاربعاء ٢٧ صفر ٥٨٩ للعرب^(٢) وخلف سبعة عشر ابناً وابنة صغيرة . ولم يكن
في خزانته حين موته الا دينار واحد وستة وثلاثون فلساً لانه كان كريماً
جواداً وهذا ما جعله ان ينجح في شؤونه . قيل انه لما ملك دمشق اخرج كل
ما كان في الخزانة من دنانير ودرهم وكومها امامه وهي كمية وافرة وامر ابن
المقدم ان يوزع حفنة حفنة على كل من الزعماء والفرسان والمييد . ولما اخذ
الحفنة زجره صلاح الدين قائلاً : املاً حفنتك . فضحك ابن المقدم . فسأله
عن سبب ضحكك فقال : اني اذكر ان نور الدين كان يوماً جالساً . مكانك
واحضروا اليه علبه مملوءة من الزبيب الحيد الكبير وقال لي : وزع بحفنتك
على الزعماء . ولما اخذت املاً حفنتي قال لي يهدوه : ان وزعت هكذا فلن

(١) وصل الى وطنه وتوفي عام ١١٩٩ م .

(٢) مات في ٤ اذار ١١٩٣ م .

يكفي جميعهم . فضحك صلاح الدين وقال له : ان البخل انما يوافق التجار
لا الملوك . اذا (٣٩٦) لا توزع منذ الان بيد واحدة بل بيدك كلتيهما .
وذكر احد الحضور ان الحفنة التي اصابها كانت مائة وثمانية وخمسين ديناراً .
وقيل ايضاً : ان صلاح الدين لما كان يحاصر عكة وركب يوماً مع قاضي
المسكر سمع رجلاً يهودياً ينادي ويقول : اني اتظلم الى الشرع العربي .
فسأله العبيد من هو خصك ؟ ومن الذي أكل حقلك ؟ قال : ان خصمي
هو السلطان وعبيده تعدوا علي . فلم يسخط صلاح الدين بل نزل للعالم عن
حصانه ونزل معه القاضي كذلك واستدعى اليهودي واقامه الى جانبه . فقال
اليهودي : انا رجل يهودي تاجر دمشقي اجرت من الاسكندرية في عشرين
حملاً سكرًا وما كدت ابلغ مرفأ عكة حتى انتهني عبيدك وقالوا لي : انك
كافر وما لك هو للسلطان . فامر صلاح الدين باحضار الذين اخذوا السكر
فصرحوا بانهم نقلوه الى الخزانة . فامر الخزانة فأدوا لليهودي ثمن السكر .
ولما كان صلاح الدين جالساً يوماً مع الزعماء اخذ العبيد الصغار يلعبون معاً
وقذف احدهم حذاءً على صاحبه وسقط الحذاء عند ركبة صلاح الدين
فالتفت الى الناحية الأخرى وجعل يحدث جليسه هناك متظاهراً بأنه لم يَرم
صار . وعطش يوماً وطلب ماء فقال العبيد احدهم للآخر : هلم ماء .
واغضوا ولم يأتوا بشيء . فطلب ثانية وثالثة وخامسة ولما احضروا الماء اخذ
وشرب دون تذمر . ونهض يوماً من فراشه وقصد الحمام وطلب ماء بارداً
ليشرب ولما احضره اليه سقطت قطرات على جسده فاهتز بسبب مرضه وأبى
ان يشرب ومكث ساعة حتى ازداد عطشه فتضايق وطلب الماء . ولما اتاه به
الخدام ارتحمت يده خوفاً وسقط الطش وتدفت ذلك الماء البارد كله على جسم
صلاح الدين (٣٩٧) فاقشعرا اقشعرا شديداً واكتفى بان يقول لذلك الخادم :
قل لي هل تنوي ان تقتلني ؟ ولم يزد .

وسمع بكتسر صاحب خلاط يموت صلاح الدين ففرح الفرح كله وحشد
الجنود ليحذف الى ميافرقين . فوثب اليه صهره هزرديناري عبد شهرامان وقتله
وملك مكانه . وحافظ علي محمد ابنه الصغير ورباه تربيته لابنه .

ومات في تلك السنة كذلك سينان امام الاسماعيليين في مصريات وخلفه
الناصر الفارسي . وكان ملوك العرب والفرننج يهابونه . وقد اعد سكاكين
كتب على كل منها اسم واحد من الملوك . وعندما كان يدفع سكيناً الى
احد اصحابه كان لا بد له من انجاز مرامه ولو طوح بذاته في البحر . وتضلع
سينان من شتى العلوم وعلم تناسخ الارواح طبقاً للرأي الافلاطوني ولقنه
لاصحابه . ولهذا السبب كانوا يستخفون الموت زاعمين انهم يبقون احياء بعد
ان يُقتلوا . وكان يُحتفي مراراً ويذاع عنه انه قدم مات ثم يظهر ثانية . ولهذا
اعتقد اصحابه بعد موته انه حي يرزق .

وفي السنة ١٥٠٤ لليونان (١١٩٣ م) احتال لاون صاحب قيليقية على
البرنس بوهيموند صاحب انطاكية وقبض عليه . ذلك ان بغراس كانت في
حوزة لاون كما ذكرنا آنفاً ولما تركها العرب وانهمزوا استرجعها ولقن حاكمها
الارمني ان يحدث البرنس سرّاً ويبلغه انه يحاول الانتفاض على لاون مولاه
ويسلمه القلعة ويعود الى انطاكية ويقيم بها . فامرسل الحاكم الى البرنس ووعده
بتسليم بغراس وصدقه البرنس وخرج كمن يقصد القنص وخرج معه ابنه وامراته
ولما وصلوا الى العين المجاورة للبلد دلى لهم الحاكم (٣٩٨) طعاماً وخمراً وقال
لهم : لا يتيسر لكم ان تدخلوا القلعة نهاراً ولكن اذا جنّ الليل واقبلتم
وجدتم الابواب مفتوحة ودخلتم خفية . ولا حاجة ان تحضروا معكم من
الفرسان احداً لئلا يشعر الحراس ويفتضح السر . بل اتركوهم يكتنوا قريباً .
صدق البرنس كلام الحاكم وغادر العين متظاهراً بانه متوجه الى انطاكية .
ولما كان المساء رجع هو وامراته وابنه وخدامه الصغار ووصلوا الى الباب
وشاهدوه مفتوحاً ودخلوا مسرورين . وقال لهم الحاكم : ناموا الان واستريحوا
حتى الضحى فنتشاور ونستدعي الفرسان شيئاً فشيئاً ونقبض على الحراس . ولما
ناموا ارسل الحاكم الى لاون وكان كامناً هناك فاقبل مع جمهور من الارمن
ودخل بغراس وقبض على البرنس واعتقله بالقيود واعتقل كذلك امراته وابنه
بالسلاسل ونكّل بالبرنس تنكيباً شديداً انتقاماً منه لانه سبق فنكل بروفين
اخيه . وظلّ البرنس معتقلاً ريثما اقبل هنري ابن اخت ملك انكلترا واعتقه
بالوعد والوعيد .

واشتدّ ساعد لاون على اثر موت السلطان قلعج ارسلان واحتل اثنين وسبعين حصناً بعضها من الأتراك وبعضها من اليونان واحوز النصر في كل مواقعه .

اما عز الدين مسعود صاحب الموصل فلما بلغه خبر وفاة صلاح الدين همّ ان يستولي على سورية . ف ارسل الى عماد الدين اخيه صاحب سنجار ونصيبين والى سنجر شاه ابن اخيه صاحب الجزيرة والى مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربيل وجهزهم جميعاً ليسضوا معاً وينتزعوا البلاد من آل صلاح الدين . غير ان الملك الافضل بن صلاح الدين الاكبر وكان متولياً دمشق مكان ابيه ارسل الى عمه العادل وكان يومئذ في دمشق واستحضره قسراً ليتولّى قيادة الجيوش ويبارز احزاب اتابك . وارسل كذلك (٣٩٩) الى اخيه الملك العزيز في مصر والى الملك الظاهر اخيه الثاني في حلب والى ناصر الدين بن تقي الدين ابن عمه في حماة والى الملك المجاهد بن ناصر الدين ابن عم ابيه في حمص وحشد الجنود منهم وسيّرهما مع عمه العادل الى مرج الريمان بضواحي الرها . ولما سمع عز الدين صاحب الموصل حشد هو كذلك جيوشه واقبل الى نصيبين وهناك اصابه سُهال اضطره ان يعود الى بلده وما عم ان مات . وكان رجلاً خيراً عفيفاً مُحسناً لم يشاهده احد يُخاطب جليساً الا وهو مطرق . ولم يسأله احد شيئاً الا لبي سؤاله . وخلفه ابنه نور الدين ارسلان شاه وكان قتيلاً مجاهداً الدين قياز .

وفي السنة ٥٩٠ للعرب (١١٩٣ م) زحف علاء الدين تكيش خوارزمشاه الى خراسان ولاقاه السلطان طغرل بجانب الري وقتل طغرل وارسل رأسه الى بغداد وعلّق برأس قصبه ونُصب بباب بلاط الخليفة . وملك خوارزمشاه همذان وسائر البلدان واقام له نائباً اسمه فوتولغ اينايغ بن البهلوان سلطان همذان سابقاً . وهو الذي ارسل واحضر خوارزمشاه عندما افلت السلطان طغرل من حبسه وتغلّب عليه وانتزع بلاده . وبطغرل هذا انتهت الدولة السلجوقية في خراسان وبقيت دولتهم التي ببلاد الروم . وهو ابن ارسلان بن طغرل بن محمد ابن ملكشاه بن ارسلان بن داود جفري بك بن ميخائيل بن سلاجوق بن توقاق . وفي تلك السنة اقبل الملك العزيز صاحب مصر الى دمشق لينتزعها (٤٠٠)

من الملك الافضل اخيه الكبير . فسار الملك العادل عمها وصالحها بان تبقى اورشليم للعزيز وجبله واللاذقية للملك الظاهر صاحب حلب وبعض قرى مصر للعادل . وبعد ما تهادنوا عاد كل منهم الى بلده .

وفي السنة ٥٩١ للعرب (١١٩٤ م) وجه الخليفة الناصر جيوشاً مع سيف الدين طغرل احد زعمائه الى اصفهان فسلمه اياها الاهالي لشديد بغضهم للخورزميين الطغاة الذين تغلبوا عليهم . وفي السنة عينها تهاى الملك العزيز صاحب مصر ليأتي الى دمشق وينتزعها من اخيه الملك الافضل . ولما سمع الافضل سار بذاته الى قلعة جعبر يريد عمه العادل و اخاه الظاهر ليستنجد بهما فاقبلا معه الى دمشق واقبل كذلك الملك العزيز وارسلوا الى العادل والافضل يقولون : هلمنا الينا ونحن نسلمكما آياه . فشرع العزيز بالمكيدة واستعجل في العودة الى مصر فقتبعه العادل والافضل الى مصر ووصلا الى بلبس وكان في امكانهما ان يحتلا مصر لكن العادل استعمل الافضل وعقد الصلح وعاد الافضل الى دمشق وتولى اورشليم كذلك . واقام العادل في مصر وتولى سياسة مملكة العزيز .

وفي السنة ٥٩٢ للعرب (١١٩٥ م) برز للملك العادل والملك العزيز من مصر واقبلا الى دمشق لينتزعاها من الملك الافضل . فاستعد هذا للحرب على اسوارها ووزع الابواب والابراج على زعمائه . غير ان عز الدين الحمصي حارس الباب الشرقي انتقض على الافضل وادخل العادل الى دمشق وتوجه الى دار اسد الدين شيركوه عمه ثم دخل الملك العزيز كذلك وانتزعا المدينة من الملك الافضل واستعماله على قلعة صرخد فسار اليها . وعاد الملك العزيز الى مصر واستمر العادل في دمشق كانه نائب مناب الملك العزيز وكانت السياسة كلها بيده والاسم للملك العزيز . وقد ارسل الملك الظاهر غير مرة من حلب الى الملك الافضل يقول : لا تصدق العادل لانه ان يجديك نفعاً . وانا اعرفه اكثر منك . لاني صهره وابن اخيه . ولو عرفت انه يشفق علينا لعاملني افضل من معاملته لك . فاجابه الافضل : لقد ساء ظنك في من هو قائم مقام ابينا ولا يمكن ان يؤذينا .

وفي السنة ٥٩٣ للعرب (١١٩٦ م) تحرش العادل بالفرنج مدعياً ان الصلح

قد النفي بوفاة ملك انكلترا وصلاح الدين . فسار الى يافا واحتلها عنوة . وارسل الفرنج الذين في ساحل البحر الى اصحابهم يقولون : الحقونا سريعاً والا احتل العرب كل السواحل . فوجه الفرنج جيوشاً ضخمة وعلى رأسهم رجل من الاكاييس يقال له شنسليز وزحفوا الى تبين وحاصروها حصاراً شديداً وكادوا يحتلونها لو لم يفاجنهم الخبر بان هنري صاحب عكة سقط من مكان عالٍ ومات . فالتجوا الحرب اذ لم يبق لهم ملك وارساوا في استحضار صاحب قبرص وزفوا اليه امرأة هنري . وما ان سمع العادل حتى ارسل في الصلح بشرط ان تكون بيروت للفرنج وتبين للعرب فتركها الفرنج وانطلقوا .

وفي تلك السنة مات ملكشاه بن خوارزمشاه في نيسابور وخلفه قطب الدين محمد مع ان الملكة كانت تحت لاختيه هندوخان طبقاً لوصية ابيها . ومات اذ ذاك كذلك سيف دين الاسلام طغتكين بن ايوب اخو صلاح الدين صاحب بلاد اليمن وخلفه ابنه اسمعيل ولم (٤٠٢) يكن مهذباً فوثب اليه الزعماء وقتلوه . وفي السنة ٥٩٤ للعرب (١١٩٧ م) توفي عماد الدين بن زنكي بن مودود بن زنكي بن اقسنقور صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقّة وخلفه ابنه قطب الدين محمد وكان وصية مجاهد الدين بن يقش عبد ابيه .

وفي تلك السنة زحف نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل الى نصيبين وانتزعا من قطب الدين محمد ابن عمه . ذلك لان قطب الدين توغل في بعض قرى ما بين النهرين بحدود الموصل فارسل اليه ليردها فأبى فحشد الجنود وتوجه الى نصيبين وقاتل قطب الدين وكسره وهزمه الى حران . فارسل الى العادل يستنجده . اما نور الدين فبعد احتلاله نصيبين واقامته بها اياماً ديب المرض في عساكره وقضى على ستة من زعماء الموصل المشاهير بينهم مجاهد الدين قياز حاجبه فاضطر ان يغادر المدينة ويعود الى الموصل فانقلب قطب الدين واسترجع نصيبين .

وفي تلك السنة سار خوارزمشاه الى بخارى وانتزعا من الخطا الصينيين وكان العرب البخاريون راتعين مع الصينيين الحكماء العاديين في مجابح السلام على رغم مخالفتهم لهم في الدين . وهذا ما حملهم على مقاتلة خوارزمشاه على

الاسوار اشد ما يكون حتى انهم احضروا كلباً البسوه ثوب خوارزمشاه والقوه الى الاهالي يقولون : هذا ملككم غير ان خوارزمشاه بعد ما احتل المدينة عفا عنهم ودفع لهم ذهباً واستحلفهم واحسن اليهم .

وفي السنة عينها زحف الملك العادل الى ماردين وحاربها حرباً عواناً وكان صاحبها حسام الدين فتى صغيراً وقيمه نظام الدين بن يقش . على ان الاهالي خدعوا وسلموا المدينة ودخلها جنود العادل وانتهبوها نهباً قبيحاً وافتعلوا فيها الاهوال (٤٠٣) وظلوا يحاصرون القلعة .

وفي السنة ٥٩٥ للعرب (١١٩٨ م) مات الملك العزيز بن صلاح صاحب مصر . وكان قد خرج الى القنص يطارد ذئباً فسقط عن الحصان واصابته الحصى فعاد الى القاهرة ومات فيها . وخلف ابناً صغيراً اسمه الملك المنصور فعصل خلاف بين الاقطاب وشاء بعضهم ان يكون الصغير خلفاً لايه وبعضهم اختاروا العادل وغيرهم الافضل . وتغلب احزاب الافضل وارسلوا فاستدعوه من صرخد ومأكوره . وعند ذلك لاذ خصومه بالفرار الى اورشليم واحتلواها . اما الافضل فحشد جيوش مصر وغادرها يريد دمشق . فارسل الدماشقة الى الملك العادل وهو في ماردين فترك فيها ابته الملك الكامل محتدماً وسارع الى دمشق . واقبل الافضل كذلك وحل فيها . غير ان جيوشه اختلفوا فتركوا وانقلبوا الى مصر ولم يستفيدوا شيئاً من قدومهم .

اما الكامل بن العادل فظل يضايق الماردنيين الذين في القلعة حتى قلت ذخيرتهم وانتابهم المرض . وعول نظام الدين وصي الصبي حسام الدين ان يسلم القلعة . غير ان نور الدين صاحب الموصل وولدي عنه صاحب سنجان وصاحب الجزيرة ثاروا عندما سمعوا الخبر وقال احدهم للآخر : اذا احتل اصحاب العادل ماردين احتلوا معها كل بلادنا . فاتفقوا لذلك اتفاقاً تاماً وزحفوا جميعاً الى دُنيسر وانحدر الكامل الى البرية واصطدم به المواصلة وكسروه . فانهزم مع اصحابه الى ماردين ولما وصلوا اليها شاهدوا ان المحاصرين في القلعة قد انحدروا الى المدينة ونهبوا الحيام واضطر الكامل ان يعود تلك الليلة الى حران ومنها الى دمشق عند ابيه العادل . قيل انه لو لم ينحدر اصحاب الكامل

من الجبل الى البرية لتعذر (٤٠٤) على المواصلة ان يزحزحوهم عن ماردین وكادوا يحتلون القلعة كذلك غير ان الله جلت احكامه يصنع ما يشاء .
وفي السنة ٥١٦ للمعرب (١١٩٩ م) حشد الملك العادل جيوشه وسار الى مصر . فسمع الافضل وجيش كذلك جيوشه وخرج ليارز عمه فانكسر وانهمز ليلاً الى القاهرة . وسار العادل وحاصرها واراد ان يحاربها . عند ذلك اشار الاقطاب على الافضل ان يوسل ويطلب الصلح بسبب عجزه عن مناوآته . فامتل الافضل المشورة وسأل ان يتولى دمشق بدلاً من مصر لكن الملك العادل رفض . ثم طلب الرها وحران فلم يلبه العادل . ثم طلب ميافرقين وحاني وجبل جور فوافق العادل . واقسم احدهما للآخر وانطلق الافضل الى صرخد وبمث ذويه ليتسأوا ميافرقين . اما نجم الدين ايوب بن العادل فقد امتنع ولم يسلم . وارسل الافضل الى العادل يخبره فاحتج العادل بان ابنه متسرّد وعاصر . ولما عرف الافضل ان ذلك اتفاق جرى بينه وبين ابنه اغض وعادل عن ارسال وسيط في الأمر .

وفي تلك السنة مات خوارزمشاه تكش بن الب ارسالان صاحب خوارزم وبعض خراسان كالري وبعض بلاد الجبل وخلفه ابن قطب الدين محمد ودعي علاء الدين باسم ابيه . وفي السنة عينها مات القاضي الفاضل الفقيه المصري وحيد عصره في مصر .

وفي السنة ٥٩٧ للمعرب (١٢٠٠ م) اتى العادل الخطبة للفتى الملك المنصور ابن الملك العزيز فاستاء الاقطاب وكتبوا الى الملك الافضل في صرخد والى اخيه الملك الطاهر في حلب وقالوا لها : هلمّ الى دمشق واذا برز اليك الملك العادل فنحن نعتقه وندفعه اليك . وقد سمع العادل شيئاً من هذا القبيل فارسل الى ابنه الملك المعظم شرف الدين (٤٠٥) عيسى وهو في دمشق ليستعجل الى صرخد ويحبس الافضل في قلعتها . ففر الافضل الى حلب عند اخيه الطاهر وزحفاً معاً الى منبج وهي للعادل واحتلاها واحتلاً كذلك قلعة نجم وانقبا الى حماة فدفع لها ناصر الدين بن تقي الدين ثلاثين الف دينار صوري فتركاها وتوجها في طريق بعلبك الى دمشق . وقررا كلاهما انها متى احتلا دمشق

تبقى للافضل ريثا يذهبان الى مصر ويحتلّانها وبعد هذا يردّ الافضل دمشق الى الظاهر وتبقى له مصر. بناء عليه حاصرا دمشق وما كادا يحتلّانها حتى حشد الظاهر اخاه الافضل وقال له : يجب ان تبقى لي دمشق وانا ابعث معك جنودي لتذهب الى مصر وتستولي عليها . فقال له الافضل : انك تعلم ان امي واهلي هم ضيوف في حصص على باب فيهم وقد استحضرتهم من صرخد اليها واعطيتها لزين الدين قراغا عبيد ابي ليساعدني . وعليه ارغب ان تترك لي دمشق لتستقر فيها النساء . ويلزمك انت كذلك ان تدافع عنهن ريثا نحتل مصر . لكن الظاهر اعترض ولم يرض . ولما رأى الزعماء ما حصل بينهما من النزاع تركوهما وانطلق بعضهم الى العادل وبعضهم الى دمشق . واذ ذاك اتفق الاخوان ووجهوا الى العادل عتمة في الصلح . و اضاف العادل الى الملك الظاهر ما عدا حلب منبج واقامية وكفرطاب وبعض الميرة . و اضاف الى الملك الافضل سيماسط وسروج وراس العين وجملين . ودخل الملك العادل دمشق وذهب كل منها الى مركزه .

ولما كان الظاهر والافضل يحاصران دمشق حشد نور الدين جيوشه واخذ معه ابن عتمة قطب (٤٠٦) الدين محمداً صاحب سنجار وصاحب ماردين وانطلقوا لينتصروا ما بين النهرين من آل العادل . وما ان بلغوا راس العين حتى دبّ فيهم المرض في الصيف . وكان الملك الفاتر بن العادل في حران فأرسل الى نور الدين في الهدنة . وهذا لما بلغه اتفاق الافضل والظاهر والعادل ولا سيما خبر المرض وافق هو كذلك على الهدنة . وتبادل الفريقان في الأيمان وعاد نور الدين الى الموصل وعاد كذلك كل واحد الى بلده .

وفي تلك السنة كان معزّ الدين قيصرشاه متولياً ملطية فزحف اخوه ركن الدين سليمان بن قلع ارسلان وحاصرها وانتزعها منه في حزيران ١٥١١ لليونان (١٢٠٠م) . وانهزم معزّ الدين قيصرشاه يريد الملك العادل حماة وهذا وجهه الى الرها واعطاه مؤونةً وسار ركن الدين من ملطية الى ارضروم وفيها ابن الملك محمد بن صلتق وهو من البيوتات القديمة المالكه تلك المدينة وخرج الى لقائه معرباً عن مودته وطاعته . لكن ركن الدين قبض عليه وسجنه واحتلّ

المدينة . وانتزع قونية كذلك من غياث الدين كيكسر واخيه . وانهمزم غياث الدين الى سورية وقصد الملك الظاهر صاحب حلب واخبره بها وقع مؤملاً بنجده . ولكنه لم يستفد منه شيئاً فانتقل من عنده واختفى . وجعل يطوف من مكان الى مكان حتى انتهى الى قسطنطينية . وبالغ ملكها في اكرامه جداً وزف اليه ابنة احد بطارقه العظام . وظل هناك الى ان احتل الفرنج تلك العاصمة كما سنذكر ذلك . وعلى اثر الاحتلال سافر غياث الدين يريد حماة وهو صاحب احدى القلاع . فرحب به وقال له : (١٠٧) حنبي وحسبك هذا البلد ريثا يفرج الله تعالى . واقام هناك الى حين وفاة اخيه .

وفي هذه السنة صار غلا . فظيع في مصر لان النيل لم يفيض كعادته واكل البشر جثث الحيوانات والبشر وتبع الغلا الطاعون . وحدثت كذلك زلزة قوّضت دوراً كثيرة واسواراً شاهقة في دمشق وحمص وحماة وطرابلس وصور وعكة والسامرة وبلغت الزلزة بلاد الروم ولكنها لم تكن قوية في بلاد المشرق . وفي السنة ٥٩٨ للعرب (١٢٠١م) سار خوارزمشاه محمد بن تكش الى خراسان وانتزع مرو ونيسابور من غياث الدين ومن اخيه شهاب الدين لانها كانتا له . ولما سار الى خوارزم بسبب موت ابيه اخذها غياث الدين . وقد ارسل اليه يقول : ما كنت اتوقع منك هذا بل ظننت انك كنت تجدي وتقاتل الصينيين ولكنك ابيت ذلك وألحقت بي الضرر . غير ان غياث الدين لم يرد اليه المدينتين المذكورتين صفواً فرحف واخذها عنوة . ولم يستطع غياث الدين ان يعارضه بسبب داء النقرس الذي اتابه . وكان اخوه شهاب الدين يبارز يومئذ الهنود .

وفي السنة ٥٩٩ للعرب (١٢٠٢م) وجه الملك العادل ابو بكر بن ايوب صاحب مصر ودمشق جيوشاً كثيفة مع ابنه الملك الاشرف موسى الى ماردين وحاصرها اياماً كثيرة واحتل القرى والضواحي . فتوسط بين الفريقين صاحب حلب الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين وعقد الهدنة بان يؤدي صاحب ماردين الى العادل مائة وخمسين الف دينار فضة قيسة كل دينار ستة دراهم ويخطب له ويكتب اسمه على الدراهم والدنانير . وقبض الملك الظاهر عشرين الف دينار

من ذلك المبلغ وانتزع منه قرية قرادي ببلد شبكتان وترك الاشرف وانطلق .
وفي تلك الغزوة كان التركمان يعيشون في البلاد (١٠٨) ويغزون حتى تعذر
على الناس السفر دون جنود وسلاح . وفي تلك السنة عينها عاد العادل فانتزع
من الافضل ابن اخيه سروج ورأس العين وجملين وانتزع منه الظاهر اخوه
صاحب حلب قلعة نجم ولم يبق له الا سيمساط فقط . ولما رأى ان عمه واخاه
قد ظلماه بعث رسولا الى ركن الدين سليمان بن الملك قلعج ارسلان صاحب
مطية وقونية وأبدى له الخضوع وخطب وطبع الدراهم باسمه واصبح كواحد
من الامراء في بلاد الروم . ثم كتب الى امه فقصدت الملك العادل وتوسلت
اليه ان يرد لابنها ما انتزعه من يده من البلاد ولكنّه رفض توسلها . هكذا
عاقب الله سبحانه صلاح الدين بعد موته مثلما عاقب هو آل اتابك عندما ارسل
اليه صاحب الموصل امه وابنة عمه ورفض توسلها . وفي هذه السنة رحل الملك
العادل الملك المنصور ابن الملك العزيز من مصر وجعل اقامته في الرها مع امه
واخوته خيفة ان يبايعه المصريون بالملكة .

ابتداء دولة المغول وهم التتر

ان وطن التتر الاول قبل تبسطهم في هذه البلاد الخارجية كان وادياً او
بقعةً فسيحةً شرقي شمالي المعمور مساحتها مسير ثمانية شهور طولاً وعرضاً . وبتقتهم
هذه يجدها شرقاً وطن الكنتين الصينيين اعني الخطا . وغرباً وطن اليفورينين
الأتراك . وشمالاً ارض تُدعى سلفجاي . وجنوباً الهند . وقبل ظهور جنكركخان
اول ملوكهم لم يكن لهم زعيم بل كانوا يؤدون الجزية لملك الكنتين اعني
الصينيين . وكانوا يلبسون جاود الكلاب والذئاب ويأكلون (٤٠٩) الفيران
وسائر الحيوانات الكريمة الميتة . ويشربون حليب الافراس . وعلامة زعيمهم
الفارقة أن ركاب فرسه يكون من حديد وركاب البقية من خشب .

وفي هذه السنة وهي السنة ١٥١٤ لليونان (١٢٠٣ م) و٥٩٩ للعرب كان
أونك خان اعني يوحنا الملك المسيحي متولياً شؤون قبيلة من قبائل الهونيين
البرابرة يقال لها كريت . وكان جنكركخان تاهضاً بخدمته دائماً فلما اطلع أونك

خان على نباهته وذكائه ونجاحه المتواصل حسده وحاول ان يقبض عليه ويفتك به . فشر صبيان من صبيان اونك خان بالديسية وأخبرا جنكرخان . وهذا بدوره أخبر أصحابه فتركوا خيامهم ليلاً واختفوا في مكمن . وعند الصباح تفقد اونك خان الخيام فلم يرَ بها احداً . وانقضَ عليه اذ ذاك اصحاب جنكرخان واصطدم الفريقان بجانب معين يقال له بالشرية . وانتصر فريق جنكرخان وانكسر فريق اونك خان . وتناوش الفريقان غير مرة حتى هلك فريق اونك خان وقُتل هو كذلك وسُويت نساؤه وابناؤه وبناته . اما ذانك الصبيان فقد شرفها جنكرخان ووضع لها ناموس حرية بانها في اي معركة حضرا هما وابناؤهما من بعدهما جيلاً بعد جيل فلا يؤخذ منهم أحد . ولهم ان يدخلوا دور الملوك دون استئذان . واذا اقتروا ذنباً فلا يُأقبوا . ثم كافأ سائر الذين رافقوه في تلك المعركة وجعلهم زعماء . وكان في جملةهم بعض المغول المشهورين باسم اويرتين وقد أبدوا بطولة اكثر من غيرهم وجاهدوا خير جهاد وبالغ جنكرخان في تشريفهم ووضع شريعة تفرض (٤١٠) على كل ابناء الملوك المتحدرين من سلالة ان يتخذوا العرائس من بناتهم . وان يتخذوا هم كذلك العرائس لبنينهم من بنات الملوك . وجرت تلك الشريعة بينهم حتى يومنا هذا .

اما الملك يوحنا الكريتي فلم يرذله الله تعالى الأبعد ان زاغ قلبه عن محبة المسيح مولاه الذي رفع مقامه . فقد اقترن بامرأة اسمها قراخطا من القبائل الصينية . وهجر دين آبائه وعبد الآلهة الغريبة . ولهذا انتزع الله جلّت احكامه الملك من يده وأعطاه لمن هو أفضل وأعدل منه .

وظهر آتئذ بين التتر رجل يطوف الجبال واللال عرياناً وسط الشتاء في البرد والزمهرير القاسي في تلك البلاد ويغيب اياماً ثم يأتي ويقول : اني زرتُ الله سبحانه وكأمني وقال : ان الارض باسرها قد اعطيتها لتموجين واولاده وسُميته جنكرخان . وكان اسمه القديم توركين وسماه التتر تبت تنكري .

ابناء جنكزخان

ولد جنكزخان بنين وبنات كثيرين . اشهرهم واعظمهم اربعة هم الذين ولدتهم الملكة الكبيرة واسمها ياسونشين باجي . اولهم توشي . ثانيهم جفاتاي . ثالثهم اوكتاي . رابعهم تولي . فولى توشي امر الصيد والطرود وهو احب الامور واكرمها لديهم . وولى جفاتاي امر الشرع وهم يدعونه ألياسه . وولى اوكتاي سياسة المملكة . وولى تولي الصغير أمر الجيوش والقواد . وعين لكل من الاربعة بلداً خصوصاً يقيم فيه . اما اخوه (٤١١) اوتكين تومان فاقام مع ابناء عمه وانسابه في بلاد الخطا .

الشرائع التي وضعها جنكزخان

لم يكن للقول كتاب وكتابة فامر جنكزخان العلماء الايغوريين فلقنوا ابناء التتر لغتهم . وصاروا يكتبون اللغة المغولية بحروف ايغورية كما يكتب الاقباط لغتهم بحروف يونانية والمعجم بحروف عربية ثم أمر ان تُكتب الشرائع التالية :

الاول : اذا ارادوا ان يكتبوا الى الخوارج او يرسلوا اليهم سفيراً فلا يهددونهم بكثرة جيشهم وعددهم بل يكتبوا ان يقولوا لهم : ان اطعتمونا فرتم بالخير والراحة وان خالفتمونا فلا نعظم نحن بل الله الازلي يعلم ما يحل بكم . وفي ذلك يبدو اتكاهم على الرب وهذا ما جعلهم يغلبون وينتصرون .
الثاني : ان يعتبروا ويحترموا الاعفاء والأطهار والابرار والاساتذة والحكام من اي امة كانوا . وان يعتقدوا الاشرار والاثمة . وبما انهم شاهدوا العفاف وتلك المزايا في المسيحيين اكثر من غيرهم فقد احببهم في بد، دولتهم مدة وجيزة ثم انقلبت محبتهم بغضاً حتى أصبحوا لا يرضون ان يلحظوهم بعيونهم ثم أسلموا قاطبة ربوات في ربوات من مختلف الامم .

الثالث : ان لا يلقبوا ملوكهم واقطابهم القاباً كثيرة حافلة بالتعريض والتبجيل على مثال سائر الامم ولاسيا المسلمين . وان يكتبوا لمن يستوي على

عرش المملكة بلقب واحد فقط وهو خان او قان . اما اخوة الملك وانسابه فيجب ان يستوه باسمه الاول يوم ميلاده .

الرابع : عندما يكونون في طمانينة من قتال الاعداء . يجب ان يلتهاوا بالقنص ويدربوا ابنائهم في قنص الحيوانات كي يصبحوا محتكين في الحرب ويحرزوا القوة والصبر على الضيم . واذا بارزوا اعداءهم وجب ان يبارزوهم مبارزة الوحوش دون هوادة .

الخامس : يجب ان يتولى رئيس واحد على عشرة من المجارين ممن بلغوا العشرين من سنهم فصاعداً . ويتولى كذلك رئيس على المائة ورئيس على الالف ورئيس على الربعة

السادس : يازم كل الشعب (٤١٢) المغولي ان يساعد الملك كل سنة بماله وثروته من خيل وغنم ولبن حتى الصوف .

السابع : يجب ان يظل العسكري في صفه سواء اكان من الالف ام من المائة ام من العشرة ولا ينتقل الى مكان آخر والا قتل هو والذي يقبله .
الثامن : يجب ان يفرز من كل ربوتين من الخيل مركوب للسفراء يقف على ناحية الطريق .

التاسع : لا يؤخذ شيء للملك من تركة من يموت دون عقب . بل يجب ان تبقى تركته وامراته لمن كان يندمه .

والمغول شرائع اخرى كثيرة ضربنا الصفع عنها حذراً من الاسهاب وقد اوردنا منها برضاً من عذر .

كيف انضم المغول الى عبادة الاوثان

لم يكن للمغول في اول الامر كتاب ولا دين خصوصي لكنهم عرفوا الالهة واحداً خالق الكل . وكان بعضهم يستون السماء الالهة ويعتقدون هكذا حتى تغلبوا على الاتراك الاينوريين وصادفوا بينهم سخرة يقال لهم قاميون . وسمنا الكثيرين منهم يشهدون ويقولون : انا سمعنا اصوات الالبسة تكلمهم من نوافذ الخيام . ذلك بعد ما ينتجسون من رجال آخرين لان اغلبهم خنائي .

وتبلغ قذارتهم الى حد انهم اذا راموا عمل شيء من سحرهم اغتصبوا كل من صادفوه واضطروه ان ينجسهم . فلما شاهدهم المغول على تلك الصورة مالوا اليهم بقلبي سليم .

وبعد هذا بلغ جنكرخان ان للصينيين اعني الخطا اصناماً واحباراً حكماء فارسل اليهم وفوداً وطلب منهم احباراً ووعد انه يعاملهم اكرم معاملة . ولما وصلوا اليه امر ان يعقدوا جلسة مع القاميين للمناظرة والجدال في قضية الدين . فتكلم الاحبار واوردوا شيئاً من كتابهم الذي يسنونه «نوما» وتغلبوا على خصومهم وأفصحوهم وهم خالون من كل علم . ومن ثم ازداد اعتبار الاحبار لدى المغول فامتشاوا امرهم (٤١٣) واستنبطوا لهم اصناماً وسبكوا لهم قائل على شاكلة بلادهم وجعلوا يقرؤون الذبائح والضحايا كما دعتهم . وعلى اكرامهم للاحبار لم يحترقوا خصومهم التاميين وغدا الحزبان ما بينهم يتفرد كل حزب بعمله لا يمتقر احدهم صاحبه . ذلك خلافاً للامم اصحاب الكتب والانبياء فانهم كلما اجتمعوا تلب احدهم صاحبه وحكم بانه كافر .

وفي كتاب الاحبار المذكور نُبذ من أمثال الوثنيين مما اورد بعضه القديس غريغوريوس اللاهوتي وبينها شرائع حسنة : كالنهي عن الغسد والاذى وعن مقابلة سوء بالسوء وعن قتل الحيوان الصغير كالقمل والبق . وهم يعتقدون عقيدة افلاطون بتناسخ الارواح . وان الابرار والصدّيقين الصالحين تنتقل بعد موتهم ارواحهم الى اجساد الملوك والزعماء . وتنتقل ارواح الاشرار والاثمة الى اجساد مقترفي الشرور فتعذبها وتكمل بها . وقس عليها اجسام العجاوات والدبابات والطيور . واذا حضر احدٌ لاولئك الاحبار لحماً ليأكلوا سألوه : هل قتلت هذا الحيوان لاجلنا ام اشتريته من السوق ؟ فاذا قال لاجلكم أبوا اكله .

ما الذي دفع المغول ليحاربوا بلاد العجم وغيرها من بلاد الغرب ؟

لم يكن للمغول حضارة فاحتاجوا الى استحضار البسة وفرش من سائر المدن . وكتب جنكرخان الى التجار يؤمنهم كي يحضروا الى بلاده وامر حراس الطرق اعني القرقوشيين ان لا يتصدوا لاحد منهم . فأقبل ثلاثة رجال

من بخارى في ثياب واقشة ممتازة وبضائع مختلفة عرفوا ان المغول في حاجة اليها ووصلوا الى المعسكر الكبير . فأمر جنكرخان اصحابه فأشرفوا على تلك البضائع (٤١٤) وسألوا عن قيمتها . فطلب احمد احد اولئك التجار الثلاثة الفين ومائة درهم فضة با قيمته عشرة دنانير . فسخط جنكرخان وقال : هل يظن هذا الانسان اننا لم نشاهد بضاعة البتة ؟ ثم اشار الى القهارة فأحضروا بضائع مذهبة كثيرة وعرضوها على اولئك التجار . ثم أمر باعتقال ذلك التاجر وكتابة كل ما معه . ثم احضروا التاجرين الآخرين واطلعوا على بضائعها وسألوا عن قيمتها فلم يذكراها لهم لكننها قالوا : انما جئنا بهذه البضائع كراماناً للخان فاذا احب ان يتكرم علينا بشي فهو يعرف . فأعجب الخان كلامها وأمر ان يدفعوا لها بدلاً من كل آنية مذهبة سبعمائة مثقال . وبدلاً من كل قطعتي قاش قطن سبعمائة مثقال فضة . ثم اشفق على التاجر الثالث ودفع له مثلاً دفع لرفيقه .

ثم اصدر السلطان امره الى الملكات والى ابناؤه وبناته ليدفعوا ذهباً لمبيدوم ويرسلوهم مع اولئك التجار الثلاثة ليأتوهم ببضائع . فامتلأوا الامر واجتمع زهاء اربعمائة تاجر وأرسل معهم سفيراً الى محمّد سلطان العجم يقول : قد أوصينا ان يسود الامان دول الارض كلها منذ الآن فصاعداً . وان يغدو التجار ويروحوا دون خطر اميش الاغنيا . والمساكين في السلام ويشكروا الله تعالى . ولما ارتحل السفير والتجار ووصلوا الى مدينة اوترار بالعجم أرسل ايناشوق الوالي فاخبر السلطان فطمع السلطان با معهم وأمره ان يقضي عليهم كافة خفية . فنهض الوالي با أمر وأفلت واحد منهم باشارة الهية وعاد فاخبر جنكرخان با جرى . فاستشاط غضباً وقصد وحده قمة الجبل وكشف رأسه ولصق وجهه بالتراب واقام هناك ثلاثة ايام طاوياً (٤١٥) يحدق في السماء ويقول : أيها الرب الخالق الاكوان انت تعلم ان غايتي انما هي للخير . وهذا عدوي هو الذي بدأ يريد الشر . فأتوسل اليك ان تجازيه حسب اعماله . ومنذ ذلك جعل جنكرخان يوجه الجنود الى بلاد العجم ليحاربوها بغم السيف كما سنذكر ذلك .

انتزاع الفرنج قسطنطينية من اليونان

في نيسان السنة ٦٠٠ للعرب و ١٥١٥ لليونان (١٢٠٤م) انتزع الفرنج قسطنطينية من اليونان وألقوا دولتهم منها . وكان ملك اليونان قد اقرن باخت الملك فرنسيس ووادت له ابناً . وكان ملك اليونان اخُ خرج عليه وفقاً عينيه وأماته في السجن . فانهزم ابن القليل يريد خاله الملك فرنسيس فحملته النخوة وحشد الجنود واقبل الى قسطنطينية وحاصرها . وكان الاهالي حاقدين على الطاغية قاتل اخيه فاضرموا المدينة بالنار وانتهى المحاربون على الاسوار فتساق الفرنج وهبطوا المدينة وهزموا الطاغية . وقتلوا ذلك الفتى عرش الملكة بالاسم والصورة وتولوا هم الامر . وجعلوا بضايقون الاهالي بالضرائب الباهظة . وابتزوا امته الكنائس والصلبان وصفائح الاناجيل وما على الصور من ذهب وفضة .

ولما شاهد الاهالي تلك القساوة وذلك النهب وثبوا الى الفتى ابن الملك وفتكوا به واخرجوا الفرنج من المدينة واغلقوا الابواب في وجوههم . وظلّ الفرنج يسترسون في الحرب خارجاً حتى كلّ الاهالي وخارت قواهم وأرسلوا يستغيثون بالسلطان ركن الدين صاحب قونية ولكنه لم يتمكن من مساعدتهم وعند ذلك ثار التجار الفرنج القاطنون المدينة وهم (٤١٦) زهاء ثلاثين الفاً لم يدر احد بعددهم هذا الفخر نظراً الى اتساع العاصمة واضرموا النيران في المدينة نانية حتى التهمت ربعها تقريباً . ثم فتحو الابواب للفرنج فدخلوا وامتشقوا السيوف وقتلوا من اليونان جماهير غفيرة . ولاذ الكثيرون منهم بكنيسة اجيا صوفيا فسار اليهم الفرنج وخرج اليهم البطريرك والاساقفة والقساوسة حاملين الصلبان والاناجيل وخرّوا امامهم صارخين مبتهلين في شأن البقية التي في الكنيسة فلم يكثر لهم الفرنج بل اجهزوا عليهم وعلى الكهنة وانتهبوا الكنيسة .

وكان يتولى قيادة الفرنج ثلاثة زعماء : اولهم دوقس البنادقة وهو شيخ ضرير وفي سفنه ومراكبه ركبوا . ثانيهم المركيس مقدم الافرنسيس وثالثهم

غوندفلند . واقترحوا على من يملك قسطنطينية فخرجت القرعة للثالث .
وتولى البنادقة جزيرتي اقريطش ورودس وغيرهما من الجزائر . وتولى المر كيس
البلاد التي هي شرقي الخليج الذي يمر في البنطس كاللاذقية ونيقية وفيلدافية
وغيرها . ولكنها لم تدم له لان لشكري البطريق اليوناني تغلب عليها وانزعها منه .

وكان نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وابن عمه قطاب الدين محمد
ابن زكي صاحب سنجار على ولاء تام . لكن الملك العادل القى بينهما
الخلافا . ومن ثم زحف نور الدين الى نصيبين وهي لابن عمه وحاربها وكاد
يحتلها لو لم يات الخبر من الموصل بان مظفر الدين كوكبري ابن زين الدين علي
كوجك صاحب اربيل زحف الى نينوى وسبها واحرق غلاتها . بناء عليه ترك
نور الدين (٤١٧) نصيبين وسار الى مدينة بلد فسمع ان مظفر الدين عاد الى
اربيل فسار هو الى تل عفر واخذها عنوة . وكان الملك الاشرف بن العادل
في حران يومئذ فاقبل الى راس العين واتفق مع مظفر الدين صاحب اربيل
ومع صاحب آمد وحصن كيفا ومع صاحب الجزيرة وصاحب دارا ليمنعوا
صاحب الموصل عن اخذ شي من صاحب سنجار . واحتشدوا جميعاً في نصيبين
ثم ساروا الى باعربايا . وسار نور الدين الى كفر زمار ومنها الى بوشندة وحل
هناك هو وعسكره ليستجمعوا قواهم . فركب الاشرف ومن معه ونازلوا
نور الدين فانكسر جيش نور الدين اقمح انكسار وأفلت مع اربعة من رجاله
فقط الى الموصل . وزحف خصومه الى ضواحيها وسبوا واحرقوا وعاثوا خصوصاً
في مدينة بلد .

قيل ان امرأة كانت تطبخ طعاماً سمحت ما جرى من السبي فاخرجت
دملجيين من معصيتها وطمرتها في النار وانهمت . فاقبل احد الفرسان الى بيتها
يبعث عن شيء يأكله فلم يظفر إلا ببيضة واحدة فاخذها وقصد النار ليشويها
وفياً كان يقلب النار عثر على ذينك الدمالجيين . تلك مصادفة غريبة .

واقام خصوم نور الدين اياماً كثيرة يعيشون في الضواحي والرسل يغدون
ويروحون حتى استجمعوا تل عفر واعطوها لابن عمه وعقدوا الصلح وتفرقت
العساكر .

وبعد ما احتلّ الفرنج قسطنطينية استجمعوا قواهم واقبلوا الى فونيقية وسبوا حتى الاردن واجهزوا على كثير من العرب ووصلوا الى حماة فخرج اليهم ناصر الدين بن تقي الدين بن شاهنشاه بن ايوب فانكسر اقبج انكسار وانقلب الى حماة . وخرج الحمويون ليبارزوا الفرنج فهلكوا قاطبة . فارسل الملك العادل وأعطى الفرنج الناصرة وسائر البلاد التي كانت غلاتها تُقسم بين الفرنج والعرب وعقدت (٤١٨) الهدنة .

وما عم ان خرج اقوام آخرون من الفرنج واقبلوا الى مصر وغنموا غنيمة وافرة وعادوا .

وفي تلك السنة انتزع السلطان ركن الدين صاحب ماطية وقونية مدينة انقره من اخيه بعد ما حاصرها اعواماً لانها كانت حصينة جداً . وأخرج منها اخاه وابنيه واعطاهم قلعة في الحدود الخارجية . وفيما كانوا ذاهبين وجه اليهم اخاه ركن الدين واصحابه بشكل لصوص وفتكروا بهم . ولم يمض على قتلهم خمسة ايام حتى أصيب بداء المفاصل ومات حالاً . وخلفه ابنه قلعج ارسلان وهو في سن الفتوة . وكان ركن الدين ذاهيةً منتظماً في اعماله مياًلاً الى رأي الفلاسفة الحوارج لا يتظاهر بذلك .

وفي تلك السنة حدثت زلزلة مريعة قوّضت سور صور وابنية كثيرة في مصر وفلسطين وما بين النهرين والموصل وقبرس وصقلية .

وفي السنة ٦٠١ للعرب (١٢٠٤) نشأ خلاف بين الزعماء في بلاد الروم . وارسل امير من امراء اوج ببلاد التركان الملاصقة لبلاد اليونان فطلب غياث الدين كيكسرو الذي كان قد هرب ولاذ باليونان . وحشد جيوشاً جرارة زحف بها الى قونية . فخرج عساكرها وكسروا المهاجمين وهزموهم . اما غياث الدين فطار في ما يصنع والى ابن يذهب فلاد بمدينة صغيرة مجاورة لقونية تُدعى الجرام . ولما شعر اهالي اقسرا اشفقوا عليه وطاردوا حاكمهم ونادوا باسم غياث الدين وضارعههم اهالي قونية فاجتمعوا بزعمائهم ونادوا باسمه وبعثوا فاستحضروه اليهم . فالقى القبض على قلعج ارسلان الفتى ابن اخيه وسجنه هو واصحابه وما عم ان خضع له (٤١٩) اهالي البلاد اجمع . وجاء اليه اخوه

قيصرشاه من الرها وكان قد هرب من وجه اخيه ركن الدين عندما انتزع منه ملطية فاعطاه ذهباً وافراً واعاده الى الرها ولم يرض ان يبقى لديه .
وسار السلطان غياث الدين الى قيسارية وزاره الملك الافضل بن صلاح الدين صاحب سيمساط ونظام الدين صاحب حصن زياد وأبديا له الخضوع فعظم اسمه جداً .

وفي تلك السنة سار ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا ارسلان صاحب آمد يريد الاشرف بن العادل وسأله ان يتوجه معه ويعيد اليه حصن زياد مثلما وعده . فحشد الاشرف جنود سورية والموصل وسنجار والجزيرة وزحف الى تلك المدينة واحتلها وجعل الفريقان يحاربان في القلعة . واذ ذاك توجه صاحب حصن زياد الى السلطان غياث الدين ليستنجده فسير اليه ستة آلاف فارس بقيادة الملك الافضل صاحب سيمساط . وبيلوغهم الى ملطية سمع الاشرف وصاحب آمد فانحرفا نحو خرت برت (حصن زياد) وسارا الى بحيرة سمانيين وفيها قلعتان احدهما لصاحب آمد والثانية لصاحب حصن زياد وصوبوا القتال نحو قلعة حصن زياد وامتلكاها واقاموا فيها حراساً . ولما وصل السلطان الى خرت برت ارتحل صاحب آمد الى بلده ورجع جيش السلطان الى بلاد الروم .

وفي السنة ٥١٦ هـ لليونان (١٢٠٥ م) زحف الكرج الى اذربيجان وقتلوا خلقاً كثيراً وغنموا غنائم وافرة . ثم توجهوا الى خلاط وارضروم . فتوجه صاحب خلاط يريد ابن قلع ارسلان صاحب ارضروم واخذ من عنده جيشاً وعاد فبارز الكرج وقتل في الحرب زكري الصغير القائد الكرسي وانهمز الكرجيون الى بلدهم .

وفي تلك السنة ولدت امرأة ولدًا ذا (٤٢٠) رأسين واربع ارجل واربع أيدٍ ومات في يومه . ودخل اعميان عربيان ليلاً احد مساجد بغداد وقتلا أعمى آخر يظنان انها يجدان معه دراهم . ولما كان الصباح خافا وخرجا ليقرا الى الموصل ولقيها جندي ذاهب في امر من الامور فقال على سبيل المزاح ان هذين الاعميين قد قتلا ذلك الاعمى . لانه لا يقتل الاعمى غير الاعمى . ولما سمعا كلمة الجندي جلس احد الاعميين على الارض وقال : اقم بالله لست انا

الذي قتله بل هذا . فقال الثاني : كلاً بل انت قتلته . فقبض عليها معاً وسيقا الى المحاكم فأقر أن الواحد أمسكه والثاني خنقه بالحبل فامر الحاكم ان يُقتلا . وفي السنة ٦٠٢ للعرب (١٢٠٥ م) ظهر جنس من الأكراد التيرهانية انحدروا من جبال حاداي وحدثوا خراباً عظيماً في تلك الانحاء . فرحف اليهم جيش العجم وقتك بعدد غفير منهم . على ان هولاء الأكراد لم يدينوا بدين الاسلام بل استمروا في عبادتهم الوثنية المجوسية القديمة . وكانوا اذا وقع بين يديهم مسلمٌ نكأوا به اشد التنكيل وقتلوه . ومن عاداتهم انه اذا وُلدت لاحدهم ابنةٌ وقف على باب بيته وصاح قائلاً : مَنْ يخطب هذه البنت ؟ فاذا قرر احدٌ خطبتها تركها حيةً وآلا قتلها . ولهذا السبب نساؤهم قلائل وقد تكون المرأة لجميع رجال البيت الواحد . واذا غشيا الواحد منهم ترك حذاءه على الباب لئلا يدخل احدٌ غيره ريثما يخرج هو فيدخل الثاني . اما الولد الذي يتلد فيكون الكبير فيهم أباه .

وفي السنة ٦٠٣ للعرب (١٢٠٦ م) زحف الكرج ثانيةً الى بلد خلاط وسبوا واحرقوا وقتلوا وانقلبوا . واحتل غياث الدين كيكسرو في شهر شعبان انطاكية وهي على ساحل البحر . وكان قد وجه اليها الجيوش في السنة الماضية وبعث اهاليها اليونان الى قبرص القريبة منهم يستنجدون الفرنج (٤٢١) . أما السلطان فاستدعى جيوشه من المدينة واقامهم كماً في الجبال فكانوا كلما خرج منها احد قبضوا عليه . وظلوا متقلبين في الضيق حتى ارسلوا الى السلطان وسألوه المدينة . واتفق الاتراك واليونان وحاربوا الفرنج وانتزع السلطان قلعها واستأسر من فيها من الفرنج واحتل كوتاس كذلك .

وفي هذه السنة استفحل امر محمد بن بكسر سلطان خلاط ففتك بصهره هزار دينايزي قاتل ابيه وقد تقلب في عيش بدخ منذ نعومة اظفاره فابغضه الخلاطيون . وانتفض عليه بلبان احد عبيد شاه ارمن في منازكد وارسل بعض الخلاطيين الى ناصر الدين ارتق بن ايلغازي بن ألي بن تيمورطاش بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردن يقولون : ان هذا ابن خال ابيك ليس له رأس ليعيش فهلم نسلهك المدينة . فرحف صاحب ماردن في جيوش اتراك

ومعدّين وهم جياع وتهمّأوا للحرب . غير ان بلبان ارسل الى صاحب ماردین يقول : ان الحلاطين ينفرون من المعدّين الذين معك فالأولى ان تترك خلاط وانا ادبر امرك . غير انه لم يرضَ فارسل اليه بلبان يتهدّده لم يرجع الى بلده . واخيراً لما رأى ان جيوشه قليلة خاف وعاد وشاهد بلده قد غزاه الملك الاشرف . وقد اقام الاشرف في دنيسر وجمع منها اموالاً كثيرة وتركها وعاد الى حرّان .

اما بلبان فحشد الجنود وزحف الى خلاط ولم يتيسر له احتلالها حرباً . وجعل يعد الحلاطين وعوداً طيبة وأقيم لهم ايماناً مغلظة بانه لن يؤذي احداً البتة فسأموه . ولما دخل المدينة اوثق ابن بكسر وسجنه في احد الحصون وقوي أمره . وفي تلك الغضون سار الملك الاوحد نجم الدين ايوب بن العادل واحتل قلعة (٤٢٢) موش ومدينتها وتوجه الى خلاط . فاغلق بلبان الثغور وقتك بكثيرين من اصحابه واقبلت نجم الدين مع قليل من المصابين بالضربات ووصل الى ميافرقين بلده .

وفي تلك السنة اجتل الكرج مدينة القرص بولاية خلاط بعدما حاصروها اعواماً كثيرة وقطعوا عنها الدخيرة . وفي هذه السنة ٦٠٤ للهـ للعرب (١٢٠٧ م) ارسل الملك الاوحد الى ابيه الملك العادل يستنجده ليحرف الى خلاط . فسير اليه الملك الاشرف في جيش كثيف وحطوا الرحال قرب المدينة فبرز اليهم بلبان ولكنه عجز عن مناهضتهم وانهم من امامهم وعاد الى خلاط وارسل سفيراً الى مغيث الدين بن قليج ارسلان صاحب ارضروم يستنجده . فاقبل هو بذاته وخرج بلبان الى لقائه ونازلا كلاهما الملك الاوحد واخاه وطاحطحاهما وهزماههما . وواصل الزحف الى موش وكادا يحتلانها لو لم يغدر ابن قليج ارسلان بلبان ويقتله ليتولى هو خلاط . لكنه لما توجه اليها سدّ الاهالي الابواب في وجهه فانقلب الى منازل كرد فقاومه اهاليها كذلك فعاد الى بلده مأیوساً . ثم ارسل الحلاطيون فاستدعوا الملك الاوحد وولوه المدينة .

غير ان الولاة العرب المجاورين لم يردّوهم ابن العادل اذ كانوا يتخوفون من ابيه . فاجلوا ينفرون الحلاطين ولاسيما الكرج . ثم انتفض بعض الامراء .

الخلاطين على الاوحد واحتلوا قلعة وان وهي من احصن القلاع في تلك الانحاء . واحتلوا معها ارغيش . ولم يتمكن الاوحد من استرجاع وان الا بعد مضايق كثيرة وتوسط الاشرف اخيه . وقد استاء الخلاطيون بتسليم المدينة الى اصحاب العادل . ولهذا لما خرج الاوحد الى منازل كرد لينظمها (٤٢٣) كما يجب وثب الخلاطيون زعماء الصفوف اعني المنجدابكير بلسانهم الى احزاب الاوحد وطردوهم من المدينة وحاصروا القلعة . فسمع الاوحد وزحف الى خلاط في جيوش ما بين الزهرين . ووقع اذ ذلك خلاف بين الاهالي فاحتل الاوحد المدينة وقتك بجاهير غفيرة من الخلاطين واعتقل الكثيرين ورحلهم الى ميافرتين . هكذا نهدت فورة الشبان زعماء الصفوف الذين كانوا ينصبون ويفزلون من شأؤوا .

وفي تلك السنة مات غياث الدين كيكسرو وخلفه ابنه عز الدين كيكاروس . فقبض على اخيه علاء الدين كيقباد واعتقله في قلعة مسارا التي باسفل دير مار اهرن بالجيل المبارك قرب ملاطية .

وفي السنة عينها زحف الفرنج من طرابلس الى حمص وعاثوا في ضواحيها وتعذر على صاحبها اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه الكبير ان يدخرهم . واستولى القبرصيون كذلك على سفن عربية شتى واعتقلوا اصحابها . فسمع العادل وغادر مصر في جيوشه فكف للفرنج .

وفي تلك السنة مات كذلك علاء الدين بن قرا سنقور صاحب مراغة وخلفه ابنه الصغير وما عم ان مات هو كذلك . فاقبل نصره الدين ابوبكر ابن البهلوان صاحب تبريز واحتل المدينة وصقعها سوى قلعة راوند فقد قاومه فيها الحاجب مرابي الفتى المنوفى .

وفي السنة ٦٠٥ للعرب (١٢٠٨ م) زحف جيش ضبخم من الكرج الى ضواحي خلاط ودخلوا مدينة ارغيش واحتلوها وانتهبوها وقتكوا بشيوخها وشبانها واعتقلوا النساء والبنين والبنات وقوضوها وتركوها قاعاً صفصفاً . وكان نجم الدين الاوحد في خلاط ولم يتمكن من مبارزتهم لكثرة عددهم فضلاً عن انه لم يكن واثقاً بالاهالي وقد سبق ففتك بالجاهير منهم . واعتقد انه ان

غادر المدينة قمرًا أهلها وسلموها الى الكرج .

وحدث في تلك السنة زلزال قوي (٤٢٤) في نيسابور اضطرّ الاهالي بسببه ان يغادروها قاطبةً الى البرية ومكثوا هناك اياماً كثيرة حتى انتهى الزلزال فعادوا . وحدث زلزال كذلك في خراسان الا انه لم يكن قوياً كزلزال نيسابور .

وفي السنة ٦٠٦ للمرب (١٢٠٩ م) عُقد الصلح بين الملك العادل ونور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل . وزف نور الدين ابنته الى احد ابناء العادل . ثم اتفقا على ان ينترعا سنجار من صاحبها قطب الدين ويتولاها العادل . ثم يجتلان جزيرة قردو من ابن سنجر شاه صاحبها ويتولاها نور الدين . وتاهب العادل واقتل فاحتل الخابور ونصيبين وكاتنا لصاحب سنجار . فسمع نور الدين وندم وأمسى كمن افاق من سكرته وافكر انه اذا احتل سنجار والجزيرة فلا بد ان ينترعها منه وينترع الموصل كذلك من يده . ولما شاور المفكرين لاموه جميعاً لانه لم يُبَح لهم بما عقده مع العادل سراً . ثم قالوا له : لا مندوحة لك الا بالنجاس ما وعدته به . والافقيم عليك الحجة ويأتي اليك كمن يأتي الى من نقض الأيمان . واذا كان يتخبط بتلك الهواجس ويتظاهر بانه يهيئ جيشاً ليرسله الى نمجة العادل وافاه سفيرٌ ليلاً من قبل مظفر الدين كوكبري صاحب اربيل يعده بان يحشد جيوشه ويوافي اليه ويتفقان معاً على كفت يد العادل من تلك البلاد . فابتهج نور الدين كل الابتهاج وحلف على ذلك وعاد السفير في الليلة عينها واخبر مظفر الدين . فحشد جنوده وسارع حالاً وحلّ خارج الموصل . ثم ارسل سفيراً الى الخليفة ليكتب الى العادل ويعتفه بسبب طمعه . وسير سفيراً ثانياً الى الملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب والى السلطان عز الدين كيكافوس فوعده الجميع بالمساعدة . زد عليه ان اصحاب العادل انفسهم لم يجاروا سنجار حرباً قوية ولا سيما أسد الدين صاحب حمص فقد كان يرسل علانيةً الى المدينة قحاً (٤٢٥) وغنماً . وكان صاحب سنجار مستعداً ان يسلم البلدة ويأخذ عوضها ولكنه تشجع وتثبت . ثم وصل سفير الخليفة الناصر ووتبخ العادل فلم ير الا ان يعقد الصلح ويكتفي بالخابور ونصيبين

ويعود الى سورتيه .

ولما كان مظفر الدين صاحب أربيل يومئذ في الموصل زفأ ابنتيه الى عز الدين مسعود وعماد الدين زنكي ابني نور الدين وكان مظفر الدين فيما سبق يعضد اصحاب العادل لكنّه لما ارسل صاحب سنجار ابنه متوسلاً اليه ليراجع العادل كي يتركه في مركزه كتب اليه في ذلك واثقاً بانه لو طلب نصف بلاده لما رفض طلبه . لكن العادل أغمض عن توسله فارتب مظفر الدين وانضم الى نور الدين على رغم ما كان بينها من المشادة قبل ذلك .

في هذه السنة مات فخر الدين الرازي بالغا ثلاثاً وستين سنة قرية وكان من افاضل فقها زمانه وقد استنار العرب وما برحوا يستنيرون بتصانيفه الكثيرة . ضارع اوريجانيس الذي بعدما استفاد علماء الكنيسة بتأليفه عادوا فاعتبروه هرطوقياً وكذلك الرازي فقد اعتبره العرب كافراً مجارياً اريسطو في أرائه .

وفي السنة ٦٠٧ للعرب (١٢١٠ م) مات محمد بن حسن إمام الاسمعيين . وقد ضامى أباه في علم الفلسفة وأفرغ كل الجهود في تقويض اركان الدين الاسلامي . وقتك على يد اصحابه مجاهدين من الولاة الذين لم يؤذوا له جزية فكان يرسل أعوانه ليصارعوا اولئك الولاة فتجري بين الطرفين ملاحم فظيمة . وقد طالما ضعى الاسمعيون مجيأتهم انجازاً لرغبة مولاهم الاثيم الطاغية (٤٢٦) واستغرقت إمامته العاتية ستاً واربعين سنة حتى هلك وخلفه ابنه جلال الدين حسين . وتظاهر في اول امره انه موافق للدين الاسلامي يصوم ويصلي . وكتب الى خليفة بغداد والى السلطان محمد خوارزمشاه والى سائر ولاة العرب بانته انصرف عن عادات ابيه السيئة وجعل يسير في الطريقة الاسلامية . فوثقوا به وابتهجوا واجزلوا له العطايا والهدايا الفاخرة .

وفي تلك السنة مات نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي ابن اقسنقور صاحب الموصل . وكان عادلاً قوياً يهابه ابنا . رعيتهم وملوك عصره . ولما دنا أجله استحلف زعماءه بشأن الملك القاهر عز الدين مسعود ابنه الكبير . وولى عماد الدين زنكي ابنه الصغير قلعتي العقر وشوش مع اصقاعها . واقام وصياً لها مملوكه بدر الدين لؤلؤ وكان رجلاً مهيباً حكيماً يستحق ذلك

المنصب . على انه لما ثقل المرض على نور الدين اشار الاطباء ان يسبح في عين دير القديس زينا بسواحل دجلة فسار مع بدر الدين وسبح ولكنه لم يستفد لان داءه كان داء الموت . وما كاد يُركبه بدر الدين سفينة ليعيده الى الموصل حتى عاجلته المنون . ولم يكن معها سوى مملوكين فقط . فحمله الثلاثة ليلاً الى داره دون ان يشعر احد وظلّ بدر الدين طول النهار منصرفاً الى تنظيم الشؤون الضرورية حتى الساعة التاسعة فأعلن خبر موته وشيعره ليلاً ولحدوه في قبر سبق فأعدّه لدفنه تجاه داره . وخلفه ابنه الملك القاهر واصبحت سياسة الولاية بيد بدر الدين .

وفي السنتين ٦٠٨ و ٦٠٩ للعرب (١٢١٢-١٢١٣ م) لم نعثر على خبر يستحق الذكر .

وفي السنة ٦١٠ للعرب (١٢١٤ م) مات المهذب المعروف بابن هبل الطبيب البغدادي في الموصل . وكان وجيد عصره . درس على ابي البركات الطبيب اليهودي البغدادي . انتقل من بغداد الى الموصل ومنها الى اذربيجان ومنها الى خلاط واقام بخدمة شاه ارمن وبيع اموالاً طائلة . ولما مرض الملك اخذ الطبيب تفسيرته ليفحصها كالعادة فقال له احد العبيد : ذوقها ايها الطبيب . فسكت الطبيب وقتئذٍ ثم استدعاه في خلوة وقال له : هل اناك احد ان تقول لي ما قلت ؟ هل أمرك الملك او احد أهاليه بذلك ام قلته من عندك ؟ قال العبد كلاً . لكنني سمعتُ يقولون ان شرط اختبار التفسرة ذوقها . كما ان لساثر الاشياء لونها ورائحتها وقوامها . فقال الطبيب الامر كذلك واكن لا في كل الامراض . واعلم انك اسأت اليّ كثيراً بكلمتك هذه لان الملك اذا سمع هذا ظنّ اني قد أخللتُ بشرط واجب من شروط خدمته . ثم اذنه عمل على الخروج من خلاط خوفاً من العاقبة واعطى ذلك العبد مبلغاً من الدراهم راعياً اليه ان لا يتفوه بعبارة مثل هذه . وما عم ان استغنى من الخدمة واستأذن في العودة الى الموصل واقام بها حتى وفاته . وعدم بصره في آخر ايامه وكان الكثيرون يترددون ويقرأون الطب عليه ويتقنونه . وعاش خمساً وتسعين سنة . وصنف كتاباً حسناً في الطب سماه المختار في اربعة مجلدات تتداوله ايدي

الكثيرين حتى يومنا .

وفي السنة ٦١٠ للعرب عينها صتم جنكرخان ان يذهب بذاته الى بلاد العجم . ولما وصل الى نواحي تركستان سار في خدمته جميع الامراء هناك في عساكرهم . منهم ايدي قوب من بيش باليغ وعساكره . والامير سقناق (٤٢٨) تكين من المالبغ مع فرسانه وغيرهما . واذ ذاك وجه جنكرخان ابنه توشي الكبير في خمس ربوات الى ناحية خجند . وارسل ابنيه الآخرين جناتاي واوكتاي الى مدينة اوتراد وتوجه هو نحو بخارى وأوصى الذين ساروا الى اوتراد ليشددوا القتال عليها وقد ظلت خمسة أشهر تناوشهم . لان السلطان محمدا لم يكن يترك فيها اكثر من خمسين الف فارس وعلى رأسهم غاير خان وعشرة آلاف غيرهم وعلى رأسهم قراجا الحاجب الخاص . ولما رأى قراجا المذكور ان عساكره لا توازي عساكر التتر خرج في جمهور منهم من باب صوفي يريد المغول فعوقوه الى الصبح ثم مضوا به الى ابني جنكرخان فاستنطقاه واستعلموا منه كنه احوال المدينة وعساكرها وقالوا له : اذا كنت انت ما ابقيت على مولاك فلن تبقي علينا كذلك ونحن في غنى عنك . ثم أمرا بقتله وقتل كل من معه . وفي اليوم عينه احتل التتر المدينة وأخرجوا جميع اهاليها رجالا ونساء الى ظاهرها واغاروا على ما فيها . وبقي غاير خان في عشرين الفا من خيرة رجاله متفرقين في سطوح البيوت العالية وفي ابراج السور لم يتمكن منهم المغول . وجعلوا يخرجون خمسين خمسين راجلين يقتلون التتر ويقتلون حتى بقي منهم نفران لا غير مع غاير خان على سطح البلاط . واحتشد عليهم اغلب التتر حتى فتكوا بدينك الاثنين بعد عشاء جسيم . وبقي وحده وقد نفذت سهامه يقاتل بالآجر واللبن الذي كانت الفتيات الجوارى يناولنه من الجدار . وكان قد برز مرسوم الخان ان لا يقتل في الحرب بل يُقبض عليه حياً . فامتثل التتر أمره وقبضوا عليه بعد تعب جسيم ومضوا به اليه (٤٢٩) فأمر بقتله في كوك سراي اعني الدار الخضراء .

وفي السنة ٦١١ للعرب (١٢١١ م) استولى السلطان عز الدين كيكاس على سينوف بساحل بحر البنطس وقتل قير الكس صاحبها . وفي السنة التالية

احتل انطاليا من الروم للمرة الثانية .

وفي السنة ٦١٣ للعرب (١٢١٦م) مات الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب حلب واوصى بالولاية لابنه الصغير الملك عزيز محمد وكان عمره يومئذ سنتين وبضعة اشهر . وكان له ابن ثان اكبر ولكنه فضل الصغير لان امه كانت بنت المالك العادل معتقداً ان يعامله بالحسنى . واقام الظاهر لابن الصغير وصياً يقال له شهاب الدين طغرل الموصوف بعدائه وعطفه . وقد رتع الحلييون في عهده في نجابح الخير والسلام بسبب سياسته الرشيدة . ورد الاسلاب التي استلبها الملك الظاهر في حياته الى اربابها بعد موته .

وفي السنة ١٥٢٨ لليونان (١٢١٧ م) وهي السنة ٦١٤ للعرب ارسل بابا رومية الى جميع ملوك الفرنج امراً قاطعاً ليحشدوا جنودهم ويخرجوا الى اورشليم المدينة المقدسة وينتزعوها من يد العرب . فاجتمع امم كثيرة واقبلوا الى عكة . ولما سمع العادل زحف حاملاً من مصر الى اورشليم . وبرز الفرنج من عكة وحلوا عند الماء في مغارة اللصوص . وكان العادل يجتهد ان يسبقهم اليها فتعذر عليه ذلك وحل في باسان . وزحف الفرنج ليارزوه لكنه بسبب وفرة عدد الفرنج ارتحل الى جوار دمشق ينتظر اجتماع الجيوش . فسار الفرنج وغنموا كل ما وجدوه من حدود باسان حتى بانيساس وقتلوا من قتلوا واعتقلوا من اعتقلوا وعادوا الى مرج عكة (٤٣٠) في غنائمهم . قيل ان العادل لما غادر باسان لقي رجلاً حاملاً حملاً يسير ساعة ويستريح ساعة . فدنا منه وحده وقال له : ما بالك تقتل نفسك يا ايها الشيخ ؟ لا تستعجل . فقال الشيخ : اذهب قل للسلطان ان لا يستعجل . لانه لو لم يستعجل هو لما استعجلت قطعاً ولما غادرت بيتي اصلاً . فخجل العادل وتركه وانصرف .

وفي تلك النضون مات البرنس يوهيمند وخلف ابناً اسمه روفين ولدته له ابنة روفين ملك الارمن . وكانت الملكة تحق له لكن عمه اتقح فانزعها منه واحتلها . عند ذلك سخط لاون ملك الارمن شقيق روفين الارمني ونهض يدافع عن روفين الفرنجي ابن بنت اخيه فسار الى انطاكية واستحلف اهاليها بحضوره . لكن روفين الاحق بعد ما ملك تجبر وتكبر وحاول ان يقبض على

لاون وليّ نعمته ويستولي على قيليقية ايضاً . وما ان اطلع الاخوة الفرير على مضمرات قلبه حتى اخبروا لاون فأفلت دون أذى .

وفي السنة ٦١٥ للعرب (١٢١٨ م) أبحر الفرنج الى دمياط وساروا في ارض جتزه واصبح النيل بينهم وبين دمياط . وابتنى العرب برجاً كبيراً وسط النيل يقيم فيه محاربوهم ليصدّوا الفرنج عن دخول المدينة . وظلّ الفرنج يحاربون العرب نحو اربعة اشهر حتى احتلّوا البرج واجهزوا على من به وحطموا السلاسل التي على النيل . وكان الملك الكامل ابن الملك العادل في جهة دمياط الثانية ولما شاهد تلك السلاسل قد تحطّمت ربط مكانها جسراً ضخماً فعطمه الفرنج كذلك . فأحضر سفناً كبيرة نحبها واغرقها في ذلك المكان لتلا تير فيه سفن الفرنج . غير ان الفرنج حفرها في الجهة الاخرى خندقاً كبيراً عميقاً وشقوا ترعة اجازوا فيها غديراً عظيماً من النيل (٤٣١) وسيروا فيها سفنهم حتى دنوا من سور المدينة وجعلوا يحاربون وهم في الماء . امّا الدمياطيون فلم يكتفوا للفرنج اذ كانوا يعلّون انفسهم بقرب وصول الكامل وجيوشه وكانت تأتيم حاجاتهم كلها من البر . واتفق باذن الله تعالى ان وصل الخبر الى الكامل بموت ابيه العادل في دمشق وتأهب الامير ابن مشطوب وسائر الامراء الاكراد الهكارية ليولّوا اخاه الملك الفاتر على مصر . فاضطرّ الكامل ان يرحل الى مصر ويترك دمياط . فنشط الفرنج وخرجوا الى البر واحتوا على ما بقي من الاثقال في معسكر العرب وحاصروا المدينة من البحر ومن البر معاً . امّا الدمياطيون فتملّوا يحاربون مؤملين وصول نجدة اليهم من العرب . وظلّ الفرنج يحاصرون تسعة شهور . وقطع الدمياطيون رجاءهم من المساعدة ولاسيا لان الكامل لا يتيسر له ان يغادر مصر خيفة الحيانة والعدر . بناء عليه غلبوا على امرهم وسلّموا المدينة بالامان . ولما احتلّها الفرنج نادوا باطلاق سبيل من شاء من العرب ان يغادرها في مؤنته وابقاء من شاء البقاء فيها . والكثيرون ظلّوا فيها .

ولما شاهد الكامل شجاعة الفرنج خافهم خوفاً شديداً وارسل فقوض اسوار اورشليم لتلا يتخذها الفرنج معقلاً اذا امتلكوها .

وفي تلك الغزوات تضايق روفين الفرنجي صاحب انطاكية من البرنس الاعور عمه صاحب طرابلس . وكان لاون الارمني قد تناهى عنه لانه حاول ان يقابله بالسوء بدلاً من معروفه . لذلك ترك روفين انطاكية وتوجه الى دمياط عند هنري جوان ملك الفرنج واقام عنده حتى مات (٤٣٢) لاون .

وقد استحوذ الرعب في هذه السنة على العرب لا لخروج الفرنج عليهم من المغرب فحسب بل تندفق المغول كذلك عليهم وزحفهم من المشرق . فقد وصلوا الى همذان واذربيجان واززون وافتعلوا الاهوال والفظائع في كل بلاد العجم .

وفي ٢٧ ربيع الاول من تلك السنة مات الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين صاحب الموصل واستغرق ملكه سبع سنين وتسعة شهور . وكان طول حياته يخاف الموت ويتقلب في مجامع المعيشة كمن يحاول ان يخطف شهواته من يد الموت . وخلف نور الدين ارسلان شاه ابنه الكبير بالغاً العشرين من سنه ودعي باسم جدّه . وقبل وفاة الملك القاهر اقام بدر الدين لؤلؤ وصياً لابنه كما كان وصياً له . وقد أحسن الوصاية وارسل الى الخليفة الناصر وحصل له فرمان بالملك . وراسل سائر الملوك كذلك ووطد الصلح معهم . وساس مملكة الموصل سياسة راسخة مع ان الكثيرين نظير عماد الدين عمه صاحب العقير واعمام ابيه كانوا يحاولون قتل الشاب ليملكوا مكانه . غير ان بدر الدين منعه عن ذلك بسياسته . ثم جاد بسخاء على الزعماء وعلى وجهها المدينة وضواحيها فأحبوه جميعاً .

وبعد هذا كتب عماد الدين صاحب العقير عم الشاب الى مظفر الدين كوكبري بن زين الدين صاحب اربيل يقول : ان بدر الدين يحاول الغدر بيئتنا وانتزاع المملكة منا . فزحف مظفر الدين الى قلعة الهاديّة وحشد بدر الدين جنوده وسار اليها كذلك ليدافع عنها ويقبض على عماد الدين . غير ان الشتاء وتراكم الثلج في تلك الجبال اضطره ان يعود الى الموصل . عند ذلك استجمع عماد الدين قواه واحتل سائر قلاع الهكارية والزوزانية .

وفي تلك السنة رام السلطان عز الدين (٤٣٣) كيكائوس صاحب بلاد الروم ان يحتل حلب ولاسيا لان صاحبها طفل رضيع بعدد . وأشار زعماءه انه

من السهل اخذها ان استصحب معه الملك الافضل بن صلاح الدين صاحب
 سيمساط وتظاهر بانه يقاتل في سبيله ليرد له مملكة ابيه صلاح الدين لكونه
 ابنه الاكبر . فكتب اليه السلطان واستحضره من سيمساط وجاد عليه بذهب
 وألبسة وخيل كثير وسلاح وهياتة ليرافقه الى سورية بشرط ان تبقى حلب
 وتوابعها للملك الافضل ويتولى عز الدين كل ما ينتزعه من الملك الاشرف
 من مدن ما بين النهرين هكذا حشدا الجنود وزحفا اولاً الى عينتاب واحتلالها
 وتسلمها الملك الافضل واستأنفا الزحف الى تل باشر واحتلالها كذلك وتسلمها
 السلطان عز الدين ولم يعطها للافضل . فامتعض الافضل وندم الذين سلموها .
 ومن ثم حقد الافضل على السلطان وجعل يوجب عز الدين عن القدوم الى
 حلب وقال : الاخرى ان يجتمل اولاً منبج وغيرها كي يتمكن من احتلال
 حلب عندما تبقى كجماعة تُتف جناحها . ولما زحفوا الى منبج ارسل شهاب
 الدين الحاجب الى الملك الاشرف يتوسل اليه ليذهب يساعد الفتى الصغير ابن
 اخته . فتحسن الاشرف وسار الى منبج وقاتل عساكر السلطان عز الدين
 وكسرهم في اول وهلة فلم ير السلطان الا ان يترك كل شيء . وينقلب الى
 بلده . اما الاشرف فانتقل الى عينتاب واحتلالها واحتل تل باشر كذلك
 واعطاهما نائبة لصاحب حلب . اما الذين سلموا تل باشر الى الاشرف فلما
 رجعوا الى بلادهم قبض عليهم السلطان عز الدين واحرقهم في احد البيوت
 دون شفقة .

وفي تلك السنة كان الفرنج كما قلنا محتلين دمياط . وفي ٧ جمادى الآخرة
 مات الملك العادل (٤٣٤) بالغا الخامسة والسبعين ونقل عن علقين الى دمشق
 ودُفن في المقبرة التي اعدّها لذاته . وكان داهية حقوداً صبوراً ينتقم بعد
 زمان . وخلف هولاء البنين وهم : الملك الكامل ناصر الدين ابو المعالي
 صاحب مصر . والملك المعظم مظفر الدين عيسى صاحب دمشق واورشليم .
 والملك الاشرف شرف الدين موسى صاحب الرها وحرّان وخلاط . والملك
 المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميافرقين . والملك الحافظ صاحب قلعة
 جعبر . والملك العزيز عثمان صاحب بانياس . والملك الصالح اسمعيل صاحب

بُصار . والملك الفائز يعقوب . والملك الامجد عباس . والملك الافضل قطب الدين . والملك القاهر تاج الدين اسحق .

وفي تلك السنة لما رأى بدر الدين ان مظفر الدين صاحب اربيل اتفق مع عماد الدين زنكي صاحب العقير لينازلا بلد الموصل ويحتل القلاع وان التذلل لا يفيدته ويتعذر عليه محاربتها وحده استغاث بالملك الاشرف صاحب ما بين النهرين وخلاط ووعده ان يكون منقاداً له كأحد زعمائه . فسُر الاشرف ووجه الجنود الى نصيبين ليعضدوا بدر الدين متى استدعاهم .

وفي السنة ٦١٦ للعرب (١٢١٩ م) انحدر عماد الدين زنكي من قلعة الهادية الى قلعة العقير ليحتل بلاد السهل بعد احتلاله بلاد الجبل . فسمع بدر الدين وارسل الحيوش ليحرسوا البلد . واتفق الزعماء والقواد معاً ليذهبوا الى جانب العقير ويأصروا عماد الدين زنكي دون علم بدر الدين . فساروا الليل كله ولما اصبح نهار الاحد سلخ محرم التحم القتال تحت قلعة العقير فانكسر (٤٣٥) زنكي اقبح انكسار وانهمزم الى اربيل عند مظفر الدين وعاد المواصلة الى موضعهم . واقبل اذ ذاك وفود الخليفة الناصر والملك الاشرف وصالحوا الفريقين وهادنوهما .

وما كادت تُعقد الهدنة حتى مات الفتى نور الدين ابن الملك القاهر صاحب الموصل وكان طول حياته عليلاً لا يركب ولا يظهر إلا مرة في كل عشرة ايام . فنهض بدر الدين وولى مكانه اخاه ناصر الدين محموداً وهو في الثالثة من سنه . واستحلف الزعماء بجياته واركبه ليشاهده الشعب . وقد ابتهجت قلوبهم كل الابتهاج لانهم شاهدوا ملكاً من عترة اتابك التي كانوا يحبونها حباً جماً .

وعلى اثر موت نور الدين وخلافة اخيه الصغير تحرش كذلك مظفر الدين وزنكي بالمواصلة ونشموا بغزون الضواحي . امأ بدر الدين فكان قد وجه اغلب العساكر الموصلية الى حلب ليسانعوا الملك الاشرف في غزو بلد الفرنج . فارسل من ثم الى ابيك قائد جيش الاشرف وهو في نصيبين وأحضره اليه . ولما رأى ان عسكره قليل خالجه الريب وتردد متحيراً ولا سيما لان الجيش الذي ارسله الى الاشرف كان اوفر عدداً . غير ان ابيك جعل يتعطرس

واضطرب بدر الدين ان يعبر دجلة في عسكره وينهبوا ليقزوا بلد اربيل . وما ان سمع مظفر الدين حتى حشد عساكره وعبر الزاب . وسار بدر الدين وايبك وحل الجانبان احدهما مقابل الآخر . وعند انتصاف الليل نهض ايبك لينذهب فيقابل عساكر اربيل . فنهض بدر الدين ليصبر حتى الصباح فأبى وركب هو وأركب اصحابه ورأى بدر الدين ان يتبعه كذلك . والتقيا هما والحصم وانهمز ايبك الى ميسرة صاحب اربيل وحملت ميسرة اربيل على ميسرة بدر الدين (٣٣٦) فبقي في القلب مع قليدين ولم يمكنه الوقوف تجاه قلب عسكر صاحب اربيل فانهمز اسرع ما يكون وعبر دجلة الى الموصل ولم يقف بل استأنف الذهاب الى مدينة بلد ليجمع عساكر جديدة . وتبعه مظفر الدين واقام وراء تل حصن نينوى ثلاثة أيام . ولما علم ان بدر الدين مستعد ليهاجمه ليلاً اتقاب الى اربيل . ولم يؤخر احدًا حين مروره بنينوى لكن بعض الشهرزورين الذين معه خطفوا فتاة وهي عروس جديدة من قرية بيت سحرايا فغار اهلها وانقذوها وقتكوا ببعض الاكراد . فسمع المظفر وتفاقم غضبه اذ قيل له : ان الفلاحين شتموه وهتفوا بحياة بدر الدين صولجان الذهب . ووجه جيشاً الى تلك القرية ودخل بعضهم الى الكنيسة حيث كان اعلمهم متحصنين وقتكوا بثلاثمائة رجل تقريباً وذهبوا . ومرّوا ببرطليّ وبتروا بالسيف يد احد الشبان . وبعد هذا كله تبادل الفريقان بالوفود وعقدوا الهدنة .

وفي السنة عينها رأى المتحصنون في قلعة كواشي ان عماد الدين زنكي احتل جميع القلاع فارسلوا وسلموه ايأها وطاردوا منها اصحاب بدر الدين . ولما عرف بدر الدين ان مظفر الدين لا يثبت في عهده ولا يكف عن اذرة زنكي ايتحرش به ارسل الى الملك الأشرف يسأله ان يأتي هو عينه لمساعدته ويردع صاحب اربيل . غير ان خصوم الأشرف يومئذ كانوا كثيرين : منهم السلطان كيكائوس وصاحب آمد وحصن كيفا وصاحب مازدين والامير ابن مشطوب والامير عز الدين الحميدي . فلذلك لم يتمكن من القدوم الا بعد زمان .

وفي ذي القعدة ٦١٦ (٤٣٧) وهي السنة ١٥٣١ لليونان (١٢٢٠ م) في كلون الثاني مات السلطان عز الدين كيكائوس بن كيسرو بن قلعج ارسلان

صاحب بلاد الروم. وكان قد حشد الجنود ليحذف ثانية وينازل الاشرف في ما بين النهرين. وما ان وصل الى ملطية حتى اشتد عليه داء السل. فرجع ومات. وبعث الاقطاب وأطلقوا علاء الدين كيقياد من حبسه في قلعة مسارا بالجبل المبارك ونادوا به ملكاً. وذكر بعضهم ان السلطان عز الدين قبل موته ارسل فأطلقه واستحلف الزعماء. ليملكوه اذ لم يخلف ابناً يستحق الملك. على انه لما رأى في اول عهده أن خصومه كثيرون كالليونان والارمن جيرانه وعنه صاحب ارضروم صادق الملك الاشرف وسأله ان يزف إليه اخته. وقد اجاب الى طلبه بعد ثلاث سنوات.

وفي هذه السنة وهي السنة ٦٦٨ للارمن مات لاون ملك قيليقية وكان محنكاً في الحروب وبطلاً مغواراً في المعارك ولم يخلف الابنتاً واحدة اسما ايزابيل وتولى سيرادان بالي صاحب قلاع ساحل البحر العناية بها والاشراف على المملكة نحو سنتين ثم فتك به الاسميليون.

وفي محرم السنة ٦١٧ للعرب (١٢٢٠ م) نزل جنكرخان على مدينة بخارى وهي كعبة الدين الاسلامي في البلاد الواقعة بعد نهر جيحون. واناخ على باب القلعة. واقبل معه جيوش كثيفة من المغول يفوق عددهم عدد الجراد والنمل وحلوا افواجاً افواجاً حول تلك المدينة الناعسة. وكان فيها نحو عشرين الف فارس مقدمهم سونج خان وكشلي خان. فلما رأى هذان (٤٣٨) ضخامة جيوش التتر قطعوا الأمل وخرجا عند غروب الشمس وانهمزما. ولما وصلوا الى سواحل جيحون وثب اليها حراس الطرق المغول واجهزوا عليها وعلى كل من معها. امأ اهل المدينة فلما لم يبق من يدافع عنهم فتحو الابواب وخرجوا الى خدمة جنكرخان فأشفق عليهم ولم يقتل احداً منهم. ولما دخل المدينة ليشاهدها ووصل الى باب المسجد الكبير قال: هل هذا دار السلطان؟ قال الكتبة العرب: كلاً بل بيت الله. فتزل عن حصانه ودخل فجلس قدام المحراب وصعد تولى ابنه الصغير درجات المنبر. وقال جنكرخان: ان الصحراء خالية من العلف فانتم اشبعوا الخيل الجائعة. فذهب الزعماء. وفتحوا الابار وآبار الحنطة والشعير وجعلوا ينقلون على اكتافهم العلف للخيل ويجلسون ينتظرون. واحضروا الحنود

وسقوا التتر واستدعوا المطربين والمطربات والرقاصات يرقصن وقلوبهن مملوءة حشراتٍ وأسفًا.

ثم استدعى جنكرخان الزعما. وقال لهم : ان الأموال التي فوق الارض لا حاجة بنا الى استسلامها وانما نريد ان تظهروا لنا الدفائن التي في قلب الارض وتعطونا آياها فتحياوا. فقبلوا بالسمع والطاعة وساروا فحفروا واخرجوا واحضروا كميةً لا تُعدّ. ولأن جماعة من عسكر السلطان كانوا محتفين بالمدينة أمر فرموا بها النار فاحترقت كلها مع كل ما كان مخفياً بها . وتفرق الاهالي في مختلف البلاد . وقد سأل الحراسانيون بخاريًا وصل اليهم عمًا جرى فقال : ما لكم تعبروني ؟ قد وصل التتر فقتلوا وحفروا واحرقوا وسبوا وذهبوا . من له اثنان سامعتان فليسمع .

وفي هذه السنة سار ابن مشطوب الذي ذكرنا انتفاضه على الاشرف متوجهاً الى نصيبين يريد السفر الى مظفر الدين في اربيل (٤٣٩) فبرز اليه متولي المدينة وكسره وشئت من معه . وانهزم ابن مشطوب مع القليلين الى بلد سنجار . فسمع فروخ شاه بن زنكي بن مودود بن زنكي وارسل جيشاً قبض عليه واحضره اليه معتقلاً . وكان فروخ مخالفاً للاشرف غير ان ابن مشطوب أفسد بينها واقسم انه يواصل القتال حتى ينتزع الموصل من يد بدرالدين ويتسلمها . ذلك ما حمل صاحب سنجار على إطلاق ابن مشطوب وجهزه بعساكر خيالة ووجهه الى باعربايا ليفزوها . فسمع بدر الدين ووجه جنوداً تغلبوا على ابن مشطوب فانهزم الى قلعة تل عفر وهي لصاحب سنجار . فعرف بدر الدين وزحف اليها بشخصه حتى دوخها واعتقل ابن مشطوب وبعثه الى الملك الاشرف فسجنه في حران وفيها مات .

ثم ان الملك الاشرف تخلى لصاحب آمد عن حاني وجبل جور ووعد به بان يحتل دارا ويوليه اياها . وبعدهما فصله عن صاحب ماردن تقوى واقبل الى دنيسر واحتل ضواحي ماردن باسرها وحصر صاحبها في القلعة ومنع عنه الذخيرة. فسار صاحب آمد وتوسط بين الاشرف وبين صاحب ماردن وصالحها وانتزع الاشرف منه راس العين وثلاثين الف دينار وضمّت موزر بارض

شبكة الى صاحب آمد . وزحف الاشرف الى نصيبين فخافه صاحب سنجان
 ووجه اليه سفيراً وسلمه بلدته وهو في الطريق واخذ بدلاً منها الرقة وسار
 اليها في اخوته واهله وجميع امواله . وبعدما احتل الاشرف سنجان جعل يرسل
 جنوده الى الموصل قاصداً الذهب الى اربيل وتبعته سرازم من الفرسان سيدها
 أمامه وأقبل بعدها الى الموصل يوم الثلاثاء ١٩ جمادى الاولى من تلك السنة .
 وجاء اليه السفراء من قبل الخليفة ووعدوا (٤٤٠) باسترجاع كل الحصون التي
 انتزعتها زنكي وتسليمها الى بدر الدين ليجري الصلح ما بينهم . لكن الاشرف
 رفض وارتحل من الموصل وعبر دجلة وتوجه الى قرية سلامة قرب نهر الزاب .
 وكان مظفر الدين نازلاً في جانب الزاب الآخر . اما ناصر الدين صاحب آمد
 وحليف الاشرف فكان مرتبطاً بصداقة خفية مع مظفر الدين ولذا اشار الى
 الاشرف ان يعقد الصلح ويعود منزلاً مكرماً . وقال له : اذا انتصرت
 أسخطت الخليفة وذمك العرب جميعاً . واذا انكسرت خلفت لك ولاصحابك
 اسماً سيئاً . فافتنع الاشرف ووافق على الصلح واخذ معه عماد الدين زنكي
 صاحب العقرب بثابة رهينة ريثما يرد الحصون التي أخذها ثم عاد الى سنجان . ثم
 سار بعضهم لينتزعوا الحصون ويسلموها الى اصحاب بدر الدين لكنهم لم يتسلموا
 الا حصناً واحداً من بلاد الهكارية اما البقية فقد قاوم اصحابها ولم يريدوا
 ان يسلموها . واستغاث مظفر الدين زنكي بشهاب الدين غازي اخي الاشرف
 وهذا توسط بينه وبين الاشرف فتك له تلك الحصون . وقد ارتاب في ذلك
 بدر الدين لكنه لم يقدر ان يناقض ارادة الاشرف .

واطلع يومئذ بدر الدين سرّاً على ان الاشرف يحاول ان ينتزع منه قرية
 تل عفر لانها كانت فيما سبق تابعة لسنجان فارس وسلمه اياها . اما زنكي
 فبعد ما تولى حصون الهكارية والزوزانية جميعها طفق يعنت اصحابها ويضايقهم
 بالطلب . فندم الذين عاهدوه وحاولوا ان يتفقوا مع بدر الدين ولكنهم تخوفوا
 مما اظهروه له من الماكسة سابقاً . اما بدر الدين فارس يؤمنهم بالاقسام
 والمعهود ويؤكد لهم انه لن يضرهم (٤٤١) بل يحسن اليهم ويحسب ذنبهم
 نعمة بخروجهم على الاشرف . واتفق اصحاب حصن العبادية اولاً ان يسلموه .

غير ان بدر الدين لم يستطع ان يأخذ شيئاً دون امر الاشرف واذنه فارسل اليه يستشيريه . فأبى الاشرف ولم يأذن له في ذلك إلا بعد ما تخلى له عن حصن الحدث المجاور لتحصين وعن مكان ما بين دجلة والفرات . وبعد هذا تولى بدر الدين العمادية وجاد على الذين سلموها بغطايا أوفر كما وعدهم بها . وبلغ ذلك سائر اصحاب الحصون فسلموها له . ومما يدعو الى الاستغراب ان الجيوش الوافرة العدد التي احتشدت من سورية وما بين النهرين وارمينية وسائر البلاد لم يتيسر لها ان تحتل تلك الحصون وقد احتلها بدر الدين بجنكته دون معارضة . وصح في ذلك قول الكتاب : « الاعتصام بالرب خير من الاتكال على العظاء » (مز ١١٧ : ٩) .

وفي تلك السنة مات الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماة بالغا الخمسين من سنه . وأوصى ان يخلفه ابنه الملك المظفر تقي الدين وكان يومئذ عند خاله الماسك الكامل في مصر . غير ان الزعماء ارسلوا فاستحضروا من دمشق ابنه الثاني الملك الناصر قليج ارسلان وسلموه المدينة .

وفي السنة ٦١٨ للعرب (١٢٢١ م) سار الملك المعظم صاحب دمشق والملك الاشرف وصاحب مارددين والجنش الحلبي والملك الناصر صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص لينجدوا الملك الكامل . وزحفوا جميعاً الى دمياط وحصروها وقطعوا الطارق عن الفرنج . فتخوفوا واتفقوا ان يسلموا المدينة مع جميع الاسرى الذين في عكة بشرط ان يسدعهم العرب يرحلون الى بلادهم بالامان . واخذ منهم الكامل رهائن ريثما يسلمون المدينة والاسرى . وآيد الصلح (٤٤٠) القاصد الرسولي نائب البابا الروماني وكان متولياً قيادة الجيش الفرنجي اثمانية اعوام واتفق معه في ذلك جوان صاحب عكة^(١) هكذا استرجع العرب دمياط وأمسى عمل الفرنج دون جدوى . على ان الملك الكامل قبل وصول النجدة اليه ألح على الفرنج في عقد الصلح مقررأ ان يتخلى لهم عن اورشليم وعن عسقلان وطبرية وصيدا وجبله واللاذقية ويكتفي بدمياط كي

(١) هو يوحنا دي برين ملك اورشليم .

تنجو منهم مصر واصقاعها لكنهم رفضوا طلبه واسترادوا قلعة الكرك وثلاثمائة الف دينار بدلاً مما اخبره الكامل من اسوار اورشليم . ذلك ما حمل الكامل على الاستنجاد باخوته وابناء دينة فاقبلوا واسترجعوا دمياط مجاناً . وخسر الاخوة الدواوية كذلك نصف ما كانوا يستغلون من حمص وخسر الاسطاريون ما كانوا يقبضونه جزيةً من بارين . وقد بقيت دمياط هذه المدة مع الفرنج سنة واحدة وعشرة شهور واربعة وعشرين يوماً .

وفي تلك الغزوات وثب الاسميليون الى سيرادان مدبر مملكة الارمن وحصروه في مضيق تجاه كنيستنا في سيس المبنية باسم مار برصوما وفتكروا به . وخلفه بالي بارون قسطنطين بن بارون باسيل خال الملك لاون . ولما بلغ روفين خبر وفاة الملك لاون ومقتل سيرادان أخذ امه ابنة الملك روفين الكبير وأججرا حتى وصلا الى مينأ حصن فوريقس يريد ان يتولى قيليقية . اما صاحب الحصن المذكور اعني البارون بهرام صاحب شاكد فسد دونه الطريق وهدده بان يتزوج بامه والا فيقبض عليه ويهلكه . فتضايق روفين وتوسل (٤٤٣) الى امه في ذلك . فارتفعت كل الاتزعاج وجعلت تولول وتقذف بهرام بالمسبات والشتائم . غير ان السادة والسيدات اقموها حباً لمصلحة ابنها مها كلفها الامر . فاضطرت ان تجيب الى الحاحهم وهي تصرح بان زواجاً كهذا تحسبه زنى قسراً لا زواجاً شرعياً . وبعدها اقترن بها بهرام بالغ في اكرامها وسار في خدمتها وخدمة ابنها الى طرسوس واحتلها . ومن هناك توجه الى آطنة واحتلها كذلك . ثم زحف الى المصيصة فحشد بالي بارون قسطنطين جيوشه وثار الى بهرام وناوشه فانهم بهرام وامراته وابنها وتبعهم بالي بارون الى طرسوس وقبض على ثلاثتهم وقتك بهم . وجعل يؤمل من الزعماء الارمن ان يثيروا عليه ليتزوج احد ابناؤه الخمسة بابنة الملك لاون ويتولى المملكة . غير انهم لم يقولوا له شيئاً في هذا الصدد فارتاب منهم وبدل سياسته معهم .

اما الزعماء فارسلوا واستدعوا فيليب ابن البرنس الاعور وزفوا اليه ايزابيل بنت الملك لاون وولوه قيليقية ونهض بسياستهم سياسة خرقا . مدة سنتين واكثر . فقد خطر له ان يهلكهم جميعاً ويقدم الفرنج مقامهم وجعل يستحقهم ويسمي

الجنود فلاحين ولا يرخص لهم ان يتناولوا الطعام على مائدته. وكانوا اذا طلبوا ان يزوروه لا يأذن لهم في ذلك الا بعد ان يقصدوه عشر مرات او اكثر. هكذا ازداد بغض الارمن له ولم يسعهم بعد ان يتملوا عتوه فاحتشدوا عند بابي بارون قسطنطين وتوسلوا اليه ليجد لهم طريقة للتمأص منه معربين له عن تندمهم بسبب اقامتهم اياه ملكاً عليهم. فأقسم لهم بابي في ذلك وأعد الجنود والابطال ووثب الى فيليب ليلاً وهو راقد في فراشه وخطفه من حصن الملكة (٤٤٤) فجعلت تبكي وتحشد وجهها وتضج وتقول وتقول : سير سير ! لانها كانت كلفة به جداً. اما الجنود فلم يكثرثوا لها ولم يعباوا بصواتها بل اوثقوا فيليب واستاقوه من موضعه في تل حمدون الى سيس وحبسوه هناك سنتين. اما البرنس ابوه فعلى عزة نفسه لم ير ان يغيظ الارمن خيفة ان يهلكوا ابنه فارسل اليهم الوفود طالبا ان يطلقوا سبيله وهو يتخلى لهم عن الملك . وظل يبعث الوفود حتى كل ومل فرأى ان يذهب بذاته الى تل حمدون ويسألهم ان يعطوه ابنه . فأذعنوا له ومضوا بابنه الى حصن العامود وكتبوا اليه ليعث ويأخذ ابنه . ولما عول على أخذه قيل له ان ابنك لن يعيش اكثر من عشرة ايام لان الارمن قد سقوه سماً وقد تحقق ذلك . على ان البرنس بعدما توعدهم وتهددهم تركهم وانصرف وما عثم ان بلغه خبر موت ابنه ولم يعرف احد اين دفنوه .

ولما نعي الى الملكة وقطعت الرجا. منه سارت الى قلعة سلوقية على ساحل البحر واستعانت بالاخوة الفرير فباتوا في اكرامها . ثم قدمت اليها امها من قبرس وهي فرنجية ابنة ملك تلك الجزيرة ولما زفوا ابنته الى فيليب ارادوا ان يزفوها كذلك الى السير غوفري صاحب سروند وهو ابن البارون سنباط اخي البارون قسطنطين بابي . غير انها رفضت الزواج فطردها من بلدها وسارت الى قبرس . وفي هذا الزمان رجعت الى ابنتها واقامتا كلتاها في سلوقية حتى رحلها بابي على كره منها .

احتلال التتر سمرقند

وفي هذه السنة ٦١٨ للعرب (١٢٢١ م) بعدما احتل التتر بخارى ساروا الى سمرقند وهي مدينة عظيمة (٤٤٥) حافلة بقرى كثيرة مكتظة بجذائق شهيرة. وقد رتب فيها السلطان محمد مائة وعشرة آلاف فارس يقومون بحراستها. ولما سمع جنكركخان نزل عليها بشخصه واحدق بها المغول واحصوا ابراجها واشتعلت الحرب بينهم وبين اهاليها على السور. وخرج في الغد جنود المدينة راجلين الى التتر وحاربوهم حرباً عنيفة واجزوا على الكثيرين منهم وقبضوا على غيرهم واستاقوهم الى المدينة ونكلوا بهم واماتوهم شرّ ميتة. ولما شاهد الاهالي ذلك خافوا جداً وقال احدهم لصاحبه اذا اغمضنا وتغاضينا فسينتقم العدو لقتلاه. ثم تشاوروا معاً وارساوا رسلاً الى جنكركخان خفية ووعدوه ان يفتحوا الابواب ليلاً ويسلموه المدينة. فابتهج لذلك وقرر لهم الامان. وعند المساء اتفق القاضي وشيخ الاسلام وجمهور الاهالي وفتحوا الابواب فدخل المغول وانهمز المحاربون الى القلعة ولاذوا بها. ونشم التتر في السبي والنهب. وصاروا يخرجون من الرجال والنساء مائة مائة بالعدد الى الصحراء واجلسوهم افواجاً افواجاً سوى خمسين الفاً احتموا بالقاضي وشيخ الاسلام ولم يخرجوا. ولما كان الليل خرج التتر واجزوا على كل الذين خرجوا خارجاً ولم يتركوا من البنين والبنات الا من كان دون العشرين من العمر. على ان واحداً من زعماء القلعة ابدى بسالة فائقة فاخذ نحو الف رجل وشق صفوف التتر وجاز بينهم دون اذى ولاذ بالفرار الى خراسان يريد السلطان محمداً.

احتلال التتر خوارزم

ولما استراح جنكركخان من محاربة سمرقند بعث ولديه جنغاتي واوختاي الى خوارزم. وخوارزم اسم لاقليم عاصمته (٤٤٦) جرجانية. فلما سبق بعض التتر سائر الجيوش كألوف عادتهم ووصاوا الى باب المدينة ظن الاهالي ان اعداءهم هم هؤلاء القليلون فقط فخرج جمهور غفير منهم راكبين وراجلين

ليبارزوه . وعند بلوغهم الى كرم كورام وهو على مسافة غلوة انقضّ عليهم جيش المغول وفتك بهم قاطبة . وكان عددهم نحو مائة الف . وبعد هذا زحف التتر بكل قواهم واحتلوا المدينة دون صعوبة واخربوها وفتكوا بسائر اهلها . اما السلطان محمد فكان قد غادر خوارزم الى خراسان وظلّ يشاور الزعماء في ما يصنع وكيف يتيسر له التخلص من أيدي هذا العدو القوي ؟ فقالوا له : لقد قطعنا الامل من البلاد التي ما وراء جيجون فبقي علينا ان نحصن خراسان ونهيئ المساكن لينازلوا الاعداء متى قدموا . فقال السلطان : لم يبق لنا قلب ابارزتهم واذا اقبوا علينا فليس لنا الا الفرار الى الهند من وجههم . غير ان ابنه جلال الدين خوارزمشاه لم يوافق على الهزيمة بل رأى ان يواصلوا الحرب حتى النهاية . فانتهره ابوه وجعل كمن سيطجه الموت ياكل ويشرب ويتعاب في رغد العيش ويشبع اهوائه . وهو كذلك اذا بالتتر قد عبروا مياه جيجون فلاذ بالفرار نحو همدان ووجه نساءه واولاده الصغار الى قلعة بالان . ولما وصل التتر الى همدان اهزم السلطان في الجبال يريد مازندران . فتتبعه التتر فانهزم بجرأ الى احدى جزائر هرقانية واقام هناك حتى ورده الخبر بان التتر احتلوا تلك القلعة واعتقلوا نساءه وابناؤه وبناته (٤٤٧) وفتكوا بالذكور وأرسلوا الاناث الى فراقورم . فاستحوذ عليه من الكمد ما استحوذ وقاسى ما قاسى من المرض حتى ادركته المنون في تلك الجزيرة ودفنوه هناك ثم نقلوه بعد زمان الى قلعة اردهان .

ولما نعي السلطان محمد الى ابنه جلال الدين قطع اربعين غلوة في ليلة واحدة حتى بلغ بلاد العجم التي مجدود الهند . واجتمع اليه تسعون الفا من خيرة الفرسان . ولما علم جنكزخان ذلك توجه اليه جيشاً جرّاراً من المغول فسمع جلال الدين وخرج ليبارزهم وقال لاصحابه ان يتّجّلوا جيماً ويقبض كل منهم على حصانه بيده مستهيناً بالموت . وقد فتكوا يومئذ بعددٍ غفير من المغول وبطحوهم على الارض . وبت الصفان تلك الديلة كل في مكانه . وفي الغد لما رأى التتر شجاعة الخوارزميين حاولوا الفرار وتبعهم الخوارزميون وفتكوا بنجسائة بطل منهم . وما ان سمع جنكزخان حتى وصل كالبرق في جيوش

كثيفة لا تُحصى فشاهده جلال الدين واستيقن انه عاجز عن مقاومته وانتوى ان يعبر نهر جيحون الى المشرق وأوصى باعداد السفن . فسمع جنكرخان وسائر جيشا ضخماً سدَّ الطريقِ دونه . فلم يبقَ له الا ان يقاتل حتى النسمة الاخيرة . فاصطف الفريقان والتحم القتال وانكسرت ميمنة الخوارزميين ثم ميسرتهم وبقي جلال الدين في الوسط مع سبعمائة فارس لا غير وجعل يظفر كالدُّب من ناحية الى ناحية ويجرز على التتر وهم يزدادون عدداً ويثبون اليه من كل جهة . عند ذلك أسرع ابن خاله الامير الخوارزمي وتشبَّث بصفائير حصانه وردّه (٤٤٨) الى ورائه . فأنحدر جلال الدين مأيوسا وقبل اهله واولاده وهو يبكي بكاءً مرّاً ثم تركهم وركب حصانه وقال للفرسان اصحابه : من أحبني فليتبني في الحياة والمات . ثم ضرب حصانه وشقّ صف التتر واقتحم الماء راكباً .

ولما شاهد ذلك جنكرخان هروا الى شاطئ النهر وجعل يتفرس في جلال الدين متعجباً غاية العجب . واراد بعض المغول ان يقتحم الماء ويدركوه ولكن جنكرخان بهاهم ووضع يده على فمه متعجباً وقال لولديه : من ابر مثل هذا ينبغي ان يولد ابن كهذا ! وقال للزعماء : مثل هذا يجب ان يُدعى رجلاً . فهذا لما افلتت هذه المرة بدت اعماله الوافرة العجيبة للعيان ولا يمكن ان يتلد منه رجلٌ مقفلٌ !

ثم ان جلال الدين نجا بسيفٍ وترسٍ ومزراقٍ من الماء والنار والحرب في ستة فوارس فقط عبروا معه . واقام هناك على سواحل جيحون نحو يومين حتى اجتمع اليه زهاء خمسين فارساً وتوجه الى نواحي الهند . وتبعه بعد ذلك من اصحابه نحو مائة فارس وارسلوا امامهم جاسوساً جس الارض وعاد فاخبرهم ان في المكان الفلاني الفين من المساكر الهندية . فسار الخوارزميون وقبضوا عليهم وقتلوهم جميعاً واحتلوا خيلهم . وازدادوا حتى بلغوا خمسمائة فارس . ثم اجتمع خمسة آلاف من الهنود واتوا وبارزوهم فانكسروا . وما ان بلغت الاخبار سائر الخوارزميين المنهزمين والمحتفين في مختلف الامكنة حتى اقبلوا اليه واصبحوا نحو ثلاثة آلاف . ولما رأى ملوك الهند انهم عاجزون عن

مقاتلة الخوارزميين عقدوا الصلح مع خوارزمشاه وارسلوا اليه تحفًا وافرة . غير ان الخوارزميين لم يستطيعوا الاقامة هناك وقد دبّ فيهم المرض (٤٤٩) وبلغهم ان التتر تركوا خوارزم فصر جلال الدين نهر جيحون نحو المشرق وخرج برجاله من الهند ووصل الى شيراز . فارسل اليه اتابك سعد صاحبها أموالاً كثيرة وعبيدًا وجواري . ومن هناك اقبل الى اصفهان .

وفي السنة ٦٢٠ للعرب (١٢٢٣ م) احتل السلطان علاء الدين قلعة حصينة في ساحل بحر ادرياتيک وسماها باسمه علائية .

مقتل امين الدولة توما في بغداد

وليلة الخميس ٢٨ جمادى الاولى ٦٢٠ للعرب (١٢٢٣ م) قُتل الطبيب المشهور بالفضائل امين الدولة ابو الكرم صاعد بن توما البغدادي من جماعة اليعقوبية . كان متضلعا من الطب اميناً في سيرته حكيماً سخياً ووسيطاً صالحاً في سد حاجات البائسين وتلبية مطالبهم واكمال اعمالهم . وقد احبه وكرمه الخليفة الناصر ورفع منزلته وولاه تدبير مملكته وبنائه وفسائه . وكان الخليفة في آخر ايامه قد ضعف بصره وتعدّر عليه ان يكتب اسراره لوزيره . فاستحضر امرأة بغدادية تُعرف بست نسيم وكانت تكتب خطأ قريباً من خطه وجعلها بين يديه وكشف لها اسراره . وكان كلما شاء ان يكتب شيئاً استكتبها اياه . واذا وصلت الكتابة الى الوزير مؤيد الدين ابن قسيمي اعتقد انها خط يد الخليفة اذ كان يجهل هو كذلك ضعف بصره . واستمرت الجارية كذلك برهة حتى شاركها في ذلك خادم اسمه تاج الدين رشيق وصارا يكتبان ما ارادا الى الوزير عن فم الخليفة فيقوم الوزير بما يكتبان .

وكتب الوزير ذات يوم الى الخليفة في شأن من الشؤون وجاءه جواب فيه إخلال بين . فتوقف وانكر . ثم استدعى الحكيم امين الدولة المجيد (٥٥٠) واستفسره عن ذلك سرّاً فعرّفه ما هو عليه الخليفة من عدم البصر وان امرأة تكتب خطأ كخطه وان الخادم رشيق متفق معها فيكتبان ما ارادا دون علم الخليفة . ومن ثم توقف الوزير عن العمل باكثر الامور الواردة اليه . وشعرت

المرأة والحادم بان امين الدولة فضح سرهما لانه هو وحده كان يزور الوزير ويحادثه . بناء عليه بلغا اخوين يُعرفان بولدي قمر الدين فرصدا الحكيم في بعض الليالي وهو خارج من دار الخليفة عائد الى بيته ووثبا عليه بسكينها . فحدق بها وصاح قائلاً : اقبضوا عليها فيها فلان وفلان . فعاد اليه ذاك الاثيان وأجهزا عليه تماما وضربا بالسكين كذلك حامل فانوسه . فارتجت المدينة عندئذ وقلقت دار الخليفة كذلك وحمل الطبيب ونقل الى بيته ودفن فيه وبعد تسعة شهور شيعوه الى كنيسة مار توما ودفنوه مع آباءه .

وليلة مقتل الطبيب المجيد قبض على قاتليه الملعونين وشق بطناهما وصلبا في الموضع الذي قتلوا المرحوم . وقد خلف رحمه الله تعالى ثلاثة بنين كرام وهم : شمس الدولة وفخر الدولة وتاج الدولة كبيرهم .

وفي السنة ٦١٨ للهـ لالعرب (١٢٢١ م) مات جلال الدين حسين إمام الاسماعيليين وخلف ابنه علاء الدين محمد وهو في التاسعة من سنه . وقد نشأ مع القتيان الصغار زملائه منصرفا الى اللعب وتربية الحراف والطوفان مع الجمال واناط تدبير ولايته بالنساء . وبعد خمس سنوات لولايته فصدده طبيب من اطبايهم مع انه لم يكن مقتراً الى الفصد وتدفق منه دم غزير كان سببا لتفاقم المراءة السوداوية عليه وجعل يتخيل تخيلات شنيعة . حتى ظن انه الاله . وكان اتباعه بسبب تسكهم في الضلال يصدقون كل ما يقول لا يخالفونه . بل كانوا يفتكون فتكاً ذريعاً بكل من يعترض عليه او يعانده . ذلك ما حمل بعض الحكماء المرتبطين بخدمته ان يعظموه كلاماً خوفاً منه . وكان من ذات طبعه يكره الزينة ويكتفي لكسوته بثوب من صوف او من قطن ازرق ويساكن الغنم دائماً . حكى انه لما كان ذات يوم جالسا بجانب احد الجبال وحواله وفود اقبلوا اليه من قبل الملوك المجاورين اشار بجبينه فقط الى خمسين من رجاله الواقفين امامه فألقوا بنفوسهم من علو الجبل وهلكوا . هكذا اخذ ملوك الارض جميعا يهابونه ويعشون اليه مجزية يردفونها بخيرات اراضيهم .

وفي السنة ٦٢١ للهـ لالعرب (١٢٢٤ م) مات في سيمساط صاحبها الملك الافضل ابن صلاح الدين بن ايوب . وكان متضلعا من العلوم والبلاغة والشعر اكنه

كان ضعيفا في سياسته قليل الخبرة الضرورية للملوك . ذلك ما حرمه مملكة ابيه واضطر ان يرضى ببلدة صغيرة عوضا عن ملك ابيه الواسع الارحاء .

وفي السنة ٦٢٢ للعرب (١٢٢٥ م) مات الخليفة الناصر ابو العباس احمد في السن السبعين . وتمّ ذلك ليلة عيد فصح العرب . وكان متيقظا جدا مجتهدا يغير زيّه دائما ويخرج فيطوف شوارع بغداد يحاول الوقوف على كل كبيرة او صغيرة . وكان يتزيا ثلة بزّي الأتراك وطورا بزّي العجم واونة بزّي التجار ولهذا (٤٥٢) قضى على الكثيرين اذ كان كلما شعر باحد عرفه ارسل فقتله دون شفقة . وكان يطوف كذلك مع رجال مشاهير من خواصه فكان اذا مرّ في طريق انهزم الناس منه . وكان الرجل اذا سار مع امرأته ليلا خاف ان يحدثها حديثا كيفا كان اذ كانا يخافان ان يكون الخليفة معها في البيت او في النافذة او على السطح . وقد رأوه غير مرّة يتعرش بمجدران البيوت الى السطح ليسمع اخبار ما يحدث لا في ولايته فحسب بل في كل الممالك .

حكى ان الخاتون ابنة السلطان قلع ارسلان الخلاطية شخصت الى بغداد في حجاب مكة . فاخبروا الخليفة عن جمالها فارسل اليها عجايز البلاط لكي يخطبها فاحتجّت بان لها زوجها ولا يمكن ان تتوجه فتركته وانطلقت الى مكة وافكرت ان تعود في طريق سورية الى وطنها خوفا منه . وافكر الخليفة كذلك انها ستصنع كذلك فارسل فرقة من الجنود يصحبونها متظاهرين بانهم يريدون الحج نظيرها . ولما عوّلت على الرجوع في طريق اخرى تبطوها وردوها على كره منها الى بغداد . وما ان وصلت حتى بلغ الخبر بموت زوجها . والله يعلم كيف مات اثم ارسل الخليفة وادخلها البلاط وتزوجها . وكلف بها غاية الكلف حتى انها لما عرضت عليه ان يبتني لها دارا كدارها في خلاط ويضم اليها حديقة وسألها عن هندستها أرسل يستدعي الوزير ليلا واعطاه تصميم الدار والحديقة فخرج من عنده وهيا مائتي بناء . والفّي فاعل واعد ما يلزم من القرميد والجصّ وجعل كل منهم يشتمل في جهة وانتزعوا من ابواب البلاط مصاريع حاضرة وجعلوها على مقياس ابواب الدار الجديدة (٤٥٥) . واقتلعوا كذلك الاشجار من اصولها وغرسوها في الحديقة الجديدة . ولما صار المساء

كان العمل كله منتهياً كاملاً . ثم مُدَّت الحُصْر والسجف وتهيأت كل الحاجات وسارت اليها الخِلاطِيَّة . وما مرَّت سنوات حتى ماتت . ولبس الخليفة الحداد كهداً عليها . ثم أمر ان تقوِّض تلك الدار وتلك الحديقة وتُترك خراباً وابتنى لها هناك ضريحاً ممتازاً لا يزال القراء المسلمون حتى يومنا يقيمون فيه الصلوات وتتوزع عليهم الصدقات .

بعد الناصر الظاهر ابنه

تولى تسعة شهور وكان ابوه قد بايعه بالخلافة ثم خافه وألقى المبايعه وسجنه وبايع بدلاً منه الامير علياً ابنه الصغير . ومات الامير علي في حياة ابيه وخاف بنين صفاراً وحزن عليه ابوه حزناً شديداً لا يوصف حتى انه بعث الى كل الملوك يستغرب كيف انهم لم يرسلوا اليه سفيراً او رسالة تفرية . ومكث وحده في بيت مظالم اياماً كثيرة . وحزن معه جميع اهالي بغداد خاصتهم وعامتهم وكانت فرق النساء يجلسن في كل حي من احياء بغداد ويندبنه . وكانت فرق اخرى يظفن الشوارع لابسات المسوح مسودات الوجوه يندبن وينحن اياماً كثيرة حتى صدر الأمر بان كل امرأة شاءت ان تبكي لزمها ان تبكي في بيتها دون ان تخرج خارجاً .

ولما مات الخليفة الناصر اخرج ارباب الدولة ابنه الظاهر من سجنه وبايعوه بالخلافة اذ كانوا يحبونه لفضله وحلفوا له وأجلسوه على عرش ابيه . ولما اجلسوه قال : كيف يليق ان يفتح الانسان دكاناً بعد الساعة التاسعة ؟ فقد نيفتُ على الخمسين سنة وهذا اتقأد الخلافة ؟ ثم أظهر من العدل والكرم ما اظهر ورد اموالاً جزيلة الى اصحابها كان ابوه قد انزعها منهم لانه كان طماعاً . وارتفع عن الناس ما كانوا ألقوه من الخوف وكف المفسدون عن السعايات . وعقد لبغداد جسراً ثانياً على دجلة فصار فيها جسران ولم يكن لها منذ مائتي سنة إلا جسر واحد فقط . وفي هذه السنة خرج الملك المظلم صاحب دمشق وغزا ضواحي حماة . فسمع اخوه للملك الاشرف وارسل يلومه . فارتب منه وارسل اليه شهاب الدين غازي اخاه الثاني الذي كان سابقاً في خلاط وميفرقين وحرّضه لينتفض

على الاشرف. فخرج الاشرف الى خلاط وانزعها من اخيه وقبض عليه ولكنه لم يقتله بل وجهه الى ميافرقين ليتولاها .

وفي تلك الاثناء. وجه بارون قسطنطين بالي الى السيد اغناطيوس بطريركنا (١٢٢٢-١٢٥٢) والى قسطنطين جاتليق الارمن ليقصدا ابنة الملك لاون ويأتيا بها من سلوقية ليصطلحا ويتفقا معا في ما يزول الى فائدة المسيحيين عموما . على ان السلطان علا. الدين صاحب بلاد الروم انتهز فرصة الخلاف بينها فاحتل كثيراً من حصون قيليقية . بناء على ما تقدم سار المغبوطان وألحاً عليها ونصحا لها فلم تقنع بل زادت على ذلك انها لامتها وادعت انها حالفا القاتل سافك الدم الزكي . ولم يتيسر لهما ان يعترضا فتركاها وعادا دون جدوى .

بعد هذا سار بالي ذاته اليها وسأل الاخوة الفرير ان يسلموه اياها قسراً . فقالوا له : ان بيوتنا وقلاعنا انما هي ملاذ للمسيحيين وليس في امكاننا ان نسلم امرأة ملكة استجارت بنا . فاحتال بالي واشترى منهم القلعة مع كل ما فيها وأخرجهم منها وصار الامر والنهي بيده . وأمسك بكتف الملكة وسحبها ونقلها جبراً الى طرسوس وجمع البطارقة والاساقفة والكهنة وكألوها مع ابنه هيتوم ونادوا بهيتوم ملكاً على قيليقية يوم احد العنصرة ١٤ حزيران ١٥٣٧ لليونان (١٢٢٦ م) . وظلت الملكة ايزابيل عشرة اعوام لا تسوغ للملك (٤٥٥) هيتوم ان يعرفها . وبعد ذلك اتفقت معه وولدت له بنين وبنات . وفي ١٤ رجب السنة ٦٢٣ للعرب (١٢٢٦ م) مات الخليفة الظاهر .

بعد الظاهر المستنصر ابنه

تولى سبع عشرة سنة . واخذ يركب ركوباً ظاهراً يغدو ويروح لا يجتني في ركوبه عن الناس . وأبدى من العدالة اضعاف ما ابداه والده . ووزع صدقات فائضة وجدد ابنة كثيرة. وتقدم بانشاء مدرسته المعروفة بالمستنصرية التي لم يعثر في الدنيا مثلها. ورتب فيها اربعة مدرسين لكل مذهب من المذاهب الاربعة مدرس واطاف اليهم ثلاثمائة فقيه لكل فقيه معاشا يكفيه يوماً فيوما . وشاد لهم حمماً خاصاً لا يدخله غيرهم . واقام لهم طبيباً خاصاً يعالج مرضاهم .

موت جنكرخان

في السنة ٦٢٤ للعرب (١٢٢٦م) قفل جنكرخان من بلاد خراسان عائداً الى المشرق . واعتزم الرحيل الى بلاد تنكوت بحدود الهند وهناك عرض له داءٌ دويٌّ بسبب عفونة الهواء . ولما قطع الامل من معالجة الاطباء استدعى اولاده جفاتي و اوكتاي وتولي وكلكان وجورختاي واوردجار وقال لهم : اني مزعم ان اموت ولا بد من شخص كفوء ينهض بحفظ مملكتي دون تضع . وهذه هي ارادتي مثلما اعلمتكم غير مرة أن ابني اوكتاي يخلفني في كرسي مملكتي لاني واثق بذكائه ومتين رأيه . فما قولكم في هذا يا ابنائي ؟ فجلسوا جميعاً على ركبهم وقالوا : انت ابونا وسيدنا وملكننا ونحن عبيدك السامعون المطيعون لكل ما تأمر وترشد . وبعد هذا اشتد دأوه وتوفي في الرابع من رمضان شهر صوم العرب (٢٤ آب ١٢٢٧ م) .

وبعد هذا ارسل الابناء الحاضرون (٤٥٦) وفوداً استدعوا سائر البنين والانساب . فوصل من طرف القنجاك توشي الابن الكبير وهردو وباتو وسيدقان وتنكوت وبراكه وبركجار وبعاتيمور واقتاس وجفاتي . واستدعوا من الجنوب اوكتاي الذي أحيلت اليه المملكة . ومن المشرق استدعوا عمهم اوكتين وبلكتاي نوين واجتاي نوين وتولي . اما سائر الاخوة الصغار فكانوا في معسكر جنكرخان وقد انتظروا نحو سنتين حتى اكتمل جمعهم . وأجلسوا اوكتاي على تخت المملكة .

وفي هذه السنة مات الملك العظيم بن العادل صاحب دمشق واورشليم وكان رهيماً مخيفاً يهوى امتلاك جميع البلدان . واقام المعديين يغزون سائر البلاد ولاسيا حصن وحماة . وخلفه الملك الناصر صلاح الدين داود وحمل عمه الملك العزيز والمملك الصالح ركاب السرج امامه .

وفي السنة ٦٢٥ للعرب (١٢٢٧ م) غادر مصر الملك الكامل ليأتي الى دمشق وينتزعها من ابن اخيه . ونبضه الى السامرة برز الامبراطور^١ الالمانى

(١) فردريك الثاني ملك النمسا .

الى يافا فأحجم الملك الكامل عن مسئلة دمشق وقدم اليه اخوه الاشرف
والملك المجاهد صاحب حمص وساروا معا الى تلّ العجول وبعثوا وفوداً الى
الامبراطور واطلعوا على سبب قدومه . فقد صرّح لهم بأنه انما اقبل غيرة على
بيت الربّ في اورشليم . فتنزّل العرب للفرنج عن المدينة فقط لا عن ضواحيها
وُعقد الصلح .

في هذه السنة مات حسنون الطيب الرهاوي . دخل (٤٥٧) بلاد الروم
وخدم سيف الدين امير آخور واختيار الدين حسن . ثم خرج الى ديار بكر
وخدم ابنا شاه ارمن وهزار ديناري الذي خلفهم وابناء العادل الذين ملكوا
هناك واخيراً عاد الى الرها . ولما سمع ان طغرل الحادم صديقه القديم مذ عهد
خدمته لاختيار الدين قد اصبح ابا ومشيئاً في مملكة حلب توجه اليه . لكن
طغرل القليل الخبرة لم يستقبله بالاكرام كما كان يجب عليه . ولما عوّب على
ذلك قال : انا مقصر بحقه لاجل نصرانيته . واقام حسنون الطيب في حلب
كثيلاً ممتعضاً . ولما عزم العودة الى الرها ادركته حمى شديدة لحقها اسهال
سحجي في الامعاء ومات في حلب ودُفن في بيعة القديسة بربارة . وكان شيخاً
جليلاً بديناً خبيراً بالطب ملماً بالفلسفة . وكان يطالع كتاب الدركري دائماً .
وكان طبّ المحادثة حافظاً للكثير من اخبار الملوك والحكام . الاقدمين
والمعاصرين . واشتهر في زمانه كذلك جبرائيل الطيب الفاضل في الرها وصنّف
في السريانية كتباً طبية وفلسفية حجة .

وفي السنة ٦٢٦ للهـ (١٢٢٨ م) اتفق الملك الكامل والاشرف اخوه
وهما في تلّ العجول على انتزاع دمشق وضواحيها من اخيها الملك الناصر داود
ابن المعظم . وان تكون المدينة حتى تلّ فيق للاشرف ومن فيق الى غزوة
للكامل . وان يعطي الاشرف للناصر بعض الاماكن في المشرق بدلاً من
دمشق . ووافقها الناصر في ذلك وسار الى دمشق لينقل امتعته واهله ويخرج
لكنه ندم اخيراً ورفض ان يسلمها . عند ذلك سار الاشرف في جنوده
وجنود الكامل الى دمشق (٤٥٨) وحاصرها . فامتعت عليه . فارسل يستدعي
الكامل اخاه فأقبل وحاصر المدينة حصاراً شديداً واحتلها في اول شعبان وسأها

الى الاشرف . واعطى الاشرف لكامل اخيه بدلاً منها الرها وحران والرقعة وسروج وراس العين وموزر وجملين . وترك للناصر قلعة الكرك والبلقاء . وضواحي اورشليم والطمرة . ثم ارسل الكامل الجيوش مع الملك المظفر تقي الدين الى حماة لينتزعها من اخيه الملك الناصر قلعج ارسلان . غير ان الناصر المحذر من القلعة وقصد الكامل ووعدته بالذهب وسأله ان يبقيه في حماة . فرفض الكامل طلبه فقال له الناصر : ان كان لا بد لك من اخذ حماة فاحلف لي بانك لن تعطيتها لآخي تقي الدين . فحلف الكامل وبعث رجاله ليحتلوا المدينة . غير ان اهالي المدينة والقلعة جاهدوا قائلين : اننا لن نرضى الا ملكنا وجعلوا مجاربون بشدة . فارسل اليهم الكامل يقول : هوذا ملككم تقي الدين عندهم فسلموه . ففرحوا جداً وسلموه وسار الى القلعة وبعد ايام انطلق الى حران وكان الكامل يومئذ فيها يشرف على البلاد التي وهبت له . فرحب به وزف اليه ابنته ووشحه ومن معه بالحلل وأعادته الى حماة ولاسيا لان بعض المتطرفين كانوا يقولون له ان تقي الدين لن ينحدر من قلعتها الى الابد ولن يقع نظرك عليه . لكنه لما سار اليه دون تكلف أغره واكرمه . وفي تلك السنة احتل السلطان علاء الدين مدينتي ارزنجان وقاماخ .

جلوس الخان على تخت دولة المغول بعد ابيه جنكرخان

في السنة ٦٢٦ للعرب (١٢٢٨ م) اكتمل اجتماع ابناء جنكرخان وارباب المغول واكلوا وشربوا ثلاثة ايام ثم قالوا لاوكتاي : لقد صدر امر جنكرخان (٤٥٩) بان تحلفه في المملكة . فقال لهم قول حكيم : ان امر والدنا مها كان فان لنا اخا اكبر مني واعماما أولى مني بالمملكة ثم ان تولي اخانا الصغير متولّي المعسكر الكبير وكان ملازماً لاينا في الخدمة دائماً وقد اختبر نواميس المملكة وسياستها اكثر منا فاذا شئتم فليجلس هو . فصرخوا باجمعهم وقالوا : لا بد من امتثال مرسوم اينا المبارك مها كلفنا الامر . ثم كشفوا رؤوسهم ورموا مناطقهم على اكتافهم واخذة جفاتي بيده اليمنى واوتكين بيده اليسرى واجلساه على سرير ذي اربعة مساند اشارة الى اربعة اقطار الدنيا ولقباه الخان .

وتقدم تولى الاخ الصغير الذي ذكر اوكتاي ان الدولة تحق له وسقاه كاس شراب وجثا على ركبتيه وانحنى مبدياً له الخضوع التام . وصنع مثله جميع الاخوة الحاضرين والاقطاب الذين خارج الحيمة فجثوا له على ركبتيهم تسع مرات ثم برزوا الى خارج وجثوا للشمس ثلاث مرات كعادتهم . ولما استقر الحان على التخت فتح كنوز ابيه وخزائنه ووزع على اخوته واطامه وعلى سائر الاقطاب كل واحد حسب مقامه . وانتخب الاقطاب من بناتهم اربعين عذراء ذوات جمال رائع وزينوهن بافخر الحلي والحلل والقلائد المنظومة بالحجار الكريمة وقد موهن للخان . وفرحوا جميعاً فرحاً عظيماً جداً . وبعد هذا حتم الحان بان تحفظ جميع نواميس جنكزخان ومراسيمه وصرح بان من يخالفها يُقتل قتلاً . وكان جلال الدين خوارزمشاه يطفر يومئذ كالايل في بلاد خراسان فوجه الحان جورماغون نون في ثلاثة آلاف من خيرة (٤٦٠) رجاله الى تلك الاطراف وسير سنتاي المجاهد في جيش جوار الى ناحية قبدوقية وبلغارية وبعث غيرهم الى الحاء الهند وسار هو مع الاخوة والانسيا الى الصين .

وفي السنة ٦٢٢ (١٢٢٩ م) انتزع الملك الاشرف مدينة بطلبك من صاحبها الملك الامجد ونقل كل ما كان في خزائنها وحماه الى دمشق واستقر بها . وفي اول تلك السنة نزل خوارزمشاه جلال الدين منجبراني بن خوارزمشاه محمد على خلاط وحاصرها اشد حصار . وكان فيها تقي الدين عباس ومجير الدين يعقوب أخوا الاشرف . وانتوى جلال الدين منذ خمس سنوات ان يحتل ارض سنعار وسار الى دقوقة وبيت وازيق واخرق واحرق وقتل بجد السيف ثم زحف الى مروج شهرزور وارسل اليه مظفر الدين صاحب اربيل هدايا كثيرة وعقد معه صلحاً . وفي هذه السنة زحف الى خلاط ونصب عليها عشرين منجنيقاً من ناحية البحيرة وتضايق الخلاطيون بسبب الحرب والجوع حتى اكلوا لحوم الكلاب والجحاش . وبيع الرطل السوري من الخبز اعني ستة ارطال بغدادية بدينار مصري . وعند ذلك حشد السلطان علاء الدين كيقباد عشرين الفا وسار الى ملطية ووجه عشرة آلاف الى ارزنجان وأبقى العشرة لديه وكتب الى الاشرف يشجعه ويصرح له بانه متوجه بنفسه الى خلاط ليارز خوارزمشاه واذا شاء

الرب فسيقتي خيله من مياه جيحون بالعجم . ثم ارسل سفيراً الى خوارزمشاه يقول : انك سلطان ابن سلطان فلا تصنع ما يئالف الشرع . واعلم ان اباك بسبب ظلمه اثار عليه الله تعالى جيوشاً التت من المشرق . وهذا بيت (٤٦١) ايوب بيت كبير مبارك يركب اخوته وابناء اخيه وابناء عمه وابناؤهم في الفي فارس . ولا تظن اني عدوهم لكني صديقهم ومحارب لاجلهم لان ما بيننا مصاهرة وعمي كذلك هو صهرهم . فيجب ان تحسن معاملتهم حتى نصبح نحن وهم اعداء لاعدائك .

اما خوارزمشاه فاتقح واجابه بانه يتعذر عليه ان يترك خلاط . ثم بالغ في محاربتها . فسخط بعض اهالي وان وسلّموا المدينة الى الخوارزميين فامتلكوها وانهزم اخوه الاشرف وحسام الدين القيمري صهر الاشرف زوج اخته من الامم وتبعهم عز الدين ايبك حاكم خلاط وتحصنوا في القلعة . وما عم ان طلبوا الامان وسلّموها كذلك . وبعدما احتل خوارزمشاه المدينة لم يعقل اخوة الاشرف بل جعلهم في خدمته يركبون معه ويلعبون امامه كل يوم في الميدان . فغاضب الاشرف وسارع في القدوم الى ابلستين واجتمع اليه جنوده . وبرز كذلك السلطان علاء الدين في جنوده واحتشدوا جميعاً في آق شهر . وخرج خوارزمشاه في عساكره للقائهم ومعه اربعون الفا . وشاهدوا نحو اربعة آلاف فارس من فرسان علاء الدين مشتين ففتكوا بهم قاطبة . ثم اقبل الفريقان قتالاً شديداً يوم الجمعة وكانت الغلبة للملك الاشرف . وباتوا ليلة السبت يقتلون ويقتلون وعند الصباح التحم القتال وانكسر الخوارزميون كسرة عظيمة وقتل منهم خلق لا يحصى عددهم واستؤسر بعض الامراء والجيابرة المشاهير وانهزم الكثيرون منهم الى طرابزون وبلاد الكرج . وسقط نحو الف (٤٦٢) وخمسة الف فارس من كهف عالٍ ليلاً وماتوا . وتم ذلك في آب ١٥٤١ لليونان (١٢٣٠ م) .

وكان صاحب ارضروم وهو ابن عم السلطان علاء الدين وصهره قد تمول عنه واتفق مع الخوارزميين وشاركهم في القتال . فالقى السلطان القبض عليه واستأسره . ثم سار السلطان نفسه مع الاشرف الى ارضروم وحاصرها حصاراً

شديداً فاستحلفه الاهالي ان لا يقتل واليهم المأسور لديه وساموه المدينة .
وكانت اخت صاحب ارضروم هناك وكان السلطان منذ امد طويل مغرماً بها
يريد ان يتزوجها واخوها يعارضها . فتزوجها الآن وسراً بها اكثر من سروره
بما احزوه من الانتصار . غير انها لما طلبت اطلاق اخيها من قيوده سخط عليها
وقتلها وأغرق اخاها في البحر .

وبعد انكسار الخوارزميين سار الاشرف الى خلاط كسي يرتق فتقها
ويصلح أمرها وارسل معه السلطان الف فارس في هدايا وافرة وعاد هو الى
بلده . اما جلال الدين خوارزمشاه فذهب بأهله الى كوي باذربيجان وارسل
تقي الدين اخا الاشرف مكيلاً هدية الى خليفة بغداد وهذا فك قيوده واعاده
مكرماً الى الاشرف . ثم ارسل الاشرف سفيراً الى خوارزمشاه يقول : انك
جئت فاتحبت بلادنا وقتلت ونهبت مع اننا لم نسيء اليك . فان كنت تروم
الانتقام منا بسبب ما اخرجه الحاجب علي من بلادك فان الحاجب المذكور قد
قتل في الحرب ونال جزاء اعماله . والان نسألك ان تتخلى عن البلد الذي
اخذته عنوة وتتصالح معنا .

غير ان خوارزمشاه استخف به ولم يصالحه فتركه الاشرف وعاد الى بلاد
ما بين النهرين . وكان الكامل في مصر . وبقي مجير الدين يعقوب اخو الاشرف
مأسوراً عند خوارزمشاه .

وفي هذه السنة ارسل الاخوة الفريز الدواوية (٤٦٣) والاسيائية يطالبون
صاحب حماة بالوف الدنايز المترتبة عليه بمثابة جزية . فرفض طلبهم مستخفاً
بهم . فاحتشد خمسمائة فارس منهم والفان وسبعمائة راجل وزحفوا ليحتلوا البلد .
وبرز تقي الدين اليهم وكسرهم .

وفي السنة ١٥٤٢ لليونان (١٢٣١ م) زحف التتر يتعقبون الخوارزميين فانهم
خوارزمشاه الى اطراف سورية فادركوه في بلد آمد وأتلفوا عساكره وفر هو
الى احد جبال الصوفانيين ففتك به الاكراد دون ان يعرفوه . وذكر بعضهم
ان حافظ امتعه هو الذي قتل أما خوارزمشاه فقد لبس ثياب القليل الصوفية
وافلت وجعل يطوف البلاد مستتراً .

واقبلت شردمة من التتر الى حصن زياد ووصلت الى الفرات بمجدود ملطية
ومرت بسهل هزيط وانهزم الاهالي الى المدن العاصية في القلاع الحريزة ولم
يحدث خراب كثير . وانقلب التتر الى اذربيجان وشهرزور واحتلوا واحتلوا
بلاد الكرج كذلك . فسمع مظفر الدين وخاف وارسل يستنجد بالخليفة فسار
اليه جمال الدين قشتمور في جيش كثيف . اما البقية الباقية من الخوارزميين
وهي نحو عشرة آلاف فقد لاذوا بالسلطان علاء الدين صاحب بلاد الروم فاعطاهم
بلاداً لميشتهم وظلوا خاضعين له حتى وفاته .

وفي تلك الغزوات اعترم الخان بن جنكزخان ملك المغول ان يفتح بلاد
الصين وهي الخطا . فسار التتر اول بدء الى مدينة خوجا بنو بقسين وهي على
شط نهر قراموران وفيها عشرة آلاف مقاتل وحاصروها (٤٦٤) اربعين يوماً
فجز اهاليها وسار بعض اقطابها يطلبون الامان من الخان . اما المحاربون فقد
ركبوا السفن جميعاً وهربوا في النهر . واحتل الخان المدينة ولم يؤذ احدًا .
ومن هناك دخلوا بلاد الخطا فجيش التون خان اعني ملك الذهب مائة الف
من الشجعان وانفداهم للقاء التتر واحاطوا بهم احاطة الخاتم بالاصبع . وما ان
شاهد الخان بطشهم حتى تذرع بوسيلة اخرى وهي انه امر السحرة والرقائين
ليبرزوا حجب المطر فابرزوه وانجزوا اسرارهم ثلاثة ايام وثلاث ليال وهبطت
على الصينيين امطار غزيرة وتلوج قاسية تبعا برد شديد في شهر تموز . وعند
ذلك وثبوا كالذئاب تنهش الغنم واوقعوا بعسكر الخطا وكسروهم شر كسرة .
وانهزم التون خان الى عاصمته واجتمع بنسائه واولاده واخوته واقاربه جميعاً في
بلاطه . وامر عبيده قاطبة فكوموا الحطب اكواماً اكواماً واضرموا فيها
النيران فاحترق هو وكل ذويه . ودخلت عساكر المغول مدينة نامكينك ونهبوها
ونهبوا غيرها من المدن وقتلوا خلقاً كثيراً وأسروا من البنين والبنات الممتازين
بالجمال عدداً وافراً . ورجع الخان في غاية الابتهاج ووصل الى جبال قراقورم
وابتني مدينة سناها اردو باليق اعني مدينة المعسكر وهي تعرف اليوم بقراقورم
واستحضر اليها صنّاعين واهالي من بلاد الخطا والعرب . وبينما كان مسروراً
بتلك الغلبة توفي فتولى اخوه الصغير وكان احب الاخوة اليه (٤٦٥) فجزن عليه

حزناً شديداً وأمر ان تتولى تدبير ولايته زوجته سرقوتني باجي وهي ابنة اخي الملك يوحنا . وكان لها اربعة بنين كبار اولهم : مونكا الذي صار فيما بعد ملكاً . ثانيهم قوبلاي ثالثهم هولاكو رابعهم اريغ بوكا . فأحسنت تربيتهم وادهشت جميع اولاد الملوك بسياستها . ومائت هيلانة الملكة بايمانها المسيحي القويم وعنها قال احد الشعراء :

فلو كان النساء كمثل هذه لفضت النساء على الرجال

وتوفي كذلك توشي ابن جنكرخان الاكبر وخلف سبعة بنين كبار وهم : تمشل . هردو . باتو . سيقان . تنكوت . بركه . بركجار . وقد انتفى الخان ثانيهم وولاه بلاد الصقالبة الشمالية واللان والروس والبلغار وجعل مضميه على شاطئ نهر ايتيل . ولما سار في طريق الشمال من بلاد الكرج الى بلاد البلغار والسكوتيين اجبر على اهلها بالسيف والنمى بمالكها . واصدر الخان امره بان تُقطع الأذن اليمنى من كل قتيل بلغاري وروسي وأحصى عددها فكان مائتين وسبعين الف اذن . وتجهز الخان للدخول الى قسطنطينية من ناحية بلغاريه . فبلغ ذلك ملوك الفرنج فاحتشدوا ولاقوه وكسروه وهزموه ولم يعد التتر يتعرضون لبلاد الفرنج بل ظلوا مقيمين في سهل القوقاس .

واحب سرتاق بن باتو الديانة المسيحية واعتمد وتعلم الكتابة والقراءة ورقي الى الرتبة الشاسية . ومات في ذهابه لخدمة منكوخان على ما يظهر . وفي السنة (٤٦٦) ١٥٤٣ لليونان (١٢٣٢ م) زحف التتر كذلك وغزوا بعض الاماكن وعادوا الى بلاد الحجم . وعجز السلطان علاء الدين عن مناوشتهم وقرر لهم الجزية وصالحهم . ولما استراح من همهم انتزع خلاط من الاشرف واحتل حصوناً كثيرة من ارمينية ومدينة سرمارى . وانتزع الكامل صاحب مصر مدينة آمد من صاحبها واعطاه قرى لمعيشته .

وفي السنة ٦٣٠ للعرب (١٢٣٢ م) مات الطبيب المهذب المدعو دكوار الدمشقي . وكان في اول امره يجلس في السوق ويطلب المرضى بالاجرة . ثم خدم احد ابناء العادل واساء كثيراً الى الاطباء اقرانه وكفهم عن الخدمة . وكان مكاراً شتأماً شرهاً نهماً واصابه في آخر أيامه داء عضال في

لسانه الذي كان يؤذي به اقربائه وأمسي اخرس لا يتكلم . وتفاقم الداء شيئاً فشيئاً حتى قتله . ولم يخلف وارثاً وكتب في وصيته ان تحوّل داره الى مدرسة لمن يعلم ويتعمّ الطبّ ووضع فيه كتبه كلها . وبلغ به اللوم مبلغه حتى حتم ان يدرس فيها المسلمون وحدهم دون اليهود والنصارى . وما زال هذا القانون جارياً في دمشق حتى اليوم . وتلاميذ الطبّ يقرأون على اليهود والنصارى خارجاً عن تلك المدرسة .

وفي رمضان ٦٣٠ للعرب (١٢٣٢ م) مات مظفر الدين كوكبزي بن زين الدين علي كوجك صاحب اربيل ونقل الى مكة ودُفن هناك . وبعث اليها الخليفة جنوداً مع طاهر الدين ابي علي عارض والقائد بهاء الدين بنغوش ولكن الاهالي قاوموها فاقتل شرف الدين شراي وحاصرها (٤٦٧) واحرق باب عين كاوا ودخل المدينة ونهبها وما عثم ان احتل البغداديون قلعته وتولاها شمس الدين باتصكين وعارض الغش وتولى المدينة انسان شريف يقال له ابوالمعالى محمد بن نصر بن صلايا والشرف بن صدقة .

بدء مملكة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل

وفي السنة ١٥٤٤ لليونان (١٢٣٣ م) كتب الخليفة فرماناً لبدر الدين صاحب الموصل وخطب له على المنابر بالسلطنة . وكان الفتى ناصر الدين محمود بن القاهر بن نور الدين قد مات . وقد تشكّى بنو العادل من السلطان علاء الدين لانه انتزع خلاط منهم . وحشدوا حشداً كبيراً من مصر الى حلب واتفق معهم صاحب حصن زياد وصاحب ماردين وصاحب الموصل والملك الافضل بن صلاح الدين صاحب مميساط وجمهور من المعديين والتغلبتين . وحشد السلطان كذلك جماهير من الفرنج واليونان والارمن والكرج وخوارزم اوفى عددهم على المائة الف كلهم من مشاهير الجنود وزحف عام ١٥٤٥ لليونان (١٢٣٤ م) الى ابلستين حيث ازمع المصريون واصحابهم ان يقيموا . وارسل هولاء الجواسيس فتحقق لهم انهم عاجزون عن مبارزة السلطان فساروا الى حصن منصور واتلفوا ضواحيها جماء ثم تفرقوا شذر مذر وعادوا الى بلدهم .

أما السلطان فاقبل الى ملطية في جيش ضخم وعبر الفرات ووصل الى حصن زياد واحتل المدينة حالاً وغزاهما . أما صاحبها فانهزم الى القلعة في ستة آلاف من الفرسان المصريين وصلوا لينجدوه . فاقام السلطان المنجنقات وحاصرها وضايقهم حروباً وجوعاً وعطشاً فطلبوا الامان . أما السلطان فقد ارسل الى مصر جميع المصريين الذين كانوا مع شمس الدين (٤٦٨) صواب حاجب الكامل الكبير . وارسل صاحب حصن زياد مع اثقاله ونسائه الى ساحل البحر . فاقام هناك نحو ثلاث سنوات حتى أهلكه السلطان خفية وعزز القلعة والمدينة وعمرها . ووجه جيشاً الى سيمساط افسد ضاحيتها وتعذر عليه احتلالها بسبب الشتاء . فتركها وسار الى انطاكية بساحل البحر ليشتي فيها كعادته . ولما اقبل الصيف حشد الجنود من امم مختلفة بلغ عددهم مائة الف فارس وهياًهم ايرضفوا الى آمد . واذ ذلك بلغه ان الكامل مضطرب لان ابنه الذي تولى اليمن مرق من طاعته . ولذا اغمض السلطان عن الزحف الى آمد ولا سيما لانها حصينة جداً لا يتيسر فتحها في زمن قليل .

وفي حزيران ١٥٤٦ لليونان (١٢٣٥م) كوجه السلطان جنوده الى الرها وملكها عنوة وكان الرهاويون يقاتلون قتالاً شديداً من الاسوار . ثم سار بعضهم الى سوريك واحتلوها ووصلوا الى الرقة كذلك واحتلوها واتفوها ونهبوها نهباً ذريعاً . وخاف الحرانيون وحملوا اليه المفاتيح وهو في ملطية فرضي عنهم وردهم الى بلدهم مكرمين . أما الرهاويون فعاندوه بشدة وسخروا به فسخط عليهم ووثب اليهم بذاته وافرغ جنوده كل قواهم واتفوا المدينة بما فتحوا من الثغور وبالسلام التي اقاموها على الاسوار حتى دخلوها وسبوا ونهبوا دور الزعماء وتزعوا ثياب الرجال والنساء ونهبوا حلل الكنائس الشهيرة وآية القدس وأجلوا الفتيان والفتيات واخرجوهم خارج المدينة وأجلسوهم على الزبل ما بين الحيام تلفحهم سموم تموز بجرها (٤٦٩) وساقوا القواد والمحاربين وعددهم الفان عراة الى بلاد الروم الداخلية . وعثروا في القلعة على كمية وافرة من الذهب والفضة والسروج والالجمة وعُدد الحرب مما تركه الكامل وهو عائد من ابلستين . وبعد هذا تولى السلطان تحصين المدينة واقام بها محاربين وبنائين ونجارين .

وصنع مثل ذلك في حرّان وعاد الى بلده . أما الكامل فلما سمع بما حدث من الاهوال في الرها ارتحل من مصر في جيش كثيف واقبل اليها . ذلك بعد اربعة اشهر لانتزاح السلطان وجنوده عنها . وقوّض بشدّة برج قلعتها الضخم ورحل على الجمال جميع الزعماء والمحاربين والصناع وارسلهم الى مصر .

وفي هذه السنة نقصت الغلّة في بلاد الروم وما بين النهرين ونشفت الكروم وبيست الأشجار بسبب الشتاء الشديد . فن ثشرين الثاني حتى نصف شباط جمد الفرات ولم تمطر في الربيع .

وفي السنة ١٥٤٧ لليونان (١٢٣٦ م) وجه السلطان علاء الدين جيوشاً وافرة العدد الى آمد وحاصروها اربعة اشهر فامتنت عليهم فنهبوا ضواحيها واخربوها وانقلبوا .

وفي السنة ٦٣٣ للعرب (١٢٣٥) سار الملك الناصر داود بن المعظم بن العادل صاحب الكرك الى زيارة خليفة بغداد ليرفع الشكوى على عميه الكامل والاشرف اللذين اغتصبا منه دمشق . وفي السنة عينها سار كذلك الى بغداد ركن الدين الملك الصالح اسمعيل بن بدر الدين صاحب الموصل ليזור الخليفة . وفي تلك الغزوة وصل التتر الى اربيل وعبروا الى بلد نينوى ونزلوا على ساقية قرية كرمليس فانهمز اهلها الى كنيستها فحاصرها التتر وقعد أميران منهم على بابها فالواحد أذن في الخروج للذين خرجوا من بابه . ومن كرمليس سار التتر الى سنجار وانقضوا على قافلة كبيرة من (٤٧٠) التجار المسافرين الى سورية وقتلوهم قاطبة .

وفي السنة ١٥٤٨ لليونان (١٢٣٧ م) حشد السلطان علاء الدين كذلك حشداً غفيراً من معدّين وخوارزميين وهونيين ويونان وفرنج وارمن وكرج وأعدّهم ليذحفوا الى آمد . وكان يومئذ عيد العرب فصنع وليمة فاخرة لجميع الاقطاب وفيما كانوا يأكلون ويشربون ويتنعمون باشكال الاغاني والسلطان مستر على عرش عالٍ مبتهجا برؤيتهم متطرفاً شعر بألم في احشائه وخرج الى المرحاض وجرى منه دم غزير وقضى ليلته ونهاره متقلّباً في اشدّ الالوجاع حتى وافاه الاجل يوم الاثنين اول حزيران ١٥٤٨ لليونان (١٢٣٧ م) واول شوال ٦٣٤ للعرب .

ومات في هذه السنة كذلك الملك العزيز صاحب حلب وخلفه ابنه الملك الناصر صلاح الدين وقد قتله التتر في ايامنا . وفيها كذلك مات المحسن بن صلاح الدين الاكبر في حلب .

وفي شوال تلك السنة زحف التتر الى اربيل ثانية وحطوا عند نهر الزاب الاسفل فانهزم الاربيليون عراءً الى القلعة واحتل التتر البيوت وأخذوا غنائم وافرة واحرقوا اغلب الدور . وحاصروا القلعة نحو اربعين يوماً فدفع لهم اصحابها ما لا جزيلاً قبضوه وانقلبوا عائدین .

وكان السلطان علاء الدين كيقباد السابق الذكر ممتازاً ما بين ملوك زمانه بمنظره المخيف وذكائه المفرط وشخصه النقي المزه عن كل الاهواء الرديئة خلافاً لملوك العرب المعتادين الانغماس فيها . وكان المجرمون يهابونه جداً اذ كان صارماً في احكامه . وقد اخضع لسلطانه مدناً واصقاعاً عديدة . وساعة وفاته عند نصف النهار اجمع ارباب الدولة على الخطبة لابنه غياث الدين كيكسرو (٤٧١) وادخلوه الى مدينة قيسارية وحالفوه وأجلسوه على عرش ابيه ونادوا به سلطاناً وابتهج الاهالي جميعاً به . فامر باطلاق جميع الاسرى المسجونين في بلاده . وأطلق كذلك الاسرى في مصر بموت من استأسرهم . وأحصي عددهم فكان اثني عشر الفا ممن نجوا من الضيق .

واراد السلطان الجديد ان يقبض على زعماء الخوارزميين خيفة ان يتمردوا عليه فقبض على غاير خان احدهم وانهزم بقيتهم وجعلوا يعيشون في كل بلد حتى وصلوا الى ملطية وأوثقوا سيف الدولة السوباشي وعبروا الفرات راجلين عند حصن مسارة . وعند بلوغهم الى حدود حصن زياد بجانب بلدة كربزاج لاقاهم عساكر تلك الاطراف وانكسروا تجاههم وقتل بيراميز صاحب حصن زياد . واغاروا على بلد سميساط وغزوه ثم انحدروا الى بلد سوربك وحاميمتا واستقروا هناك نحو ثلاث سنوات يغزون الضواحي . ثم ساروا وادوا الطاعة لصاحب حلب الملك الناصر وهو فتى . فاعطاهم الرها وحران وسائر مدن ما بين النهريين واستراحت الارض منهم .

أما السلطان غياث الدين الجديد فقد طلب ابنة ملكة الكرج وتزوجها

وأحبها حباً مفرطاً واصبح على مثال الصبيان منهمكاً في الشرب والاكل ومداعبة الطيور والحيوانات . وترك سياسة المملكة في ايدي عبيده فصار كل منهم يعمل ما شاء . وكانت الملكة الكرجية نصرانية وقد حضر معها يوم عرسها الجاثليق والاساقفة والكهنة والاكليروس واخوها داود الصغير صاحب الكرج الداخلية . غير انها جحدت بعد قليل ايمانها وأسلمت . وقبض على داود اخيها وعلى الجاثليق وسجنا في احدي القلاع وظلاً (٤٧٢) هناك حتى اقبل التتر وفتحوا تلك القلعة واطلقوها .

وفي بدء السنة ٦٣٥ للعرب (١٢٣٧ م) مات الملك الاشرف عيسى بن العادل بن ايوب في دمشق بالغاً الستين . وكان جواداً كريماً مقبلاً على التمتع بالدنيا ولذاتها يزجي اوقاته برفاهية من العيش .

وفي السنة ١٥٤٩ لليونان (١٢٣٨ م) زحف التتر تكراراً الى اربيل وغزوا واخربوا . ووصلوا الى حدود بغداد الى موضع يسمى زكاباذ وغزوه . ووصل بعضهم الى سرمن رأى وفتحوا باها لها . فخرج اليهم مجاهد الدين الدويدار وشرف الدين اقبال الشرايبي في عساكرهما . فبارزا التتر وهزماهم وخافا من عودتهم فنصبا المنجنيقات على اسوار بغداد .

وفي تلك السنة هرب الملك الفاتر يعقوب من وجه اخيه الملك الكامل صاحب مصر الى بغداد وأراد ان يقيم في خدمة الخليفة . وما عم ان مات الملك المذكور ودفن في دمشق وكان رجلاً داهية مهيماً وبلغ السبعين من سنه وخلفه ابنه الملك العادل باسم جدّه واقام في مصر . أما الملك الصالح اخو الكامل فملك سورية وقوي امره بالحوارزميين واطاف الحابور الى بلادهم . وكان الملك الناصر داود ابن اخيه صاحب الكرك سابقاً يحاول احتلال تلك البلاد ولكن الدهر عانده . وكان عالماً بارعاً بالعلوم الفلسفية . وحكي انه قصد شمس الدين كسروشاخي الفيلسوف في دمشق وكان كلما ذهب ليدررس عليه انحدر من حصانه على مسافة بعيدة وترك هناك عبيده وحمل كتابه تحت ابطه ودخل مدرسة الفيلسوف يطالع ويتعلم ولم يدع معلمه ان يتخفى له . وفي تلك السنة وثب الاسميليون الى بدر الدين صاحب الموصل ولكنه

لم يصب بضرر . (٤٧٣) وفي ذي القعدة من تلك السنة انقلب التتر ثانية الى حدود بغداد ووصلوا الى خانقين فخرج اليهم الجيش البغدادي وبارزهم فانكسر ولم يفلت منه الا ثلاثة من الكبار وهلك البقية بقم السيف . واحتوى التتر على غنيمة وافرة وانطلقوا .

وفي السنة ١٥٥٠ لليونان (١٢٣٩ م) وهي السنة ٦٣٦ للعرب فاض نهر بغداد واخرّب دوراً كثيرة واغرق سفينتين هلك فيها زهاء خمسين نسمة . ولم ولم يحدث في السنة التالية شي . يستحق الذكر في البلاد المجاورة لنا .

وفي خزيان ١٥٥١ لليونان (١٢٤٠ م) زحف التتر وغزوا من بلاد الكرج حتى حدود ارضروم . واحتشد جنود بلاد الروم وزحفوا الى ارمينية ليصدّوا التتر عن التوغل في بلادهم . فسمع هولاء . وتركوا وانقلبوا الى بلاد سقوتية . وظلّ جنود بلاد الروم هناك حتى الشتاء . ثم عادوا الى بلادهم .

وفي تلك السنة وجه المسلمون من بلاد الروم التاج بلغاري مرگب الدرياق بمثابة سفير الى بغداد ومات هناك في السنّ الثمانين .

وفي حريف السنة ١٥٥٢ لليونان (١٢٤١ م) وهي السنة ٦٣٨ للعرب ظهرت بدعة مناقضة لدين العرب . ذلك ان رجلاً تركانياً شيخاً ناسكاً يقال له بابا ظهر ببلد اماسيا ادعى النبوة وزعم انه هو رسول الله حقاً . وان محمداً كان كذاباً لا رسولا . وتبعه جمهور غفير من التركمان استغواهم بما كان يُظهِره لهم من الحيل والمخارق . ووجه الشيخ اسحق تلميذه الى بلاد حصن منصور وهو آخر حدود بلاد الروم ليدعو التركمان الى المصير اليه . وقد استمال الكثيرين الى محبة معلمه . واعد له عدداً حربية وانضم اليه جميع الفلاحين التركمان وباعوا حيرهم وثيرانهم واغنامهم واشتروا خيلاً وركبوا (٤٧٤) معه وغزوا بلد حصن منصور وجرب وكاختين وفتكوا بكل من لم يُقر بان بابا هو رسول الله ونبي .

على ان زعيم ملطية حشد خمسمائة فارس واخذ لاجدته خمسين راجلاً من المحنكين بضرب السهام من دير مار برصوما وزحف اليهم فانكسر ولم يفلت من اصحابه الا القليلون . فتقوى التركمان جداً وتبعتهم جماهير غفيرة وزحفوا الى ابلستين وتقلّبوا على جيشها . وواصلوا الزحف بشدة الى اماسيا ليؤروا

الشيخ بابا زعيمهم . غير ان زعماء بلاد الروم كانوا لذلك الشيخ وقبضوا عليه وخنقوه . ولما وصل اسحق تلميذه في اصحابه ولم يجدوه اذاعوا بانه صعد الى السماء ليأتي بملائكة لتجدته وجعلوا يحاصرون اماسيا حصاراً شديداً . فاحتشد نحو ستين الف فارس من اصحاب السلطان غياث الدين ولكنهم لم يجسروا ان ينازلوا التركمان وهم ستة آلاف لا غير حتى اقبل الف فارس من الفرنج كانوا لدى السلطان وتشددوا وصرخوا باسنانهم وصنعوا اشارة الصليب على وجوههم ووثبوا الى اولئك الطغاة وشتموهم . وبعد هذا انضم اليهم العرب واحاطوا بالتركمان احاطة الهائلة وقتلهم طراً بجد السيف ولم يتركوا منهم رجلاً ولا امرأة ولا ولداً ولا حيواناً حياً . وهكذا قضي على تلك البدعة .

وفي هذه السنة احتشد عساكر بلاد الروم واقاموا زعيماً لهم اسمه سينان سوباشي صاحب حصن زياد الذي خلف بيراميز المقتول وزحفوا الى آمد وحاصروها وكان صاحبها ابن الكامل صاحب مصر واتفقوا سرّاً مع الحراس ووعدوهم بالجزيل فسلموهم البلد . وكان معهم بعض الخليتين وافوا لتجدتهم (٤٧٥) . وبعد ما احتلوا آمد ساروا الى ميفارقين ليحتلوا كذلك . لكن الملك غازي اخا الكامل استنجد بالحوارزميين الذين في ما بين النهرين وأغار على أعدائه وانغض الخليتين عن مبارزته لكونه أبا مولاتهم أم الملك الظاهر والد الملك الناصر صاحب حلب .

وبعد ما احتل سينان آمد ورده الامر من السلطان انزحف الى ارضروم ويقيم بها ويحميها من قوة التتر . ولما وصل اليها اقبل جرماغون نوبن في جيش جرار من التتر وملك تلك المدينة الحصينة في ايام وجيزة وقتل رجالها ونساءها وأبقى على فتيازها وفتياتها واتخذهم عبيداً . وقتك كذلك بسينان وابنه الشاب وتركها قاعاً صفصفاً وارتمل .

وفي القابل اعني السنة ١٥٥٣ لليونان (١٢٤٢ م) وصل التتر الى حصن زياد ونهبوا كل ما وجدوا وانقلبوا الى بلاد العجم .

وفي السنة ١٥٥٤ لليونان (١٢٤٣ م) حشد السلطان غياث الدين جيوشاً كثيفة واتخذ فرساناً من حلب ومن اليونان والفرنج والمدنيين ودفع لهم ذهباً .

ووعده صاحب حصص وملك غازي صاحب ميافرقين بالمساعدة ولكنها لم يبرأ
 بوعدهما. وجاء اليه البارون قسطنطين ابو هيتوم ملك الارمن الى قيسارية فرحب
 به واجزل له العطاء. ووعده قسطنطين بان يحشد جيش الارمن ويأتي الى نجدته.
 ثم ارتحل السلطان نحو سبسطية وزحف التتر الى ضواحي ارزنجان. فسارع
 السلطان والتقى الجيشان بموضع يُسمى كوساذاغ اعني الجبل الامرد. غير ان
 جيش السلطان عاد القهقري منذ المعركة الاولى ولم يتسكن من الوقوف تجاه
 التتر فانهزم وترك سلطانه وحده. فهبت السلطان (٤٧٦) واخذ امراته وابناءه
 وسار الى انقرة وتمحض بها. ولما رأى التتر ان العدو قد انهزم دون قتال
 وترك خيامه على ما هي واختفى ظلوا ذلك مكيدةً وانه قد حاد عنهم
 ليكمن لهم فاقاموا يوماً وبعثوا الجواسيس واستثبتوا الحقيقة ثم تنهروا ودخلوا
 تلك الحيام وابتزوا كل ما بها. وانتشروا في بلاد الروم ووصلوا الى سبسطية
 فسلم اصحابها ودفنوا ذهباً وافرأ وانقذوا نفوسهم من القتل وابناءهم وبناتهم
 من العبودية. ودخل التتر المدينة وافرغوا الخزائن الملكية واحتوا على كل
 ما طاب لهم واحرقوا آلات الحرب وهدموا من الاسوار نحو اربع اذرع على مدارها.
 وانتهى زعيم آخر تترى الى قيسارية وأبى اهلها تسليمها فاجتمعوا قاطبةً
 وثقبوا سورها بالمنجنيقات ودخلوها وافرغوا الخزائن الملكية واحرقوا الدور
 الفخمة ونكّلوا بالزعماء والاحرار وجعلوا يطعنونهم بالسيوف حتى اندرعوا كل
 ما لهم. ثم قتلوا ربوات كثيرة واستاقوا الصبيان والصبايا سبياً. أما أم السلطان
 فلما سمعت خبر النكبة اخذت ابنتها اخت السلطان وعبيدها وجواربها وكنوزها
 وسارت الى قيليقية ولاذت بالبارون قسطنطين ابي الملك هيتوم الذي وعد
 السلطان بالنجدة واستخف به منتظراً النتيجة. وما ان عرف التتر بانهزام
 الملكة اليه حتى ارسلوا سفيراً الى بالي ابي البارون يطلبونها وذكر بعضهم ان
 بالي عينه ترلقاً الى التتر أخبرهم بان الملكة عنده وهو مستعدّ ليلسّمها لهم.
 فلما وصل السفير سلّمها اليه. وقد ابستفزع الملوك والخاصة والعامّة هذا العمل
 المذكور وأبدوا استياءهم من الارمن. هكذا استاق التتر تلك الملكة وما
 برحت مقيمة عندهم حتى اليوم (٤٧٧) مستعبدة.

وفي تلك الغضون زحف تركان ابلستين الى ديرنا المجيد المعروف بدير
البارد وفتكوا بمخسة عشر راهباً اغلبهم من جهاذة العلماء والشامة والنسك.
ولما عول اولئك الملاعين على الهزيمة باغتهم التتر وفتكوا بهم قاطبة . هكذا
انتقم منهم العدل بعد ثلاثة ايام ورجع كيدهم بنحرهم .

ولما سمع اهل ملطية بانكسار السلطان قصد السوباشي رشيد الدين في
بعض اهل البلاط ليلاً الخزانة الملكية واقسموا ما بينهم كل ما رآوه من
ذهب وفضة وفتحوا الابواب وفرّوا الى حلب . وانهزم مثلهم زعماء المدينة
المشاهير ولا سيما المسيحيون الذين امكنهم الهرب . ويوصلهم الى جبل الجوز
على مسافة يوم من المدينة ادركهم فريق من التتر وقضى على اغلبهم واستاقوا
البنين والبنات وأفلت القليلون وعادوا الى المدينة عراة حفاة . أما سائر
الاهالي من بزازين وحيآك وغيرهم فلما شاهدوا الاماتل والزعماء قد تركوا
المدينة وانهزموا اجتمع العرب والمسيحيون بمطرانها السيد ديونيسيوس عنجور الذي
صار فيما بعد بطريركاً (١٢٥٢-١٢٦١) والتمسوا منه ان يبذل الجهد في حراستها
لانه كان متيقظاً حريصاً . ونحالف العرب والنصارى وجعلوا يطوفون طول
الليل على الاسوار بالمناوبة ويجلسون مدة النهار على باب المدينة . ولم يكونوا
يفتحون الا باب الرئيس او باب البلاط . واستقامت المدينة في وجل وخوف
زهة شهرين حتى انكشف التتر ولم يتعرضوا بجوله تعالى الا للذين خرجوا
منها منزمين الى باب الجوز .

وانقلب التتر الى ارزنجان وطلبوا الاموال من زعمائها فلم (٤٧٨) يذعنوا
لهم فسخطوا واقاموا عليها المنجنقات وقوضوا بعض اسوارها ودخلوا فنهبوها
وقتلوا اهاليها واخربوها تماماً . اما السلطان غياث الدين فقد وجه اليهم الوفود
وطلب الأمان فصالحوه على مال وخيل ومواش وعبيد . وفي تلك السنة وهي
السنة ٦٤٠ للعرب (١٢٤٢ م) مات الخليفة المستنصر .

بعد المستنصر المستعصم ابنه

تولى ست عشرة سنة . وكان عقله عقل الصبيان لا يميز الخير من الشر .

اسرف زمانه بلعب الحمام والالتهاء بالطيور . وكان اذا قيل له ان التتر متأهبون ليكبسوا بغداد كبسهم لسائر المدن الشهيرة في العجم يقول لهم : ان بغداد هي تحتنا ولن يدخلوها ما لم نأذن لهم . وهكذا ازال الله تعالى الدولة العباسية في عهده .

وفي السنة ١٥٥٥ لليونان (١٢٤٤م) أقبل يساور احد زعماء التتر في الصيف الى ميافرقين وماردين والرها وعبر الفرات الى حيلان بجوار حلب ولم يدخلها لان حوافر خيل عسكره تعطلت بسبب بيوسة الارض والحرّ وبعدها غزا تلك البلاد أرسل الى صاحب حلب يطلب مالاً فارسل اليه كل ما طلب . ورجع من هناك وزحف الى ملطية وأقن الفلال والكروم والنحل . وفتك بكل من لقيه في طريقه . وارسل يتهدّد رشيد الدين والي المدينة وكان قد رجع من حلب فجمع كمية وافرة من الدراهم والدنانير والحلى واواني الذهب والفضة ما قدره اربعون الف دينار ذهباً . وابتز كذلك آنية القدس من كؤوس واطباق ومباخر وقناديل وصناديق قديسين اخرجها من (٤٧٩) خزانة الكنيسة الكبرى وبعث بها اليه فاحتوى على ذلك كله وانقلب الى فارس .

وبعد ذهاب التتر حدث في ملطية وضواحيها غلا. وروبا. وكثر الفقراء وماتوا موت الحيوانات في الشوارع . وعرض الكثيرون ابنائهم وبناتهم للبيع فلم يشتريهم احد .

واشتهر عصرئذ في ملطية عيسى الطيب الرهاوي تلميذ الطيب حسنون وانتقل الى قيليقية وخدم ملكها وشاد في سيس كنيسة بديعة باسم مار برصوما .

وفي السنة ١٥٥٦ لليونان (١٢٤٥ م) زحف التتر الى بغداد فقاومهم الشعب كله وردّهم فارغين . وثار في السنة عينها السلطان غياث الدين فارسلى جيوشاً كثيفة ليغربوا قيليقية انتقاماً من صاحبها الذي سلّم أمه واخته الى التتر. فزحفوا الى طرسوس وحاصروها حصاراً شديداً وكان فيها يوم ذاك بالي ابو الملك هيتوم والقنسطيل ابنه الكبير . فقاوموا تلك الجيوش بشدة يساعدهم كثير من الفرنج الذين عندهم . وهطلت عليهم امطار غزيرة فتضايقوا جداً وتعذّر عليهم الانتقال الى مكان آخر وانقطع عن خيلهم العلف بسبب ما حدث هناك من

الايحال التي كادت تبتلع الخيل وركابها معاً . وفيما كانوا متقابين في ذلك الضيم ورددهم نبأ موت السلطان فانفرج غمهم وتركوا البلد وانصرفوا قبل وصول الخبر الى الارمن . وكانت وفاة السلطان في الحريف بدء السنة ١٥٥٢ لليونان (١٢٤٦ م) وخلف ثلاثة بنين صغار وهم : عز الدين وركن الدين وعلاء الدين . وبابح الاقطاب عز الدين كبيرهم وسموه (٤٨٠) السلطان كيكاوس . واقبل اذ ذاك سفراء المغول يسألونه ليسيّر لزيارة الخان فتعلل محتجاً بخوفه من اليونان والارمن لتلاً يمتلأوا ببلده في غيابه . وانتهى ذلك برسالة اخاه ركن الدين بدلاً منه ووعدهم بالذهاب اليه في فرصة اخرى .

خلافة كيوك خان لاييه الخان

ومرض آنئذ الخان وارسل الوفود في طلب ابنه كيوك ليخلفه في المملكة بعد وفاته . ولما ازمع القدوم وكاد يصل مات الخان ولم يشاهده . وكانت توركينا الملكة امراته والدة كيوك ذات دها . حكيمة فاتفق جفائتي وباقي اولاد الملوك على ان تتصرف في تدبير المملكة ريثما يجتمعون كافة ويتشاورون . فارسلوا الوفود وطلبوهم فاجتمعوا في ايام الربيع . اذ اقبل من المشرق كوتان واوتكين اخو جنكزخان والشاتي . وجاء من المغرب قراموري وبايدار وتوركان ابنا جفائتي . وجاء من الشمال اربعة اخوة باتو ولم يحضر هو . وجاء من الايفوريين الامير مسعود بك ومن خراسان الامير ادغون . ومن بلاد الروم السلطان ركن الدين . ومن قيليقية الملك هيتوم . ومن الكرج داود الكبير وداود الصغير . ومن سورية اخو صاحب حلب . ومن بغداد فخر الدين قاضي القضاة . ووفود من الفرنج ومن علاء الدين صاحب آلاموت اعني امام الاسماعيليين حاملي السكاكين .

وكان للخان ثلاثة ابنا يوافقون للملكة وهم كيوك وكوتان وسيرامون وهو فتى صغير . وكانت امهم توركينا تريد كيوك فوافقها اولاد الملوك كافة . ولما اخذ كيوك كالأوف العادة (٤٨١) يستعفي ويقول : ان فلاناً وفلاناً أولى مني اخذوه قسراً واجلسوه على سرير الملكة وجثوا تسع مرات على ركبهم

منحنين واخذوا كلساً وشربوه : ولما استقر له الملك جعل يتصرف حسناً لانه كان حكيماً نجيباً .

ثم ولى ايلجيكناوي بلاد الروم والكرج والموصل وسورية وقيليقية . وارسل يلواج الامير الكبير الى بلاد الخطا . والامير سمود بك الى العجم . وولى الامير ارغون خراسان وهمدان واذريجان وشروان ولور وكرمان وطرف الهند . وقلد سلطنة بلد الروم السلطان ركن الدين ورد الملك هيتوم والكرج والفرنج مكرمين . وخطب سفير الخليفة مهدداً تهديداً قاسياً . وطرده رسل الامميين محقرين مهانين . واتخذ قداق المسيحي حاجبه مديراً ومدبراً .

وكان كيوك مسيحياً قوياً ارتفع شأن المسيحيين في عهده وحفل معسكره بالاساقفة والكهنة والرهبان . وعُرفت يومئذ امرأة عربية اسمها فاطمة خاتون احزرت القربى لدى تور كينا خاتون والدة كيوك خان واطلعت على غوامض اسرارها . ولسوء الحظ رفع بعضهم الدعوى عليها لدى كيوك خان بانها ساحرة تتعامل عليك وعلى اخوتك فبعث وطلبها من امه . فرفضت طلبه فأحضرها قسراً وقتلها . وحدث بسبب ذلك خلاف بينه وبين امه وما عم ان ماتت الام كذلك . وقد عروا فاطمة وركوها أياماً دون اكل وشرب وظلوا يصفعونها حتى أقرت بانها ساحرة . فخطاوا منافذها الظاهرة والخبية وجعلوها في لبأد واغرقوها في الماء ، وفتكوا بجميع أنسابها الذين كانوا يجتمعون عندها . ولولا ذلك لاستولت بعد قليل على كل (٤٨٢) المملكة بسبب استئناس تور كينا الملكة بها .

وفي تلك الغضون نهض كيوك خان يريد الذهاب الى بلاد المغرب ووصل الى مدينة بعيدة سبعة أيام عن بيت باليغ وهناك ادركته المنون . وعلى اثر وفاة غياث الدين رام بعض الزعماء ان يخلفه ركن الدين ثاني ابنائه . فشر الوزير شمس الدين اصفهاني وقبض عليهم جميعاً وفتك بهم . وتكبر وتجبّر واتخذ ام السلطان عز الدين زوجة له وولدت له ابناً . واستاء الجميع من هذا التطاول . على ان شمس الدين هياً ذهباً كثيراً واقشة ملكية وخيولاً وارسلها مع الفتى ركن الدين بثابة وديعة الى التتر كما ذكرنا تأييداً للصالح . ولما زار

الفتى كيوك خان انتهر الفرصة بها. الدين الترجان ورفع الشكوى على الوزير لكونه قتل الزعماء. واتخذ امرأة السلطان المتوفي زوجةً وأمر باقامة سلطان جديد دون امر الحان . فاصدر الحان امره بغزل عز الدين وخلافة ركن الدين الذي زاره . وان يتولى بها. الدين الترجان وزارته ويُغزل شمس الدين .

ولما عول الوفد على الرجوع تحوّل الوزير ووجه رشيد الدين سوباشي ملطية في ذهب جزيل وجواهر ثمينة الى الحان ليأتيه بالخبر الصحيح . ولما وصل الى ارزنجان بلغه ان ركن الدين وبها. الدين الترجان يصلان قريباً فلكه الرعب وسار بالهدايا التي معه الى قلعة قماح وانهمزم هو مع نفر الى حلب . وما عم ان وصل بها. الدين في الفين من المغول وخطب للسلطان ركن الدين في ارزنجان وفي سبسطية وقيسارية وملطية وحسن زياد وآمد . ونصب حكّام جدّد وولاة في كل مكان وعزلوا اصحاب عز الدين .

ثم وجه الترجان سفيراً (١٢٨٣) الى حلب فقبض على رشيد الدين الذي انهمزم وساقه الى قلعة هابيج وزجه فيها . وهي قلعة لم يُسجن فيها أحد وينج من الموت سوى هذا الذي أُشفي عليه وأطلق . ففي سور تلك القلعة المبنية على صخر شاهق باب عليه لوح صغير لا يتيسر لاحد ان يقف عليه او يجلس فوقه . وكان اذا صدر حكم الموت على زعيم مشهور لا يريدون ان يقتلوه علانية بعثوه الى تلك القلعة واقاموه فوق ذلك اللوح واغلقوا الباب في وجهه . فيظل هناك واقفاً يوماً او يومين حتى يغلبه النعاس فيسقط ويموت . وقد تمت تلك الحوادث كلها مع ذهاب الوفد الى التتر ورجوعه في مدة ثلاث سنوات .

وفي السنة ١٥٦٠ لليونان (١٢٤٩م) وصل بها. الدين والتتر فخاف الوزير شمس الدين الاصفهاني وحاول ان يأخذ السلطان عز الدين ويعصى في احدى القلاع التي بالبحر . فلما شعر بذلك شيخ من اقطاب السلطان علاء الدين اسمه جلال الدين القراطي وكان رجلاً صالحاً رحيماً زاهداً في اكل اللحم وشرب الخمر ومخالطة النساء : ارسل فقبض عليه في بيته واعتقله واخبر بها. الدين حالاً . وهذا بدوره ارسل التتر فجاءوا ينكلون به حتى اعلمهم بذخائر طائلة وبعد هذا اجهزوا عليه . وكان هذا الاصفهاني عالماً ماهراً جداً وعندما عرف

انهم مزعمون ان يفتكوا به جعل يندب نفسه بعبارات فارسية بليغة مؤثرة مفرغة في قالبٍ جذلي . وعلى اثر قتله تولى جلال الدين وزارة السلطان عز الدين ووزعت البلاد على الاخوين فاصبحت قونية واقسرة وانقرة (٤٨٤) وانطاليه اعني بلاد المغرب لعز الدين والمدن الشرقية لركن الدين .

على ان اصحاب ركن الدين لم يكفوا عن الحُصام اذ كانوا يرومون ان يُسمى هو وحده السلطان دون عز الدين فاحتال القراطي وارسل يقول لهم : ان ركن الدين هو السلطان الكبير طبقاً لرغبتكم ووفقاً لأمر الحان الذي معكم فانفضوا واتوا به الى اقسرة ويأتي كذلك عز الدين فيرضى بما يهبه له اخوه . فامتلوا المشورة واقبلوا جميعاً . وتوجه كذلك عز الدين من قونية . وعند ذلك كمن جنود التتر في جانبٍ آخر واجهوا على اصحاب ركن الدين وقبضوا على بها . الدين اتبك ثم اخذ عز الدين اخاه ركن الدين الى قونية معه دون ان يؤذيه . وتولى الاخوة الثلاثة عرش المملكة وضربت سكة الدراهم باسماء ثلاثتهم .

وفي السنة ١٥٦١ لليونان (١٢٥٠ م) خرج ملك فرنسا (لويس التاسع) ملك الفرنج في جموع عظيمة من فرسان ورجال و جنود ابطال و اجروا في سراكب وسفنٍ ضخمة مشحونة ذهباً وفضة فوق الحد وأهبة وذخيرة وافرة . وارتجت الارض بجرهم وذاع انهم يقصدون مصر . اما الملك الصالح ابن الكامل صاحبها - وكان قد تولى حمص وفلسطين على اثر وفاة أخيه العادل الصغير وحارب الملك الاشرف المتسلل من اسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الكبير ثم تولى تل باشر - فهذا الملك الصالح لما بلغه خبر الفرنج ترك (٤٨٥) حمص وبادر الى مصر وحل في المنصورية المكتظة بالأشجار ووقع صيحة في العرب فاجتمع اليه الجماهير من الاسكندرية ومن قوس واسوان . اما الدمياطيون فلما رأوا الفرنج محدقين بهم ملكهم الرعب فافرغوا المدينة من كل ما بها قبل ان يضايقهم احد او يحاربهم وذهبوا باهاليهم واموالهم جميعها الى مصر . اما زعماء دمياط فقد سأهم الملك الصالح هل ضايقكم الفرنج في القتال ؟ قالوا كلاً بل خفنا ان يحدث لنا ما حدث في عكة لغيرنا اذ قتلهم الفرنج ولم

يكثر لهم احد . فسخط الصالح عليهم وأمر بصلبهم وهم ٦٤ اميراً على ٣٢ صليباً زوجاً زوجاً كما هم بشياهم ومناطقهم وخفافهم . وما عم ان مات هو كذلك بسبب داء عرض له في فخذة فقطعوا الفخذ وهو حي . وارسل زعماء مصر في استدعاء الملك المعظم ابن الصالح من حصن كيفا وملكوه عليهم . وكان حاجبه فخر الدين عثمان ابن شيخ الشيوخ الوزير الاكبر .

اما الفرنج فدنوا من سور دمياط ولم يسمعوا صوت حراس قطعاً ولم يشاهدوا احداً في الابراج فدهشوا وارسلوا فريقاً الى الميناء فلم يشاهدوا مخلوقاً فعرفوا انهم قد انهزموا ودخلوا المدينة يوم الجمعة مطمئنين مسرورين ولم يشاهدوا فيها من يبول في حائط . وجعلت السفن تنقل لهم الميرة من البحر . غير ان عقلهم الموج لم يدعهم يصطبرون ليختبروا عادة البلد ومنافذ الانهار والطرق بل سارعوا وعبروا غديراً في النيل وساروا نحو مصر بعيدين عن الماء ووصلوا الى مكان قحل . وسار وراءهم بعض (٤٨٦) جنود العرب واحاطوهم فاصبح الفرنج بينهم وبين الماء يعذبهم الجوع والعطش ويعذب خيلهم . عند ذلك تشجع العرب وضربوهم ضربة هائلة جداً وقتلوا باغلبهم واعتقلوا الملك واقطابه ومضوا بهم الى المعظم فحبسهم هناك عنده . واثار عليه المالك الصغار اقرانه قائلين : ان قتلت هذا الملك الفرنجي فلن تنجو كل حياتك من محاربتهم لان ملوكهم كثيرون واشداء . فالرأي ان تستحلفهم بانه منذ الآن الى مائة وعشرين سنة لا ينازل العرب لا هو ولا اخوته ولا ابناؤهم ولا حفدتهم وأطلقه ليذهب ويشكر لك فضلك عند ابنا دينه . هكذا استرح وارتع في الطمانينة ولا تبدد ما خلفه أبائك من الكنوز في سبيل الجنود . فاصفى المعظم الى مشورتهم واستحضر ملك فرنسا ليلاً اليه واستحلفه كما رأى واجزل له العطاء وسرّحه . قيل انه لما كان ملك فرنسا المشار اليه معتقلاً ورده النبأ بان الملكة امراته ولدت له ابناً في دمياط . فسمع المعظم وسر اليه عشرة آلاف دينار ذهباً ومهداً للطفل ذهبياً وحللاً ملكية .

اما العبيد شيوخ والد المعظم فلما شعروا باطلاقه ملك فرنسا نار نارهم ووجهوا السفن في البحر ليقبضوا عليه . ولكنهم لم يدركوه فاستلوا السيوف

وبادروا اليه فهرب منهم وصعد الى برج من خشب كان هناك فاضرموا فيه النار فلما وصلت رمى نفسه في البحر واختنق وضاعت جثته .

أما ملك فرنسا فسار الى دمياط واخذ أهله وتوجه الى عكة واقام بها زماناً وبني مدينة قيسارية وغيرها من المدن وعاد الى وطنه .

وبعدما قُتل المعظم (٤٨٧) صاحب مصر خلفه عز الدين التركاني احد عبيد ابيه وتزوج شجرة الدرّ الأمة التركية زوجة مولاه . وبعد زمان سار يوماً الى الحمام ليفتسل فارسلت عبيدها الصغار فقتلوه لانها سبقت فعرفت انه يريد اهلاكها . وخلفه في مصر قوتوز عبده التركي ودُعي الملك المظفر . وهذا قتل شجرة الدرّ والقي جثتها للكلاب انتقاماً لمولاه ، إلا ان الحقيقة هي انه خاف ان تقتله فسبق وأهلكها . ولقد كانت مشهورة بمنازة مجالها الطبيعي وسياستها الرشيدة . وشعر يومئذ الملك الناصر صاحب حلب بان العبيد تولوا مصر وجعلوا يقتلون بعضهم بعضاً كيفما كان فحشد جنوده واقبل الى دمشق وتولى أمرها مطمئناً دون قتال .

جلوس مونككا خان على تخت المملكة المغولية

لما غادر باتو بن توشي بن جنكزخان معسكره في سقسين والبلغار وسار الى زيارة كيوك خان ووصل الى الاقواق قرب مدينة كيالج بلغه خبر موته . فركب هناك وبعث الوفود الى جميع ابناء الملوك واستدعاهم اليه . فالذين تعذر عليهم الذهاب كتبوا اليه يقررون الخلافة لباتو كبيرهم ويؤكدون موافقتهم له في كل امر . وكان ابناء كيوك خان في اول الامر واغول غالتيش خاتون أمهم الملكة قد زاروا باتو واقاموا عنده يومين فقط وارتحلوا وتركوا تيمور نوين وقالوا له : متى اجتمع ابناء الملوك الكبار والصغار فنحن نوافق على ما يتفقون عليه . ولما اكتمل جمعهم كلّفوا باتو ان يتولى امر الانتخاب فان شاء فيكون هو الخان والأفليتنخب من شاء وهم راضون خاضعون له (٤٨٨) . فقال باتو : لست أرى من هو كفؤ؛ بالنهوض بهذه المملكة العظيمة نهوضاً حسناً إلا مونككا . فوافقوه كلهم على ذلك وقالوا : يستحق ويستاهل .

وقد أبدى اعتذاره كالرجل الرزين العاقل . غير انهم أجلسوه قسراً على سرير
 المملكة وخدمه باتو مع جميع ابنا الملوك جاين على ركبهم وناولوه الكاس
 كالعادة وسقاه . وتقلد الملكة في ٩ ربيع الآخر ١٤٩ للعرب (١٢٥١ م) .
 وجعلت الملكة المؤمنة الحكيمة سرقوناني باجي والدة مونككا خان
 تستأنس بالاقطاب والزعماء . وتقدم لهم الهدايا السخية والتحف وتستميل الخوارج
 بالوعود الطيبة .

واذ كانوا ينتظرون قدوم ابنا كيوك خان وآمهم اغول غالميش وصل
 رجل من يربون السباع لتسليمة ابنا الملوك وقال : اني لما فقدت احد السباع
 طاردته ثلاثة ايام حتى بلغت بيوت ابنا كيوك خان القادمين الى هنا وشاهدت
 عجلة محطمة وصيباً قريباً منها يرتمها فاستدعاني لاساعده . ولما دنوت وقع بصري
 على اسلحة مستورة ضمن العجلة فسألت الغلام عنها فقال لي متعجباً كيف
 وانت منا تجهل هذا ؟ ان كل عجلائنا هي مثل هذه . عند ذلك تركته وأقبلت
 لاخبركم فانتم تعرفون ما يجب . فامر مونككا خان ان يمضي منكسار القائد
 في الفي فارس ويلاقوا ابنا كيوك خان ويقال لهم : يجب ان تحضروا انتم
 مع القليلين الى مونككا خان وتزوروه ثم يأتي بعدكم جنودكم . فلم يروا
 الا التسليم دون مراجعة . ولما وصلوا ومكثوا ثلاثة ايام ياكلون ويشربون
 ويستريحون أعلمهم مونككا خان بالخبير فخرجوا ولم يتمكنوا من الاعتذار
 قطعاً . عند ذلك أصدر الامر بقتل جميع الزعماء الذين ثبتت عليهم الجريمة
 (٤٨٩) بدءاً من ايلكيختاي نون الذي كان كيوك قد ولأه بلاد المغرب .
 وألقى جميع الباقيين على الارض . ثم ارسل فاحضر كداك نون في العجلة
 واستنطقه فأقر بذنبه فقتله شرقتلة . وقتل كذلك امرأة كيوك خان وعفا
 عن ابنائها احتراماً للسلالة الملكية وعين لكل منهم مكاناً خصوصياً وخداماً
 قليلين . وهكذا استتب له المملكة . وأقطع اخاه قبلاي بلاد الصين اعني
 الخطا . واخاه هولاكو بلاد المغرب . وترك لديه اريك بوكا الصغير . ووضع
 شريعة لبلاد الخطا بان يؤذي كل غني في السنة خمسة عشر ديناراً ذهباً جزية
 والفقير ديناراً واحداً . وبلاد العجم ان يؤذي الغني عشرة دنانير والفقير ديناراً

واحداً وبلاد العجم ان يؤذي الغني عشرة دنانير والفقير ديناراً واحداً . وامر كذلك ان تؤخذ دابة واحدة ممن عنده مائة دابة . ويعفى من ليس عنده اكثر من مائة دابة . وأطلق الاسرى والمسجونين . وأمر ان يعفى الاحبار والكهنة والشامسة والرهبان وعلما المسلمين من الضرائب . ولم يستثن من ذلك الكرم الا اليهود لا غير . وقد قال فيهم احد الشعراء : لا نصيب لك آيا اليهودي في هذا الإنعام . انما نصيبك الاحتقار آيا الناس ا

وفي هذه السنة ١٥٦٢ لليونان (١٢٥١ م) حصل شقاق ما بين المماليك الاتراك في مصر ووجه بعضهم الى الملك الناصر صاحب دمشق يحرضونه ليذهب ويتولاها . فحشد جيوشاً كثيفة وسار الى غزة يريد مصر . ولما عرف الاتراك المخالفون له حشدوا جيوشهم واطلقوا اغلب الفرنج المعتقلين لديهم واقبلوا جميعاً راكبين ولاقوه (٤٩٠) بجانب غزة وكسروه شر كسرة . وأفلت مع القليلين وانهمز عائداً الى دمشق .

وفي كانون الثاني من تلك السنة توفيت الملكة المؤمنة ايزابيل ابنة الملك لاون الكبير قرينة هيتوم بن قسطنطين والدة لاون الثاني الصغير ملك قيليقية . وكانت ممتازة بسخاها وفضلها وتواضعها . وكانت تتمهد الكنائس حافية ولا تكف عن البكاء مدة الصلاة . اراحها الله تعالى مع سائر النساء القديسات . وفي القابل اعني عام ١٥٦٣ لليونان (١٢٥٢) توجه هيتوم ملك الارمن الى خدمة مونككا خان الكبير . وتناول الاسرار الخلاصية يوم خميس الفصح ورحل يوم جمعة الصليبوت . وبسبب تخوفه من ان يغدر به زعماء بلاد الروم اذاع انه يرسل اولاً سفيراً يأتيه بالأمر ثم يسافر . وكتب كذلك رسائل الى صاحب بلاد الروم في الصدد عينه . وخرج متنكراً مع رسول له بزّي الغلمان يسوق فرساً لابساً ثياباً رثة ركباً دابة خاملة . وطاف بلاد الروم دون ان يعرفه احد . ولما وصل الى ارزنجان عرفه رجل من السوق فقال : هذا هو الملك هيتوم . فسمع الرسول والتفت الى الملك وهو يسحب الفرس واطمه وشمته وقال : يا جاهل هل اصبحت ههنا ملكاً واصبحوا يشبهونك بالملوك ؟ وبقوله هذا دفع عنه الشبهة . وظل الملك بزّي الصعاليك حتى وصل الى حدود

الكرج ثم اعلن ذاته . واستغرق سفره هذه المرة زهاء ثلاث سنوات ونصف سنة ثم عاد الى بلده .

وفي هذه السنة انتهى الحشد الكبير لدى المغول وارتمل هولاءكو اخو مونككا خان عام ٦٥٠ للعرب (١٢٥٢ م) الى بلاد المغرب حيث كان الكيكتامي متولياً في عهد كيوك (٤٩١) وأمر مونككا خان ان يسير معه من الجيوش الشرقية والغربية اثنان من كل عشرة . وصحب اخوه الصغير سنغاي اغول ومن جانب باتو : بلغاي بن سبقان وقوتار اغول وقولي في عساكر كثيرة . ومن قبل جفائي تكودار حفيده . ومن جانب جيچكان بيكي اخت الخان بوقاتيسور في عسكر الاويرات . ومن ناحية الخطا الف بيت من صناعات المنجنقات والمشرفين على النفط . وسبق الجيوش الامير كيدوقا رئيس الخبازين . وترك هولاءكو ابنه جومغار بدلاً منه في خدمة مونككا خان مع امه الملكة الكبيرة وقد مات هذا الصبي في الطريق وهو قادم الى زيارة ابيه . ثم استصحب هولاءكو ابنه الكبير اباقا وابنه الآخر اشووط اما دوقوز خاتون الملكة المؤمنة المسيحية الحقيقية فقد زُفت اليه كعادة الملوك وسافرت معه . وارتفع بها شأن المسيحيين في كل الارض . وظلوا في طريقهم الى السنة ٦٥٣ للعرب (١٢٥٥ م) حتى بلغوا بلاد المعجم .

وفي تموز هذه السنة باغت ملطية جيش التتر وعلى رأسه يساور الذي كان قد واثى اليها منذ ثمانى سنوات فغزا القرى والساكن واحرق البيوت والبيادر وقتل كل من كان في طريقه . وحلّ الجيش في جبة المدينة الشمالية . وسار بعض التتر الى جوباس (٤٩٢) وقصدوا دير مقرونا وطلبوا من الرهبان ذهباً وطعاماً وشرباً . فرفضوا طلبهم لسوء الحظّ ظانين انهم يتدكونهم ويرحلون . غير ان اولئك التتر انقلبوا فاحضروا جنوداً كثيرين وعادوا فتوسلوا الى الرهبان ليعطوهم شيئاً فأبوا فناوشهم التتر واضرموا في برج الدير ناراً اتصلت باحمال صوفٍ وشمعٍ وزيتٍ كانت هناك فاشتعلت كلها واحرقت جميع الرهبان شيوخاً وشباناً . والتهمت معهم نحو ثلاثمائة من الرجال والنساء .

وفي تلك السنة ارتقى كاتب هذا التاريخ الى كرسي اسقفية جوباس وحضر

في دير مار برصوما سيامة البطريرك ديونيسيوس عنجور . وكان في دير مقرونا المذكور الراهب فرج الدومينيّ وقوما اللوزانيّ . ففرج رمى بنفسه من البرج ولم يؤذ التتر لكنه مات بعد قليل أما قوما فاحترق بالنار . وكان هرون الشيخ الطبيب والد المؤرخ في قرية مرجا بالبيدر مع برصوما ابنه الصغير فلما انقضّ التتر لم يرَ ان ينهزم الى دير مقرونا المذكور مع اهالي القرية بل توجه الى جهة اخرى من الجبل واختفى في مغارة حصينة تطلّ على سواحل الذرات وظلّ مع ابنه هناك اربعين يوماً حتى انكشف التتر . وقد غرق بغلّ واحد في النهر واقام سائر المنهزمين في برعاما وكانوا ينصرفون ليلاً ليعدّوا القوت لهم ولدوا بهم .

وفي السنة ٦٤٩ للعرب (١٢٥١ م) احتلّ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل جزيرة قردو . ذلك ان الملك المعظم صاحبها المتسلّس من اولاد اتابك زنكي لما رأى بدر الدين المذكور يتقوى ويتشدّد ويأمر وينهي أراد ان يتحبّب اليه فخطب ابنته لابنه (٤٩٣) الملك المسعود . لكن الشيطان اغواه فحقد عليها وأبغضها . وجعل ابوه ينصح له ليكتم حقدّه فلم يتصحّ . واخذت امرأته تشكو امرها الى ايها فارسى واستدهاها اليه . وما عمّ ان مات المعظم وخلفه ابنه الملك المسعود وطفق حموه يضايقه في الطلب حتى ارسل يقول له : أريد الجوهرة الفلانيّة التي في قلادة المرأة الفلانيّة . وأريد كذا وكذا من فلانة . وكان صهره يبعث اليه بما يطلبه . واخيراً كتب اليه بدر الدين يقول : انك قد بعثني الجزيرة لما كنا في نصيبين . فاجابه المسعود : اني راضٍ بكل ما تطلب ما عدا التخلّي عن ولايتي . عند ذلك حشد بدر الدين الجيوش وزحف الى الجزيرة يوم الثلاثاء ٢٤ جمادى الآخرة اعني نيسان من السنة المذكورة وحاصرها . فارسى المسعود يطلب الامان ووعده بدر الدين بقلعة قارح ليقم فيها مع عياله ونسائه . فرضي المسعود وأطلق سبيل الحراس والجنود . لكن بدر الدين وجه حاجبه فقبض على المسعود وارثقه واركبه سفينة يومه انه يمضي به الى الموصل . ثم أسر الى الملاحين والعبيد الذين ساروا معه ان يفرقوه في دجلة وينهزموا الى سورية ويذيعوا بانه هو الذي رمى بنفسه واختنق وانهم انما اقبلوا الى سورية

خوفاً من ان يهلكهم مولاهم بدر الدين مدعياً بانهم هم الذين أغرقوه . وقد امتثلوا الامر تماماً واغرقوا المسعود وساروا الى سورية واقاموا سنة كاملة ثم عادوا الى الموصل . واحتل بدر الدين الجزيرة يوم الجمعة ١١ رجب من السنة المرقومة . وهذه مدينة الجزيرة ليست من ابنية اليونان لكن بني عمر المعديين هم الذين بنوها (٤٩٤) واطلقوا عليها اسمهم فدُعيت (جزيرة ابن عمر) .

وفي تلك الغضون كان بعض التجار يعبرون نهر جيحون الكبير في العجم وكان معهم رجل فقير لابس ثياباً رثة وهو يقول للملاحين اني انا هو السلطان جلال الدين خوارزمشاه وقد اذاعوا عني ان الاكراد فتكوا بي في جبال آمد . والحقيقة ان حافظ امتعتي هو الذي قُتل . اماً انا فما برحت منذ بضع سنوات اطوف في البلاد متذكراً متزهاً . فخاف اولئك الملاحون وقبضوا عليه ومضوا به الى زعماء المغول القريبين منهم فنكّلوا به تنكلاً شديداً حتى مات وهو يقول بانه هو هو السلطان خوارزمشاه .

وفي السنة ١٥٦٥ لليونان (١٢٥٤ م) جمل وفود التتر يتقاطرون طالبين عز الدين سلطان قونية لينهب بذاته الى زيارة الحان الكبير والافان جنودهم يزحفون الى بلده ويجربونه . عند ذلك اضطره الحاجة والعامة ان يلبي الطلب . فسار الى سبسطية وهو منهمك في الخلاعة والفجور والدعارة اذ كان كلما سمع عن امرأة او بنت او ابن من الاعيان او من العامة اقتاده قسراً وارتكب المنكر . ذلك ما حمل العظام على ان يكرهوه ويبغضوه . وحاولوا ان يملكوا عليهم ركن الدين اخاه الوسطاني بدلاً منه . فخاف عز الدين وانقلب عائداً الى قونية وأعد علاء الدين اخاه الصغير وبعثه الى الحان وحمله رسالة يقول فيها : هذا ارسل اليكم اخي علاء الدين الصغير وهو سلطان نظيري . اما انا فبا ان جلال الدين قراطاي حاجبي قد مات وثار علي العدو من بلاد المغرب فقد تعذر عليّ القدوم بذاتي ولكنني سأتى في فرصة اخرى . هكذا ذهب الاخ الصغير وبعض العظام معه لكن هولاء غدروا به في الطريق واجهزوا عليه . ولبث عز الدين وركن الدين في قونية . على ان عز الدين لما بلغه خبر موت اخيه حاول ان يفتك باخيه الثاني ويستبد بالملك وحده . فشعر الاقطاب

بذلك وهزموه من وجهه . قيل (٤٩٥) انهم ألبسوه قميصاً قذراً لبعض غلمان
الطبّاعين ووضعوا على رأسه طبّق طعام واخرجوه من البلاط مساءً واركبوه
فرساً وأوصلوه الى قيسارية في ليلة وضحاها . وأجلسوه على التخت الملكي
واجتمع اليه اغلب الجيش . ومضى بهم ركن الدين ليحارب اخاه عزّ الدين
فبرز اليه عزّ الدين وكسره ثانية واعتقله وحبسه في قلعة دوالو .

وفي السنة ١٥٦٦ للميونان وهي السنة ٦٥٣ للعرب (١٢٥٥م) قُتل علاء الدين
إمام الاسميليّين في قلعة شيركوه اعني جبل الأسد وخلفه ابنه ركن الدين فارسلي
اليه هولاًكو يقول : ان كانت نيتك سليمة وان كنت تحبّ المصالحة والسلام
لزمك ان تقوِّض قلاعك كلّها وتتوجّه الينا بنفسك والأفتأهب للحرب . فارسلي
ركن الدين وأخرّب حالاً خمس قلاع خالية من الذخائر ولا يتيسّر لها ان تقاوم
التتر . وارسل الجواب الي هولاًكو يقول : باشرتُ انجاز امرك وساقوِّض سائر
القلاع شيئاً فشيئاً . غير ان هولاًكو عرف انه انما يحاول التسوية والماطلة
فارسلي كيدبوقا الي قلعة شهيد فحاصرها يوماًين واحتلّها واحتلّ معها ثلاث
قلاع غيرها مجاورة لها . ثم ان ركن الدين استدعى فتي مسكيناً ألبسه ثوباً
ملكياً وسأله الي هولاًكو رهينة . فعرف هولاًكو الحيلة ولكنّه كتم الامر
وردّ الفتي مكرماً وقال لركن الدين اني قد طلبتكَ انت ولم اطلب ابنك .
فارسلي اليه ركن الدين أخاه شيرانشاه في ثلاثمائة فارس . فقبض هولاًكو على
الثلاثمائة وأرسلهم الي قزوين وردّ اليه شيرانشاه يقول اني اياك طلبتُ . وليلة
عيد الميلاد الحلاصيّ عول ركن الدين على القدوم فاستلّ عبيده السكاكين
وقالوا له : اذا ذهبت قتلناك . فارسلي يخبر هولاًكو بالامر فكتب اليه هولاًكو :
ان يتوقّى (٤٩٦) ويحتال في الذهاب اليه حرصاً على حياته . وأنه سيهلك جميع
الاسميليّين بحدّ السيف .

امثّل ركن الدين امر هولاًكو وانحدر ليلاً من القلعة وسار اليه مع بنيه
واهلكه فرحب به ملك الملوك وارسله الي قزوين مكرماً . اما الفرسان الثلاثمائة
فقد أجز عليهم المغول خفية . واحتلوا كذلك القاعة التي تركها ركن الدين
وهي قلعة ميموندور وأخربوها وقس عليها قلعة آلاموت وقلعة جردكوه الشاهقة

كانها في الجوّ والقلاع الخمسين المهدقة بها . فقد احتملها التتر بأسرها وقوضوها
واخربوها وقتكوا بكلّ من كان فيها .

وفي تلك الفتوحات المباركة قد اشفق الله تعالى على جميع الملوك العرب
والمسيحيين الذين كانوا يخافون الاسمعيين حاملي السكاكين وسفاكي الدماء خوفاً
شديداً . ولما استيقن ركن الدين عطف هولاءكو عليه قال له بثقة تامة : اني
انما اعيش هذه الايام من فضلك وكرمك . فارجو ان تسمح لي لاقضيها في هنا
ولذّة . فأمر هولاءكو وكلاء بيت المال ان يذوه بذهب وفضّة وافرة . واخذ
ركن الدين يأكل ويشرب مترفاً وكلف بفتاقر مغوليّة فأمر هولاءكو ان تُرَفَّ
اليه . ولما كان يوماً يعاقر الحرة قال لاحد المطربين فتغنى بابيات فارسيّة هذا
تعريبها :

اقبلتُ اليك يا ملك الملوك إقبال المريض الى الطبيب .

وجئتُ الى لقائك لاحصل على الحياة .

ما جئت الى أرضك لاتجر بل لاقطف ثمار العافية من بذارك .

استحسن هولاءكو هذه الايات وازداد عطفه عليه . وبعد هذا استرخصه
ركن الدين في الذهاب ليزور (٤٩٢) مونككا خان . فبعث معه سفيرا
مغولياً حدثت بينهما خصومة حقد عليه السفير بسببها . وما ان وصل الى
معسكر الخان حتى اخذ السفير يفترى عليه فامر الخان بقتله . واصر الاوامر
بقتل جميع الذكور والاناث الاسمعيين على بكرّة ابهيم حيثما كانوا .

وفي تلك السنة خرج بايجو نون قائد عسكر التتر الى ارضروم فأرسل سفيراً
الى السلطان عزّ الدين في شهر آب وسأله مكاناً يشي فيه لان هولاءكو توخى
ان يشي في بلد موجان حيث كان يشي هو . وقد وصل مع بايجو نون الملك
هيتوم عائداً من عبودية الخان الاكبر وبلغ الى وطنه يوم الجمعة اول ايلول
وابتهج المسيحيون كلّ الابتهاج . غير ان السلطان رفض طلب بايجو نون لانه
عرف ان مولاه قد طرده واستبدله بقائد آخر اكبر منه . ولهذا السبب تأهب
لحاربه . فزحف بايجو ولاقاه السلطان عزّ الدين بجانب فندق السلطان ما بين
قونية واقسرا . فانكسر عزّ الدين وانهمزم الى بلاده الداخلية بمحدود نيقة .

وكان قائد جيشه يوتاش بغلار بك وقد قتل في تلك المعركة . ثم ان بايجو نونين أطلق ركن الدين من الحبس وولاه بلاد الروم عام ١٥٦٧ لليونان (١٢٥٦ م) . وعند ذلك وجه عز الدين سفيراً الى هولاءكو يشتكي على بايجو لكونه سلبه مملكة آباءه وإرثهم . فوجه هولاءكو أمراً ملكياً بان يقتسم الاخوان البلاد . ولما دخلت السنة ١٥٦٨ لليونان (١٢٥٧ م) ظهر عز الدين واقبل الى قونية . وسار ركن الدين مع بايجو الى البلاد الداخلية في مشتي بيتونية على ساحل البحر . وكان عز الدين يخاف (٤٩٨) بايجو ولذلك جعل يجيش الجيوش وارسل طغرل بلابا الى اطراف ملطية ليحشد له الجنود من الاكراد والمعديين والتركان . اما ركن الدين فانطلق الى حصن زياد واستحضر من المشرق زعيمين كرديين : احدهما شرف الدين احمد بن بلاس وولاه ملطية وقائمهها شرف الدين محمد بن الشيخ عدي وولاه حصن زياد . غير ان الملطيين لم يقبلوا ابن بلاس لانهم كانوا مخالفين لركن الدين ولذا جعل يحارب اهل المدينة ويضايقهم مدة الشتاء كلها حتى اشتد الجوع وصار تفيز الحنطة باثني عشرين سلطانياً . وما عم ان نار عليه الملطيون واجهزوا على ثلاثمائة من رجاله . فانهمزم الى بلدر قلودية واحرق دير ماديق ودير مار اسيا يوم احد الثمانين اول نيسان واتلف الضواحي وعاث كذلك في بلد جوباس . ثم انتقل الى آمد وهناك لقيه صاحب ميافرقين وقتك به .

اما ابن الشيخ عدي فانه بعد ما ضايق اهالي حصن زياد انتقل مع نسائه الى اطراف قحاح يريد ان يساعد السلطان عز الدين فادركه جيش انكورك نونين واجهز عليه . ولما سمع السلطان بما صار اليه الاكراد الذين اقبلوا ليساعدوه وجه قائداً الى ملطية اسمه علي بهادور وكان قصير القامة مهملًا لكنه بطلٌ منجذ بالحرب . فلما وصل رحب به الملطيون فأحسن اليهم وعاملهم خير معاملة . وانفتحت الطرق وجعل الاهالي يمتارون الحنطة من كل مكان ، وكانت الجبال يومئذٍ والثلال (٤٩٩) والاودية المجاورة للمطية ممتلئة بالتركان الاعجزية يغزون في كل مكان . وقد نهبوا من قرية بضواحي حصن منصور سبعة آلاف من البقر والحير وخمسة واربعين الفاً من الحراف والماعز ، واستحوذوا على دير ماديق . وعلى دير مار اسيا ودير مار ديمط واستلبوا منها اشياء كثيرة . ثم زحف علي

بهادور وطردهم من هذه الانحاء. وقبض على زعيمهم شوقي بك واعتقله في قلعة المنشار. وظل اهل مليطية مطمئنين زماناً حتى برز بايجو مع جنوده من بلاد بيتونية الداخلية في ايام نيسان وامتدوا في اطراف غلاطية وقبدوقية وجعلوا يحاربون القلاع كما يخضع اصحابها لركن الدين. ونزلوا على ابلستين وفتكروا بجميع اهلها البالغين سبعة آلاف. وسبوا الفتيان والفتيات. وقدموا الى مليطية يوم السبت نصف ايلول. وهرب بهادور الى كاخنة. أما بايجو فاستحلف الملطيين ليكونوا مع ركن الدين وأخذ منهم كمية من الدنانير وولى عليهم فخر الدين اياس احد مماليك ركن الدين وتوجه الى حصن زياد. وقد ورده الامر من هولاء بان ينحدر سريعاً الى بغداد.

وفي خريف السنة ١٥٦٩ لليونان (١٢٥٨ م) وصل بايجو نون الى الموصل ولم يعث بضواحيها كثيراً لان الملك الصالح بن بدر الدين صاحبها كان يومئذ قد عاد من خدمة هولاء. ورقت اليه تركان ابنة جلال الدين خوارزمشاه واقامت لديه بزوي النساء. المغوليات. اما المواصلة فقد انهزموا واختفوا جميعاً ريثما انكشف عنهم بايجو. ثم ان علي بهادر بعدما عبر بايجو دجلة انقلب الى مليطية فاغلق اهلها الابواب ولم يتمكنوه من الدخول لانهم سبقوا فحازوا ركن الدين. (٥٠٠) فحشد جيشاً من الأجاجرة ونشأ يحاصر المدينة وأمسى اهلها في خوف وفي جوع شديد حتى صار قفيز الملح باربعمئة قرش سلطاني والحلظة بسبعين. واشتد الجوع والضيق على الاهالي حتى انهم وثبوا في احدى اللدالي وفتحوا ابواب المدينة وادخلوا اليها بهادر واصحابه فاصعد الى منابر الجوامع جماعة ينادون بالامان للعرب والنصارى معاً. وطمانهم قائلاً: انه ينبغي عاكة الزعماء لا الاهالي. وعند الصباح قبض على مملوك ركن الدين وحبسه واركب شهاب الدين العارض على جمش حقيير وطوفه في مليطية ساخرًا ثم قتله. وشد في رقبة المعين ايكديباشي حبلاً وربطه في عنق كلب ومشأه في الاسواق. ثم قتله. وقتل كذلك قالويان القسيس اليوناني واخويه باسيل ومنوئيل وابنه كيريوري وكانوا من كتبة الديوان وقتل معهم ثلاثة ابناء شهاب ايسو الامراء الاكراد. وبعد هذا كف عن القتل واستتب الامن الا ان الجوع تفاسم

جداً في ملطية وبلدها لان اللصوص التركان عاثوا فيها واتلفوها . وافضى الامر بالكثيرين الى ان يبيعوا بنبيهم وبناتهم في سبيل قوتهم . واخذ بعضهم ينقعون الاحذية العتيقة ويسلقونها ويأكلونها . ورأوا امرأة تشوي ابنها ولما حاكوها أقسمت انها لم تقتله لكنها شوته بعد موته . وشاهدوا كذلك جماعة من النساء قدأمن جثة ممدودة وهن يشرحن لحمها ويشوينه ويأكلن .

ولما عرف بهادر انه لن يتمكن من مقاومة (٥٠١) التتر ترك المدينة وهرب يريد السلطان عز الدين . وهرب معه حسام جوبان وبرصوما بن اندراوس الذي قُتل فيما بعد في الطريق . وفي اثناء هذا الجوع ثار بعض شبان نصارى من جوباس واقبلوا الى قرية عبرا وجعلوا يغزون ويقتلون اخوتهم النصارى ويدخلون البيوت ويأكلون .

وفي تلك الغضون مرض توذورس بن قالويان ملك نيقية في مدينة نيفي ولما شعر بدنو الاجل استدعى اليه البطريرك ارسانيوس واستودعه تدبير ابنه قالويان وتربيته . لانه كان صغيراً بعد . وكان في خدمته بطريق يقال له ميخائيل باليولوغس وكان يخاف ان يتغلب على المملكة ويستحوذ عليها قسراً . وقد صح ذلك . فأمر الملك غارينوس البطاريق ان يذهب الى تسالونيقي ويأتيه بميخائيل موثقاً . فذهب اليه وقال له : اني عارف انك ستكون انت الملك فكن حكيماً وأسلم نفسك اليّ وهلمّ معي الى الملك . فاذا شاهد خضوعك له أطلقك وعظّمك . فامثل ميخائيل المشورة وسار الى الملك موثقاً ولم يسدّ تشكياً . فصدقه الملك ورق له واطلقه واقامه شريكاً للبطريرك في تربية الفتى قالويان . وبعد مدة وجيزة توفي الملك وكان له اخت اسمها كيرايلونيا ولها صهر على ابنتها يقال له موزالون . وهو الذي شيع الملك الى دير مغنيسيا ولحده في ضريح آبائه . واقام اياماً في ذلك الدير يفاوض حماه اخت الملك المتوفى كي يتولى هو عرش المملكة ويهلك الزعماء الذين يخالفونه . فشر ميخائيل (٥٠٢) وبقية الزعماء بالدسيمة وأمر جماعة من جند الفرنج ان يقصدوا الدير ويفتكوا بموزالون حيثما هو . فساروا وشاهدوه يصلي في الكنيسة فذبحوه إرباً إرباً . ثم نادى الزعماء بصوت عالٍ قائلين : فليحي ملك اليونان ميخائيل باليولوغس !

فليحي اوطوقراطور رومانيا ميخائيل باليولوغس ا ومن هناك ساروا جميعاً الى نيقية واعتقلوا الطفل قالويان وارسلوه فسجنوه في احدى القلاع ، ونفوا البطريرك ارسانيوس الذي عثفهم على فعلتهم وسجنوه في احدى جزائر بحر البنطس .

ومر القليل على جلوس ميخائيل حتى اعترم ان يزحف الى قسطنطينية وقد بلغه ان ليس عند الملك بغدوين الفرنجي الا القليل من الجنود . فارسل واستقدم اليه نيقيفورس مطران افسس وولاه البطاريركية في غاليبولي بدلاً من ارسانيوس المنفي . وارتحل من هناك الى قسطنطينية ولم يتمكن من اخذها لان اهاليها اتفقوا مع الجنود ووقفوا على الاسوار وحاربوه بشدة وبسالة . فتركها وعاد راجعاً خائباً . وبعد مدة وجيزة ثارت فتنة بين تجار الفرنج البنادقة والجنويين في عكة واتفق الفيزنيون مع البنادقة . ولما سمع البنادقة ساروا من كل الاطراف الى مساعدة رفاقهم وفرغت منهم قسطنطينية كذلك . واحتال ميخائيل حيلة اخرى بان اشار الى متولي بعض قلاع الروم ان يتظاهر بالعصيان ويبعث الى بغدوين ليمده بالأسكر كي يسلمه تلك القلعة . فامثل الامر وخدع بغدوين واطماه . فارسل اليه (٥٠٣) فرقة كانت لديه . وعند ذلك تهباً ميخائيل وبادر الى المدينة وحاصرها . وفاوض بعض الاهالي ففتحوا له ليلاً باباً عتيقاً لم يفتح منذ عهد قسطنطين الظافر . فدخل اليونان والتجم القتال وتمكن بغدوين من النجاة مع اهل بيته وركب سفينة صغيرة وانهمزم الى بلاد الفرنج هكذا عادت قسطنطينية الى اليونان بعدما ظلت في حوزة الفرنج ثلاثاً وخمسين سنة .

اما نيقيفورس البطريرك الدخيل فام يش كثيراً لان المنية عاجلته واقام ميخائيل بدلاً منه رومانس مطران ادرنة بطريركاً الا انه ما عثم ان عزله بسبب اعماله الشائنة الملوثة . وارسل فاستدعى من المنفي البطريرك ارسانيوس ووعدته بان يطلق قالويان ابن الملك من السجن ويوليه مملكة ابيه سوى قسطنطينية التي احتلها هو بالسيف . فرضي البطريرك ودعا له وعاد الى كرسيه . غير ان ميخائيل بعدما صالح البطريرك زاد شراً فوق شر وبدلاً من ان يطلق سبيل قالويان ويوليه عرش المملكة ارسل فقاً عينيه كليهما ، فسخط البطريرك واستغنى

وعاد الى سجنه . فاستدعى الملك يوسف رئيس الدير ونصبه بطريركاً وما زال في منصبه حتى يومنا .

فتح بابل (بغداد)

وفي أيام الشتاء . اذ كانت ملطية متقلبة في اسوأ الحال انحدر هولاء كملك الملوك الى بغداد واقبل كذلك بايجو من بلاد الروم . فخرج عساكر بغداد ليارزوا التتر وعلى رأسهم امير كردي يقال له ابن كورار ومملوك الخليفة واسمه الدويتدار الصغير . ومكث (٥٠٤) الفريقان ثلاثة وعشرين يوماً دون ان يجارب احدهما الآخر . ويوم الاربعاء ثامن محرم عام ٦٥٦ وهو العام ١٥٦٩ لليونان زحف اولاً بايجو نون وجنوده نحو المكان المدعو قبر احمد غربي بغداد وتقدم البغداديون كذلك والتحم القتال بين الفريقين فانكسر فريق بايجو وانتصر البغداديون . وكان الامير سليمان شاه وجنوده متولين سور بغداد ، وعند المساء قال الشيخ ابن كورار للفقي الدويتدار : لقد منحنا الله الآن الغلبة فيجب ان نقصد بيوتنا لنستريح ثم نخرج ثانية للقتال لكن الدويتدار تجبر وتكبر ورفض المشورة ومكثوا جميعاً خارجاً . وكان البغداديون مقيمين في ارض منخفضة فذهب التتر وثرثروا ثغرة تفجرت منها مياه دجلة واغرقت البغداديين في نصف الليل . وجعلوا ينهزمون من وسط المياه وقد تبألت قسيهم وسهامهم واغماذ سيوفهم . ولما اصبح الصباح انصب عليهم التتر اصحاب هولاء كور واستغرقت المعركة حتى الساعة التاسعة من يوم الخميس . فانكسر البغداديون وارتحت عزائمهم وقتل ابن كورار وانهزم الدويتدار الى المدينة .

وعند ذلك اقبل بايجو في جنوده وحلوا غربي بغداد وحل هولاء كور في شرقها يوم الاثنين ١٣ محرم وحاصروا المدينة حصاراً شديداً تجاه دار الخليفة . ولما آيس الخليفة المعتصم التاسع الحظ استدعى ابن العلقمي وزيره ونجم الدين عبد الغني بن دريوس ومارمكيخا الجائليق وأمرهم ان يأخذوا ذهباً كثيراً وبضائع ملكية وخيولاً عربية وان يُطلقوا سفراء التتر من السجن ويوشحوهم ويُسنوا لهم الهدايا الوافرة ويذهبوا معهم الى ملك الملوك ويطلبوا الأمان له

(٥٠٥) ولأبنائه وأهله ويمتدروا له بان ما جرى انما جرى على يد مشيرين اشرار . وأنهم ان ظلوا في قيد الحياة أمسوا عبيداً خاضعين يؤدون له الجزية . ولما سار هؤلاء ، وأكلوا سفارتهم تبطهم هولاء ولم يأذن لهم ان يعودوا الى الخليفة وشدّد القتال . وتقر التتر ثغرة كبرى في البرج العجمي ودخلوا المدينة يوم الجمعة ٢٥ محرم فقاومهم البغداديون وهزموهم ثانية . ثم تقوى التتر في اليوم التالي اعني يوم السبت واحتلوا الأسوار كلها . فانهزم البغداديون واختفوا في البيوت والسراديب . وخرج في اليوم عينه ابنا الخليفة كلاهما وقصدا هولاء وتبعها الخليفة عينه بعد ساعة . فأمر بان يُعتقل واقام حفظة يرسونه في احدى الخيام مدة سبعة ايام . وتوجه هولاء الى دار الخليفة واطلع على الخزان والمطامير والذخائر القديمة والحديثة واستولى عليها برمتها . واستل المغول سيوفهم واجهزوا على ربوات من البغداديين يساعدهم خصوصاً الكرج في تلك الملحمة الهائلة .

اماً الجائليق فجمع النصارى كلهم في كنيسة السوق الثالث وصانهم هناك ولم يلحق أذى باحد منهم . ونقل اغنياء العرب اموالهم وامتعتهم الى دار الجائليق يؤملون النجاة ولكنهم قُتلوا عن بكرة ابيهم . واما اطمأن ملك الملوك استدعى اليه الخليفة المنكود الحظ وحاكمه وقضى عليه بالموت وأمر فجعطوه في غرارة وخاطوها ورفسوه بارجلهم حتى مات . على ان بعض العرب خوفوا هولاء بقولهم : إن أريق دم الخليفة على الارض فلن ينزل عليها مطر بل ان جرات النار تشتعل منه . وانقطعت خلافة بني العباس وتضمضت سائر ممالك العرب (٥٠٦) وتوطدت مملكة للفول وتعززت في جميع البلاد الخارجية والداخلية .

ثم ان التتر انقلبوا من بغداد وزحفوا الى قلعة اربيل وعول صاحب ابن صلايا ان يسأها لكن الاكراد العصاة تهددوه فتركهم وانهزم وانضم الى التتر . وبعد هذا اقبل بدر الدين لؤلؤ واشترى القلعة وكل ما فيها من التتر بمبلغ سبعين الف دينار . ثم ارتحل التتر وتولى بدر الدين القلعة واقام فيها الحفظة . وما عم ان حصل الامير الكردي شرف الدين جلالي امراً من ملك الملوك

وانتزع القلعة منه وطرد الحفظة . وسار مع التتر ليقاتل الاكراد في جولمرك .
عندئذ وجه بدر الدين بعض الاكراد ففتكوا به وهو راقد في خيمته . وتولى
اربيل رجل نصراني اسمه المختص وهو اخو الصفي سليمان الطبيب الكبير .
وخلفه بعد موته ابنه تاج الدين عيسى وكان رجلاً مؤمناً كريماً .
وحدث يومئذ جوع شديد ووبا . قتال في اطراف بغداد وآثور وما بين
النهرين وسورية وبلاد الروم حتى بيع في دمشق فروج لاجل مريض باثني عشر
ناصرياً .



مركز تحقيقات كميونير علوم اسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الحقبة الحادية عشرة
المنتقلة من ملوك العرب إلى الملوك الهونيين



مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسدري



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الحقبة الحادية عشرة المنتقلة من ملوك العرب الى الملوك الهونيين

هولاكو ملك الملوك واخو مونككا خان الكبير .

بعدما قُتل الخليفة المستعصم وألى ملك الملوك على بغداد رجلاً يقال له علي بهادر . وفي اثناء الحرب ارسل نصارى تكريت الى الجائليق يطلبون شحنة لحراستهم فلبى طلبهم . ولما زحف التتر وقتلوا (٥٠٧) زعماء العرب ونهبوا اموالهم احتشد النصارى قاطبة في الكنيسة الخضراء المؤسسة على اسم احوذامه وقد احتأها العرب فلاذوا بها . ومكثوا دون اذى من بدء الصوم حتى احد الثمانين ١٧ آذار ١٥٦٩ (١٢٥٨ م) لليونان . واتفق ان ابن دوري العرقي اللثيم افتدى على النصارى وقال للشحنة : ان العرب قد اخفوا عندهم اموالا دائلة ولم يؤدوا لك منها شيئاً . فاستفسر الشحنة كبار النصارى فأقروا بالحقيقة وأحضروا اليه كل الاموال . وارسل الشحنة فأخبر هولاكو فاصدر الحكم بقتل جميع التكريتيين طبقاً لناموس المغول . ووجه زعيماً كبيراً في جيش من التتر فجعلوا يأخذون عشرين فمشرين كأنهم يمضون بهم ليقوضوا القلعة ويفتكون بهم . وظلوا كذلك حتى افنؤهم قاطبة ولم يفلت الا الشيخ والعجوز . أما البنون والبنات فقد استاقوهم جميعاً وأجلوهم . وعاد العرب فاندعوا الكنيسة الكبرى من النصارى . ولم يبق في تكريت سوى قسيسين كرمونيين فقط يقيمون الصلاة في سائر الكنائس مع فئة من النصارى . أما ابن دوري صاحب الوشاية فقد فتك به بهرام النصراني الذي تولى شحنة تكريت .

اماً بدر الدين صاحب الموصل فلماً اطلع على احتلال هولاء لبلاد ووجه اليه ابنه الملك الصالح في الف فارس نجدة له . فلم يقابل هولاء بمقابلة حسنة بل قال له : انكم انتظرتُم ريثاً تقفون على من يكون المنتصر فتبعونه . فلو انتصر الخليفة لتبعتموه دوننا . ولما عاد الصالح الى الموصل واخبر والده تخوف ونهض من ساعته واخذ كمية وافرة جداً من الاموال وانطلق بذاته فزار هولاء وراضاه وعاد مطمئناً بعد ما لحقه من الخوف ما لحقه . واستأنم بدر الدين الى هولاء حتى (٥٠٨) انه صعد الى تحته الملكي ووضع في اذنه حلقة فيها درة عالية الثمن .

وعلى اثر احتلال بغداد افترق الاشرف بن الملك الفارسي بن العادل الكبير صاحب ميافرقين ان يناهض التتر . وعلق قسيماً سريراً من بلد بديس كان قد اتاه من الحان الكبير بالفرمان وطرد كذلك الحكام التتر من عنده . ثم توجه الى دمشق وسأل الملك الناصر ان ينجده ليقا تل التتر ويمنهم عن الزحف الى سورية ويبعدهم ان امكن من بغداد كذلك . فاستخف الملك الناصر برأيه وانقلب عائداً الى ميافرقين ببلدته . وعند ذاك ادركته عساكر المغول واحاطت به عجول باسان وعلى رأسهم اشموط ابن ملك الملوك . وابتدوا سوراً واقاموا ابراجاً وجعلوا يجاربون من الخارج حرباً شديدة ويقابلهم من بالداخل بشدة اقوى . وظلت كذلك مدة سنتين لا يقوى التتر على اخذها . غير انهم بعدما دوخوا بغداد وحاصروا ميافرقين تتابع الوفود من لدن هولاء الى الملك الناصر يقولون له ليذهب الى خدمته . اكن زعماءه لم يرضوا بذلك . فوجه ابنه الملك العزيز في تحف وهدايا وافرة في خريف السنة ١٥٧٠ لليونان (١٢٦٩ م) واقام هناك الشتاء . كله وعاد في الربيع الى حلب بعد عيد القيامة وقال لابيه : ان ملك الملوك امرني وقال لي : اننا لم نطلبك انت بل طلبنا اباك . فاذا كان مسلماً لنا فلياتر والافنحن نسير اليه . فاستمر الملك الناصر يعرج على الجنيين لا يتيسر له البقاء . خوفاً من التتر ولا الذهاب خوفاً من زعمائه وعبيده . فبقي متحيراً خائفاً مذعوراً .

(٥٠٩) وفي تلك الاثناء سير هولاء في طلب السلطان عز الدين واخيه

ركن الدين ليذهبها الى خدمته فاطاعاه ومشيا اليه وأحسن قبولهما . وتقدم اليها بان يتولى عز الدين من قيسارية الى تحوم ارمينية الكبرى وركن الدين من اقسرا حتى ساحل البحر بحدود اليونان . ثم انحدر الاخوان مسرورين مع هولاءكو حتى بلغوا ما بين النهرين من هناك عادا الى بلادهما واقام ركن الدين في بسطية وعز الدين في قونية .

وفي هذه المرة زار عز الدين دير مار برصوما ووعده البطريك ديونيسيوس (١٢٥٢-١٢٦١) وعودا طيبة . وفي هذه السنة مات بدر الدين صاحب الموصل في ٢٠ تموز وخلفه ابنه الكبير الملك الصالح اسمعيل وتولى علاء الدين ولده الاوسطاني سنجار وولده الصغير سيف الدين جزيرة قردو .

وفي خريف السنة ٦٥٨ للعرب وهي السنة ١٥٧١ للهجران (١٢٦٠ م) انحدر هولاءكو في اربعمائة الف فارس الى بلاد ما بين النهرين ونزل اولاً على حران وتسلمها بالامان ولم يؤذ اهلها وهكذا تسلم الزها كذلك . اما اهل سروج فلم يرسلوا ويطلبوا الامان فقتلوا عن اقصاهم . وامر هولاءكو فنصب جسراً على الفرات في ملطية وفي قاعة الروم وفي البيرة وفي قرقيسيا . وعبرت العساكر باسرها الى سورية وعبر كذلك هولاءكو مع طوقوز خاتون الملكة المؤمنة المحبة للمسيح .

وحدث قتل كثير في منبج وتفرقت العساكر على قلعة البيرة وعلى قلعة نجم وقلعة جعبر والرقه وبالس وقتل (٥١٠) جميع من كان فيها . وأقبل اولاً نفر قليل من العسكر الى قرب حلب وخرج اليهم الملك المعظم الشيخ ابن صلاح الدين والتفاهم فانكسر وانهمزم الى المدينة وسار بعض التتر الى المعرة واخربوها . وبنوا الى حماة وتساموها بامان وكذلك حمص . اما الملك الناصر فاخذ نساءه وابناؤه وعبيده وغادر دمشق الى بركة الكرك والشوبك . وزحف التتر الى دمشق وتساموها بامان ولم يلحقوا اذى باحد . اما هولاءكو فقد نزل على حلب بنفسه وأمر فابتنوا عليها سوراً يمدق بدائرتها كلها . وحاربها حرباً عنيفة . وبعد ايام معدودة استحوذ على الاسوار التي بجانب باب العراق ودخل المدينة يوم احد مدخل صوم نينوى ٢٣ كانون الثاني من تلك السنة . وقتل فيها اكثر

من قتلوا في بغداد .

اما كنيسةنا فقد سبق البعلبكيون فقوضوا سقفها وكنت يومئذ انا الحقير مطرانها فلشدة الخوف خرجت وسرت الى خدمة هولاء وحبست في قلعة نجم . واصبح شعبنا الحلبي دون راع فانطاق اغلبهم الى كنيسة اليونان فجم عليهم التتر وقتكوا بهم وسبوا بقيتهم . واخيراً نهض القيس تورس الارمني ابن اخي الجائليق مار قسطنطين واتفق معه الراهب كيورك فقصد التتر واعتقا البقية الباقية ومضيا بها الى كنيسةنا .

وبعدما احتل التتر المدينة صوبوا الحرب نحو قلعتها وأخذوها بالامان . ثم توجه هولاء الى حارم وسأل اهاليها ان يسلموا وهو يحلف لهم بانه لن يؤذي احداً منهم . فلم يطمئنوا الى قوله لسخافة عقلم مدعين انه لا دين له ومقررين ان يحلف لهم فخر الدين الوالي فيبطوا ويسلموا (٥١١) فتقدم هولاء اليه فسار اليهم وحلف لهم . حينئذ فتحوا ابواب القلعة وانحدروا . وأمر ملك الملوك فقتلوا باسرهم رجالاً ونساءً وابناءً وبناتاً ورضعانا ولم يفلت منهم الا رجلٌ حداد ارمني . وقتلوا كذلك فخر الدين المذكور لان ولي الدين بن صفي الدين زعيم حاب ادعى بانه هو الذي قتل اباة واخوته لانهم لم يسلموا المدينة . وبعد ما فرغ هولاء من ذلك كله اقام في فلسطين زعيماً يقال له كتبوغا ومعه عشرة آلاف فارس . وعاد في الطريق التي قدم بها ووصل الى تلّ باشر وبلغه ان التتر احتلوا ميافرقين وقبضوا على الملك الاشرف صاحبها واحضروه اليه وهناك فتك به . وولى عليها رجلاً اميراً من اصراء الاشرف يقال له عبدالله . وحدث فيها جوع فظاع لم يُسمع له ميثيل حتى انه لم يبق من اهاليها جميعاً سوى مائة نسمة لا غير وقد احتلها التتر بعد عناء جسيم .

وحكى لي احد اعيان ميافرقين الذي افلت منها افلات المحراك من اتون النار قال : اشتييت يوماً ان آكل طاماً من حنطةٍ ولحم بقر مع أهلي فدفعت خمائة غرش ناصري حتى تمكنت من طبخ قدر واحد كافٍ لجمينا .

ولما عبر هولاء الفرات ارسل الى صاحب ماردين ليتزل اليه فأبى . فارسل اليه ابنه الملك المظفر وكان معه هو وبدر الدين صاحب الموصل في حصار حلب

وقال له : اذهب فانصح لوالدك كي ينزل ولا يتمرد فيهلك . ولما وصل الى ابيه وخاطبه لم يلبّ طلبه بل قيده وحبسه عنده . وعند ذلك احاط المغول بباردين وابتدأوا بالقتال (٥١٢) ولولا ان وقع فيها الوباء بسماح الله سبحانه لما تيسر لهم ان يأخذوها . فقد مات اغلب اهاليها ومات صاحبها كذلك وعاد ابنه الملك المظفر الى هولاء وسأله القلعة فاكرمه وأحسن اليه واحبه جداً واستخلفه موضع ابيه .

اما كتبوغا فلم يزل يبحث عن مكان الملك الناصر في البرية حتى وجّه اليه الجيش فادركوه وقبضوا عليه واتوا به اليه فسيروه الى ملك الملوك مخفوراً . ولما مثل بين يديه فرح به واكرمه ووعدته بان يعيده الى ملكه .

وفي تلك الايام سار من قلعة الروم الى خدمة هولاء الروان شحمون القسيس المتوفى . فرحب به اجمل ترحيب واحبه جميع ابنا الملوك والملكات . واقتنى دوراً ملكية وحدائق وجنائن وحصوناً في مراغة وارزاقاً في بغداد واثور وقبدوقية وفي مراغة بلغ مجموعها في كل سنة خمسة آلاف دينار . وقد تفرز به شعبنا القليل وحفظت كتابتنا وتأيدت في كل مكان على يده .

اما قوتوز التركي الذي تولى مصر فلما بلغه ان هولاء ابتعد عنه وان الملك الناصر قد قبض عليه وأرسل اليه ولم يبق في فلسطين الا كتبوغا بشرة آلاف فارس حشد جيوش مصر وزحف الى مرج باشان تجاء جبل تاور وقاتل التتر وانتصر عليهم . وقتل كتبوغا واستأسر اولاده وكان ذلك في ٢٧ رمضان من السنة ٦٥٨ للعرب (١٢٥٩ م) . فغضب هولاء لما بلغه الخبر ونوى ان يستأصل شأفة الدولة العربية وتقدم بقتل الملك الناصر وقتل اخيه الملك الظاهر وجميع من معها . وتم ذلك يوم الاربعاء (٥١٣) في ٢٠ شوال عام ١٥٧١ لليونان (١٢٦٠ م) في الساعة التاسعة في مخاضة نوشهر والقمر في برج عطارد . ولم يُفلت الا محيي الدين الفلكي المنجم وقد حكى لي يقول : اني لما كنت يوماً لدى الملك الناصر في خيمته استدعاني اليه وسألني عن مولده ووصل اذ ذاك امير من المغول نحو الظهر ومعه نحو خمسين مغولياً وخرج الملك الناصر الى لقائه فقال له الامير : انا قد أدبنا اليوم مأدبة لدى ملك الملوك وهو يقول لك ان

تمحضر انت واخوك واولادك وزعمائك . فنهض الملك الناصر واخذ معه جماعته وحشمه وهم نحو عشرين نفراً وركبوا وساروا . وبعد قليل وصل عشرون فارساً الى خيامنا وقالوا : فليحضر الفرسان والكتبة ولا يبقى غير الخدّام ضاربي الخيام والطباخين والرعاة . ولما ركبنا مضوا بنا ما بين اودية عميقة وانزلونا حيث كان عظام المغول وغيرهم ممن كانوا واقفين امامهم . ولما دنونا وجعلوا يجادثوننا وثب المغول حالاً من ورائنا واحتاط كل واحد منهم بواحد منا . فاشرت انا الى الزعماء باني فلكي عارف بمركات الكواكب فاستدعوني وأجلسوني وراءهم واستاقوا البقية بعيداً وذبحوهم . وقتلوا كذلك الملك الناصر واخاه والزعماء . ولم يقتلوا ابناؤه وما برحوا الى هذا اليوم مأسورين . ثم ذهبوا فاحضروا الصغار الباقين في الخيام وأجهزوا عليهم كذلك .

جلوس قوبلاي خان على كرسي مملكة المغول

تّمرد في هذا الزمان ملك من ملوك الصين اعني الخطا او المزيين وعصى على المغول . وكان لديه عساكر كثيرة يحكم (٥١٤) فيما قيل على اربعمائة مدينة . فاضطرّ مونككاخان ان يحشد جيوشاً ضخمة ويستعدّ للقتي ذلك الملك الصيني بذاته . واستصحب اخاه قوبلاي الصغير ودخل بلاد الصين الجوانية وترك مكانه اخاه اريغبوكا الاصغر . واتفق انه في اول الملتقى اصابه سهم ومات . فاخذ اخوه قوبلاي جميع المساكين التتر وخرج من بلاد الصين الداخلية واقام خارجاً في مدينة كبرى تدعى خان باليق واتفق عظامؤه بان يكون هو الخان . اما اخوه اريغبوكا الصغير فقال انه هو الأولى بالمملكة مدعياً بان مونككاخان لما سافر الى الحرب سلم اليه المملكة في حياته . وحصلت منازعة ومقاومة شديدة بين الاخوين استغرقت سبع عشرة سنة الى ان عجز الاخ الصغير وقبض عليه وانتهى امره . وافضت المملكة الى قوبلاي خان الملك العادل الحكيم المحبّ للنصارى وكان يكرم الكتاب والعلماء والاطباء من جميع الامم .

اما قوتوز فبعد ما قتل كيبوغا استولى على دمشق وعلى حلب وعلى سورية

باجمها واقام في كل مدينة حاكماً وكتابة وعاد الى مصر ليعشد الجنود ويعود الى محاربة التتر قاطبة . ولما وصل قريباً من غزة نهض عليه بيبرز المعروف بالبندقدار الصغير مملوك البندقدار الكبير وقتله . وزحف الى مصر وتسلمها ولقبوه الملك الظاهر ركن الدين . وانهمز اليه يومئذ صاحب سنجار اعني علاء الدين بن بدر الدين صاحب الموصل فولاه حلب . وقد شدد البندقدار على جميع النصارى الذين في سواحل البحر وما برح يضيق عليهم حتى يومنا . فاحتل (٥١٥) جميع قلاعهم ولم يترك لهم الا عكة وطارابلس وصور فقط .

وفي السنة التالية وهي السنة ١٥٧٢ للميونان (١٢٦١ م) عاد التتر الى سورية وعلى رأسهم كوكالكى نون ووصل الى حمص وسبي وقتل . وكان قد انهزم جميع اهل قرى سورية الى حلب فامر كوكالكى ان يخرجوا جميعاً الى ظاهر البلد وينزل اهل كل مدينة وقرية ويعودوا الى بلادهم . ولما امتثلوا الامر اجهز عليهم قاطبة ولم يترك منهم الا ابتداء حلب فقط . وقال لبقيتهم : لو كنتم تجبروننا لما انهزمت من امامنا . وبعد هذا عاد كوكالكى من سورية وعبر الفرات فاقتبل المصريون تكراراً واحتلوا بلاد سورية كلها .

وفي صيف هذه السنة سار علاء الدين بن بدر الدين صاحب سنجار رسالة من مصر الى الملك الصالح اخيه صاحب الموصل يعرفه قوة المصريين ويشير عليه ان يترك هنية الموصل ويتوجه الى مصر حتى اذا ما انتصر البندقدار على التتر يملكه لا الموصل فقط بل بلاد المشرق كلها . ولما كان ذات يوم ابن يونس صاحب بدرالدين لدى الملك الصالح مذ يده تحت الطنفسة وغافله وخطف الرسالة المذكورة وخرج من عنده وسار الى بعشيقا قريته . وبعد ساعة فتش الصالح عن الرسالة فلم يعثر عليها فعرف ان ابن يونس قد اخذها . فارسل حالاً عبدين من عبيده في طلبه . ولما وصلا اليه عرف ان قد قضي عليه وانه اذا وقع في قبضة الصالح فسيهلكه . بناء عليه جاد على العبدان بالجائزة واشغلهما بالشرب وقال لهما : كُلا واشربا وتمثعا في هذا المساء . وعند الصباح نذهب معاً الى الموصل . ولما سكر العبدان نهض ابن يونس ليلاً واخذ أهله وركب وسار الى برطلي وقال للتوعم عبدالله (٦١٦) بن كوشو بلغ اهلك واهربوا جميعاً

لان الصالح مستعداً ان يقتل النصارى وينهزم الى مصر . فقام كل من أمكنه الهرب وانهزموا الى اربيل في أيام العنصرة . ولما نهض العبدان وقت الصباح ولم يشاهدا ابن يونس تبادر الى ظنهما انه سبقهما الى الموصل فعادا واخبرا الصالح . فتخوف جداً وقال يظهر ان ابن يونس سيقصد التتر ويأتي بعسكر يقبض عليه . فنهض واخذ ابنه علا الملك وعبده وانهزم الى سورية في ايار تلك السنة . ووقع الحلف بين عبده في الطريق فتركوه وعادوا الى الموصل وتولى رئاستهم علم الدين سنجر . ولما وصلوا الى المدينة اغلق المواصلة تجاههم الابواب بالاتفاق مع ياسان شحنة التتر وتركبان خاتون الخوارزمية التي لم تذهب مع الصالح . وظل العبيد اياماً قليلة يجارون المدينة . وكان فيها يومئذ رجل اسمه محيي الدين بن زبلاق اتفق معه جماعة من احياء الموصل وفتحوا لهم الباب فدخل علم سنجر واصحابه وانهزم ياسان ورفاقه وتحصنت تركبان خاتون في القلعة . ولما دخل هؤلاء الموصل اضطهدوا النصارى اضطهاداً شديداً وانتهبوا بيوتهم وأجهزوا على كل من لم يسلم . وقد جحد كثير من القسوس والشامسة والرؤساء والشعب ايمنهم سوى القليلين من آل سويد كيت وكوكي ونفيس الصانع . وعلى اثر هزيمة الملك الصالح المحمدر الاكراد الى ضواحي الموصل وفتكوا بكثيرون من المسيحيين واحتلوا دير الراهبات في بيت خوريدا (قرقوش) واجهزوا فيها على جماعة غفيرة وكانوا قد قدموا اليها من الاطراف واختفوا بها . وسار اولئك الملاعين الى دير مار متي واحتشد هناك ألوف من الفرسان والمشاة ونشموا يقاتلون الرهبان مدة اربعة اشهر وحاولوا ان يتسلقوا السور فتشجع (٥١٧) الرهبان واحرقوا سلالهم بالنفط . وبعد هذا فصل الاكراد قسماً من الجبل العالي ودحرجوا على الدير حجرة ضخمة انفلقت فلققتين وثغرت احدهما السور واغترزت فيه اغتراز الفص في الخاتم واستمرت راسخة . اما الفلقة الثانية فتغرت السور وجازت . وحاول الاكراد الدخول فاحتشد الرهبان واهل القرية المنهزمون وجعلوا يقاتلون بالحجار والسهام ولم يدعواهم يدخلون الدير . ثم ابتنوا الثغرة بحجار وجص حالاً . وفي تلك المعام فقتت عين أبي نصر رئيس الدير وأصيب فريق بالسهام ثم استجمعوا القوى . ولما ضجر

الرهبان من القتال طلبوا الامان وارتضوا بان يؤدّوا كل امتعة الكنيسة وأثيها وان يجمعوا من الاهالي ذهباً وفضة ومصاعاً . اما الاكراد فلما بلغهم ان التتر قادمون حالاً وافقوا الرهبان واخذوا كمية وافرة بلغت قيمتها الف دينار ذهباً وانكشفوا .

وكان اهالي قرية بيت سحر ايا يومئذ محاصرين في دير الحنافس فارتحلوا عنه وعبروا نهر الزاب يريدون اربيل فلقبهم الامير فوتكو بك واحتج بانهم قادمون من قبل الاعداء . فأجهز عليهم قاطبة رجالاً ونساءً معاً .

اما علم سنجر فعندما دخل الموصل بلغه ان التتر قادمون من ناحية الجزيرة فرحف اليهم فشدوا عليه وقتلوه . ثم اقبل جاسوس التتر وأخبر ان الملك الصالح قادم الى الموصل فتأخروا ولم يدخلوها ريثما يسبقهم اليها الصالح المذكور . اما سيف الدين صاحب الجزيرة فلما بلغه ان اخاه الصالح انهزم الى سورية تأهب هو كذلك للهزيمة فسمع نورين شحنة (٥١٨) الموصل واقبل ليقبض عليه . فاحتشد اهالي الجزيرة وحاولوا ان يفتكوا به فانهزم من وجههم ونجا . وحشد سيف الدين النصاري وطالبهم بالفني دينار ذهباً يوم عيد الصعود . وظلوا محبوسين مأيوسين . ثم وزع ذهباً وافراً على الجنود واجتمع اليه نحو سبعين الف من الاكراد ومضوا به الى سورية وظلت الجزيرة دون صاحب . عند ذلك نهض جنديان احدهما عراز باس وثانيها محمد راس الحرمس وتوليا الرئاسة واطلقا النصاري من الحبس بعدما اخذا منهم سبعمائة دينار . ولم يفتكا الا برجلين كانا مختلفان الى مسكر التتر .

وفي تلك الغضون حشد عز الدين ايباغ صاحب العمادية وهو مملوك بدرالدين زها . ثلاثة آلاف فارس وسار الى الجزيرة ليمتلكها . فرحف اليه نورين المذكور في ثلاثاية فارس عند نهر الدبس الذي ينحدر من جبل كردستان فانتصر عليه وهزمه . وكان عبدالله صاحب ميافرقين قد اقبل مرة ليجتلبها فامتنت عليه .

وفي آخر صيف هذه السنة تأهب عز الدين سلطان قونية للقدوم الى خدمة ملك الملوك اذ كان السفراء يلحّون عليه في ذلك . ولما ضرب خيامه خارج

قونية مستعداً للرحيل وافاه جاسوس يقول له : ان اليغاق نونين وصل الى اقسرا
ومعه اخوك ركن الدين وفروانا وهما مستعدان ان يوثقاك بالسلاسل ويذهبان
بك الى ملك الملوك . فملح وترك خيامه واخذ بيته واهله وانهمزم الى قسطنطينية
يريد ميخائيل ملك اليونان . ثم ان اليغاق نونين مضى بالسلطان ركن الدين (٥١٩)
الى قونية واجلسه على العرش الملكي وتولى تدبيره فروانا .

وفي هذه السنة اعد صاحب مصر شأباً اسود من سلالة الخليفة ووجهه مع
فرقة من الجند الى بغداد ليتولاها ويجلس في تحت آبائه . وأعاد الملك الصالح
صاحب الموصل الى ولايته . وذاع الخبر بان التتر قد هلكوا قاطبة بضربة
سماوية محقتهم وان الطيور فقت عيونهم . تلك حكاية لا يصدقها الاطفال
انفسهم . ولما شارف الخليفة الاسود بغداد برز علي بهادر في جيشه واجهز عليه .
اما الملك الصالح فما كاد يدخل الموصل مساء الثلاثاء سابع كانون الاول حتى
وصل المغول بغتة وعلى رأسهم سمداغو التتوي المسيحي الفتي الحميد . واحدقوا
بالمدينة صباح الثلاثاء . والقمر في برج الأسد . وابتنوا سوراً خارجياً وجعلوا
يقاتلون قتالاً عنيفاً . واستغرق القتال حتى الصيف وحدث في المدينة غلاء قاس .
وارتخت عزائم المقاتلين وغارت قواهم . وجعل سمداغو يبعث اليهم بكمالات
طيبة ويعد الملك الصالح وعوداً جيدة . فخرج الصالح في دفوف وطبول
والطربون والمشعرون يغنون ويرقصون امامه . وما ان وصل حتى احدق به
جنود المغول ودخلوا المدينة ونهبوها وقتلوا اهلها وسقوا علا . الملك ابن الصالح
خمراً وأسكروه واوثقوا فخذه بوتر القوس وثقاً شديداً حتى تفجّر بطنه وقطعوا
حقويه قطعتين وأقروهما على عتبي باب المدينة . وفلقوا هامة المحيي بن زبلاق
ومضوا بالملك الصالح الى الاردو وقتلوه هناك . وتولى الموصل ابن يونس المذكور .
ولما انتهى امر (٥٢٠) الموصل توجه سمداغو الى الجزيرة وابتنى حولها سوراً
وجعل يحاربها الشتاء كله حتى الصيف .

واشتهر يومئذ حنيسوع مطران الجزيرة النسطوري وكان متغيباً عن ابرشيته .
وعد ملك الملوك بانه يطبع له ما شاء من الذهب هذا خبرته بصناعة الكيمياء
ثم حصل منه امراً باطلاق الأمان لاهل الجزيرة واقبل اليها فناهضه ابن عزازباس

وحاول أن يقتله فعارضه الزعماء ووعدهم المطران بأنه يقصد ملك الملوك ويأتي بأوامر منه في تأييدهم . وانطلق وفاز بفرمان يقرّر ان جمال الدين جولبغ عبد سيف الدين صاحب الجزيرة يتولى امرها وان غزاز باس ومحمداً رئيس الحرس يكونان وصيين وان المطران حننيشوع يكون مشيراً ومدبراً ومثل أب وعاد الى الجزيرة فطاب قلب اهاليها وفتحوا الابواب . ثم دخل سمداغو وأمر الترقوا فوضوا الاسوار في ساعة واحدة ثم ارتحلوا واقاموا في وادي الشام بارض اربيل .

وفي السنة ١٥٧٤ لليونان (١٢٦٣ م) ارسل سيف الدين صاحب الجزيرة أحد عبيده من مصر الى جمال الدين جولبغ بيده الذي كان متولياً بها وسأله ان يبعث اليه بذهب اخفاء في المحل الفلاني . فاستخرج الذهب ودفعه الى الصبد فأخذه ومضى الى الهاديّة ليجاهد عز الدين ايبك بما اوصاه مولاه . فأخذه عز الدين ومضى به الى سمداغو وهذا ارسل فاستدعى جمال الدين وعاتبه وقال له : اننا نحن قد وليناك وانت قبلت جواسيس مصر دون ان تحبنا . فانكر عليه ذلك . فاخرج العبد القادم من مصر وحكم على جولبغ بالقتل . وبعد قليل توجه الى الجزيرة وقتل ذينك الوصيين وولى عليها المطران .

وفي السنة ١٥٧٥ لليونان (١٢٦٤ م) نهض الزكي الاربيلي احد جنود بدر الدين صاحب الموصل وادعى لدى ملك الملوك بان ابن يونس الذي تولى الموصل قد سرق اموالاً وافرة من زخائر بدر الدين واخفاها (٥٢١) وهو يحاول ان يأخذها وينهزم الى مصر ولما شعر باني اطلمت على سره سقاني ممأ يحاول قتلي . ولو لم يعالجني الموفق النصيبيني الطبيب النصراني لهلكت . فسخط ملك الملوك وأمر ان يصفعوا ابن يونس ولما سطحوه سقطت رسالة من عبه ففتحوها وقرأوها فاذا فيها آية من قرآنهم مؤداها : فليكن لسانهم معتقلاً في فهم والقيود في اقدامهم والاطواق في اعناقهم ونحن نفرح ونُسِر . فسأل ملك الملوك ما معنى تلك العبارات فقال له خصوم ابن يونس : انها كلمات سحرية موجبة اليكم . فأمر بقتل ابن يونس المذكور وولى مكانه الزكي الاربيلي وأطلق عليه اسم « الواشي » لانه وشى بابن يونس المذكور .

وفي السنة ١٥٧٦ لليونان (١٢٦٥ م) في اسبوع مدخل الصوم انتقل من

هذه الدنيا هولاكو ملك الملوك . ولقد كان متصفاً بحكمته وشهامة نفسه واعماله العجيبة الممتازة . وتوفيت كذلك طاقوز خاتون الملكة المؤمنة في اثنا الصيف . وقد شمل المسيحيين في كل العالم حزنٌ شديدٌ على وفاة هذين النبراسين العظييين المعززين للدين المسيحي !

بعد هولاكو اباقا ملك الملوك

على اثر وفاة هولاكو ايلخان اتفق ابنا الملوك والاقطاب المغول معاً على ان يخلفه اباقا ابنه في عرشه لان الله سبحانه قد زينته بالعقل والحكمة والارادة الصالحة والرحمة . ولما استقرت له الملكة أصبح مشرفاً في كل حروبه ومنصوراً على جميع أعدائه . وأحبه جميع الشعوب الخاضعين لدولته .

وفي السنة ١٥٧٦ المذكورة (١٢٦٥ م) أقبل افيميوس (٥٢٢) بطريرك اليونان الانطاكي مستصحباً ابنة ميخائيل باليولوغس ليزقها الى آباقا ملك الملوك . وكان هولاكو ابوه قد وجه السفراء منذ زمان في طلبها ولما وصلوا الى قيسارية وَرَدَّهم نعي ملك الملوك فلم يَرَوْا ان يرجعوا .

وفي هذه السنة انهزم السلطان عز الدين من قسطنطينية وارسل يجبر آل بركلت المجاورين فوافوا ومضوا به خفية وما برح مقيماً هناك حتى اليوم .

وفي صيف السنة المذكورة بلغ الامر الى علاء الدين صاحب الديوان بان يتولى بغداد مستقلاً . وما عثم ان ورده خبرٌ مُبهمٌ مفاده ان اخاه شمس الدين صاحب الديوان قد قبض عليه في الاردو . وعند ذلك قبض قرايوغا شحنة بغداد على علاء الدين في ٢٠ آب واعتقله في داره وارسل فاخبر اخاه . ثم ورد الامر بان يسافر مكرماً مع اسحق الشاب الارمني كاتب قرايوغا ومع رجل معدي يقول انه سار ليهزم علاء الدين . ولما وصلوا الى الاردو قرّر المعدي البدوي ان اسحق علمه ان يكذب فصدر الامر بقتلها كليها . ومن ثم اخذت شؤون النصارى في التلبيل .

وفي السنة ١٥٧٧ لليونان (١٢٦٦ م) سير البندقدار صاحب مصر الى هيتوم ملك قيليقية ان يدخل في طاعته ويؤدي له الجزية ويفتح طريق سورية ويمكن

الناس من مشتري القمح من بلده . فلم يتيسر للملك هيتوم ان يلبي طلبه خوفاً من التتر . فاستعد البندقدار للقدوم الى قيليقية . اما ملك الارمن فسارع الى بلد الروم يستنجد بنفجي زعيم التتر فقال له نفجي : لا يمكنني ان اجي . دون امر ملك الملوك . وفيما كان ينتظر الجواب هجم المصريون على قيليقية وكان هيتوم غائباً . فبادر اليهم اخوه قنطسطل وولده (٥٢٣) وزعماءه والتقوا عند حجر سروند فانكسر الارمن واعتقل لاون ابن هيتوم الكبير يوم الثلاثاء ٢٤ آب من هذه السنة وقتل البارون تورس ابنه الصغير وانهزم سائر زعمائه . ودخل المصريون وعاثوا في قيليقية كلها وقتلوا وسبوا . واحرقوا سيس وقوضوا كنيسة الكبري وسائر الكنائس . ولم يفلت الا كنيسة لنا وهما : كنيسة والدة الله وكنيسة مار برصوما لان بنايتها خال من الحشب . وقد احتلوا المصيصة واياس واطنة واجلوا جمّاً غفيراً من البنين والبنات . ولم يصلوا الى طرسوس . واحرقوا دير الباقساط وأبقوا على دير كويجات لانهم شاهدوا فيه راهباً يتكلم في اللغة العربية وقد توسل اليهم فانمضوا عنه وعن ديره . واقام المصريون في قيليقية عشرين يوماً ينهون ويحرقون .

وبعد خروجهم وصل الملك هيتوم وقد استصحب عسكرياً من التتر ومن الروم . غير ان هولاء . بدلاً من ان يساعده اشتغلوا بنهب ما تركه المصريون . وبعد ذلك كله شرع هيتوم يفكر في نجاة ابنه ووعد المصريين باموال وحصول ثمناً له . فاجابه البندقدار ان لي صديقاً عند التتر اسمه سنقر الاشقر فخلصه وسيّره اليّ وخذ ابنك .

وفي هذه السنة حاول ركن الدين صاحب بلد الروم ان يهلك بروانة الذي وطده في التخت الملكي وساعده كل المساعدة في تعزيز اعماله . فلماً اطلع بروانة على ذلك أخبر زعماء المعول وكان ركن الدين عندهم فاشاروا الى احدهم فقصد خيمته وهو متكئ هناك وألقى وترأ في رقبتة (٥٢٤) وخنقه ومضوا به فدفنوه . واقام التتر بدلاً منه غياث الدين وعمره يومئذ اربع سنين . وفي هذه السنة استصدر ناصر الدين بابا امراً من ملك الملوك وبطش براكبي الاربيلي وتولى الموصل .

وفي السنة ١٥٧٨ لليونان (١٢٦٧ م) وصل الملك هيتوم الى الموصل وارتحل الى خدمة الملك اباقا وبكى امامه ابنه المأسور في مصر وطلب سنقر الاشقر ليخلص به واده . فأشفق عليه وقال له : ان سنقر ليس حاضراً الآن فأرجع انت الى بلدك وانا ابعث فأحضره وارسله اليك . فتركه هيتوم وعاد .

وفي تلك الغضون اشتهى بروانة المتولي تدبير مملكة بلد الروم ان يظاهر الملك هيتوم ويطلب ابنته . ففاوض الراهب فرسيغ الارمني مندوب الملك لدى التتر . وهذا الجاهل اشار عليه بانه متى مر هيتوم ببلدك فاذهب الى زيارته واعرض عليه طلبك فلن يردك خائباً . ولما عاد الملك من الاردو ووصل الى فندق القراطي وبات فيه ليلته قصده بروانة في زعماء . دولته وقدم له هدايا ثمينة جداً وطلب ابنته . فخاف الملك وظن انه ان رفض طلبه يترصده في الطريق ويؤذيه فوعده بذلك وعاد الى بلده . وظل بروانة يراجمه حتى قال له الملك : لا يمكن ان نضع العرس ما دام اخو البنت مأسوراً . فاصطبر بروانة حتى عاد الاخ الى بيته وزال المانع . غير ان الابنة توفيت وهلك برسنيغ الراهب كذلك .

وفي صيف السنة ١٥٧٨ لليونان (١٢٦٧ م) ألقى القبض على علم الرئاسة الكاتب القبطي في الاصل ومات في الحبس يوم الثلاثاء ٢٦ ايلول . وفي السنة ١٥٧٩ لليونان (١٢٦٨ م) وصل سنقر الاشقر من سمرقند وأرسل الى الملك هيتوم فوجه الى مصر .

وفي هذه السنة (٥٢٥) في ايام الصوم الاربعيني قبض مار دنحيا جاتليق النساطرة على رجل تكريتي سبق فنأدى بالاسلام وحاول ان يغرقه في دجلة . فثار نأثر أهالي بغداد وراجعوا علاء الدين صاحب الديوان فوجه الى الجاتليق بعض الزعماء . يطلب ذلك التكريتي فابى الجاتليق ان يسلمه . فهاج الاهالي وأضرموا النيران في عتبات ابواب القلأية وتسلقوا الجدران يحاولون الفتك بالجاتليق . فسمع صاحب الديوان وارسل فاستعضره الى داره خفية من جهة النهر وأنجاه . ثم أرسل الجاتليق الى الاردو يشتكى فأقبل السفراء ونقلوه الى هناك ورفع الشكوى على الاهالي فلم يكثر له احد فترك الاردو وانطلق الى اربيل وابتنى كنيسة في قلعتها واستقر بها .

فتح انطاكية

وفي حزيران السنة المذكورة وجّه البندقدار صاحب مصر جيوشه الى انطاكية واحتلوها بالسيف اذ لم يكن فيها حامية ولم يفكر من فيها ان يسألوها صلحاً . فدخلها المصريون واجهزوا على رجالها قاطبة وقوضوا كنائسها الشهيرة وأجلوا النساء والبنين والبنات وتركوها خالية خاوية حتى يومنا .

وفي صيف هذه السنة ألقى القبض على مار حننيسوع اسقف الجزيرة وصدر الامر بقتله . فسطحوه وجرّوا فوقه حجراً ضخماً وقلعوا هامته وعاقبوها على باب المدينة . تلك كانت خاتمة الفضيحة بسبب تدخله في الشؤون الدنيوية ومحاولته ان يتولى المدينة فضلاً عن انها كره في الملاذ .

وفي تلك الاثناء وجّه المصري الى هيتوم ابنه لاون مكرماً ووصل الى قيليقية في تموز السنة المذكورة فابتهج قلب ابيه وفرح المسيحيون جميعاً بقدمه . ثم توجه الملك هيتوم الى بغداد ليشكر الملك الملوك نوحاً ابنه واستقال من السلطنة بسبب شيخوخته وطلب (٥٢٦) ان يكون ابنه متولياً للمملكة . فقال له الملك : متى حضر الينا وليّنا المملكة .

وفي السنة ١٥٨٠ لليونان (١٢٦٩ م) حدثت زلزلة هائلة في قيليقية في الساعة الاولى من ليلة الاربعاء . واخربت قلعة سروند وقلعة عماوس وقلعة الحجر الاصفر ودير بالوط الملك وهو اكبر اديار الارمن . وهلك في تلك الزلزلة زهاء ثمانية آلاف نسمة .

وفي تموز توجه الملك لاون ابن الملك هيتوم الى خدمة ملك الملوك فرحب به ترحيباً جميلاً وفوض اليه سياسة مملكة ابيه .

وفي السنة ١٥٨١ لليونان (١٢٧٠ م) شخص صاحب مصر الى فلسطين وحاصر حصن الاكراد واخذه عنوة . ولم يقتل احداً بل اطلق الحرية لمن يريد الإقامة به او الذهاب الى طرابلس .

وفي خريف السنة ١٥٨٢ لليونان (١٢٧١ م) توفي هيتوم الملك المؤمن بدملة

خرجت في صدره . واجتمع الاساقفة والزعماء في طرسوس وتوجوا ابنه لاون ملكاً يوم عيد الدنح (الظهور) .

وفي مدخل الصوم وثب الاصمعيليون على علاء الدين صاحب الديوان في بغداد وهو راكب وضربوه بالسكاكين ولم يقتلوه فقبض عليهم وقطعت اعضاؤهم واذاع العرب بان المعتدين كانوا نصارى وقد ارسلهم الجاثليق . بناءً عليه ألقى القبض على الاساقفة والرهبان والأعيان وحُبسوا في بغداد وقبض قتلوا بك كذلك على الجاثليق وعلى اساقفته في اربيل وعذبوهم الصوم كآسائه حتى صدر بعون الله تعالى الامر من الاردو باعتاقهم جميعاً . وبعد هذا سار الجاثليق الى مدينة اشنو باذربيجان واقام بها .

وفي السنة ١٥٨٣ لليونان (١٢٧٢ م) حاول زعماء اليونان في قيليقية ان يغدروا بالملك لاون . وما ان شعر بالدسيسة حتى قبض على البارون كبيرهم فسمع رفاقه وانهمزوا الى احدى القلاع وارسلوا الى بلاد الروم (٥٢٧) يطلبون نجدة ليَتَسَلَمُوا القلعة . اما الملك فبادر الى القلعة وحاصرها ووثب الارمن الذين فيها الى الزعماء اليونان وسَلَمُوهم الى الملك فقتلهم جميعاً وأهلك مثلهم بهرام في قلعة عين زربة . على ان اليونان لما انهزموا الى تلك القلعة استدعى الملك بطريك انطاكية اليوناني^١ وسيّره اليهم واقسم لهم ان انحدروا فلن يؤذيه . غير ان البطريرك لما ذهب اليهم قال لهم : امكثوا مكانكم والا فانكم تهلكون جميعاً . ثم انقلب وقال للملك : انهم لم يطيعوني ولم ينزلوا . فشمع الملك بما جرى وبعد ما بطش بهم قبض على البطريرك كسي يوجهه الى قسطنطينية فيقتضي الملك بينها . ولما سلمه الى الجنود ليحضوا به الى العاصمة ووصلوا الى مدينة اياس نصبوا له خيمة على ساحل البحر وتركوه وقصدوا المدينة لبيتاعوا لهم طعاماً واستغرقوا في شرب الخمر الى الليل فارسل البطريرك الى بعض الملاحين اليونان الذين كانوا قريبين واستدعاهم اليه وجعل يبيح امامهم وصرح لهم بان الجنود الارمن انما يريدون اهلاكه متى ركب البحر

(١) افثيموس الاول (١٢٥٨؟ - ١٢٧٣) .

ولن يوصلوه الى قسطنطينية . فاشفقوا عليه واركبوه سفينتهم الصغيرة ومضوا به الى بلاد الروم التي كانت في حوزة الاتراك .

وفي هذا الزمان زفَ لاون ملك الارمن ابنته الى ابن بروانسة بدلاً من اخته التي رفض ابوه ان يزفها اليه . وعقد الفريقان صلحاً ما بينها وهماً .

وفي السنة ١٥٨٤ لليونان (١٢٧٣ م) حدثت زلزلة مريعة في مدن اذربيجان ولا سينا في تبريز ليلة الاربعاء ١٨ كانون الثاني . وقوّضت الدور والمساجد وقم الابراج . وقد صان الله تعالى كنيسةنا وظلت الصلوات تقام فيها بحضور اليونان والارمن والنساطرة والسريان . امّا سائر (٥٢٨) الاهالي العرب فقد غادر ربوات منهم المدينة ونصبوا الخيام في الجائث واقاموا هناك نحو شهرين ثم عادوا الى بيوتهم . ومات في تلك الزلزلة زهاء مائتين وخمسين نسمة من العرب .

وفي صيف تلك السنة اقبل كُتُبا سُورِيَّة من عيتاب ومن البيرة الى بلد قلودية من ناحية الجبل وساروا كالبرق حتى باغوا غاية البلد ثم انقلبوا وأجلوا الاهالي قاطبة نساء وصبياناً وعادوا ولم يبيتوا خيفة ان يدركهم جيش المغول . وتأهبنا في تلك الايام للذهاب الى دير مار برصوما ولم نشعر بتلك الغائلة حتى اشرفنا على البلد فرأيناه مثل كرم اكتسجه البرد واقنا في دير سرجيس حتى وافى نحو خمسين راهباً مسلحين وسرنا معهم الى الدير المذكور .

وفي السنة ١٥٨٥ لليونان (١٢٧٤ م) انحدر ملك الملوك في جيوش كثيفة الى بغداد وحدث فيها غلاء . وقتل الغلات وظهر الجراد كذلك .

وفي ايام الصوم الاربعيني من تلك السنة كلف راهب نسطوري من دير مار ميخائيل الذي بجانب الموصل بامرأة عربية . ولما فُضِح امره جاهر بالاسلام فاعتم المسيحيون غمّاً شديداً . واستفزع رهبان ذلك الدير وعمُّ الراهب المذكور ما جرى ولم يطيقوا احتمال ذلك العار والاحتقار فارساوا الى طرفاشي قائد الجيش المغولي وطلبوا حضوره فاقبل الى الموصل وقبض على ذلك الراهب الذي أسلم يريد البطش به . فشر الاهالي المسلمون وتحمسوا واحتشدوا عند

باب البلاط حاملين العصي والمصاريح وتهددوا القائد المغولي مصرحين له بان ان لم يطلق ذلك الراهب فتكروا به وبمن معه . فخاف القائد وأطلقه . فاخذوه واركبوه وطافوا به في المدينة وشمل جميع النصارى الحزن اكثر من الاول .

وفي تلك الايام شاء نصارى اربيل (٥٢٩) ان يحتفلوا باحد الشعانين وعرفوا ان العرب متحذرون ليزعجهم فارسلوا يستدعون الى مساعدتهم بعض التتر النصارى المجاورين . فاقبلوا ووضعوا الصلبان في رؤوس الرماح . وخرج مطران الناصرة وجميع الشعب يتقدمهم اولئك التتر راكبين . لما قربوا من القلعة احتشد جماهير العرب وتناولوا الحجار وجبلوا يرحمون التتر والنصارى معاً . فتشتت شملهم وانهمزم كل النصارى وظلوا اباماً لا يجسرون ان يخرجوا ظاهراً . وقد امتعض المسيحيون في كل البلاد بسبب ذلك اي امتعاض .

وفي هذه السنة توفي خواجه نصير الفيلسوف الفارسي الذي امتاز بالفضل في كل العلوم الحكيمية ولا سيما في العلوم الرياضية وآلات الرصد والدوائر النحاسية الكبرى ففاق فيها ما اقامه بطلميوس في الاسكندرية . واختبر سيد الكواكب وأتقنه . واجتمع كثير من الحكماء من مختلف البلاد واقبلوا الى مراغة باذربيجان . وكانت جميع اوقاف المساجد والمدارس في بغداد وآثر تحت حكمه يوزع منها الاجور على المعلمين والطلاب الذين لديه . ففي هذه الفصول لما قصد بغداد ليشرف على تلك الاوقاف ادركه الأجل . واذاع بعضهم انه مات مسموماً . وقد صنف كتاباً جمّة في المنطق والطبيعات والالهيات واوقليدس ومجسطي بدقة تامة . وله كذلك كتاب اخلاق في الفارسية جمع فيه نصوص افلاطون واريستو في الفلسفة العملية . وكان متشابهاً بآراء الفلاسفة الاقدمين يعارض معارضة قوية في تصانيفه كل من يخالفهم .

وفي السنة ١٥٨٦ لليونان (١٢٧٥ م) توجه بعض الاشرار ليلاً في كانون الاول وقرعوا باب يهودي صائح في الموصل . فقال لهم ماذا تريدون ؟ قالوا : اننا شبان وقد قصدناك لتعطينا نفقة . فاستخبرهم (٥٣٠) قائلاً : كم تريدون ؟ قالوا : عشرين درهماً . فدفع لهم ما طلبوا من ثقب الباب . لكنهم رفضوا وقالوا له : افتح لنا الباب . وظلوا نحو ساعة يتخاضون ثم تساق بعضهم السطح

والمحدروا الى البيت وفتحوا الباب ودخل اصحابهم كذلك . وجعلوا يضربون اليهودي حتى دفع لهم كل ما كان لديه . ولما حاولوا الفتك به ألت امرأته بنفسها عليه وتوسلت اليهم ان يشفقوا على شبابه ويقتلوه عوضاً عنه . غير ان اولئك الحثيثا . القساء القلب قالوا لها : اننا سنقتلك ونقتله كذلك . وبعد ما ذبحوا زوجها طعنوها بالسكاكين وتركوها على آخر رمق وانصرفوا في المال الذي اخذوه . ولما اصبح الصباح اقبل بعض الناس وشاهدوا اليهودي مذبحاً وامراته تنازع فاخذبرتهم با جرى وانظت انفاسها في الساعة التاسعة .

وتوجه في تلك الغضون نحو ثلاثين رجلاً من فقراء العرب من اطراف سورية الى قيليقية يريدون زيارة قبر الخليفة المأمون المدفون في طرسوس وتبادر الى الظن ان البندقدار صاحب مصر هو معهم وقد تنكر يريد جس سائر الدول . فقبض عليهم صاحب قيليقية وزجهم في قلعة كبيرة . ولما انتشر الخبر في مصر جعل الوفود يتقاطرون في طلب المحبوسين وغلب على الظن ان ما قرره الارمن حقيقي وأبي لاون الملك اطلاقهم . عند ذلك احتشد خمسمائة فارس من الجيش المصري وزحفوا الى قيليقية ايام الصوم الكبير عام ١٥٨٦ لليونان (١٢٧٥ م) فقاومهم الارمن وهزمهم . فاحتشد تكراراً نحو ثمانية آلاف وباغتوا البلد التاسع الحظ ووصلوا الى اياس في فجر الاثنين من اسبوع العجائب ٢٦ آذار (٥٣١) وفتكوا بمن وجدوا فيها وكان اغلب اهلها منزهين ومحتشدين في مكان قريب خوفاً من المصريين . غير ان اللصوص الفرنج وثبوا اليهم ونهبوا كل ما لهم وانتدعوا ثيابهم كذلك واكنهم لم يقتلوهم .

اما المصريون فساروا من اياس الى المصيصة يوم الثلاثاء وفتكوا باهلها فتكاً ذريعاً واحرقوها باسرها . وانتقلوا الى جشرا وتفرقوا في ضواحيها وسار بعضهم الى طرسوس وقصدوا برجها يوم السبت عيد العرب واذنوا فيه ثم تبتطروا حتى قوزيقس يقتلون ويغزون ويحرقون . وتوجه بعضهم الى سيس ولم يجدوا فيها خلقاً اذ كان الاهالي جميعاً متحصنين في القلعة فاحرقوا بعضها . وقد قتلوا خمسة وعشرين راهباً في دير البقساط في جملتهم الربان سليمان الشيخ الجليل وكاتب اسرار البطريرك اغناطيوس المتوفى واحرقوا الدير المذكور ودير كويجات

وسائر اديار الارمن واليونان ومحقوا دير بطريركنا الواقع في لطف سيس . اما البطريك فانهزم الى قلعة بهجا وانزوى هناك حتى زال الغضب . وظلّ المصريون هناك حتى آخر الاسبوع التالي لعيد القيامة ثم انصرفوا في غنائم وافرة . وأربي عدد القتلى على الستين ألفاً . اما النساء والصبيان الذين استاقوهم عبيداً فلا يُحصى عددهم . وكان في ذلك البلد زهاء عشرة آلاف من التركمان تمدوا على المسيحيين فلما رجع المصريون أجهز الملك عليهم قاطبة واستعبد بعضهم ونهب كل ما لهم .

وفي تلك السنة مات البرنس بوهيند امير طرابلس وخافه ابنه الفتى ووجه الرعما . فاحضروا (٥٣٢) سير هنزي والد صاحب قبرس الشيخ الرزين وفوضوا اليه تدبير الفتى وسياسة المملكة .

وفي هذا الزمان تحرش الاخوان ابنا الشيخ عدي الذي يعتبره اكراد الموصل بمثابة نبي . وكان احدهما قد اقترن بابنة مغولية فتخوف اخوه ونقل ذويه وهم زهاء اربعمائة نسمة وانهزم الى سوربة في غنمه وبقره وخيله . وملك العرب جميع المسيحيين وخافوا ان ينهبهم بزوره ويقتلهم . لكنه مر بهم ولم يؤذهم . وبعد سفره اقبل بعض اللصوص وحاصروا قرية طكشور ببلد نينوى . وقاومهم القرويون وقتلوا منهم عشرة وقاتل من اهل القرية خمسة رجال وخطف اللصوص سبع فتيات وثلاث فتيان .

ويوم الخميس ٣ تشرين الاول ١٥٨٧ لليونان (١٢٧٦ م) حدثت زلزلة عنيفة في مدينة اركسطيا وهي ارغيش . فهبطت اسوارها القوية وجميع ابنتها وهلك اغلب سكانها . وحدثت زلزلة كذلك في خلاط وصقها في الساعة التاسعة وأخربت بعضها ولم تكن قوية كزلزلة ارغيش .

وفي تلك الايام خرجت قافلة كبيرة من التجار النصارى من قيليقية الى بلد الروم فوثب اليها ثلاثمائة فارس من التركمان واجهروا على ثمانين منهم من مشاهير التجار النصارى قرب مدينة هرقلية ونهبوا جميع بضائعهم . وكان مع احدهم وهو من اسرة عيسى بن الحصري مائة وعشرون الف دينار صوري . ولم يفلت من القافلة سوى اربعة جمال عربية .

وفي شتاء هذه السنة احتشد زهاء سبع ربوات من الجيش التتري وساروا الى قلعة البيرة ليحاصروها فامتنعت عليهم بسبب هبوط الثلج المتراكم والبرد الشديد (٥٣٣) وظلّ الكثيرون منهم دون خيل فعادوا راجلين دون جدوى . وكان على راسهم القائد اباتي نوبين الكبير فلماً وصل الى آثور ادركه مرض عضال . وعلى اثر عودة التتر هولاء استجمع التتركان قواهم واحشدوا وتبعهم نحو الف خيال من المصريين وزحفوا الى ناحية مرعش يريدون الوصول الى قيليقية المعذبة . فشمع الملك لاون وحشد جنوده الارمن وولى قيادتهم عمه البارون سينايط القنطسطليل وغيره من الزعماء فرحفوا نحو مرعش ليحاربوا التتركان يوم الجمعة من الاسبوع الثالث من الصوم الاربعيني فقتل سينايط المذكور في اليوم عينه وقتل معه صاحب كربيلاج وثلاثة عشر من المشاهير وثلاثمائة فارس . وسقط من الاتراك كذلك جمهور غفير وانقلبوا راجعين وتعذر عليهم دخول البلد . وقبل هذه الحوادث اعني في الاسبوع الاول من الصوم يوم الاربعاء ١٩ شباط ١٥٨٧ لليونان (١٢٧٦ م) هبت عاصفة شديدة في الموصل واربيل واطرافها وانتشر رمل احمر كثير حتى حجب الجو ولم يشاهد الرجل صاحبه منذ الساعة الثالثة حتى التاسعة . فهلج الناس هلعاً شديداً وظنوا ان الطوفان الهوائي او الزلزال الارضي سيفنيهم كما أفنى اهالي ارغيش . فخرجوا الى البرية وباتوا فيها . ولما خمدت الريح عادوا الى بيوتهم ، وقد هبت كذلك ريح عاصفة يوم احد الموتى السابق لاحد مدخل الصوم ولكنها لم تكن شديدة . وفي تلك النضون انتوى بيشار قائد حصن زياد اللثيم الحبيث سفاك الدماء ان ينهزم الى مصر وهو شيخ بالغ المائة من سنه . وكان حاقداً على سر كيس اسقف الارمن في ارزنجان لانه كان ذا حظوة لدى الملوك الهونيين . فافتكر هذا اللثيم ان يفتك به قبل ان يذهب الى مصر . فسار مع بعض اصحابه الى تلك المدينة وبلغه ان الاسقف يحتفل في احد ديورته بعيد الشعانين فترصده في الطريق . ولما عول ذلك الاسقف ليعود الى المدينة يوم الاثنين من اسبوع الآلام وكان ابنه الجليل كذلك معه قال له : يا ابني اذهب انت الى المدينة لاني اريد الذهاب لانتزه في القرية الفلانية وادشن فيها الكنيسة الجديدة .

فاذهب اذن ولا تتأخر ولما افترقا اقبل ثلاثة فرسان اترك ولاقوا الاسقف فانحدروا وقبلوا يده وقالوا له : ان قد وصل سفير يطلبك ويطلب ابنك ليقرأ فرمان الذي معه . فقال لهم الاسقف : ان ابني قد سار الى القرية الفلانية اما انا فهينذا قادم . وما ساروا الا القليل حتى ادركهم مائتا فارس تركي وانصبوا على الاسقف وعلى ثلاثين من القسان والرهبان والشامسة وغيرهم ممن معه وقلعوا هامته ومضوا بها وانقلبوا الى القرية واحاقوا بالكنيسة التي كان فيها ابنه ودخلوها ولم يجدوه وكان قد اختفى في كومة قش هناك . ولما عولوا على الرجوع قال احد اولئك الظلمة الحثا . يجب ان نحرق هذا القش اولاً ثم نرحل فاضرم فيه النار وخرج ذلك المغدور فقال له الاتراك : اين هو ابوك ؟ فقال : قد دخل المدينة . فالتقوا امامه هامة والده وما كاد يبصرها حتى جعل يولول ويبكي وهو منحرف فوقها فاجهزوا عليه كذلك وقطعوه قطعاً قطعاً . وبعد هذا سار بيشار الحثيث في بنيه وعسكره الى مصر .

اما بروانة مدير مملكة بلد الروم فخاف ان يظن المغول بانه محالف للمصريين فاخذ ابنة السلطان ركن الدين ومضى بها الى خدمة ملك الملوك وقال له : بلغني ان المصري مستعد لياتي ويحطفها ولهذا (٥٣٥) بادرت فاحضرتها . فشكره التتر على ذلك . ثم قال لهم : ان ابن الحظير احد امرائنا يريد ان ياخذ الفتى غياث الدين صاحب بلد الروم وينهزم الى مصر . فأعطوني جنداً لاذهب سريعاً واقبض عليه . فسار معه قوتغرتاي اخو ملك الملوك وشاهدوا ابن الحظير والفتى في بقعة اياستين منهزمين الى سورية . ففتك الامير بابن الحظير وسلم الفتى الى بروانة فأجلسه على عرش ابيه . وهكذا حظي بروانة لدى التتر فاحبوه حباً جماً بسبب ما ابدى لهم من الوداد والولاء .

وفي هذا الزمان وفي اعلم الدين يعقوب التاجر النديرا في الكبير من زيارة قوبلاي خان الكبير . وأصله من برقوطة قرية باربيل . ولما كان مسافراً ادركته المنون بارض خراسان . وكان بصحبته السفير اشموط وكان رجلاً عظيماً مكرماً لدى الايفوريين سائراً سيرة الراهبان . فهذا مضى بابنائه الى خدمة اباقا ملك الملوك فاستقبله استقبالاً حسناً ثم نصب مسعوداً المذكور والياً على

الموصل واربيل وتولى تدبيره اشموط .

وفي السنة ١٥٨٧ للميوان (١٢٧٦ م) انهزم ابن الشيخ عدي الثاني من بلد الموصل الى مصر ومعه امرأته التترية .

وفي السنة ١٥٨٨ للميوان (١٢٧٧ م) نوى البندقدار صاحب مصر الشخوص بذاته الى بلد الروم . وقد اشار اليه في ذلك بيشار الشيخ والامراء الذين انهزموا اليه . وما ان شعر لاون ملك قيليقية حتى بعث فاخير زعماء التتر ليكونوا على بصيرة من الامر . اما بروانة فلسب بغضه لملك الارمن او لعدم استقامته مع التتر صرح لهم بان لاون غير صادق في كلامه . اما ملك الارمن فلم يصطبر بل سار الى قلعة الدباب المجاورة (٥٣٦) للتتر . وجعل يرسل الوفود يومياً اليهم ويقول لهم : انهضوا من غفلتكم وتحذروا فان المصري قادم في جيش ضخم . كان بروانة كعادته يكذب الملك ويؤيف قوله مدعياً بانه يروم التحجب اليهم لا غير . وهذا ما حملهم على الانحاض عن قوله . وكان بروانة يولم لهم كل يوم وليمة ويسكرهم حتى يوم الجمعة ١٦ نيسان ١٥٨٨ للميوان (١٢٧٧ م) فانصب المصريين عليهم وشاهدوهم سكري مضطربين لا يكاد يقدر الواحد منهم ان يركب حصانه . وبنا ان شريعتهم لا تبيح لهم ان ينهزموا دون ان يلاقوا العدو فقد ناوشوا المصريين وانكسروا وقتل في تلك المعركة زعيان تترين احدهما طوغو وثانيهما توزان بهادر البطل . وكان مع التتر ثلاثة آلاف من الكرج فوقفوا يحاربون وقتل منهم الفان وتحلف الف واحد . وقتل من المصريين خلق كثير . ومن المغول خمسة آلاف . اما بروانة فلما رأى انكسار التتر هرب مع السلطان الى قلعة دوقية . وسار البندقدار صاحب مصر وخيم بجانب قيسارية في موضع يقال له كيقوباد وبقي هناك خمسة عشر يوماً . ودخل قيسارية يوماً وجلس على عرش السلطان ولم يؤذ احدًا وانما كان جنوده يشترون ما يلزمهم مشتري حتى العلف لدوابهم . وكان يقول لهم : ما جئت لآخرب البلد لكن لافك صاحبه من عبودية التتر . واما اباقا ملك الملوك فحينما وصلت اليه الاخبار جمع العساكر وقصد التوجه بنفسه الى بلد الروم . ولما عرف البندقدار انه لا يمكنه مقاومته ارتحل عن بلد الروم واخذ معه

العجوز ام بروانة (٦٣٧) وابنه الكبير صهر ملك الارمن . وعند خروجه اجهز على نصارى مدينة رومان اذ قيل له ان التتر يستعينون باهاليها عند قدومهم الى سورية .

ولما وصل ملك الملوك الى بلد الروم لم يشاهد احداً من المصريين وانما شاهد التتر كان منهزمين الى سورية فاغار عليهم وفتك بهم وسبي اهلهم . وساق الطمع بعض التتر فقتلوا وسبوا ونهبوا الكثيرين من المسيحيين مع ان الحان سبق فامرهم ان لا يتعدوا عليهم . وكان اولئك النصارى قد اخفوا لديهم كثيرين من التتر المنهزمين من وجه المصريين وقدموا لهم الطعام ، على ان الحان رفع كتاباً الى احد الرهبان وامره ان يطوف المعسكر ويبحث عن الاسرى النصارى ويمتقهم . وظلوا على ذلك حتى جال ملك الماوك جبال قبدوقية وعاد الى اقشا دربند ثانية .

ولما قدم بروانة الى ملك الملوك ظل يتحفي به ويكرمه ثم اخذه معه كأنه يريد ان يشاوره في مسألة بلد الروم وكم يلزم ذلك من الجند وكم من الفرق ينبغي ان تبقى هناك لمقاومة المصريين اذا زحفوا ثانية . ولما وصل الحان الى جبل الاطاغ بارمينية اولم وليمة لبروانة وسقاه كثيراً من ابن الخيل لانه ما كان يشرب خمراً ولما خرج ليريق مائه اشار اباقا الى حاملي الاسلحة فقطعوه قطعاً قطعاً يوم الاثنين ٢ آب من السنة المذكورة وهي السنة ٦٧٥ للعرب (١٢٧٦ م) وهكذا قتل مثلما قتل هو السلطان ركن الدين . وصح فيه القول : ان القاتل يقتل ولا يحسب دمه . قيل ان التتر لما جردوا عليه السيوف لم يجزع ولم يهاع بل جعل يشتمهم ويقول : أهذا جزائي منكم وجزاء كل (٥٣٨) من يحبكم ؟

اما البندقدار فقبل وصوله الى دمشق ادركه قضا، الله العليّ قرب حماة وعاجلته المنون واضمحلّت افكاره الغامضة المتعمدة الثورة والحصام. فقد تنطرس كل التنطرس حتى كاد يقول مع فرعون القديم : ان لي نهر النيل وانا خلقتة ! قيل انه في محاربتة التتر اصابه سهم في وركه وظلّ النصل اياماً كثيرة ولما اذن للجراح ان يخرجّه فارق الحياة . وخلفه ابنه في مصر واقام صاحب حماة

مدبراً لسورية باجمعها . وتأكد لنا بعد ذلك ان خازنه خلط ممماً قتالاً في حليب الخيل وسقاه . وعندما أحس الوجع أمر فسقوا الخازن كذلك و-اتا كلاهما معاً . وقد حدث في تلك الحرب ما يستحق الذكر وهو ان التتر لما انكسروا وسقط قتالهم على الارض أمر البندقدار اخا ابن الخطير الصغير وكان منزهماً معه ان يطوف على القتلى ويبحث عن فيهم من المشاهير لكي يتباهى به لدى المصريين . وما ان مر ذلك الرجل بين القتلى وجعل يقلب وجوههم ليعرفهم حتى شاهد بينهم تقريباً ساقطاً وفيه رمق ينتظر الليل لينهزم . فلما رأى التتري ابن الخطير يفلي القتلى غلب على ظنه انه يروم الاجهاز علي من لم يمت فاخذ قوسه واخرج سهماً من جعبته وصوبه نحوه بكل دقة فأصاب جبينه وانفمس النصل في مخه . وظن الذين كانوا معه ان سهماً هبط من السماء عليه فحملوه ومضوا به الى البندقدار فأت لساعته .

ويوم الخميس ١٧ حزيران (٥٣٩) من تلك السنة كمن الاكراد الملاعين في جبل الغاف وقبضوا على عشرة رهبان من دير مار متى ونكلوا بهم . وقتكوا باحدهم المدعو ماصوتا وباعوا النسمة بأربعة آلاف درهم . وفي السنة ٥٨٩ لليونان (١٢٧٨ م) ارسل الملك لاون فاستدعى ابنته كنة بروانة اليه لان زوجها نُقل الى مصر كما ذكرنا .

وفي هذه السنة حدث شتاء قاسٍ وبرد شديد في اذربيجان وفي ارمينية الكبرى حتى حدود سقوتيه وهلك خيل اصحاب الخيام وبقرهم وقطيعهم . وقل الزاد حتى بيع مائة من من الحنطة اعني حملاً صغيراً من حمل الحمار بأربعين ديناراً ركنياً في موجان .

وفي هذا الشتاء تشبث الفافا الفارسي الذي عزل المسعود بن قوطي من ولاية الموصل فاستدعى شهود زور شهدوا على اشموط وعلى مسعود ودفع رشوة الى القضاة فحكموا له وقضوا على اولئك النصاري وعزلوهم وملكوا الفافا . وفي صيف هذه السنة احتشد التتركان والبدر والاكراذ الذين في سورية وزحفوا الى قيليقية ووصلوا الى تل حمدون وعاثوا في تلك الاطراف وغنموا غنائم وافرة وانقلبوا عائدتين .

وفي السنة ١٥٩٠ لليونان (١٢٧٩ م) سمت الملكة قوتلي خاتون الكبيرة ان يحتفل المسيحيون بعيد الدنح (الظهور) ويخرجوا الى النهر ويتبركوا بالماء . وكانت تلك العادة قد ألغيت بسبب فتنة اثارها العرب . فاقبلت الملكة الى سراغة على رغم البرد القارس وأمرت المسيحيين ان يخرجوا كعادتهم في صلبان معلقة برؤوس الارماح . ولما خرجوا افتقدتهم النعمة الالهية فاحمدت شدة البرد واخضر العشب (٥٤٠) وانقلب الشتاء ربيعاً مما ابهج المغول جداً برعي مواشيهم والنصارى بانتصار ايمانهم .

وفي هذا الشتاء زحف الى بلد شيراز زهاء خمسة آلاف من التتر الخوارج كانوا منهزمين ومختفين في اطراف الهند وقد اتلفوا ذلك البلد وفتحوا بالكثيرين من اهاليه ولكنهم لم يقدروا ان يدخلوا المدينة بل بطشوا بن خرج لمبارزتهم ولم يفلت منهم الا القليلون . ثم ان قطاع الطرق في شيراز تصدوا لاصحاب الاموال وسلبوهم بضائعهم . ولما بلغ ذلك ملك الملوك زحف اليهم وادركهم واهلك اغلبهم بحد السيف .

وكان في بغداد جندي شرير وقع ناهضاً بخدمه الحاكم اعتاد ان يفترى على الكثيرين ويفتض نساءهم . وكان يستهزئ باقطاب الحكومة على سبيل المزاح وفيما كان الحاكم ذات يوم خارجاً يتصيد قبض احد الاقطاب على ذلك الجندي العاتي ونصب له مشنقة على عجلة وسمر يديه ورجليه فطافوا به هكذا في شوارع بغداد وثقبوا لسانه بمسكتين ثم قام احد الشبان وراء العجلة وجعل يكش الذباب عن وجهه ويشتمه قائلاً : هذا عقاب من يستهزئ بالاعيان والوجهاء . ثم مضوا به الى نهر دجلة وحزوا هامته وعلقوها فوق الجسر واحرقوا جثته بالنار . وقد اتعظ الكثيرون من الاشرار بهلاكه . وكانوا قد طافوا به ليلاً في الشوارع والمشعوذون ماشين امامه يضرعون بالدفوف ويرقصون ساخرين به .

ويوم الجمعة ١٩ ايار من هذه السنة انقض الجيش المصري على قلعة الروم في تسعة آلاف راكب واربعة آلاف راجل وعلى رأسهم الامير باساري وعلى رأس الجيش السوري حسام الدين العيتابي وحلوا عند نهر (٥٤١) فرزمان

وأرسلوا سفيرين احدهما عربي وثانيها ارمني وقالوا للجاثليق : ان السلطان يأمرك ان تسلم القلعة بالامان وتذهب برهبانك الى اورشليم وتستقر فيها فيعطيك هناك قري كافية لحاجتك . والا فاذا أبيت ذلك واحببت الذهاب الى قيليقية فهو مستعد ان يبعثكم مكرمين مع بغال وخيل . واذا تمتت ورفضت ذلك فدماء المسيحيين اجمع يطلبها الله سبحانه منك .

اما الجاثليق فقال لها : اني اكافح حتى الموت ولن اخون الله تعالى والملك . وعند ذلك طاف المصريون ليلتهم كلها في الحدائق وقطعوا الاشجار وهياوا السلام وصوبوا القتال صباح السبت نحو المدينة وهزموا الارمن المحاربين في السور الجديد الذي ابتدوه . ثم وضعوا السلام ودخلوا المدينة المذكورة وانتهبوها واحرقوا جميع دورها ولم يجدوا فيها احداً لان اهلها قاطبة كانوا هارين . وظلوا خمسة ايام ينهبون ويعيثون ويمجرون ثم ارتحلوا عن المدينة واكلوا غلاتها واكتسحوا كرومها واشجارها وحطموا حجار ارحبتها واقتلعوا قدور حماماتها ونقلوها الى حلب .

ولما كان المصريون في قلعة الروم ارسل ابن قرمان التركاني من بلد الروم الى صاحب مصر ليوجه اليه العساكر كي يجهدوا له السبل للدخول الى سورية اذ كان متخوفاً من جنود التتر ومن ملك الارمن . فارسل صاحب مصر الى الملك لاون كي يفتح الطريق للامير بيساري فيذهب ويحضر ابن قرمان . فوافق الملك بشرط ان لا يمرّوا الا في الاطراف من بلده فانجزوا طلبه ومرّوا بالجبال واخذوا ابن قرمان من قيسارية وانقلبوا راجعين . وعند عودتهم انتهى الامير بيساري ان ينتقض على مولاة فاستحلف العساكر (٥٤٢) ودخل بلد قيليقية واقام خمسة عشر يوماً يسي وينهب . وقضى عشرة ايام في عين زربة وألحق اضراراً جسيمة بالاهالي المنهزمين . ولو أطال الاقامة هناك لاحتل المدينة . غير ان الله تعالى كفه عن ذلك . فتوجه الى دير الباقسماط واحرقه باجمعه واحرق كذلك دير الرّبان قوما ولم يصل الى دير كويخات . وما ان وصل الى سورية حتى انجلت الدسيمة لصاحب مصر ابن البندقدار فبرز حالاً من دمشق وانطلق الى مصر وجعل يمشد الجنود . فتخوف بيساري ومن معه وتفرقوا شذر مذر

وانهزم وحده الى اورشليم ولاذ برواق سليمان وحلق شعر راسه واذى التوبة على ذنبه .

اما ابن البندقدار فلما رأى ما وقع من الخلاف بين عساكره توجه الى قلعة الكرك واستقال من الممكلة . فاجتمع الاقطاب وحالفوا اخاه الصغير وبايعوه بعرش مصر واكنه لم يفلح . لان الامير ألفي انتقض عليه وغزله ومملك مكانه .

وفي هذا الصيف انهزم ابن السلطان عز الدين صاحب بلد الروم من برقة وتوجه نحو اباقا فرحب به ترحيباً حيباً واراد ان يملكه نصف بلد الروم لكن الاقطاب لم يوافقوه محتجين بانه ان تم ذلك يزداد الحصار بينه وبين ابن عمه . فقرروا ان يؤدوا له نصف دخل البلاد دون ان يكون له امر ما . فارتضى بذلك على كره منه .

وفي السنة ١٥٩١ لليونان (١٢٨٠م) توجه اشموط الامير الايغوري ومسهود بن قوطي يريدان اباقا ملك الملوك وعرضوا عليه ان القضاة المرسلين مع فافا الفارسي قد ارتشوا (٥٥٣) . فامر ابن اخيه وصهره ان يتوليا القضية ويطلعا على الحقيقة . وظللا شهرا كاملا حتى حكما على الفافا وعلى القضاة الاولين الذين اقرؤا بما اخذوه منه رشوة . فصدر الامر وقلق رأس الفافا يوم الخميس ٨ آب من السنة المذكورة ونقل الى الموصل . وتولى مدينتي الموصل واربيل حكام مسيحيون كالسابق واشتهروا شهرة واسعة .

وصدر الامر كذلك بقتل جلال الدين توران الفارسي الذي من بلد كوتان لانه دافع عن فافا ولم يردعه عن وقاحته .

وانهزم يومئذ الى سورية الامير بدر الكرد في اهله . وتتبعه التتر حراس الطرق ولم يسدركوه . اما سنقور اشقر وكان في دمشق فلم ير ان يتولى ألفي على مصر فحشد الجنود ونازله فانكسر سنقور وانهزم الى رجوت يريد الامير عيسى البدوي واتفقا معاً فوجه سفيراً الى اباقا ملك الملوك ليرسل الجيوش لمحاربة ألفي . فرحفوا الى سورية وخافهم مسعود ولم يطمئن اليهم وانهزم الى قلعة صهيون ولاذ بها . ووصل التتر الى حلب واجهزوا على كل من

صادفوه واحرقوا الابنية وانقلبوا . واختفى الكثيرون في المغاور فنجوا من القتل . وكان قدوم التتر هذا الى سورية في شتا . السنة ١٥٩٢ للمليونان (١٢٨١ م) يقودهم قونغرتاي اخو اباقا الاصغر .

وعلى اثر عودة التتر من حلب احتشد سبعة الاف فارس من المصريين وتوجهوا الى قلعة مرقب (٥٤٤) بساحل البحر . وما ان شعر الاخوة الدواوية اصحاب القلعة بقدومهم حتى برز مائتا فارس وخمسةائة راجل ليلاً وكنوا في الحفاضة القريبة والمحدروا من خيلهم وجعلوا ينصبون خيامهم فوثب اليهم المصريون وفتكوا باغلبهم ولم يفلت الا القليلون منهم .

وفي صيف هذه السنة ثار العجم اصحاب جلال الدين توران وفافا على مسعود بن قوطي مدعين انه انتهب من خزانة جلال الدين ذهباً وافرأ وحجارة كريمة . فقبضوا عليه وذكّلوا به تنكيلاً شديداً حتى كتب لهم بخمسين ريوه من الدنانير . اما سُميدات ابن عمه فقد حُكِموا عليه بالقتل . ومات تحت الضرب ابن سمنية العربي الموصلي المساعد لمسعود . وقتل كذلك ابو بكر الامير الكردي الذي ظلّ اعواماً في جبال آثور يقاوم الحكومة وكان قد ذهب به مسعود وصالحه مع الاردو . وقتل معه ثمانية من اصحابه . وقس عليهم ابن الشيخ عدي الكبير الذي انهزم الى سورية فلما رجع وذهب الى الاردو ودافع عن سبب هزيمته فُضي عليه بالقتل كذلك . ثم سار الجنود المغول بمسعود الى الموصل ليؤدّي الذهب فكث معهم اياماً ثم فر ليلاً واختفى .

وفي خريف السنة ١٥٩٣ للمليونان (١٢٨٢ م) زحف التتر كذلك الى سورية وعددهم خمس روات وعلى رأسهم مونكاتيمور شقيق ملك الملوك المحبوب . وحشد كذلك لاون ملك قيليقية جيوشه وسار الى نجدته . واحتشد جنود مصر وسورية وعلى رأسهم ألفي منقور اشقر وقد اتفقا واصطلحا . واصطدم التتر والمصريون ما بين حماة وحمص يوم الخميس ٣١ تشرين الاول من السنة المذكورة وتقوى جانب (٥٤٥) التتر على جانب المصريين . ولما كادوا ينتصرون نصره تامة خرج عليهم كمين العرب التغلبين من ميسرتهم . فتوهم للتتر ان عساكر الاعداء قد احاطت بهم من قدامهم ومن خلفهم فانقلب اصحاب القلب مع

اهل الميسرة لينهزموا . اما اصحاب الميسنة وهم من التتر الاورانيين ومعهم خمسة آلاف من الكرج وملك الارمن وجنوده ولم يشعروا بالكسب وانما كسروا المصريين الذين في مقابلتهم وساقوا خلفهم حتى باب حمص وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . وما عثم ان وصل اليهم الحذر بهزيمة اصحابهم فرجعوا هم كذلك وفي رجعتهم صادفوا جماعة من عسكر المصريين الذين عادوا بعد هزيمة التتر . وتخوف الجانبان احدهما من صاحبه والتحم القتال ما بينهما حتى اقصى كل منها الى تاحيته . وهكذا اقبل جانب التتر في غنيمة كثيرة من النقود المصرية والبغال والآتية . اما جانب الميسرة والقلب فقد القوا عنهم ادواتهم وسار اغلبهم راجلين وقد نهكهم الجوع والعطش . ورجع جانب الميسنة والقلب من المصريين الى دمشق في غنيمة وافرة اختلسوها من التتر . ولم ينج من ميسرتهم الا القليل في حالة يرثى لها . ولولا قدوم اباقا الى سواحل الفرات وعودته الى بغداد لغضى التتر على المصريين القضا . المبرم .

وفي شتا . تلك السنة حدث غلا شديد ازعج اهالي اثور وبغداد وكان سببه عودة الجنود التتر من سورية . وحدث كذلك برد قارس وانحدر في الموصل تلج كثير خارق العادة .

وبعد ما حصل ما حصل بين المغول والمصريين احتشد لصوص المعديين والتركان والاكراد وزحفوا الى قيليقية ووصلوا الى (٥٤٦) اياس واحرقوها وغزوها . ولم يشاهدوا فيها احداً من اهاليها اذ كانوا قد انهزموا جميعاً الى البحر ولاذوا بالقلعة الجديدة التي ابنتوها هناك . وبعد ما انتهب اللصوص ما انتهبوا عادوا ثانية وثالثة ورابعة ودخلوا البلد في اسبوع نينوى من السنة ١٥٩٣ لليونان (١٢٨٢م) ووصلوا الى تل حمدون واحتوا على غنيمة وافرة . ولما رجعوا أغلق الارمن دونهم الثغور واجهزوا عليهم قاطبة ونهبوا أسلحتهم وسلخوا جلود رؤوسهم وحملوا محميات وافرة من السيوف والحراب والسلاح وجلود الرؤوس في شعرها وبعثوا بها جميعاً الى ملك الملوك .

وبعد ايام قليلة حشد حيدر حاكم قلعة البيرة الفي فارس واحتل حصن زياد . وانهزم جمهور من النصارى واحتسوا بمسجد العرب الكبير فنجوا من

القائلة . واعتصم بعضهم في مكان يقال له العمود فتعذر على الاصوص مناوشتهم لان ذلك المكان يشبه مخاضة لا سيل الى العبور فيها . غير ان اولئك الملاعين سرقوا زهاء اربعة آلاف من النساء . والفتيان ومرّوا بالفرات تجاء ملطية وغزوا ضواحيها . وشاهدوا في عرقة جماهير من المسيحيين فاستاقوهم اسرى وانطلقوا الى سورية .

اما مونكاتمور فبعد عودته من سورية توجه الى بغداد وزار اباقا مبدياً اسفه الشديد على انكساره وعول على العودة الى سورية تكراراً . ولما وصل الى جزيرة قردو زاره الصفي قرقوبي واشتكى على حاكم المدينة مما افضى بمونكاتمور ان يعامل الاهالي معاملة فظة . فحقدوا عليه واتفقوا سرّاً مع احد سُقاة الحمام فسقاه سمّاً هناك اُثر في جسمه فانقل من الجزيرة الى نصيبين . ولما استيقن ولاة (٥٤٧) الجزيرة بان خيط حياته قد قطع قبضوا على الصفي قرقوبي وعلى ابنه وحاجبه وطاقوا بهم عرأة في اسواق المدينة وقتلوهم شرّاً قتلة .

اما اباقا ملك الملوك فارتحل من بغداد الى همدان وذهب يوم احد القيامة ١٥٩٣ لليونان (١٢٨٢ م) الى الكنيسة واستبح في الصيد مع المسيحيين . وفي الغد أولم له شخص فارسي اسمه بهنام وليمة عظيمة في داره . وليلة الثلاثاء تغير مزاجه وصار يرى خيالات في الهواء . وصباح الاربعاء اول نيسان و ٢٠ في ذي القعدة انتقل من هذا العالم . ويوم الاحد ٢٦ نيسان و ١٦ محرّم انتقل كذلك أخوه مونكاتمور الى بلد الجزيرة . على ان الاقطاب بعد وفاة آباقا ارسلوا اليه سفيراً يخبره بوفاة اخيه ويقول له ان يعدل عن الذهاب الى سورية . فكان ما كان من امر وفاته ووفاة اخيه ملك الملوك دون ان يشعر الواحد بوفاة الآخر .

وبعد ايام وجيزة زحف ستة آلاف فارس من سورية وعبروا الفرات ووصلوا الى جزيرة قردو . وخرج هومين صاحبها ليناوشهم فقبضوا عليه وذهبوا به الى مصر معتقلاً . وهلع اهالي بلد الموصل وانهمزوا جميعاً الى دير مار متى وتقبلوا في ضيق شديد وانتابهم الوباء . فأت ثلاثون راهباً من الجملة .

وفي تلك الغضون نهض مجد الملك الكاتب الفارسي الجسور ورافع علاء الدين

صاحب ديوان بغداد مدّعياً بأنه سرق من مال الدولة كميّة وافرة فالقي القبض عليه وخسر كلّ امواله حتى اضطر ان يبيع اولاده الصغار من التجار . ولما كان في تلك الحال الضيقة توفي اباقا وخلفه احمد فاصدر الامر بقتل مجد الملك الجسور . وبعد قليل مات علا . الدين كذلك .

بعد اباقا تكودار اخوه الذي سُمّي احمد

لما انتقل اباقا ملك الملوك من هذا العالم اجتمع ابناء الملوك قاطبةً والامراء . واتفقوا على ان احمد بن هولان الذي ولدته فوتي خاتون الملكة الكبيرة يتولى مملكة المغول في المغرب لانه جدير بها وهو اكبر اخوته . ولما جلس على عرش المملكة يوم الاحد ٢١ حزيران ١٥٩٣ لليونان (١٢٨٢ م) أبدى عطفاً جزيلاً وكرماً وافراً . وفتح خزائن ابيه وأخيه ووزع من الذهب والفضة مبالغ طائلة على الاخوة والامراء . والمساكين . وظهر الاحسان والشفقة لجميع الاهالي ولا سيما لرؤساء الاديان المسيحية . وكتب الفرامين باعفاء الكنائس والاديار والقسوس والرهبان من الضرائب والخراج في كل قطر وناحية . ووجه الشيخ اتابك صاحب بلد الروم وقطاب الدين شيرازجي حاكم بسطية وشمس الدين بن تيتي وزير صاحب ماردن الى صاحب مضر يقول : طبقاً لامره تعالى ووفقاً لشريعة ابينا جنكرخان قد توليت مملكة المغول . وقد دعاني الله جل وعز الى الصلح والسلام فاروم ان يعيش كل في بلده عيشة هادئة هنيئة وان تلغى الحروب والمعارك في كل الارض . فاذا وافقتم على ذلك وجب ان تحضوا الامان والخضوع واذا تماديتم في العدوان فالله تعالى يطالبكم بدماء المظالمين . وقد وافق صاحب مصر على المودعة وابطال الحروب بشرط ان تكون الموصل لابن بدد الدين وان يؤدي للمغول مثلما يؤدي غيرهم وقس على ذلك بغداد وسنجار .

ولما عاد اوثك السفراء . واخبروا بما قيل لهم وجه ملك الملوك الشيخ عبد الرحمان الى المصريين ليؤيد (٥٤٩) الصلح وما برح مقيماً هناك . وقد فتحت الطارق واخذ التجار يسافرون من بغداد والموصل والعجم الى سورية

ومن سورية ومصر الى بلاد التتر دون ادنى اذى .

على ان عبد الرحمان لما تهيأ للسفر الى سورية اخذ معه كمية وافرة من خزائن الدولة المغولية كالحجار الكريمة والدرر العجيبة والذهب والفضة والانية والاقشة المنسوجة بالذهب . وغادر الطاق الى تبريز واقام بها نحو شهر وجمع اليه الصناع والصيّغ والحياطين وغيرهم واعد كل ما يجدر بالملوك ومن هناك سافر الى الموصل وارسل فاستحضر من بغداد كذلك ريوّة من الذهب وتوجه الى ماردين وهناك لقبه سفير السلطان الفتي صاحب مصر وقال له : ان السلطان يقرئك السلام ويقول : قد مضى علي زمن مديد وانا مقيم في دمشق انتظر قدومك لاشاهدك واتم رغبتك واعد الى مضر لان هذه الارض لا تحتل بالجيوش الوافرة التي معي . فارجو ان لا تتأخر .

فارسل اليه عبد الرحمن يقول : اني مستعد للقدوم فارغب ان توصي عبيدك كي يوصلوني الى بلدك مكرماً وان لا يسافروا ليلاً كما جرى للسفراء الذين اقبلوا اليك قبلي . فارسل اليه السلطان يقول : انك كبير لدينا ومقامك عندنا غير مقام اولئك . فطلب نفساً وهلم اليها مطمئناً كما تشاء . فوثق الشيخ عبد الرحمان بكلام السلطان وبعث في طلب الجيش التتري الذي يحرس طرق آمد فركبوا معه ثم ان الملك المظفر صاحب ماردين وجه معه كذلك شمس الدين ابن تيتي بمثابة سفير وكان هذا رجلاً عظيماً مشهوراً وسير معه كذلك المساكر لينهضوا بنجدة الشيخ حتى الفرات ويعودوا . فارتحل الشيخ من ماردين في شوال ٦٨٢ للعرب (١٢٨٣ م) وبوصوله الى حران لاقاه امير من قبل صاحب مصر وتوقف (٥٥٠) الشيخ ينتظر الامير ليتزل عن حصانه ويأتي راجلاً ليسانام عليه ويقبل يده كالعادة لكن الامير ظل راكباً وحيأه بالسلام ثم قال للشيخ : لا حاجة ان يأتي معك هولاء التتر فترهم ان يعودوا . فأذن لهم الشيخ في ذلك . وبعد هذا مضى امير بالشيخ ومن معه وسار في طريق البيرة وهو يقول : اننا قد اعدنا لك مكاناً للتزل في موضع آخر . ولما وصلوا الى ساحل الفرات قال له الامير : اننا قد مددنا الحيام في الناحية المقابلة . فقال له الشيخ : اننا نازلون حيثما نزلون .

اما الماردينيون الذين قدموا في خدمة الشيخ فعولوا على الرجوع طبقاً لامر مولاهم . لكن الامير ابي ذلك وقال لهم : ان سلطاننا امر ان تصلوا الى حلب . فصبوا الفرات على كره منهم وحلوا هناك جميعاً وأعدّ الامير اطعمة وافرة للشيخ وحاشيته جميعاً . وبعد ما تمشوا واستراحوا وناموا نحو ساعة او اكثر ركب الامير ومن معه وارسل يقول للشيخ ان يركب كذلك فأبي وقال : لست اركب الا بعد بزوغ الشمس : فقال له الامير : ان السلطان امرني ان اسفرك ليلاً شئت ام ابيت . فسخط الشيخ وقال له : لست اسافر في الليل ولو قتلتني . فقال الامير : لن اقتلك لكنني اعتقلك واسفرك . عرف الشيخ انهم يحاولون النيل من كرامته فنهض وركب وساروا الليل كله وتزلوا وقت الفجر العميق خارجاً عن الطريق بعيداً عن السكن . ولما وصلوا ليلاً الى حلب اتزلوا الشيخ في احدى المدارس ووردتهم الامر من الفتي ان يدفعوا الكل من الماردينيين الذين قدموا في خدمة الشيخ مائتي درهم ويعيدوهم الى بلدهم . وان يحتفظوا بالشيخ واصحابه وبالامير المغولي الذي معه وبشمس الدين سفير صاحب ماردن ويأتوا بهم (٥٥١) الى دمشق ليلاً وبعد ما امرهم بذلك غادر دمشق الى مصر ولم ينتظر الشيخ .

ولما وصل الشيخ الى دمشق مضوا به الى القلعة وسجنوه في غرفة واحدة وسجنوا سفير ماردن في غرفة ثانية ، وجعلوا اكل اثنين من حشمة غرفة واحدة . اما الفتي ابن الامير المغولي وابن مجد الملك فجعلوهما في خدمة كبير الامراء واخذوا يركبون مع الامير ويحملون سلاحه . ونهوا على الاطلاق السؤال عن الشيخ عبد الرحمان وقد انطوى خبره حتى يومنا هذا اذ مر على ذلك سنة كاملة .

وبعد سفر الشيخ عبد الرحمان الى سورية قيل للملك احمد ان لآخيه قونغراتي صلة مع ارغون بن اباقا وانه مستعد ان يهجم ليلاً وانت راقد في خيمتك ويفتك بك . فخاف احمد وسارع فاورثق قونغراتي وقتله . ولما بلغ الخبر ارغون بقتل عمه حزن جداً وتغير قلبه على احمد . فشر احمد بتغيير قاب ارغون عليه وسير اليناخ القائد في جيش كثيف للقبض عليه . فسار الى خراسان وانهمز

ارغون من قدامه . فأهمل اليناخ أمره وانغمض عن القتال واشتغل بالاكل والشرب والسكر . وفي بعض الليالي هجم ارغون على عسكر اليناخ وقتل منهم خلقاً كثيراً وانهمز اليناخ مع نفرٍ قليل .

ولما أخبر احمد بذلك الحادث السيء، سار الى جميع البلاد وحشد عساكر المغول والاكراد والمعجم والكرج وسار الى خراسان يريد ارغون . فلما رأى ارغون انه عاجز عن المقاومة قصد احد الحصون ومعه ثلاثمائة من خيار الفرسان وجعل ينتقل من مكان الى مكان اذ لم يرَ ان يقيم (٥٥٢) في مكان واحد وهو يقول : ان كل محاصر مأخوذ . وخاف ان يذهب الى طاعة احمد . فبينما هو كذلك اذا بالامير بوغا الذي كان محبوباً عند والده اباقا تقدم الى احمد وقال له : ان وعدتني بان لا تؤذي ارغون فانا امضي اليه واحضره اليك . فعاهده احمد كعادة المغول وقال : ان جاء الي ارغون فلن اؤذيه اصلاً . فسارع بوغا الى الحصن وخاطب ارغون وجاء به الى احمد ففرح به جداً وعمل له المآذب والافراح ثلاثة أيام . وفي اليوم الثالث تغير قلبه عليه واقام اليناخ وجماعته ليحرسوه وقال لهم : اني متوجه الى زيارة امي قوتلي خاتون في اذربيجان فاحتاطوا انتم بارغون لئلا يهرب واهلوا به الى حيث اكون . وفي تلك الليلة كشف سره لبعض الاكابر وقال لهم : ان لم اهلك ارغون وسائر اولاد الملوك فلن تنتظم لي السلطنة . وعند الصباح ارتحل واوصى ان يصحبوا اليه ارغون قليلاً قليلاً .

اما الامير بوغا فلما تحقق له الامر وعرف نية احمد وانه مزمع ان يهلك ابناء الملوك قاطبة دفعته الحماسة فطاف عليهم واخبرهم بالامر فنهضوا ليلاً وقصدوا مكان ارغون واخرجوه وألبسوه الدرع ودفعوا له السلاح واركبوه حصاناً . وساروا جميعاً الى الموضع الذي كان فيه اليناخ راقدًا وقتلوه في خيمته وقتلوا معه جميع الاكابر واصحابه ونادى المنادون في معسكر المغول : ان ابناء الملوك قتلوا اليناخ واصحابه فيجب ان يقيم كل واحد في مكانه ولا يتحرك ولا يخف . وعند الصباح ارسلوا فاستدعوا المغول القراوونس المخالفين (٥٥٣) ل احمد وتبعوه جميعاً حتى ادركوه عند امه فقبضوا عليه واوثقوه واحتفظوا به ونهبوا

اردوا امه ونسائه . ولما وصل ارغون وسائر اولاد الملوك اتفقوا ان يملكوه عليهم خلفاً لابيه اباقا وقرروا ان يعزلوا احمد لانه لا يصلح للسياسة . ولما كان المغول منهمكين في القتال مع بعضهم اغتتم الفي صاحب مصر تلك الفرصة فسار القائد حيدر في ثلاثة آلاف فارس الى بلد شيكتان ليقبضوا على ابن اشكان القائد الارمني المغوار ويجملوه في قفص ويذهبوا به اليه حياً ، ذلك لانه كان يؤذي عرب سورية . فعبروا الفرات وحلوا عند قلعة تينا وهي للارمن . وقد أصيب حيدر بسهم في المعركة الاولى فاتزعج اصحابه وتركوا القلعة وفرّوا الى سورية . هكذا انتقم العدل الالهي من حيدر الذي بالغ في نهب المسيحيين وأخرب ضواحي ملطية وحصن زياد . وتم ذلك في صيف السنة ١٥٩٥ لليونان (١٢٨٤ م) .

بعد تكودار الذي سمي احمد ارغون بن اباقا

تبعاً ارغون عرش مملكة التتار يوم الاربعاء غرة جمادى الاولى ٦٨٣ للهجرة اعني ٢٦ تموز ١٥٩٥ لليونان (١٢٨٤ م) وانتهت مملكة احمد واتفق اغلب امراء المغول على قتله . غير ان ارغون لم ير ان يشاركهم في ذلك وقال ان ام قونغراتي واولادها اعرف به فالذي يتوحدون ان يفعلوه به فليفعلوه . وظل احمد اياماً مخفياً حتى قتله اولاد قونغراتي وانتقموا منه . وتم ذلك يوم الاربعاء ثاني جمادى الآخرة و١٦ آب من هذه السنة . ولما استقام الأمر لارغون رتب لكل من اولاد الملوك بلداً من بلاده (٥٥٤) كبغداد ومازندران وآثور وخراسان وبلد الروم . وخافه الناس جميعاً ولا سيما اهالي سورية . قيل انه لما بلغ سورية الحبر ارتفعت اجرة الجمل من حلب الى حماة الى اربعمائة درهم اذ كانوا باجمعهم ينهزمون الى مصر . ثم ان الملك ارغون اقام مسود بن قوطي ملكاً على الموصل ونواحيها فابتهج النصارى قاطبةً . غير انهم تأسفوا على الامير اشموط الراهب الايفوري . ذلك لان اولاد جلال الدين توران فتكوا به يوم قدوم ارغون الى زيارة احمد كأنهم يريدون ان يأخذوا بثار ابيهم .

مقتل شمس الدين صاحب الديوان

كان شمس الدين صاحب الديوان سبباً لحدوث النزاع بين ارغون واحمد . اذ قيل لارغون انه هو الذي سقى اباك السم وقتله . بناء عليه جعل يرسل الوفود الى احمد ويطالبه به فلم يسلمه اليه . فطلب في ظن ارغون ان احمد اختار موت والده اباقا ليخلفه في مكانه . فلما فشل احمد وتمزق ارغون انهزم شمس الدين الى جبال ماري واحتمى بالاكراة اللوريين وكان كبيرهم يوسف شاه وهذا لما عرف ان ارغون توطن في عرش المملكة وافي الى خدمته واحتضني لديه ولا سيما لانه وعده باحضار صاحب الديوان الى عبوديته . وبعد هذا انطلق وأتى به الى ارغون وقدم له هدايا وافرة بلغت نحو مائة ربوة من الدنانير ذهباً ثم عرضوا عليه ان لا يهرق دمه . فطلب مهلة لبيع املاكه ويؤدي مبلغاً او فر . و اشار عليه الزعماء ان يستقرض تلك الكمية ويقدمها ويعود فيتولى املاكه . حينئذ جعل يستقرض من أنسابه واهله وعبيده وأصدقائه حتى جمع اربعين ربوة وقال : لست اقدر ان احصل على اكثر من هذا (٥٥٥) وما ترون ان تفعلوه فافعلوه . فبرز الامر من ارغون بقتله وعلقوه بيديه ورجليه وألقوه ثلاث مرات على الحضيض ورفسوه باحذيتهم حتى كلوا . ثم فلقوا هامته يوم الثلاثاء خامس شعبان ٦٨٣ للهجرة اعني ١٧ تشرين الاول ١٥٩٦ لليونان (١٢٨٥ م) . تلك كانت عاقبة ذلك الرجل المهيب الداهية الذي كانت دولة المغول معاقبةً بخصره . وكان ذا عقل وخبرة كاملاً متقناً لكثير من الحكم والعلوم .

اما اخوه علاء الدين الذي تولى بغداد وتوفي قبل سنتين تقريباً في موجان ونقل الى تبريز ودُفن فيها فقد كان كذلك متضلماً من العلوم خبيراً بالشعر وصنف تاريخاً عجيباً في الفارسية ذكر فيه اخبار الدول الملجوقية . والحوارزمية والاسميلية والمغولية : وقد نقلنا عنه ما اثبتناه عنها في كتابنا هذا .

وفي السنة المذكورة مات كذلك السلطان غياث الدين بن ركن الدين صاحب بلد الروم . وكان قد قصد القدوم الى الاردن ليشكو اليه السلطان

مسعود ابن عمه . وبيبلوغه الى ارزنجان سقاء الزعما . سماً وقضوا عليه لانه كان مشوش العقل ومتقلباً في عيش بذخ .

وفي هذا الشتاء اجتمعت الكواكب السبعة السيارة في برج الجدي . وشمل الناس الرعب بسبب ذلك^(١) . ذلك لانه زحل وعطارد لا يجتمعان في برج الدلو الا في الصيف .

اماً صاحب مصر فلماً بلغه ان الملك ارغون تغرز في مملكته وانتهى امر احمد ومن معه بعث فأخرج الشيخ عبد الرحمن من سجن القلعة وجعله في احد (٥٥٦) مساجد دمشق وما زال يقوم بجميع نفقاته . ولا يخفى ان هذا عبد الرحمان يتحدّر من عبد من عبيد الخليفة المستعصم وهو رومي المتمد . ولما فتح التتر بغداد افلت من القتل وسار الى الموصل وتعاطى التجارة في احد اسواقها وكان قد اتقن تلك الصناعة واحبها . ثم انطلق الى قلعة العبادية وقال لغز الدين صاحبها انه قادر ان يعمل اعمالاً عجيبية التقفها بوحى روحاني . فمضى به الى آباءه وحارثه وقال له : امر بذهابي الى خزانةكم في قلعة تالا كي أبدي لكم صناعتي . فضوا به اليها وجعل يقيس أرضها هنا وهناك ثم انتصب في مكان ما وأمر ان يحفره وهو واقف بعيداً . فحفره وعثروا على خاتم له فصّ عجيب غالي الثمن فاخذوه الى الملك . ولما تحققت كلمته في هذا جعلوا يصدقونه في كل ما يقوله . من ذلك انه قادر ان يطرد الشياطين ويطلع على اسرارها . واحتظى لدى اولاد الملوك حتى انهم ولوه سياسة الدولة كلها ولا سيما في اثناء مملكة احمد القطيرة . قيل ان المغول لما نهبوا خزانة الخليفة استاقوه هو كذلك الى قلعة تالا وجعل يدخلها حاملاً بعض الاغراض وفي جماتها الخاتم المذكور وهو الذي طمره في تلك الارض .

وفي كانون الثاني من هذه السنة وجه ارغون ملك الملوك مناشير الى كل البلاد يقول : يا ان احمد خالف شرائع آباءنا وسار في طريقة الاسلام التي جهلها فقد اتفق ابناء الملوك قاطبةً وعزلوه ووجهوه الى الخان ابينا ليحاكمه

(١) ان ما يحدث في الدنيا ليس متأثراً عن مسير الكواكب او اجتماعها بل يجري بمشيئته تعالى لان عصفوراً واحداً لا يسقط على الارض دون مشيئته (متى ١٥ : ٢٩) .

وأجلسوني على عرش المملكة التي تمتد من جيحون حتى بلاد الفرنج . فطهبوا نفساً . ولينصرف كلُّ الى عمله وليحذر الولاة والحكام في كل مكان من ان (٥٥٧) يتعدوا على احد . وآلا فلا بد من فلق رؤوسهم . وبلغنا في هذه الايام ان صاحب مصر أرسل الشيخ عبد الرحمان واصحابه من دمشق الى قلعة صغد واعتقلهم هناك ولا يُرجى خلاصهم . وفي هذه السنة ١٥٩٦ لليونان (١٢٨٥ م) باضت في برطلي دجاجة بيضة تحاكي بكبرها بيضة الوز . وفي اسبوع الآلام الخلاصية باضت دجاجة اخرى هناك بيضة صغيرة عنقها رقيق معوج طويل مثل القطينة وشاهدناها بعيننا . وصباح الاحد ٢٩ قوز انقض جيش سورية في ستائسة فارس من اكراد واتراك وبدو على بلد اربيل ونهبوا وقتلوا رجالاً كثيرين من عمكاباد وسرهجان وغيرهما من القرى . وخرج بها . الدين الامير الكردي من اربيل ليناوشهم فانكسر وانقلب عائداً الى المدينة . وقد استاق اولئك الحبشا . النساء . البنات واشياء كثيرة وذهبوا .

وفي السنة ١٥٩٧ لليونان (١٢٨٦ م) احتشد زهاء اربعة آلاف فارس من لصوص الاكراد والتركان والعرب وانضم اليهم قبا قبل ثلاثائة فارس من ممالك مصر واقبلوا في ١٧ حزيران الى بلد الموصل واكتسحوا القرى في طريقهم وانقضوا على المدينة صباح الاثنين ٢٢ ربيع الاول ٦٨٥ للعرب (١٢٨٦ م) فركب الملك مسعود وسائر الفرسان الذين (٥٥٨) في المدينة وخرجوا ليناوشهم . واكتنهم لما شاهدوا كثرتهم وعجزوا عن مقاومتهم عبروا دجلة وتوجهوا الى دير مار متي واقاموا هناك بضعة ايام . اما اللصوص الحبشا . فقد دخلوا المدينة واستقبلهم العرب اهلها باطعمة فائضة ومياه باردة . وفرحوا بهم فرحاً عظيماً ظانين انهم سيناوشون النصاري دونهم ويفزونهم ويقتلونهم . اما نصاري حي بيعة التكريتيين فقد ذهبوا بنسائهم واولادهم واموالهم الى دار نقيب العلويين ابن عم النبي معتقدين ان اللصوص ان يتعرضوا لها احتراماً

(١) في ٣٠ قوز من هذه السنة توفي ابو الفرج ابن العبري مؤلف هذا التاريخ . وقد اكمل كتابه هذا أخوه برصوما الصفي .

للتقيب وتعذر على سائر المسيحيين الهرب الى تلك الدار فانزروا في بيوتهم خائفين مذعورين يبكون وينوحون وينسحبون سوء حظهم . لكن الامر جرى عكس ما توهموا فان اللصوص جعلوا يسألون عن المسيحيين فقال لهم اسلام المدينة بفهم واحد انهم في دار التقيب . فاستجمعوا قواهم وساروا اليها واقاموا السلام وتسلقوا واحتلوا الدار وانتهبوا وسبوا كل من فيها . وأصيب رجل نصراني بسهم قضى على حياته . وجعل اللصوص ينكثون بالنصارى والمسلمين معاً ويفضحون النساء والبنين معاً والبنات وهم داخل المسجد دون حياء . وبعد هذا توجهوا الى حي اليهود ونهبوا بيوتهم وسبواهم جميعاً .

أما النصارى الذين ظلوا في بيوتهم مذوون فلم يؤذهم احد بل لم يشاهدوا اللصوص باعينهم . غير ان بعض التجار النصارى والمسلمين القادمين الى المدينة والنازلين في فنادقها الخارجية نجوا من اللصوص . ولكنهم (٥٥٩) بسبب خوفهم خسروا كمية وافرة . وذلك انهم ذهبوا بأحماهم الى المدينة ووضعوها في سوق البزازين حيث كانت تحفظ ارزاق الاهالي . وكان كل من اولئك التجار يسابق صاحبه في وضع بضائعه هناك . ومائلهم في ذلك اهل المدينة فنقلوا الى ذلك السوق ذهبهم وفضتهم وأمتعتهم وثيابهم . وبعد هذا كله زحف اللصوص وحطموا ابواب السوق ودخلوا واحتوا كل ما وجدوه . وكان جمهور من الشبان واقفين على باب السوق فجعلوا يظفون ما تيسر من الغنائم وينهزمون . وكان بعضهم يتركون خيلهم على الباب ويدخلون لينهبوا فكان الشبان يركبون تلك الاحصنة ويفرون بها . وظل اللصوص من الصباح حتى المساء يطوفون الاسواق والشوارع ويسرقون من الاحصنة والبغال والحمر والبقر عدداً وافراً . واعتقلوا نحو خمسمائة من العبيد والجواري اغلبهم مسلمون ويهود . وبعضهم نصارى كانوا في دار التقيب .

على ان صائغاً مسيحياً مشهوراً حاول ان ينقذ ابنه الفتى من ايديهم فثار عليه اولئك اللصوص الاردياء وضربوه بالسيف واقام ثلاثة ايام ومات .

ولم يهلك من اولئك الملاحين سوى عشرة فقط كانوا يطوفون في الاسواق التي لا منفذ لها فوثب اليهم الاهالي وقتلوهم رجماً بالحجار . على ان الاهالي

المسلمين لو عرفوا ان اللصوص ابناؤهم سيعاملونهم مثل تلك المعاملة الفظيعة لقتلوا باغلبهم في الازقة الضيقة ولكنهم أمسوا يعضون اصابعهم دون جدوى. ثم ان اللصوص ذهبوا بالغنائم الى خارج المدينة وذلوا الليل كله هناك وغلب على ظن الاهالي انهم سيعودون في الغد (٥٦٠) الى النهب ثانية . غير انهم نقلوا ما نقلوا وانقلبوا ليلاً عائدين ولم يبق منهم احد قطعاً .

وفي ٢٨ نيسان ١٥٩٩ لليونان (١٢٨٨ م) ثارت فتنة بين الاكراد والمغول المجاورين فحقد المغول عليهم ولاذ الاكراد بالفرار وظل منهم ستة اختفوا في طريق الموصل . واتفق ان اثني عشر شاباً من قرية خوريدة (قرقوش) مروا من هناك فثار عليهم اولئك الاوغاد وذبحوهم ذبح الخراف دون رحمة في ضحي النهار والشمس في قمة السماء . وبعد ساعة اقبل بعض المواصلة وشاهدوا اولئك الشبان المظلومين مضرجين بدمائهم وكان احدهم على آخر رمق فحملوه الى القرية وهو الذي اخبرهم بما جرى وذكر لهم اسماء القتلة الكفار . وما عثم ان قضى نجه وهو كذلك بعد ثلاثة ايام .

اماً ارغون بن اباقا فبعدهما استقرت له المملكة أحسن الى بوغا الذي أنقذه من احمد كما ذكرنا سابقاً . وقد عظم امره وارتفعت منزلته جداً حتى ان ابناؤ الملك والملكات والعرائس والقواد كانوا يختلفون اليه ويقفون على باب داره يطلبون ارزاقهم ومعايشتهم . واصبح الملوك والامراء في كل بلاد التتر يأترون بأمره ويحملون رايته الحمراء . وهذا بوغا اقام اخاه آروق إماماً مطلقاً في بلاد بغداد واذربيجان وما بين الهندين وكان يهابه جميع العسكر المغولي وسائر الملوك والسلاطين والكتاب في الاقطار كلها . وقد تولى هذان الاخوان سياسة الدولة المغولية ست سنوات واحرزوا شرفاً وسيماً (٥٦١) يفوق الوصف .

غير انها أغمضت عن مراجعة ارغون ملك الملوك وجعلها يحشدان الاموال والحيل والذهب والفضة والامتعة . واضطر الملك ان يقيم لخدمته امراء يركبون معه اينما ذهب ويواكلونه ويشاربونه ويطلعونه على ما يحدث في المعسكر وفي البلاد القاصية والقرية . وذكروا له من الجملة ان بوغا لا يزال يتفاخر ويتباهى ويستنقصهم ويتدين في الامور مستبداً كيفما شاء . وهكذا جعلوا يناقضونه

وبعارضونه لدى ملك الملوك في كل ما يأمر به او ينهي عنه .
ثم ان ثلاثة من اعيان بغداد قصدوا المعسكر الملكي وطلقوا يتظلمون
من آروق ويصرحون بأنه لا يزال يتعدى ويظلم ويجمع لنفسه ما يجمع من
الاموال . عند ذلك أمر الملك ان يحتفظ باولئك الثلاثة مكرمين ريثما يصل
آروق الى المعسكر . اما بوغا فبعث وقبض على ثلاثتهم وقلق هامهم دون
فحص او سؤال ودون اذن القضاة . فاستفظت الدولة هذا العمل وأتيح
لخصوم الاخوين ان يسترسلوا في مناهضتها حتى أصبح كلامهم مقبولاً ومصداقاً
لدى الجميع .

اما ابنا الملوك فقد شق عليهم قتل اولئك الاعيان الثلاثة وسخطوا جداً .
الا ان بوغا استألمهم اليه بالرشوة وانصرف . وما مر القليل حتى نهض سعد
الدولة اليهودي وهو حمو حاكم بغداد وقصد الامراء في المعسكر وقال لهم : اذا
صرفتم آروق عن الرجوع الى بغداد فاني اتمد بكل ما يلزم المعسكر حولاً
فحولاً . وللحال صدر الامر بعزله (٥٦٢) وتولية اليهودي مكانه . واصبح
عرش آل العباس وحكهم في قبضة ذلك اليهودي . هكذا ذلت الامة العربية
بسبب سوء تصرفها وعتوها المتواتر .

وتتابعت الشكاوى على آروق منذ اذ وسار من الجملة عبد المومنين الفقيه
الفارسي الى المعسكر وقرر ان آروق وامراءه وحكامه وكتابه قد اخرجوا جميع
المدن والبلاد التي يولايتها . فاذا قواه امراء التتر وساعدوه فهو يحصل لهم مائة
روبة من الدنانير الذهبية . فاستصوبوا حديثه ووافقوه في ما ربه الخبيث
واستهلوه حيناً .

اما بوغا فلما شعر بان الشكاوى عليه وعلى اخيه قد احزنت القبول والرضى
خامره الشك وعاد ادراجه وتعارض ولزم بيته . وكان اذا زاره الامراء في مرضه
هذا يتأوه ويتأسف امامهم على ما اصطنعه عند ارغون اذ انقذه من احمد ولم
يكافه مكافأة حسنة . ثم جعل يفتكر في الايقاع به . وكشف سره هذا
لبعض الاقطاب الذين وافقوه علماً منهم بانه رجل محنك وقد توصل بدهائه الى
تعزيز ارغون وخذل احمد وفشله . اما ارغون وقد عرف ذلك معرفة تامة فجعل

يثوقى بوغا ويمسب له الف حساب . غير ان الامراء الملازمين له اطلعوا على فكرة بوغا السيئة وعرف بوغا ان مكره قد اقتضح . فحصل في خوف شديد وحار في امره واستعجل فامتطى حصانه وانهزم يريد معسكر الخاتون الجي الكبيرة كي يستغيث بها . ولما سمع ارغون وامراؤه ركبوا هم كذلك وتتبعوه حتى ادركوه وقبضوا عليه واستفسروه فأقر بالدسياسة الا انه قرّر بانه لم ينور ايقاع الاذى بملك الملوك بل (٥٦٣) بالامراء الذين ما برحوا يعادونه ويتهمونه ويستحقرونه . غير انهم لم يسمعوا له بل انقضوا عليه وقطعوه ارباً ارباً وتم ذلك يوم الجمعة ١٤ كانون الثاني ١٦٠٠ لليونان (١٢٨٩ م) ونهبوا بيوته وامواله ونقوده واجهزوا على اولاده وعلى كتبة اسراره .

وقتل في اليوم ذاته القسيس شمعون الطبيب وابو الكرم الفقيه النصراني الاربيلي وغيرهما من المغول الذين لم تعرفهم . وبعد هذا غادر بيتيمش البطل الشجاع المعسكر الملكي وانطلق في ايام يسيرة من موغان الى آمد وحشد جيوش المغول وانقلب الى الموصل يريد آروق . وكان هذا يشي في الضواحي يأكل ويشرب في ايام عيد المغول المعروف بعيد الياض وهو مجهل ما حدث لاخيه بوغا واهله . وما ان شاهد الجنود محيطين به حتى حار في امره وركب حصانه واخذ امرأته واولاده ولاذ بقلعة الكشاف الصغيرة الى ان أصبح الصباح . وعند ذلك ارسل بيتيمش يقول له : لا يحمل بك ان تعصى . فاجابه آروق اني لم اقصد هذه القلعة قصد العاصي المتمرد والكني لم اعرف ماذا حل ولاي سبب احتشد هولاء العسكر همنا فأخبروني لاكون على بصيرة . فدنا بيتيمش من باب القلعة وقال له : ان بوغا اخاك قد خان الملك وصدر الامر بقتله واقبلنا لنقبض عليك ونذهب بك الى خدمته ولسنا ندري هل يقتلك ام لا فهو يعرف . عند ذلك فتح آروق باب القلعة وانحدر هو واهله وقال : أمر الملك على الراس والعين . فاوثقوه بالقيود وارسلوه محفوظاً الى المعسكر وصدر الامر بقتله هناك . وتم القبض عليه يوم الاثنين من صوم نينوى سلخ كانون الثاني (٥٦٤) من تلك السنة . وجرى قتله بعد اسبوع .

اما الفقيه الفارسي الذي افترى على آروق وقرّر ان يضل مائة ربه من

الدنانير يجمعها من الملوك والكتّاب والحكّام كما سبق القول فقد تولى الامير
 يثيمش أمر محاسبتهم وازال العقوبة دون شفقة بمن يستحقها منهم .
 اما مسعود بن قوطي واخوته وانسابه فلم يكونوا يراجعون في المعسكر
 الملكي الا بوغا وحده لا يكثرثون لساثر الامراء ولا يتزلون ليحيوهم بالسلام .
 معتقدين ان اوامر بوغا تعلو على اوامر جميع الامراء . ولذا تشبثوا بطاعته
 دون غيره . وهذا ما حمل الجميع على ان يوبخوهم ويلوموهم . وطالما نصح لهم
 اولئك الامراء كي يؤدوا الطاعة والخضوع والانقياد للامراء الملازمين للملك ولا
 يتشبثوا بطاعة الواحد ويثانوا البقية . اذ يتفق ان ذلك الامير الواحد الذين
 يثقون به تعرض له محنة ولا يسعه من ثم ان يساعدهم .

بيد ان مسعود بن قوطي غير الناضج بعقله وغير الرزين باعماله جعل يتول
 متفاخرًا : اني لست ابغي ان اعيش دون بوغا فاذا مات بوغا فضلت الموت
 على الحياة بعده . وقد صح ذلك لانه يوم القبض على آروق اقاموا حراساً
 يجرسون مسعوداً ريثما وصل عبد المومين الفقيه الفارسي . واذا ذاك ثار الاضطهاد
 والغضب على النصارى المظلمين وجعلوا ينكبون دون شفقة بهم ولا سيما بتاج
 الدين بن المختص (٥٦٥) صاحب اربيل . فقد اوثقوا رجله ورفعوه نحو ذراع
 عن الارض ونشموه يصفعونه حتى خارت قواه ثم انزلوه وجعلوا يصفعون صدره
 وظهره حتى أمسى على آخر رمق . ثم احضروا ناراً في طستٍ ووضعوه على
 صدره . وانزلوا به اعذبة فادحة حتى استفذوا منه نحو خمسين الف دينار . وقد
 ألقى بذاته غير مرة في دجلة لعله يفارق الحياة وينجو من الاعذبة والضربات .
 اما مسعود المذكور فلم يصفعوه بسبب مرضه وخوفهم ان يقضي ويضيع ماله
 معه . فجعلوا يعدونه مواعيد فارغة مصرحين بانه اذا دفع لهم عشر ربوات من
 الذهب أبقوه مكرماً معزّزاً . فغلب على ظنه انهم لن يؤذوه كرمناً له . ولهذا
 ظلّ يتباخل ويحادثهم بكلمات فضلة . فجعلوا يضربونه تارة وطوراً يهددونه حتى
 استحصلوا منه ما طلبوا ثم مضوا به الى اربيل وقتلوه يوم الاثنين من اسبوع
 الآلام رابع نيسان من تلك السنة . واعتقلوا ابنه . وانهمز الى قرية بيت
 سحرايا اخوه شهاب الدين ولم يدركوه . وبسببه قتل ديبس احد اهالي تلك

القرية وقد سألوه عنه فانكر وقال اني لم اشاهده . فقبضوا على فتى اقر بذلك وأطلعهم على مكانه . فاستاقوا دوبيس المنكود الحظ الى الموصل واجهزوا عليه ورجه الاهالي بالحجار .

وبعد ما قتل ديبس ضج المواصلة على صبي نصراني وادعوا انه فاجر يرتكب الفحشاء مع النساء المسلمات فبطشوا به وجرّوه في شوارع المدينة وكوموا عليه الحطب واحرقوه واخذوا راسه (٥٦٦) وطافوا به على ابواب الكنائس وهم يسخرون بالمسيحيين . على ان ما احتمله المواصلة في هذين الشهرين من العذاب والاضطهاد لا يتيسر للسان ان يعبر عنه ولا للقلم ان يصفه . ألا ايها الرب العادل استيقظ وانظر دما عبيدك تهراق دون رحمة وارث لحال كنيستك وروعيتك التي ينهشها المضطهدون ا

على انه يوم قتل بوغا وزحف بيتيش الى بلاد الغرب وتوجه المغولي لياخذوا آروق اضطرب اهالي سورية وشملهم الخوف والمهلع ظانين ان المغول مزعمون الزحف اليهم . فاستجمعوا قواهم وحشدوا جيوشاً ضخمة واستعدوا للمبارزة . ولما استيقنوا ان المغول منهمكون في شؤون دولتهم لا يفكرون في غيرهم عولوا على الزحف الى طرابلس بساحل البحر المتوسط وحاصروها حصاراً شديداً . فارسل الاهالي يستنجدون بانسباثهم الفرنج في جزيرة قبرس فاقبل منهم في السفن عدد قليل . وما ان وصلوا حتى تشجع الطرابلسيون ووقفوا على الاسوار وحاربوا الخوارج حرباً عنيفة استغرقت زهاء ثلاثة اشهر . غير ان الخوارج تقوّوا وخرقوا السور بالمنجنقات فانهمز اغلب المسيحيين الى السفن وعادوا الى قبرس .

وبعد هذا دخل العرب المدينة واستلوا السيوف واشتبكوا ببقية الاهالي وحدثت معركة هائلة باد فيها الكثيرون من الطرفين . ثم سخط العرب كل السخط وقوضوا المدينة المنكودة الحظ ولم يدعوا برجاً او كنيسة الا اخربوها واحترقوا على اموال طائلة تفوق حد الكثرة واعتقلوا من البنين والبنات جمهوراً غفيراً وبطشوا بكهنة وشمامسة وراهبان وراهبات لا يحصى عددهم وتركوا المدينة خاوية وانقلبوا . وتم ذلك في نصف نيسان (٥٦٧) من السنة ١٦٠٠ لليونان (١٢٨٩ م) .

وفي هذه السنة عينها احتشد زهاء الف الف فارس من لصوص سورية وزحفوا الى نواحي سنجار وباعربايا لا يغزون ولا يسلبون حتى شارفوا قرية فيشايبور على ساحل دجلة وباتوا هناك . ثم استيقظوا ليلاً وعبروا النهر وتوجهوا نحو واسطو قرية النساطرة الكبرى وانقضوا عليها فجر الاحد ١٤ آب . وغلب على ظن الاهالي ان اللصوص قليلون فخرجوا ليناوشوهم . غير انهم لما شاهدوا كثرتهم عادوا الى القرية ولاذ بعضهم بالكنيسة فنجوا وتشتت البعض الآخر في البساتين والكروم . اما اللصوص الحثا . فقد احتلوا القرية وانتشروا في القرى السبع المجاورة وعاثوا فيها باجمعها واجهزوا على اكثر من خمسمائة نسمة واعتقلوا زهاء الف من النساء والبنين والبنات واستهزؤوا على الشيء الكثير من الاموال والنعيم والبقر وانقلبوا عائدين في ذات الطريق التي قدموا منها وساروا هادئين مسرورين حتى بلغوا نهر الحزابور وعليه جسر ضيق فكشوا مدة بسبب كثرة الغنائم والاسرى الحائري القوي . وبلغ امير المغول في الموصل . خبرهم فبادر في عساكره اليهم وشاهدوا اغلبهم قد عبروا الجسر في الغنائم . فاجهزوا على البقية الباقية واستردوا نحو ثلاثمائة من النساء والبنين والبنات وعادوا فردوهم الى اصحابهم وذويهم .

وفي هذا الصيف عينه زحف نحو الف فارس من سورية الى بلاد ملطية والحصن فسمع القائد كربندا وحشد جيوشه وسار الى مناوشتهم فانكسر وهلك من اصحابه جمهور غفير واعتقل بعض اصدقائه وانسابه (٥٦٨) وابناء اخوته . وأفلت هو واربعون من رجاله وتوجهوا الى الدار الجديدة التي ابتناها في بلد الحصن الذي يقال له بالارمنية حسنونا . واذا كانوا جالسين مضمومين مهمومين يفتكرون في انقاذ الاسرى خطر ببالهم ان تلك الحركة اذا حدثت بسبب النصارى فيجب ان يؤخذ منهم مقدار من المال يفتدون به اسراهم . وجعلوا يفرضون على كل مدينة وبلدة كمية من الذهب قدر امكانها . غير ان العدل الالهي لم يحتمل ما اعتدوه فاهبط عليهم فوراً تلك الدار الجديدة واهلكهم قاطبة . ولم ينج الا حارس الباب لا غير اذ سقط الجسر على جنبه ودفعه خارجاً فظل حياً يرزق .

وفي افتتاح السنة ١٦٠١ لليونان (١٢٩٠ م) وجه آلا الميش صاحب ميافرقين

عدو النصارى فقتل غيلةً صاحب موش الرجل المسيحي الارمني ونكّل برهبان دير مار قوما . فنهض احد اولئك الرهبان مستبسلًا وقصد المعسكر التتري وشكا آلا الميش المذكور . واتصل بملك الملوک نفسه وحادثه بدالة تامة واصفى الى حديثه . وفيما كان راكباً مجتازاً يوماً ببحر نهر كور قبض الراهب على لجام فرسه وأقسم انه لن يتركه ما لم يأمر باهلاك آلا الميش . فأمر الملك ان يُقتل للحال .

وفي تلك الايام نهض فرج الله الفقيه والكاتب القبطي الجليل في الموصل ففضح خيانة عبد المومين النقيه الفارسي المذكور آنفاً مدسحاً بانه قد قتل مسعود بن قروطي ظالماً ونكّل بالنصارى كثيراً وحشد لنفسه اموالاً وافرة . فأمر ملك الملوک ان يبحثوا عن ذلك ولما ثبتت خيانتة أصدر الامر بقتله وانتقم منه العدل الالهى سريعاً . وأطلع ملك الملوک مذ ذاك (٣٦٩) على مكر العرب وقحتهم وعلى تصرفهم بالخداع والرياء في معاملاتهم . وسمى سعد الدولة اليهودي والي بغداد رئيساً للكتاب اعني صاحب الديوان في كل اصقاع المملكة . ونهى نهياً مطلقاً عن اقامة كاتب مسلم . ففعلوا لذلك بنض العرب وشركهم . وما ان تولى ذلك اليهودي حساب الدولة حتى وجه اخاه الى بغداد ليقوم بقامه ووجه اخاه الثاني مع تاج الدين بن المختص بثابة قائداً عام في الموصل وماردين وديار بكر جمعا . فبناف منهم مبادر بك الامير الكردي المتولي في اربيل وظن انهم سيسبغون اليه وتوجه حالاً الى المعسكر معتقداً انه اذا احتظى لدى ملك الملوک يزول عنه كل خطر . غير انه لما سار اليه وجه اولئك الامراء الشكاوي عليه ونوى الملك ان يفتك به ولكنه عله ساعةً وبث سفيراً تحت السر يسمى للقبض اولاً على اولاده واهله وعشيرته كي يستأصلهم كافةً ثم يقضي عليه بالموت كذلك .

بيد ان امرأة اطلعت على السر وقصدت مبادر بك الكردي ليلاً واخبرته بذلك فنهض للحال دون مانع وركب هو وخادمه وفرّا من المعسكر كالعصفور من الفخ واستعجلا في السفر حتى سبقا ذلك السفير ووصل مبادر الى بيته ورحل اهله وامواله ولاذ بجبال عاصية لا تقهر . ولما وصل السفير اخذه الذهول والعجب

مما جرى . اءا ملك الملوك فقد اءءءم سءطاً (٥٧٠) لا افرار الكرءي من
 بين يءيه بل ءصوصاً لءطء على الءي نقل اليه الءبر من المءسكر . فارسل
 الءنوء لءءاصروا ءبال الاءراء وءفلقوا الطرق ءونهم . وكان الثلء ءء ءراكم
 فيها فلم يءمءكنوا من الاءءاء وانقلبوا عائءءن الى السهل ءءء ءان يءم الاءراء
 الفلاءون المساكءن المءءون الضراءب . فسبوا وءقءلوا وءهبوا واءرقوا بءوءهم
 وءءاءزمهم . واءلقوا الاءضرار ءصوصاً بالنصارى المساكءن الءبلءن المءروفءن باسم
 قءاءءة اعنى قاطنى الكءوف . فقد ءقءلوا الراءال منهم ءون شفءة واستأسروا
 النساء والبنءن والبناء واءهبوا من ءءءءءهم ما امءءهم ءله واءرقوا ما ءبءى .
 ءلك ما ءمل العرب على بءض النصارى ءافة مءءءن بانه لولا هولاء الءبلءون لما
 اساء المءول الى الاءراء ءطءاً . وءبر ءافء ان اءلب المءول فى زماءنا ءء ءانوا
 بالاسلام واءبءوا بءافءون ءءهم اللهم الا اذا اضطرهم الرءماء ان بقاءءلهم
 وءبءشوا بهم .

ولما اءبل الصءف واءءءل المءول من بلاد الموصل واءبءل المءءر الاءراء من
 قم الءبال واءءءءوا الوفاء وراءوا واءبلوا الى السهل فانءزم الاءالى ولاءوا
 بالءن والقلاع . وءءء ءمءع الاءالى اربءل القلاء ءءاصرم الاءراء ولكن العناءة
 الاءءة اءفءاء نءران سءظهم وءءبء آالمهم فءكانوا ءلما هءءوا لءناوشوهم
 ءسروا سبءة او ءمانية من رءالمهم . وظلوا ءءلك مءءة ١٧ يوماً .

واءفق اء ءاك ان مائءى رءل من الفرنء (٥٧١) رءبوا نهر ءءلة وءمءوا
 الموصل ءلبءة لءلب ارءون ملك الملوك قاصءن الءهاب الى بءءاء لءبءشوا المراءءب
 وءنءءروا الى البصرة ومنها الى بءر النءل لءقاءءلوا المصربءن . وسار زها . سبءاءة
 منهم فى البر واءاموا فى بءءاء ءل الشءاء رءبباً اكءمل ءرضهم . وءء ءرى
 لهم هءاك ءاءء بءءءق الاءءبار سنورءه فىا بءء .

والآن فلنءء الى ءبر الاءراء المءءورءن سابقاً . فهولاء لما سمءوا ان
 الفرنء بلفوا الموصل ءلب على ظنهم انهم انما وافوا لمناوشءهم ءءركوا القلاءة
 وءزقوا شءر مءر . ولما نءا الاءالى الءءن فى القلاءة من شرهم ءصءوا ءءوءه
 الى قرءة بءء صباءة لءأوا باهلها الءهم فىنءءوهم من الاءراء . ءبءر انهم لو

تركوهم في قربتهم لما اصابهم اذى. هكذا انحدر مائتا رجل من اولئك الجليلين القياخية من القلعة كما قلنا وقصدوا بيت صيادة لا يتوحدون من ذلك كله الا الاستفادة منهم. ولما وصلوا اليهم نزلوا عن احصنتهم وقدموها لاولئك الفلاحين وساروا هم امامهم مشياً على الاقدام وتفرقوا وتشتتوا واصبحوا بلا قائد يتقدم حتى سارفوا المدينة. وعند ذلك انقض عليهم الاكراد الذين كانوا يكمنون لهم وينتظرونهم فقتلوا فريقاً منهم واستأسروا اغلبهم وانتهبوا كل ما صادفوه. اما لصوص سورية فلما بلغهم ان الاكراد يحاصرون قلعة اربيل غلب على ظنهم انهم بعد ما يحتلون سنيهيون ويقتلون ويستأسرون ويحرقون الى سورية. فاحتشد زهاء الف رجل واقبلوا ليساعدوهم ولكنهم لم يصادفوه ولم يتجرأوا ان يهاجموا القلعة خوفاً منهم من ان يبسط بهم اهلها وهم اشداء اقوياء في الحروب. غير ان مائتي رجل منهم حاولوا ان يجربوا فاقتروا من اصحابهم ودنوا من (٥٧٢) باب القلعة. فانحدر اليهم اصحابها وناوشوهم وانتزعوا منهم بعض افراسهم وعادوا الى قلعته. عندئذ انقلب اولئك اللصوص فارغين خائبين ولم يستفيدوا شيئاً من قدومهم ولا من الاكراد المجاورين. وتم ذلك يوم الثلاثاء ٢٧ حزيران. وفي تموز تلك السنة سار الى حصن زياد راهب ارمني تقي من الرهبان الذين يطوفون البلاد ويعظون المؤمنين ويجرضونهم على التوبة والفضيلة والاقرار بخطاياهم. واقام هناك شهراً وسر المسيحيون بواعظه كل السرور وجعل الفتيان يلازمونه ويحتمون اليه لئلا ياكلون ويشربون ويتحدثون باخبار القديسين وجهاد الشهداء. وما ان سمع العرب ذلك حتى حقدوا عليهم وسار فريق منهم ليلة الجمعة واخذوا كلباً ميتاً علقوه على باب المسجد الكبير. ولما اصبحوا وذهبوا ليصلوا وشاهدوا الكلب الميت سخطوا كل السخط وادعوا قاطبة بان ذلك الراهب الارمني والذين يجتمعون عنده هم الذين فعلوا هذا الفعل المنكر. فامتشقوا السيوف وقصدوا الراهب المظلوم وبعض اهالي المدينة الذين عثروا عليهم وذهبوا بهم الى دير الباعوث وخابضوا قلالي الرهبان ونهبوا كل ما فيها واجهزوا على الراهب المسكين وعلى اثنين او ثلاثة من الاهالي وانقلبوا الى المدينة. وقصدوا بعض بيوت المؤمنين المسيحيين ونهبوا كل ما فيها وشفعوا الكثيرين من الكرام

الاجلاء، صفعات مؤلمة . وامست المدينة شهراً كاملاً كسداً فيها الاخذ والعطاء .
والبيع والشراء .

وفي تلك الغضون قوي أمر فرج الله الفقيه القبطي الذي فضح خيانة الفقيه
الفارسي كما ذكرنا ووافق يتباهى ويتفاخر لكونه نجح في تلك القضية (٥٧٣)
وقصد معسكر التتر ولحق الدعوى على تاج الدين بن المختص وذكر انه قد
حشد اربعين ربه من الذهب لنفسه . وما ان سمع اليهودي صاحب الديوان حتى
تجبر وتكبر وقال : ان ثبتت الدعوى على تاج الدين فلا بد من ان تثبت كذلك
على اخيه الذي فاقه في الاستبداد وفي الاخذ والعطاء . ومن ثم جعل يلقى فرج الله
القبطي ويقول : ان هذه الدعوى لا تضر تاج الدين فحسب بل تضر اخاه اكثر
منه . غير ان فرج الله التاعس الشقي لما عرف انه يتعذر عليه مناهضة اليهودي
ومقاومته وأنه اذا عدل عن الدعوى حكم عليه امراء المعسكر وقتلوه استند
الى مشورة بعضهم فكتب بخط يده مصرحاً بان ما قاله انما قاله في حالة السكر
وان ذينك الشخصين اعني تاج الدين وصاحبه لم يتعديا على احد ودفع الورقة
الى صاحب الديوان . وهذا بدوره التقفها ومضى بها الى ملك الملوك وقال له :
ما رأيك في رجل حدثك أمس حديثاً انكره اليوم بخط يده ؟ فقال الملك :
انه يستوجب الموت بلا ريب . وهكذا قُتل فرج الله حالاً .

ثم ان اليهودي صاحب الديوان ذكر لملك الملوك ان لفرج الله في الموصل
رجلين اخبث منه . فامر الملك كذلك ان يُقتلا وارسل الى الموصل بدلاً منها
المؤيد بن المؤيد الكاتب وامين الدين بن المحتسب الاربيلي .

وبعد ايام وجه التتر من المعسكر الى سعود الامير متى الشجاع عمود
المسيحيين بالموصل كي يجبي من اهلها الجزية كما لوف عادة المغول . غير ان
السعوديين (٥٧٤) خصوم المسيحيين استفظعوا تسلط رجل مسيحي عليهم فاستلوا
السيوف والخنجر واغاروا عليه في الدار التي كان مقيماً بها وبطشوا به يوم
الاثنين ٣١ تموز من تلك السنة . فسارع اولاد متى المنكورد الحظ الى المعسكر
وعرضوا على ملك الملوك ما جرى فأصدر الامر بقتل القاتلين واستصفاً . عشر
ربوات ذهباً من السعوديين . وما ان وصل الوفود الى المدينة حتى جهزوا على

سبعة او ثمانية من وجهائها . ونفذوا ما امر به ملك الملوك .
وفي افتتاح السنة ١٦٠٢ لليونان (١٢٩١ م) رُفعت الدعوى على رجل
كردى يقال له سجال الدين الازخمي من بلد جزيرة فردو والنجلي امره لدى
البطل بيتيمش فقتل ببلد الموصل هو واحد ابناؤه .

وفي تلك الايام توجه بعض الاسميين بزي التجار الى الموصل يجاولون الوثوب
الى اسرائها وزعمائها والبطش بهم كي لا يتولى فيها بعد نصراني او يهودي في
بلد من البلدان واذا تولوا فلا بد من قتلهم سرّاً بالحيلة . ولما بلغوا الموصل
وتزلوا في احد الفنادق كمادة التجار جعلوا يتخاصمون معاً ويتباحسون . فارتاب
في امرهم بعض من سمعهم وسارعوا فأخبروا الامراء فبادروا اليهم وقبضوا عليهم
وجعلوا يضربونهم فا كان من شيخهم الا ان قال لهم : لا حاجة الى الضرب
فنحن ثلاثة رجال انما جئنا انقتلكم وقد ذهب ثلاثة آخرون مناً الى بغداد
ليقتلو اليهودي الذي هناك وثلاثة توجهوا الى المعسكر ليقتكوا بصاحب الديوان .
ولاحال أجهزوا على الثلاثة شنقاً وارسلوا الى بغداد من قبض على الثلاثة الآخرين
وبطش بهم . اما الذين ساروا الى المعسكر فقد ادركوا غايتهم دون عناء
وتعب . فيا لغرابة الطبع البشري فانه اذا حصل في امر من الامور واكرم
الديني . ورفع فلا بد من انه بعد زمن وجيز (٥٧٥) يفتضح امره فيندم على
غلطه ولات ساعة ندم ا

على انه مذ ظهر العرب حتى اليوم لم يترق يهودي واحد في بلادهم فكلهم
اما دباغون او صباغون او سكاغون . واذا كان بينهم طبيب او كاتب فانما
يقيم في اماكن لا يرضى الاقامة فيها غيره . على ان المغول لما استولوا على بلاد
العرب لم ينجسوا بالاكرام من يستحق الاكرام بل لم يولوا المدن التي احتلها
من تسلسل من الاسر الملكية . اذ لا فرق عندهم بين العبد والحر والمؤمن
والكافر والمسيحي واليهودي فهم يسوسونهم بصولجان واحد . واذا اختلف
اليهم احد وقدم لهم شيئاً من المال التقفوه منه وعزّوه ولبوا طلبه مهما كان .
سواء اكان متضلعاً خبيراً ام جاهلاً غيباً . انما يطلبون خدمة متواصلة وخضوعاً
وانقياداً تاماً وكفى .

فهذا اليهودي المذكور قد ارتقى في عهد ارغون ملك الملوك اعظم الرتب واصبحت الشؤون السياسية بيده وحده . فتقاضى عن مراجعة اقطاب المسكر ونهاهم عن الاخذ والعطاء وجعل يستحقر الامراء الاولين والنواب جميعاً . لا يتجرأ احد منهم ان يقصد باب البلاط في شأن من الشؤون المفيدة او الضارة اللهم الا اذا كان يهودياً . ولهذا السبب تقاطر اليه جماهير اليهود من مختلف الاقطار وجعلوا ينادون ويهتفون بحياته وهم يقولون : انه لقد رفع شأننا واقام لنا قرن خلاص ورجاء ومجد . وبيناهم على ذلك من التفاخر والتباهي اذ (٥٧٦) شعر الملك ارغون بداء الفالج وتقلب في مرضه هذا زهاء شهر . وكان ذلك اليهودي يفرغ كل الجهد في معالجته . اما الامراء واقطاب المسكر الذين كان يستحقرهم فقد قطعوا الرجاء من بقاء ملك الملوك في قيد الحياة معتقدين ان ذلك اليهودي هو الذي عجل موته بسبب سوء تصرفه وراحوا يزأرون كالاسود حتى قضى الملك نحبه يوم الاربعاء سابع كانون الثاني ١٢٩١ لليونان (١٢٨٠ م) . وما عثم ان سخط الله تعالى على اليهود في كل الامصار فقد بطش التتر اولاً بسعد الدولة صاحب الديوان اليهودي المذكور . ثم وجبوا وفوداً الى بلاد المغول كلها فقبضوا على اخوته وانسابه وأوثقوهم بالقيود ونهبوا اشيائهم واخذوا ابنائهم وبناتهم وخدامهم وجواريتهم وكل اموالهم . وبعد ان قتل منهم من قُتل عادوا الى حالتهم السابقة . فالذي كان في الامس يحل ويربط ويرفل بالحلل الملكية أمسى اليوم متردياً مسحاً خلقاً ويداء موشختين اعني امسى صباغاً لا كاتباً ومستعظياً لا آمراً ومسلطاً . ويقصر اللسان عن ذكر كل ما حدث لهم من الاسواء . ففي بغداد على اثر قتل اليهودي المذكور ثار العرب عليهم وتسلحوا وقصدوا محلتهم الملاصقة لمحلة المسلمين وحاولوا الدخول اليها للنهب والسلب . فناهضهم اليهود مناهضة قوية وقتل من الفريقين من قُتل وانتهت المعركة . وذكروا ان اليهودي المذكور لما عظم شأنه وعلا كعبه ارسل فابتنى له بلاطاً في تبريز واخفى فيه خوابي . كثيرة مملوءة ذهباً وفضةً اطلع عليها التتر عندما اخذوا ينكلون باهله وانسابه . وقد استغرق حكمه (٥٧٧) زهاء سنتين لا غير ثم قُتل واضمحلت ذكره وأمسى اليهود بسببه منبوذين مردولين في الدنيا كلها .

بعد ارغون بن اباقا اخوه كينخاتو الذي دُعي ارتاجين تورجي

لما جلس ارغون على عرش الدولة التتية سار اخوه كينخاتو في روبة من الجنود ليحافظ على البلاد المجاورة لبلد الروم وظلّ مقيماً هناك مدة حياة اخيه فاستطاب البلاد ولم يرَ ان يفادرها حتى توفي ارغون واجتمع اولاد الملوك قاطبة وقدرّوا ان يخلفه في العرش الملكي على كره منه لانه كان في ولايته راتماً في مجابح الطمانينة والسلام يأكل ويشرب ويتقلب في الملذات الدنيا . ولا سيما لانه شاهد الملكين اللذين سبقاه توفياً في شرح الشباب ولم يشبعا من هذه الحياة . ذلك ما حمله على التخلي عن عرش المملكة والاكتفاء بالبلاد التي كان يتولاها . وبعد هذا عاهد التتر وعلل اولاد الملوك والاقطاب بانه في السنة القابلة يعود فيستوي على التخت ، ثم تركهم وعاد الى بلاد الروم فشهد التركمان الاوغيين المنتهين الى قرامان يتعدون على المغول سبياً ونهباً فحشد جنوده وزحف الى قلعة طنكزلو الشهيرة واحتلها بالسيف وأجهز على خلق كثير وبطش بسائر الاوغيين المنهزمين الى القرى بطشاً تاماً .

على انه لما كان اخوه ارغون (٥٧٨) في قيد الحياة كان وفود الفرنج يتقاطرون اليه قادمين من قبل البابا الروماني والملوك الفرنج ليتفقوا معاً ويذحفوا الى محاربة المصريين الذين سمنوا ورفسوا وجعلوا يضطهدون النصارى . وقد وجه ارغون كذلك الى الحبر الروماني بمثابة سفير الربان صوما الراهب الايغوري الذي قدم مع الجاثليق مار يهب الآها من بلاد التتر^١ الى زيارته . ولما وصل الربان الى رومية قرّر مع البابا ان يذحف التتر والفرنج معاً لمناوشة العرب . غير ان ذلك الاتفاق لم يتم .

اماً كينخاتو فلما سار من بلد الروم الى جبال ارمينية الكبرى اجتمع ابنا الملوك ثانية واقطاب المغول وأجلسوه على سرير المملكة في ٢٩ حزيران

(١) نثر الاب بولس بيجان اللعازري تلك الرحلة عام ١٨٨٨ وقرناها نحن كذلك في

كتابنا « الحروب الصليبية في الاثار السريانية » صفحة ٢٣٢ = ٢٥٢

١٦٠٣ لليونان (١٢٩٢ م) . ولما سمع المصريون نبأ وفاة الملك ارغون حشدوا ربات من الجنود واقبلوا الى عكة مدينة الفرنج الكبرى الشهيرة على ساحل البحر المتوسط وحاصروها حصاراً شديداً مدة شهرين . ولم يشأ الفرنج بسبب عنفهم وكبريائهم ان يفلقوا تجاههم ابواب المدينة لئلا يسئل نهار لكنهم جعلوا يخرجون اليهم ببسالة راكبين ويحصدونهم حصاد المنجل للقمح . وبلغ عدد القتلى العرب فيما قيل عشرين الف نسمة . وظل الفرنج يحرسون المدينة حتى اصيب الكونت قائدهم بسهم اودى بحياته وعند ذلك ارتخت عزائمهم وتقوى المصريون فاقاموا زهاء ثلاثمائة منجنيق على السور الذي في البر وجعلوا تحت كل برج زهاء الف من الكمان . ينقبون الارض وقوضوا برجاً او برجين .

واخذ الاخوة الدواوية وسائر الزعماء يدخلون الدور الحصينة ويحاربون العدو . ولما احتل العرب (٤٧٩) تلك المدينة التاعسة طفقوا يلاطفون من في الدور لينصرفوا دون اذى وينحدروا الى البحر وينهبوا هم ونساؤهم وبنوهم وبناتهم ويتركوا جميع اثارهم واموالهم . غير انهم ما كادوا يفتحون الابواب ويدخلون حتى ابصروا فتياتاً وفتيات كالاقدار فتصدوا لهم . عند ذلك ثارت الفرنج واستلوا سيوفهم ووثبوا الى العرب فالتحمت المعارك بين الفريقين وقتل من الجانبين جماهير غفيرة تفوق حد الكثرة . وهكذا قوضوا تلك المدينة الجميلة الحصينة ولم يدعوا للفرنج في ساحل البحر موضعاً يسندون اليه رأسهم . وتم ذلك في نيسان السنة ١٦٠٣ لليونان (١٢٩٢ م) .

وبعد هذا احتشد المصريون كذلك وزحفوا في جيوش ضخمة الى قلعة الروم التي على شاطئ الفرات واحتلوها في مدة عشرين يوماً وقتلوا وسبوا ونهبوا واستأسروا جماهير وافرة من البنين والبنات . ثم قبضوا على الجائليق الارمني وعلى جميع رهبانه وذهبوا به الى اورشليم مكرماً يوم السبت ٢٨ حزيران من السنة المذكورة وما زال مقيماً هناك . وروى بعضهم انهم صلبوه واوثقوا الذين معه واستاقوهم الى مصر . غير اننا لم نثبت الامر بعد . والصحيح ان الجائليق قضى نجه في سجن دمشق . ولما اطلع الارمن على ذلك اصطفوا رجلاً موافقاً ورقوه الى الرتبة الجائليقية وجعلوا سيس مركزاً له .

اما كيخاتو فلما استتب له الملك انصرف الى اللهو والنهم والحلاعة لا يعنيه امر المملكة وجعل يستدعي ابنا الاعيان وبناتهم ويسافحهم دون حياء وخجل . وافضى الاسر بفريق من العفيفات الشريفات النيبالات الى الهرب منه . وجعل فريق منهن (٥٨٠) ينقلن بنين وبناتهن الى اماكن بعيدة تملصاً من شره ونهمه . وظل ينغمس في تلك القبائح زهاء اربع سنوات حتى سقط من عيون ارباب الدولة وأبغضوه بغضاً شديداً .

وفي تموز السنة ١٦٠٥ لليوتان (١٢٩٤م) حضر عنده الامير بيدو احد ابنا عمه وكان له ابن جميل الطلعة . وجلسا يوماً يشربان ويأكلان ويمزحان واتفق ان كيخاتو شتم بيدو فبادله بيدو بالشم وسماه ابن زانية . فاحتدم كيخاتو سخطاً وصاح الذين حوله وأمرهم ان يجروه خارج المعسكر ويضربوه ضرباً ميمتاً . ذلك امر لم يخطر البتة ببال بيدو ولم ينتظر ان يعامله كيخاتو مثل تلك المعاملة مها اذنب . وبعدهما استاقوه وصفقوه واحتقروه جداً مضوا به الى خيمة حقيرة وانتوا ان يبسطوا به .

نام بيدو هنية في الخيمة ووجه كيخاتو بعض الزعماء لعاتبوه على ما جرى . فجعل يضحك ويمزح وهو يقول : لا يخطر ببالي ما صار ولست أدري ما تقولون ؟ واين هو كيخاتو ؟ واتوني بخمر لشرب . وما الذي حدث يا ترى ؟ وكيف وصلت الى هذه الخيمة ؟ بثل هذه العبارات ادesh اولئك الزعماء وحيرهم واقتنع اغلبهم بحقيقة قوله .

وقد انخدع كيخاتو نفسه واغتر حالاً وندم على ما اصاب بيدو من الصفع . وجعل يفرغ محل الجهد (٥٨١) ليهدي زوعه ويتلافى ظلامته . وبعد هنية وجه زعماء آخرين يسألونه : هل يتذكر ما تكلم به حين سكره ؟ اما بيدو فانكر ذلك مطلقاً وقرر بانه لم يشعر بضربة ما . واستحلف اولئك الزعماء ليصرحوا له هل ما يقولونه صحيح ام يمزحون معه ؟ ولما سردوا حقيقة ما جرى بينها جعل يتجاهل ويجاهر بقوله لهم : ان محبة كيخاتو لي لا مثل لها ولولا ذلك لكان حقه ان يفسخني ويقطعني ارباً ارباً . ولما بلغ كيخاتو كلام بيدو هذا اطمأن باله واضمحل قلقه وسار بذاته الى خيمته وعانقه وقبله وجاء به الى

خيمته واحضر ثياباً ملكية وشحه بها . وتظاهر بييدو بانه مذنب ومسيء .
 ومستوجب للموت . وجعل يتأوه ويكي وهو يقول : لست ادري اني اذنبت
 واذا كان حدث ما حدث جهلاً مني فارجو ان تلقي لحمي لكلابك ولا تشفق علي .
 ازداد كيخاتو حباً وعطفاً وبالغ في السخاء على بييدو حتى انه في تلك
 الايام الثلاثة أنفق عليه زهاء اربعين روبة من ذهب وفضة وحلل مذهبة فاخرة
 ومناطق مرصعة بالياقوت والحجار الكريمة هذا سوى الخيل والبغال والافراس .
 على ان آل كيخاتو جعلوا يلومونه ويقولون له : كان الاجدر بك ان تتحاشى
 احتقار بييدو وان لا تدفعه الى اناس يسحبونه من شعره ويصفعونه ويجرحونه .
 واذا قد صار ما صار فالهدايا لا تفيده والتملق لا ينفعه . بل يجب ان تتعذر
 كل الحذر منه . وكان فريق آخر يقول له : ان الخليق بك ان تقضي عليه
 قضاء مبرماً والا فسيبدو منه ما لا تحمد عاقبته . وقال له بعضهم كذلك :
 اياك ان تنيط به خدمة من الخدم (٥٨٢) والاخرى ان يبقى طول حياته
 مأسوراً كي لا يمد يده او يؤذي احداً الهبة .

غير ان كيخاتو لفساد اخلاقه وخبث نياته وانهماكه في قضاء أوطاره
 تجراً ان يقول ليبدو اني احب ان يكون ابنك في خدمتي مقيماً لدي كرفيق
 وصاحب . فما كان من بييدو الا ان هسّ وبشّ لطلبه وأمر ان يرسل حالاً من
 يأتي به . فقال له كيخاتو : كلاً بل اذهب انت عاجلاً الى آلك قبل ان
 يعرفوا ما جرى بيننا من المشادة وعند وصولك اليهم وجه الى ابنك . فقال له
 بييدو على الرأس والعين . ثم غادر المعسكر مغادرة العصفور للفتح وجعل ينظر
 ورائه وهو مستعجل يقطع في يوم واحد مرحلة اربعة ايام حتى وصل الى بيته
 مطمئناً وأرسل ابنه الى كيخاتو وانتقل هو الى جبال همذان كأنه ذاهب الى
 القنص . ووجه من هناك رسولاً الى قازان بن ارغون يتظلم ويشكو ويقص
 عليه كل ما اصابه .

اماً كيخاتو فام يشعر بذلك كله بل ظل كعادته منهكاً في قضاء وطره
 ينفق الاموال الطائلة دون حساب . واتفق لسوء الحظ ان حضر اليه يومئذ
 صدر الدين الفارسي رئيس الكتاب اعني صاحب الديوان وذكر له ان خزان

الدولة قد فرغت وانه جعل يستقرض ويصرف ولم يبقَ لديه خروف واحد
يهيئه لطعام الملك . عند ذلك تولى امر النفقة رشيد الدولة اليهودي ونهض
بمهمته نهوضاً مشكوراً حتى انه اشترى بماله ربوات من النعم والبقر وأعد الطهارة
والطباخين (٥٨٣) على أن يؤدي له صاحب الديوان ما ينفقه . غير ان الخزانة
كانت فارغة خالية فاضطر ان يكتب الى البلاد صكوكاً في طلب النققات
ولم يحصل على شي . اما اليهودي فقد انفق كل ماله وعجز عن مواصلة عمله
واضطر ان يلوذ بالفرار . هكذا ظلت الاحوال ضيقة وتعذر على صاحب
الديوان ان ينهض بما يحتاج اليه ملك الملوك من المبالغ الطائلة .

عند ذلك افكر كيفيات ان يستنبط عملة جديدة اذ لم يستطع ان يحصل
على ذهب وفضة فأصدر امراً ملكياً نهى فيه استعمال الذهب والفضة على
الاطلاق وانشأ رقماً من القراطيس ذات علامة حمراء ودون فيها لفظة دينار او
دينارين او ثلاثة او اربعة او خمسة حتى العشرة واطلق عليها اسم « شاو » .
ونادى المنادون في المدن أن كل من يبيع ويشترى ويأخذ ويعطي بسوى الشاو
يقتل قتلاً . وكل من بيده فضة لا يذهب بها الى الدار التي يطبع فيها الشاو
ويأخذ بدلاً منها شاواً يقتل قتلاً . هكذا تقلب الناس في ضيق شديد وصعوبة
شاقة مدة شهرين كاملين حتى أمست تبريز عاصمة المغول كأنها قفراء اذ انهزم
اهاليها وتفرقوا واختفوا وغدت أغلب اسواقها مغلقة . وحصل فيها غلاء وجوع
وضيق شديد جداً . ذلك لان الاهالي لم يروا ان يستعملوا تلك الرقاع الحقيزة
وخافوا ان يتعاملوا بالفضة . واحتشد الاهالي عند صاحب الديوان يصخبون
ويضجون ويسبونهم ويشتمونهم اقبح الشتم ويسمعونه عبارات الاستهزاء والاستحقار
(٥٨٤) لا يريدون ان يذعنوا لقوله او يخضعوا لامره حتى اخذه الدهول وحاد
في أمره وخجل ان يعود في كلمته ولم يستطع الى تكميل مرامه سيلاً .

وراح الشعراء ينظمون ابيات القدح والهجاء . في حقه ولم يبقَ مطرب او
مغن الا انشأ الهازيج ونظم الاغاني والزجلية في ذمه والتهكم به . ولما
رأى ان الخاص والعام جميعاً يناهضونه أصدر امراً ملكياً اطلق فيه الحرية في
التعاطي بالشاو او الفضة على حد سوى . واعلن ملك الملوك بقوله : اننا لم

نأمر باستعمال الشاوا الا ترويحاً لمصالح الاهالي ليعيشوا عيشة هادئة مطمئنة .
وقضى كذلك بالغاء الجزية والضريبة . وذكر ان الحاجة الى الاموال اضطرته
ان يأمر بطبع الالوف والربوات من القراطيس الى ان قال : والان فلسنا
نضطر الاهالي في ذلك بل نطلق لهم الحرية في التعامل كما يشاؤون . عند ذلك
شمل السرور جميع البلاد والمدن وفتحت الطرق والاسواق بعد ما ظلت شهرين
كاملين مغلقة لا بيع فيها ولا شراء . ولا أخذ ولا عطاء .

ولما دخلت السنة ١٦٠٦ لليونان (١٢٩٥ م) عاد بيدو ليشتي ببامد دقوقة
كعادته وانتوى الخروج على كيخاتو ومناواته وتآمر سرّاً مع القواد المغول
المجاورين له وحشد الجنود واقبل بذاته الى بلد الموصل وقبض على القائد الذي
فيها وبطش به . وارسل فبطش كذلك بالقائد في بغداد . فتخوف سائر
الزعماء المغول جرأته وانضسوا اليه مسرورين مبتهجين وسيّروا الوفود الى قازان
مربين عن موافقتهم له وذكروا ان كيخاتو قد خالف طريقة المغول واستخف
بأبيهم جنكركخان وأتلف خزائن الدولة اذ انفقها في الخلاعة واسرفها في البذخ
والشهوات الدنيوية لا يهده امر الدولة ونجاحها . بنا . عليه اجمع الاقطاب
والزعماء والابناء والبنات والنساء والعرائس على خلعه . (٥٨٥) ثم صرحوا
لقازان بانهم متفقون على مبايعته بالخلافة المغولية .

اما قازان فارسل يقول لبيدو : انك عظيم في اسرائيل واننا باجمنا موافقون
لك وسائرون حسب سياستك . فاصنع كل ما يلزم ويوافق ويفيد بشرط ان
تظل دعائم الدولة راسخة غير متزعزعة . واستطرد يقول : ان الذي يتولى تحت
المملكة يلزمه ان يحجم عن البذخ والرفاهية في المطعم والمشرب ويكف عن
الاسراف وعن السخاء في غير وجوهه . ويفرغ كل جهده في المحافظة على
الدولة ويفتكر دائماً في مناهضة الاعداء ومقاومة من يقاومه اذ ان المملكة
لا تتعزز بربوات الجنود والجيوش بل بحكمة الملك وخبرته .

ولما عرف الاقطاب وابناء الملوك والقواد والضباط ان قازان وبيدو قد
اتفقا اتفاقاً حيباً وجعلاً يتفاوضان على يد السفراء في من يخلف كيخاتو في
العرش الملكي قرروا طبقاً لشريعتهم ان يتولى قازان ولا سيما لان بيدو يناضل

في سبيل ذلك بكل قواه . بناء عليه انغمضوا عن كينخاتو وهو لا يدري ولا يعرف ما يصير اذ كان كألوف عادته منصرفاً الى قضاء اوطاره وتكميل شهوراته . غير انه لما اطلع الخاص والعام على المؤامرة وبلغوه ايأها أفاق من غفلته ووجه سفيراً الى نواحي ديار بكر اعني الى الاقطار الشمالية ليحشدوا الجنود ويتوجهوا فيقبضوا على بيدو . لكن السفير عند بلوغه الى تلك الاطراف رأى ان الجيوش قاطبة متفقون مع بيدو وانهم متأهبون ليؤحفوا ويناوشوا كينخاتو . فانقلب اليه فوراً فاخبره بما ينوونه . وتبادر الى ظن كينخاتو ان بيدو مزعم ان يتوجه الى مقر قازان فحشد العساكر واغلق الطرق والثغور المؤدية الى خراسان . وجهز طاشر القائد الكبير في ربوة من الجند وارسله (٥٨٦) ليصد بيدو عن الصور في جبال شهرزور . ثم وجه كذلك حماء آغ بوقا في ربوة ثانية وعزل ان يزحف هو ايضاً في ربوة ثالثة ويتوجه الى مبارزة بيدو .

ولما شارف كينخاتو مدينة تبريز وحل في مكان يقال له اوجان وصل اليه طاشر وآغ بوقا في ربوتيهما وتزل الجميع في لحف جبل شهرزور من الناحية الشرقية . وكان بيدو ورجاله في الناحية الغربية فوجه سراً الى طاشر يقول : اني متحرق غيرة على تعزيز الدولة المعولية ولست اتوخى الا القضاء على كينخاتو بسبب أعماله الشائنة ولا سيما لاني علمت انه لم يترك لكم نساء او ابناء او بنات الا انغمس معهم في الدنس . فالحليق بنا ان نتحد كلنا قاطبة وننزله ونقيم قازان خلفاً له في العرش الملكي ونخضع له باجمعنا .

أعجب طاشر بمخاطب بيدو ووافقه في رأيه وارسل من ساعته يخبر رفيقه آغ بوقا ويصرح له بانه محالف لبيدو وموافق له وانه مزعم ان ينضم اليه . ثم طلب منه ان يطلعه على هدفه . غير ان آغ بوقا لكونه حماً كينخاتو لم يعجبه رأي طاشر بل تكدر خاطره ونوى ان يعود الى كينخاتو في الجنود الذين معه . ولما اصبح الصباح ركب طاشر كانه يريد التوجه الى بيدو وغلب على ظن آغ بوقا انه مزعم ان يناوشه وينهزم فسارع في بعض جنوده يريد كينخاتو وحرار في امره واستدعى اليه باريم القائد الذي معه وقال له : ارى ان عساكري قد انتقضوا علي فكن شجاعاً بطلاً واحمل عليه ولا تأخر . ثم أحضر ثياباً والبسه .

(٥٨٧) اما باريم فركب حصانه كمن يريد المعسكر حيث كان اهله ونساؤه وترك الخيام والمضارب وما كاد يتعد نحو مرمى سهم حتى كبس خيام كيخاتو وهزمه وجعل يتبعه . وكان كيخاتو قد ارسل فطلب روكل قائد العسكر الكرجي فاقبل اليه في روبة من جنوده وشاهد هناك الجنود مزدحمين ينهبون ويخطفون وقد وقعت بينهم الفتن والحصومات والمنازعات. وما مر القليل حتى وصل كيخاتو في اربعة او خمسة نفر فوثب اليه باريم واحدق به روكل كذلك واجهز عليه معاً في ٥ اذار ١٦٠٦ لليونان (١٢٩٥ م) دون ان يشعر يبدو بما جرى .

على ان يبدو لم يكن ينوي الفتك بكيخاتو بل كان يروم ان يقبض عليه ويعتقله في احدي القلاع وقد وجه بعض الجنود لياتوه به ولكنهم شاهدوه قد مات فعادوا واخبروه بما صار .

وبعد هذا اجمع الاقطاب والبنون والبنات والاصهار والعرائس على التسليم والخضوع ليبدو . وهذا بدوره ارسل سفيراً الى قازان يستقدمه عاجلاً. وكان قازان مقيماً في بلد بعيد والشتام شاملاً الاقطار والبراري خالية من المشب فتعذر عليه تلبية طلبه حالاً. اما اصحاب يبدو فلما استبطأوا قدوم قازان جعلوا يقولون له : ان المملكة جديرة بك لا بقازان الفتى الصغير السن الذي لا يتيسر له النهوض بسياستها . فاذا اعرضت عنها وسلته تدبير المملكة اسست احوال الدولة مشوشة مضعضة . فاغتر يبدو بكلام الملقين وجعل يتباهى ويتفاخر وعدل عن (٥٨٨) انتظار قازان . ووجه من نقل من تبريز العرش الملكي الفخم الذي تبوأه آباقا وارغون وغيرهما واقامه قرب اوجان واستوى عليه معتقداً ان المملكة قد استقرت له . وبعد ما اقام هناك اياماً معدودة مستسلماً للاكل والشرب ارتحل الى نواحي سياهكوه وحالفه من كان هناك من الابناء والبنات والاخوة والانساب والقواد والزعماء قاطبة واخذ يسوس الجميع سياسة هادئة مطمئنة . وخصص لكل من الاخوة وابناء الاعمام ناحية يستغاون مراردها ويتمتعون بها . وقرر بانه اذا فضلت فضلة يبعثون بها اليه . واذا عازم شيء يطلبونه منه. هكذا ودعوه جميعاً مجبورين يؤدون الشكر لله تعالى على استتباب

الامن والاتفاق ما بين الجنود والزعماء قاطبة .

اما قازان فلما شارف سياهكوه وعرف ان بيدو قد استحل المملوكة واستوى على العرش خلافاً للشرع احتدم غيظاً ولحقه ما لحقه من الكمد متأسفاً على ما كابده هو وجنوده من المشقة والعناء في طريقهم الطويلة الصعبة . وجعل يقول : أليس بيدو هو الذي استدعاني ؟ فلماذا لم يصبر ؟ وعلامَ جلس على العرش دون موافقتي ؟

اما بيدو فكان واثقاً بانه يهدى روع قازان ويسايره ببذل العطايا الفائضة وبالكلمات الحلوة والعواطف الرقيقة ويجعل تحت سلطته خراسان كلها وشيراز والبحرين وكرمان ويتخلى له عن جميع معسكر ارغون ابيه وعن جميع الخيل والبقر والقطيع والاموال والارزاق ينقلها معه الى خراسان متى شاء .

وقد وصل قازان الى قونطوراولان وبقي (٥٨٩) بينه وبين بيدو مرحلة يوم واحد فشاور نوروز بن ارغون قائد جيشه وكان هذا محنكاً بالحروب بطلاً في المامع واثقاً كلاهما ان ينقضاً بقتة على بيدو دون ان يشعر بذلك . غير انها لم يتوفقا في ما اعترما . ذلك لانها لمسا ركبا ليلاً وسارا بقوة شديدة تفجرت ميازيب السماء وهطلت الامطار وازعدت الروعود وهبت الرياح والعواصف فضلاً الطريق وتاها وسارا يتسكعان في الدياتير حتى اصبح الصبح فاذا هما قريبان من معسكر بيدو لا يتجاسران الدنو منه بسبب ما لحقها من الرطوبة والعناء والضعف فضلاً عن تشتت جيشها وتبعثره وهكذا أقاما حائزين مدهوشين .

اما بيدو واصحابه فقد استحوذ عليهم الرعب والهلع وركبوا هم كذلك وخرجوا ليأرزوا قازان . فلما رأى قازان ان لا سبيل الى القتال الحذر من حصانه وسارع الى بيدو وقبل احدهما الآخر ليحجلان ان يقضي احدهما لصاحبه بما نريا وبما حدث . فبيدو بسبب تسرعه وعدم انتظاره قازان وقازان بسبب قدومه الى بيدو ليلاً ليوقع به . وفي الحقيقة انه لولا الامطار والبروق والروعود لقتني على بيدو وعلى اصحابه قاطبة لا محالة .

ومن ثم فلما اتفقا وتصالحا وجعلا يتعاطبان ويتعاذلان أبدى قازان لبيدو

خضوعاً جميلاً وذكاءً مفرطاً وحكمةً جديرةً بالملوك مصرحاً بأنه تسالم وتصالح معه وأخفى على كل ما قيل له . واقدم احدهما للآخر بالآ (٥٩٠) يتنازعا ويتباحكا فيما بعد وان يسيرا معاً بالهدوء والسلام والحب والاتفاق والوثام .

ثم ان يبدو عرض على قازان ان يتوجها الى المعسكر ليلاً ليأكلا ويشربا ويتمتا مسرورين بما جرى بينهما من الصلح والمواذعة . لكن قازان احتج بما اصابه من العناء والتعب في الليلة السابقة وقال : الاولى ان يعود كل منا الى مكانه ليأخذ نصيباً من الراحة ثم نعود فنجتمع صباح الغد . فاقنع يبدو ببساطة قلبه واطلق له الحرية في ما رغب . ولما فارق يبدو امتطى ظهر حصانه وظل يطارد منذ عشية ذلك النهار والليل كله وهو ينظر غير مرة الى ورائه متعجباً بافلاته من يد يبدو .

وراح يبدو يهيئ في المعسكر الوان الاطعمة والهدايا الوفرة دون ان يهدأ او يكلل او يرقد وهو يفكر في تهديته خاطر قازان وارجاع المياه الى مجراها . ولما اصبح الصباح بعث بعض الزعماء ليلسوا عليه ويستفسروا عن صحته . فساروا فرسحاً وفرسحين وثلاثة واربعه ولم يشاهدوا في تلك الطريق سوى بعض احصنة مهجورة او ميتة . فاثقلوا عائدتين واخبروا يبدو بما كان . فتأكد له ان قازان لا يزال على كيدته وحقده وانه انما عاد لكي يشتد بالاكثر وينقلب الى مناوشته . فخاف كل الخوف وارسل في استحضار الاقطاب والجنود جميعاً كيما يعارضوا قازان ويناهضوه عند عودته .

اما قازان فقد شاور البطل نيروز واتفقا على ان يرسلوا الى يبدو سفيراً يرطب خاطره ويلهيه عن حشد عساكره ومناوشة خصمه . معتقدين انه اذا حاول حشد الجنود تيسر له ان يجمع منهم الوفراً وربوات ويصبح قازان غير قادر على مبارزته (٥٩١) . ثم اتفقا على ان يصرح السفير ليبدو بان جنود قازان قد خارت قواهم وان دوابهم ضعفت بسبب قلة الغذاء . ولا سيما لان تلك السهول خالية من الحشيش والمرعى ولا يتيسر لهم الحصول على العلف لدوابهم وعلى القوت لطعامهم . وبعد هذه المحادثة رضي نيروز ان يقوم هو بتلك السفارة . ويقنع يبدو كيفما كان كي يازم السكينة مطمئناً ولا يتحرك .

وصل نيروز ورحب به بيدو كل الترحيب وكشف له مضمرات قلبه حتى افضى الامر بنيروز ان يقول لبيدو : ان كنت في ريب او شك من قازان فانا مستعد ان اعود فأتيك برأسه في طبق . قال هذا وهو يتذرع بكل الذرائع ليتملص ويعود بالسلامة . اما بيدو فقد سُر بتصريح نيروز وقال له : اذا تيسر لك ذلك فاني مستعد ان استودعك جميع ذخائر مملكتي ثم اسنى اليه هدايا قيمة ودفع له ربوات من الذهب وكتب الى صاحب قزوين ليدفع له ربوة اخرى وصرفه .

ولما وصل نيروز وأخبر قازان بما صار اخذها العجب والتعجب معاً ولا سيما لحصول نيروز في قبضة بيدو وتصرف بيدو معه بكل سذاجة دون ان يبطن به . ومن ثم جملا كلاهما يستعدان للحرب ويحشدان المساكر من كل ناحية . وتولى نيروز عينه قيادة الجيش . وارسل قازان مع نفر قليل الى جبال مازندران ليلتهي بالقنص . ووجه شرمزة الى جهة اخرى وظل هو وخواته في جهة ثانية . اما بيدو فظل يتقلى ويتكوى وهو يقول : اين هو قازان ونيروز ؟ وبماذا يشتغلان ؟ وهل من نيتها ان يحاربا ام لا ؟ وجعل يرسل الوفود تترى ليطلع على حقيقة امرهما . ولما وصلوا (٥٩٢) وقابلوا نيروز وطلبوا ان يواجهوا قازان نفسه ويحادثوه شخصياً جعل نيروز يقول لهم : ما الفائدة من مقابلتكم فتى غيباً لا يعرف شيئاً ؟ ها هوذا يطوف الجبال والوهاد لا يهجه الا القنص . فاذا كان لا بد لكم من مشاهدته فهذا ابعث معكم من يدلكم على مكانه . وبالفعل سار اولئك الوفود في فريق من الرجال مضوا بهم في طريق قزراء وطوحوهم من قرية الى قرية ومن مدينة الى مدينة حتى اوصلوهم بعد ايام كثيرة الى مكان قازان . وما قابلهم قازان حتى طفق يشكو ويتذمر من بيدو وهو يقول : اين اليهود التي عاهدني بها ؟ واين المسكر ونساء ابي ووصائفه وقد وعدني بان يوجههم اليّ ؟ فاذا كان ينقض العهد كان حقه ان يعطيني لاترك كل شي . ، واعدوا الى خراسان .

عاد الوفود الى بيدو وجعلوا يحلفون ويؤكدون له ان قازان لا ينوي المحاربة وانه لم يحشد الجنود على الاطلاق وهو ينتظر ان تنجز له وعده ليعود الى

مكانه . فاقتنع بيبدو وارتضى ان يوجه الى قازان كل ما وعده به . غير ان الاعيان لم يوافقوه مؤكدين له ان في الامر دسيسة وخداعاً وخيانة. وان قازان انما يحاول الاستيلاء على معسكر ابيه لكي يزحف ويأتي لمناوشتك . ولا بد من ان يتبعه وينضم اليه ربوات من الامم والشعوب في الوف من الخيل والاعتدة . وبعد قليل وجه قازان الى بيبدو يقول : استعجل في ارسال العساكر لان الاعداء الشرقيين الذين في سواحل جيحون متحفزون لترحف الى ناحية خراسان وقد ظهر كثير من الخوارج وانضموا اليهم . غير ان الاعيان والرعا، الذين لدى بيبدو قرروا بان تلك الاخبار موهمة كاذبة لا حقيقة لها .

اما قازان فلما أخفق (٥٩٣) في ما نوى ارسل يقول لبيدو : لا حاجة الى العساكر . ذلك لكي ينفي عنه كل ظن سيء . اما بيبدو فقد تمهل مدة يجيل له الظل جسماً ويحسب تلك الخيل لا صحة لها وراح ينهمك في المطاعم والمشارب . ولكنه لم ينصرف الى الخلافة نظير كيخاتو سالفه بل كان يسير سيرة مرتبة منتظمة حميدة لجمال الفضلاء والحكماء والاعفاء والنسك من اية امة كانوا ويجزل لهم المواهب ويشجعهم بجلل ملكية . وبما ان دهبينة ابنة ملك اليونان قرينة اباقا كانت مقيمة لديه منذ بضع سنوات فلذلك كان يميل الى العطف على المسيحيين وينقل معه في معسكره كنيسة وناقوساً . غير انه لم يستحسن المجاهرة بالدين المسيحي لان المغول في عهدنا كباراً وصغاراً قد انضموا الى الدين الاسلامي واختنوا وجعلوا يزاولون الغسل والصلوات الخاصة به مما حمله على المجاهرة بالاسلام نظيرهم تحبياً الى اقطاب دولته . ومع ذلك كله لم يتمكن من الاستغناء عن النصارى اذ لم يكن يثق بغيرهم في شؤون الدولة وحساباتها . وهذا ما حمله على ان يعرج على الجنبين اذ كان يقول للنصارى انه نصراني والصليب معلق في عنقه ويقول للمسلمين انه مسلم ولكنه لا يستطيع ان يمارس غسلهم وصلواتهم . وكان اذا حضر لديه ائمة المسلمين وقاموا للصلاة وجه ابنه ليصلي معهم (٥٩٤) تأمينا لافكاره وتهدة لسخطهم . وقد عرف المسلمون حق المعرفة انه يميل الى المسيحيين اكثر من ميله اليهم . وظل زها . خمسة اشهر يسوس مملكته على هذا النسق .

اما هيتوم ملك قيليقية العادل الصديق^١ فلما بلغه نبأ انتصار بيدو واستوائه على عرش الدولة المغولية ومحبته للنصارى وميله الى عقيدتهم اكثر من سائر العقائد عدل على زيارته شخصياً توطيداً للعلاقات بينها . فغادر وطنه واستغرق سفره زهاء شهرين . وعند وصوله الى سياهكوه اتفق وصول الامير نوروز كذلك في عساكره لكي يقبض على بيدو . وانصرف بيدو الى استدراك امره فوجه سفيراً الى هيتوم الارمني يقول له : ارجع الى مراغة وانتظر هناك ريثما اطمأن واعود الى المعسكر فاكتب اليك في الشخوص الي . فسار هيتوم الى مراغة واقام فيها زهاء عشرة ايام وسمع ان بيدو قد فر من وجه نيروز البطل الكبير ووصل قازان ملك الملوك وتوجه الى تل الاسود بجانب ديهورقان وعند ذلك تهيأ هيتوم وانطلق الى زيارته وقدم له هدايا وافرة فقال له قازان : انك ما جئت لتزورنا بل لتزور بيدو . فقال له هيتوم : ينبغي لي ان اودي الخضوع لسلالة جنكوخان بأسرها واواني للنهوض بخدمة من يستوي على عرشها . عند ذلك رحب به ملك الملوك ترحيباً جميلاً ووشحه بجلل ملكية وأمر ان يسجل له الفرمان (٣٩٣) وتنفذ مسائله كلها .

وكان قبل هذا التاريخ قد صدر الامر بتقويض الكنائس فالتمس الملك هيتوم من ملك الملوك ان يأمر بإبقائها لكونها دور الله عز وجل وبيوت الصلاة . فاصدر ملك الملوك فرماناً قرّر فيه ان تبقى الكنائس على ما هي وان تحول بيوت الاصنام الى مساجد ومدارس اسلامية . هكذا بواسطة هذا الملك الارمني حفظت كنائس حجة ولم تتقوض . وغادر هيتوم المعسكر الملكي مجبور الفؤاد مبتهجاً كل الابتهاج وكان ذلك يوم الاحد ٩ تشرين الاول ١٦٠٧ لليونان (١٢٩٦ م) .

اما نوروز فقد انقض في جيشه على بيدو في مكان يدعى قونغور اولان ولم يتيسر لبيدو ان يبارزه او يقاتله ساعة واحدة لكنه انقلب سريعاً وأهزم من وجهه يوم السبت ٢٤ ايلول ١٦٠٦ لليونان (١٢٩٥ م) وظل نوروز يتبعه

١ هو هيتوم او حاتم الثاني ملك الارمن وقد انضم الى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وتوشح في اواخر حياته بزناز رهبنة مار فرنسيس ونوفي راهباً .

حتى يوم الخميس سادس تشرين الاول ١٦٠٧ لليونان (١٢٩٦م) فادركه وبطش به .
 وبعد هذا صدرت الاوامر بان تقوض الكنائس وبيوت الاصنام ومعابد
 اليهود وان يقتل اجبار الوثن ويحترق الاساقفة ويؤدوا الجزية والضريبة . واضطّر
 النصارى ان لا يظهروا الا بمنطقة على حقوبهم وان يتخذ اليهود علامة على رؤوسهم .
 وثار الاهالي يومئذ في تبريز وقوضوا جميع كنائسها وشمل الحزن جميع
 النصارى في كل الدنيا . ولا يتيسر لنا ان نحصي جميع ما كابدوه من الاهانة
 والاحتقار والذل ولا سيما في بغداد فقد بلغنا ان الرجال المسيحيين لا يتجرأون
 ان يظهروا في السوق وان نساءهم يخرجن ويدخلن ويقمن بالببيع والشراء لانهن
 لا يتميزن عن النساء المسلحات في زيهن (٥٩٦) واذا اتفق المسلمون ان يعرفوهن
 انصبوا عليهن بالضرب واللطم والسب والشتم . فاصبح النصارى في تلك النواحي
 متقلبين في اتس الخال واشقى الحياة يسخر بهم اعداء العدالة والانسانية
 ويقولون لهم : اين هو الاهكم ؟ واين من يساعدكم وينقذكم ويخلصكم ؟
 على ان هذا الاضطهاد قد شمل النصارى واليهود معاً . امأ اجبار الوثن
 عبدة الاصنام فكان ملوك المغول يخصوصونهم بكثير من الاجلال والاكرام .
 حتى انهم كانوا يجودون عليهم بنصف واردات الدولة ينفقونها في سكب الاصنام
 الذهبية والفضية . فلما شملهم اضطهاد التتر جاهر اغلبهم بالاسلام .

وبعد هذا اصدر ملك الملوك اوامر قاطعة وبعت وفوداً مغوليين الى كل
 مدينة وبلد في هدم الكنائس ونهب الاديار . فكان اولئك الوفود اذا شاهدوا
 مسيحياً ينهض بخدمتهم ويدفع لهم مبلغاً من المال اغمضوا عنه وتركوه وشأنه .
 اذ كانوا يفضلون حشد المال على تقويض الكنائس .

وقد توجه المأمورون التتر الى اربيل واقاموا عشرين يوماً ينتظرون اعيان
 النصارى كي ياتوا الى زيارتهم ويتعهدوا لهم بمبلغ من المال حرصاً على كنائسهم .
 غير ان المطران ذاته لم يهتبه هذا الامر الخطير . وبالجملة فان كلاً من الاهالي كان
 منصرفاً الى تدبير بيته فقط . ذلك ما جعل المأمورين على ان يفسحوا المجال للمسلمين
 فوثبوا باجمعهم الى كنائس المدينة الثلاث الفخمة فاخربوها وقوضوها من اساساتها .
 وجرى ذلك (٥٩٧) يوم الاربعاء ٢٨ تشرين الثاني من تلك السنة .

ولما بلغ النصارى المواصلة ما جرى هناك من الاهوال والعوائل خافوا خوفاً عظيماً . وما ان وصل المأمورون الى نواحيهم حتى خرج اليهم فريق ممن امتازوا بتفانيهم وحرصهم على الكنائس المقدسة وقرروا ان يدفعوا لهم مبلغاً من المال وافراً . واضطروا بسبب فقر حالهم ان ينتزعوا اواني الكنائس وامتعها فلم يتركوا صلياً ولا صورة ولا مبخرة ولا انجيلاً مرصعاً بالذهب او الفضة الا اخذوه . ولم يكتفوا بذلك كله بل فرضوا مبلغاً على المؤمنين في المدن والقرى وجمعوا زهاء خمسة عشر الف دينار ادوها للتتر في سبيل انقاذ الكنائس وتسديد الضرائب . وحدث في تلك القسطنطينية خلاف بين ملك الملوك وبين بعض المغول الاورتيين الذين يقضون فصل الشتاء حوالي دير مار متى بناحية الموصل فوجه اليهم وفوداً يتوعدونهم ويتهددونهم لانهم في عهد الملك بيدو كانوا قد تعدوا على التركمان وانتزعوا غنمهم وبقرةم وقطعانهم وخيلهم وبغالهم وجمالهم . فصدر الامر من لدن قازان ملك الملوك بان يردوا الى التركمان كل ما سلبوه منهم والا فاذا تردوا ولم يطيعوا وجب ان يقتلوا جميعاً .

على ان اولئك المغول الاورتيين كانوا قد اتلفوا اغلب ما سلبوه من التركمان مما حمل الوفود التتر والتركمان معاً على الاساءة اليهم ومضايقتهم كل المضايقة . فما كان من اولئك الاورتيين الا ان حملوا (٥٩٨) حملة واحدة على الوفود وعلى التركمان معاً وبطشوا بهم . ثم جمعوا اهلهم وكل ما امكنهم حمله وانهمزموا الى سورية وكان عددهم ريوه كاملة بينهم رجال حرب وقاتل . وتم ذلك يوم الثلاثاء ١٩ كانون الاول ١٦٠٧ لليوتان (١٢٩٦ م) .

وفي هذه السنة لم يزحف لصوص سورية الطاعة الى هذه الناحية الشرقية . لان الله جلت احكامه سمع صوت دماء المظلومين وصراخ المساكين فانتقم من اعداء الانسانية وسلط عليهم الغلاء والطاعون ولا سيما في مصر . فقد قيل ان الاسكندرية فرغت من السكان بالكلية . غير ان هذا الخبر لم يثبت عندنا بعد فلم نر التبسط في ذكره ومما لا شك فيه ان الغلاء والوباء قد فتكا بالمصريين فتكاً ذريعاً .

وفجر الاثنين ٢٠ حزيران ١٦٠٨ لليوتان (١٢٩٧ م) زحف علاء الدين

ابن جاجا الى مدينة آمد في جيوش كثيفة من العرب قادمين من سورية. وسبوا
اهاليها سبياً يئماً واستأسروا منهم اثني عشر ألفاً واجبزووا على جمهور غفير من
المسيحيين . ونكلوا بالسيد غريغوريوس مطران المدينة تنكيلاً فظيماً وبطشوا
به . واتفحوا فدخلوا كنيسة والدة الله الكبرى وانتهبوها واحرقوها بالنار
فتشوهت ابنيها وتضععت سقوفها واعمدتها الجميلة العجيبة وامست بسبب اللهب
والحريق الفظيع كومة من الحجارة . وظلت النيران مشتتة فيها نحو شهر .
وانما جرى ما جرى لان اهالي آمد انتقضوا على الملك الصالح صاحب ماردين
فارسل يستقدم ابن جاجا المذكور فزحف اليها في اثني عشر الف (٥٩٩) فارس
وفتح لهم الابواب اميرها علم الدين وادخلهم دون ان يشعر احد من الاهالي
وانهزم الى ماردين . فاحتلوا المدينة واخربوها . وكانوا يدخلون بيتاً بيتاً
ويشاهدون الرجل وامراته واولادها راقدين فينبهونهم ويقتلون الرجل
ويستأسرون المرأة والاولاد ويستاقونهم .

الحمد لله تعالى في البدء والنهاية

مركز تحقيق وتصوير علوم اسلامی

فهرس بأهم أسماء الأشخاص والأماكن



مركز تحقیقات کمپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١٠٩ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٢ - ١٤٣	
١٥٠ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٧٥ - ١٧٩	آبالي نوين : ٣٣٣
٢٤٢ - ٢٧٧ - ٢٧٩ - ٢٨١ - ٢٨٢	آبالا ملك الملوك : ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦
٣٤٥ - ٣٠٣ - ٣٠٠ - ٢٩٢ - ٢٨٦	٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٨
٣٨٠ - ٣٥٥	٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٧٢ - ٣٧٦
١٩٠ - ١٨١ - ١٧٤ : أنوري	آلور : ١٠ - ٣٧ - ٣٩ - ١٩٨ - ٣٠٩
١٧١ - ١٦٨ : (الميكليون) الأجره الفرير	٣٣٠ - ٣٣٣ - ٣٤٢ - ٣٤٨
٢٧٧ - ٢٧١ - ٢٦٣ - ١٩٥ - ١٩٤ - ١٧٦	آحود : ٢٩
٣٤٢ - ٣٢٦ - ٣٢٤ - ٢٩٨ : آبالا خان	آراس : ١٠٦
٢٤٣ : آجرام	آروق : ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٧
١٦٧ : آدهار	آشوم : ١٤٢
٢٦ - ٨ : آبراهيم	آطنة : ٦٣ - ١٥٣ - ٢٦٢ - ٣٢٥
٢٣ - ٢٢ : آبراهيم بن المهدي	آطيس البطريق : ١٥ - ٣٣
٢٢ : آبراهيم القرشي	آغ بوقا : ٣٧١
٢٧٦ - ١٧٧ - ١٥٥ - ١٥٣ - ١٣٧ : آبلستين	آفسفر برسوق : ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٤١
٣٠٤ - ٢٨٧ - ٢٨٥ - ٢٨١ - ٢٨٠ -	آل ابي عمران : ٧٠
٢٩٠ : آبناء اوكاي خان	آلاموت : ٣٠١
٢٧٩ : آبناء لدشي بن جنكرخان	آل جومية الرهاويون : ١١ - ١٤ - ١٥
١٠٥ - ١٠٤ : آبناء جفري بك	آل العباس : ٣٥٤
٢٧٤ - ٢٧٢ - ٢٣٧ : آبناء جنكرخان	آلك : ٣٦٨
١٦٠ : آبناء زنكي	آل المش : ٣٥٨ - ٣٥٩
٨٧ : آبناء سلجوق	آمد : ٣٥ - ٦٠ - ٦١ - ٦٤ - ٦٧ - ١٠٦ -

- ابناء العادل محمد بن ايوب : ٢٥٥
 ابنا غياث الدين كيكسرو : ٢٩٠
 ابنا قاروت بك : ١١٤
 ابنا كيوك خان : ٢٩٦ - ٢٩٥
 ابنا ميخائيل سلجوق : ٨٧
 ابنا نجم الدين ايوب : ١٨٢
 ابن التلميذ : ١٧٧
 ابن جبارة الجليلي : ١٤٧
 ابن جزلة : ١٢٥
 ابن حطير : ٨٤
 ابن الخطير : ٣٣٧ - ٣٣٤
 ابن دوري : ٣١٣
 ابن الرشيد : ٤٤
 ابن الزيات : ٦٨
 ابن سمية العربي : ٣٤١
 ابن سينا : ٨٨
 ابن شبل : ٨٤
 ابن شهاب الدين صاحب البرقة : ٢١١
 ابن شهرزوري : ١٣٠ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٤٥
 ابن صفية الطيب : ١٨٥
 ابن صلاحيا : ٣٠٨
 ابن صمصامة : ٧٣
 ابن الظاهر : ٢٤ - ٢٥ - ٢٦
 ابن عبدون البطيرك : ٨٣
 ابن المصري : ١ - ٢٩٨ - ٣١٦
 ابن عداس : ٧٤ - ٧٥
 ابن عزازباس : ٣٢٣ - ٣٢٢
 ابن العطار الوزير : ١٩٥
 ابن الحطيمي : ٣٠٧
 ابن عيسون النجم : ١٢٢
 ابن قرمان التركاني : ٣٣٩
 ابن لسيمي الوزير : ٢٦٧ - ٢٦٨
 ابن كسيرات الموصل : ١٢٨ - ١٢٩
 ابن كورار : ٣٠٧
 ابن لاجين صاحب نابلس : ٢١٦
 ابن مروان : ٩٦ - ٩٧ - ١٠١ - ١١٧
 ابن مشطوب : ٢٢٤ - ٢٥٣ - ٢٥٧ - ٢٥٩
 ابن المطران الدمشقي : ٢١٤
 ابن منقذ العربي : ١٢٤ - ١٣٢
 ابن هبل الطيب : ٢٥٠
 ابن وثاب التميري : ٨٥ - ٨٦ - ٨٩
 ابن ودعان : ١٢٩
 ابن بونس : ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢٢ - ٣٢٣
 ابو اسحق : ٢٨
 ابو البركات البغدادي : ٢٥٠
 ابو بكر : ١٨٢
 ابو بكر الكردي : ٣٤١
 ابو تغلب : ٦٥ - ٦٧
 ابو جعفر المنصور : ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - ٢٠
 ابو حصين القاضي : ٦١
 ابو سعد الطيب الفيلسوف : ١٥٤
 ابو سعيد : ٣٤
 ابو سهل المسيحي : ٦٩
 ابو سهل يحيى بن رستم الجلي : ٧٠
 ابو طاهر : ٧٤ - ٧٥
 ابو العباس : ٧ - ٨
 ابو العباس بن المقتدر : ٥٤
 ابو العلاء فهد بن ابراهيم اليقولي القبطي : ٧٣
 ابو علي حسن بن الهيثم البصري : ٨١
 ابو علي القائد : ٧١
 ابو غالب النصراني : ٤٧
 ابو الفاضل : ٧٢ - ٧٣
 ابو الفتح : ١٣٣
 ابو الفتح بن سيف الدين غازي : ١٩١ - ١٩٧ -
 ١٩٨ - ١٩٩
 ابو الفرج النسطوري : ٩٤

- ١٨٤ - ١٨٣ : صاحب مطية : أبو القاسم
 ٣٥٥ : أبو الكرم الفقيه النصراني : أبو الكرم
 ٦٧ - ٦٦ - ٦٣ - ٦٠ : ابوليث شومشكين : ابوليث
 ٨ : أبو مسلم : أبو مسلم
 ٦٥ : أبو المعالي : أبو المعالي
 ٢٨٠ : أبو المعالي محمد بن نصر : أبو المعالي
 ٧٧ - ٧١ - ٧٠ : أبو نصر بن هرون بن الجمال : أبو نصر
 ١٤٢ - ١٤١ : أتباع زنكي : أتباع
 ٢٦٧ - ٢٢٨ - ١٣٣ : أتاك : أتاك
 ٢٩٩ : أتاك زنكي : أتاك
 ٣٤٦ - ٣٤٤ : أتاك صاحب بلاد الروم : أتاك
 ٦١ - ٤٦ - ٤٣ - ٤٢ - ٤١ - ٤٠ : الأتراك : الأتراك
 ٩١ - ٩٠ - ٨٩ - ٨٤ - ٧٦ - ٧١ - ٦٨ : الأتراك : الأتراك
 ٩٨ - ٩٩ - ١٠٣ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١١٠ : الأتراك : الأتراك
 ١١٨ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٦ : الأتراك : الأتراك
 ١٢٧ - ١٢٨ - ١٣١ - ١٣٤ - ١٣٥ : الأتراك : الأتراك
 ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٢ : الأتراك : الأتراك
 ١٤٣ - ١٤٦ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٤ : الأتراك : الأتراك
 ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦١ : الأتراك : الأتراك
 ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ : الأتراك : الأتراك
 ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧١ - ١٧٣ : الأتراك : الأتراك
 ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٨ - ١٧٩ : الأتراك : الأتراك
 ١٨٠ - ١٨٣ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ : الأتراك : الأتراك
 ١٩٦ - ٢٣٥ - ٢٣٨ - ٢٤٥ - ٢٦٩ : الأتراك : الأتراك
 ٢٩٧ - ٢٢٩ - ٣٣٣ - ٣٣٤ : الأتراك : الأتراك
 ١٧٧ : الناسيوس بطريك اليونان : الناسيوس
 ١٦٣ : الناسيوس المطران : الناسيوس
 ١٥ : ليتا : ليتا
 ٣٥٤ - ٣٤٩ - ٣٤٨ : أحمد ارغون بن اباقا : أحمد
 ٣٤٧ - ٣٤٦ - ٣٤٤ : أحمد بن اباقا : أحمد
 ٢٦ : أحمد بن جاوري : أحمد
 ٧٩ - ٧٨ : أحمد بن علي بن قراخان : أحمد
 ٤٦ : أحمد بن محمد بن الحظية : أحمد
- ٢١٤ : اختيار الدين الحسن : اختيار
 ٢٦٧ : ادرياتيك (بحر) : ادرياتيك
 ١٦٣ : ادريانوبوليس : ادريانوبوليس
 ٢٠٦ : أدنة : أدنة
 ٩٠ - ٨٩ - ٥٨ - ٤٩ - ٣٧ : افريجان : افريجان
 ٢٤٤ - ١٤٨ - ١٢١ - ٩٨ - ٩٤ - ٩١ : افريجان : افريجان
 ٣٢٨ - ٢٩١ - ٢٧٨ - ٢٥٤ - ٢٥٠ : افريجان : افريجان
 ٣٥٣ - ٣٤٧ - ٣٣٧ - ٣٣٠ - ٣٢٩ : افريجان : افريجان
 ١٢ : اريسوس : اريسوس
 ٢٤٢ - ١٨٠ - ١٤١ - ١٢٨ : اربيل : اربيل
 ٢٨٢ - ٢٦٠ - ٢٥٩ - ٢٥٧ - ٢٥٦ : اربيل : اربيل
 ٣٢٠ - ٣٠٩ - ٣٠٨ - ٢٨٤ - ٢٨٣ : اربيل : اربيل
 ٣٣٠ - ٣٢٨ - ٣٢٦ - ٣٢٣ - ٣٢١ : اربيل : اربيل
 ٣٥٦ - ٣٤٠ - ٣٣٥ - ٣٣٤ - ٣٣٣ : اربيل : اربيل
 ٣٧٨ - ٣٦١ - ٣٦٠ : اربيل : اربيل
 ٣٦٥ : ارجين لورجي (كبخانو) اخو ارغون : ارجين
 ٣٧١ - ٣٧٠ - ٣٦٩ - ٣٦٨ - ٣٦٧ : ارجين : ارجين
 ٣٧٦ - ٣٧٢ : ارجين : ارجين
 ١١٩ - ١١٧ : ارق : ارق
 ٢٤٣ - ٢٠٨ - ٣٧ : الاردن (ارض) : الاردن
 ١٩٤ : الاردن (شاطئ) : الاردن
 ٣٤٩ - ٣٤٨ - ٣٢٦ - ٣٢٤ : الأردن : الأردن
 ٢٧٨ : اردوالبليق (قراقورم) : اردوالبليق
 ٢٨٧ - ٢٧٥ - ٢٧٤ - ٩٥ : ارزجان : ارزجان
 ٣٥٠ - ٣٣٣ - ٢٩٧ - ٢٩٢ - ٢٨٨ : ارزجان : ارزجان
 ٢٥٤ - ٦٠ - ٥٧ : ارزون : ارزون
 ٣٠٦ - ٣٠٥ : ارسانيوس البطريرك : ارسانيوس
 ١٠٨ : أرسطاكيس : أرسطاكيس
 ٣٣٠ - ٢٤٩ : ارسطو : ارسطو
 ١٣٢ : ارسلان الامير : ارسلان
 ١٧٠ : ارسلان بن طغرل : ارسلان
 ١٥٩ - ١٥٦ : ارسلان طغميش : ارسلان
 ٢٢٤ - ٢٢٠ : ارسوف : ارسوف

ارضروم : ٨ - ٩٨ - ٢٣٣ - ٢٤٤ - ٢٧٦ -	اسحق بن آحود : ٢٧
٢٧٧ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٣٠٢	اسحق بن حنين : ٤٣
ارغون : ٢٩١ - ٣٥٠	اسحق تلميذ الشيخ بابا : ٢٨٥
ارغون ملك الملوك : ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ -	اسحق اليوناني : ٢٠٤
٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦٢ -	اسد الدين شيركوه : ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٨ -
٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٧٢ - ٣٧٣	١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٢ -
ارغيش : ٧١ - ٢٤٧ - ٣٣٢ - ٣٣٣	٢٢٩ - ٢٤٨ - ٢٤٧ - ٢٩٣
أركسطيا : ١٠٩	اسطفان الارمني : ١٧٢ - ١٧٥ - ١٩٢
الارمن : ١٤ - ٣٨ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٧١ -	اسطفان البطريق : ٣١
٧٢ - ٩٤ - ١٠٣ - ١٠٧ - ١١٨ - ١٢٦ -	اسطفانس ملك الروم : ٥٦
١٣٥ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٥٨ - ١٦١ -	الاسكندر الكبير : ٩٦
١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٥ - ١٦٨ - ١٦٩ -	الاسكندرية : ٢٦ - ٧٢ - ١٧٩ - ١٨١ -
١٧٠ - ١٧١ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ -	١٨٢ - ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٠٢ - ٢٢٦ -
١٨٠ - ١٨٤ - ١٩٠ - ٢٠٦ - ٢١١ -	٢٩٣ - ٣٧٩
٢٢٧ - ٢٦٣ - ٢٨٠ - ٢٨٢ - ٢٨٧ -	اسماعيل أرسلان : ١٧٦
٢٩٠ - ٣١٥ - ٣٢٥ - ٣٢٧ - ٣٢٨ -	اسماعيل صاحب بصار : ٢٥٥
٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٣٦ -	الاسماعيليون : ١٤٩ - ٢٠٦ - ٢٢٣ - ٢٤٩ -
٣٣٩ - ٣٤٢ - ٣٤٨ - ٣٥٩ - ٣٦١ - ٣٦٦ -	٢٥٨ - ٢٦٢ - ٢٨٤ - ٢٩٠ - ٢٩١ -
ارميا النبي : ١٥٨	٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٢٨ - ٣٤٩ - ٣٦٣ -
ارمينية : ١٩ - ٣١ - ٣٧ - ٣٨ - ٤١ - ٦٤ -	اصحبل بن دنشمنده : ١١٨ - ١٢٥ - ١٢٦ -
٧١ - ٨٧ - ٨٩ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١١٠ -	١٢٨ - ١٣٢ - ١٨٤ - ١٨٦
١٢٦ - ١٤٦ - ١٧٦ - ١٩٢ - ١٩٣ -	اسوان : ٨١ - ٢٩٣
٢٠٦ - ٢١٤ - ٢٢٨ - ٢٧٩ - ٢٨٥ -	الأسود (نهر) : ١٩٦
٣٦٥ - ٣٣٦	الاشرف اخو خوارزمشاه : ٢٧٦ - ٢٧٧ -
أرناط صاحب الكوكب : ٢٠٢ - ٢٠٧ - ٢٠٩ -	٢٧٩ - ٢٩٣
٢١٤	الاشرف موسى بن العادل : ٢٣٤ - ٢٤٢ -
ارنط (العاصي) : ٧٢	٢٤٤ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٥٥ - ٢٥٦ -
اربع بوكا : ٢٧٩	٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ -
اريفوكا الاصغر : ٣١٨	٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ -
اريك بوكا : ٢٩٦	٢٨٢ - ٢٨٤ - ٣١٤ - ٣١٦
اسبانيا : ١٢٣	اشموط بن هولاكو : ٢٩٨ - ٣١٤
الاسيتاليون : ٢٠٩ - ٢٢١	اشموط السفير : ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٧ - ٣٤٠ -
استادار : ١٨٥	٣٤٨

٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢	اشنو : ٣٢٨
٣٣٧ - ٣٤٢ - ٣٤٧ - ٣٤٩ - ٣٥١	اصفهان : ٣٧ - ٩٧ - ١٢٢ - ١٢٧ - ١٥٤
٣٥٢ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٣	٢٦٧ - ٢٢٩
اكاس : ٨٥ - ٩٠ - ١٠٦	اطاغ (جيل) : ٣٣٦
أب ارسلان : ١٠٤ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨	اعلم الدين يعقوب : ٣٣٤
١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٥	الاعور صاحب طرابلس : ٢٥٤
ألفيدي : ١٤ - ١٦	اغناطيوس اسقف حلب : ١٧٣
ألفي صاحب مصر : ٣٤٥ - ٣٤٨	اغناطيوس البطريك : ٣٣١ - ٣٣٢
الكس بن منويل : ١٩٥	اغناطيوس بطريك اليقظة : ٢٧١
الكس صاحب سينوف : ٢٥١	اغناطيوس المطران : ١٧٥
الكسندر ملك الروم : ٤٧ - ٥١	اغناطيوس المزريات : ١٧٤ - ١٧٥
الكسيس ملك الروم : ١٣٢ - ١٣٦	الغول خاتيش : ٢٩٦
الألمان : ١٦٢ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨	الهاميا أو الهامية : ٢١ - ٧٢ - ٧٣ - ١٦٣
البياق نوين : ٣٢٢	١٧٣ - ٢٢٣
ألباخ القالد : ٣٤٦ - ٣٤٧	الخموس البطريك : ٣٢٤
البناس : ١٧٨	الهربدون صاحب ملطية : ١٨٤
اماسيا : ٢٨٥ - ٢٨٦	الهرقية : ٨ - ٩ - ٢٦ - ٣٧ - ٤٠ - ١٨٧
الامجد عباس : ٢٥٦	٢٠٥ - ٢٢٤
الأمين : ١٨ - ١٩ - ٢١ - ٢٢	افسوس : ١٢
امين الدين بن الغضب الاربيلي : ٣٦٢	الافشين : ٣١ - ٣٢
اندرونيقس : ١٦٨ - ١٧٥ - ٢٠٤	افشين التركي : ١٠٨ - ١٠٩
اندرونيقس زعيم اليونان : ١٩٨	الأفضل بن صلاح الدين : ٢٠٥ - ٢٠٧
انطاكية : ٢١ - ٢٤ - ٣٤ - ٤٠ - ٦١	٢١٦ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣١ - ٢٣٢
٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٧٢ - ٧٤ - ٨٣ - ١٠٨	٢٣٣ - ٢٤٤ - ٢٥٦ - ٢٦٨ - ٢٨٠
١١١ - ١١٦ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠	الملاطون : ٣٣٠
١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٦ - ١٣١ - ١٣٧	الأقباط : ٢٩ - ٧٣ - ٨١
١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥	القرطش : ٢٤٢
١٥٣ - ١٥٦ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥	القسرة : ٢٢٥ - ٢٩٣ - ٣٠٢ - ٣١٥ - ٣٢٢
١٦٨ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٥ - ١٧٦	الشاربند : ٣٣٦
١٧٧ - ١٨٣ - ١٩٦ - ٢١٤ - ٢١٨	الناق : ٢٩٥
٢٢١ - ٢٢٤ - ٢٢٧ - ٢٤٥ - ٢٥٤	الكراد : ٢٧ - ٣٤ - ٣٥ - ٦٥ - ٧٣
٢٨١ - ٣٢٧	٨٦ - ٨٩ - ١٤٢ - ٢٠٦ - ٢٤٥ - ٢٥٣
انطاليا : ٢٥٢ - ٢٩٣	٢٥٧ - ٢٧٧ - ٣٠٠ - ٣٠٣ - ٣٠٤

انطرس : ١٢٧ - ٢١٣	اباستين : ٣٣٤
انقره : ١٧ - ٣١ - ١٤١ - ١٨١ - ٢٤٣	ايك : ٢٥٦ - ٢٥٧
٢٨٧ - ٢٩٣	ايران : ٨٧
انكلترا : ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢١ - ٢٢٢	ايرانية : ١٧
٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٧ - ٢٣٠	ايراني : ١٢ - ١٤ - ١٥ - ٢٤
انكورك نوين : ٣٠٣	ايزايل : ٢٩٧
انوشكين الامير : ٩٠ - ٩١	ايزايل ابنة لاون : ٢٧١
أني مدينة من العجم : ١٠٦ - ١٩٠	ايزنجي : ١٦٦
اوتراد : ٢٥١	ابطاليا : ١٢٣ - ١٤٦ - ١٦٢
أوتكين بن جنكرخان : ٢٧٤	الايغوريون : ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٣٣٤
اوتكين تومان : ٢٣٧	ايلجيكناوي : ٢٩١
اوجان : ٣٧٢ - ٣٧١	ايلغازي بن ارتق : ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩
اورثيون : ٣٧٩	ايلكبختاي نوين : ٢٩٦
أوردجار بن جنكرخان : ٢٧٢	ايليون : ١١
اورشليم : ٣٥ - ٦٦ - ٧٦ - ٧٧ - ٨٥	ايتانغ قائد الغز : ١٠٣
١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٣٩ - ١٤٠	أيوب : ٢٨
١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٨	ايونيس الرصامي : ١٥
١٨١ - ١٨٣ - ١٩٠ - ١٩٤ - ١٩٦	ايونيس المطران : ١٦٥
٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢٢١ - ٢٢٣	ايوني شموشكين : ٦٨
٢٢٤ - ٢٢٩ - ٢٣١ - ٢٥٢ - ٢٥٣	ايوني ملك الروم : ١٣٧ - ١٤١ - ١٤٥
٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٣٣٩	١٥٣ - ١٥٥
٣٤٠ - ٣٦٦	
اورمية : ٨٩	
اوريجانيس : ٢٤٩	
الأوغيون : ٣٦٥	
أوقليدس : ٣٣٠	
اوكتاي أو أوغتاي بن جنكرخان : ٢٣٧ -	
٢٥١ - ٢٦٤ - ٢٧٢ - ٢٧٤ - ٢٧٥	
٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٩٠	
أونك خان : ٢٣٥ - ٢٣٦	
اويرتين : ٢٣٦	
اياز الامير : ١٢٧ - ١٢٨	
اياس : ٣٢٥ - ٣٢٨ - ٣٣١	
	بابا رومية : ٢٥٢ - ٣٦٥
	بابا الشيخ : ٢٨٥ - ٢٨٦
	باب عين كاوا : ٢٨٠
	بابك الخوارزمي : ٢٧ - ٣١
	بابل : ٧ - ٩ - ٤٤ - ٣٠٧
	بابولا : ١٦٤
	باتو جنكرخان : ٢٩٥ - ٢٩٦
	بادعية : ١٩٩
	باريم القائد : ٣٧١ - ٣٧٢

ب

- بارين : ٢٦٢
 باساري الأمير : ٣٣٨ - ٣٣٩
 باسان : ٢٥٢
 باسيل البطريق : ٣٣ - ٣٤
 باسيل ملك الروم : ٤٢ - ٤٤ - ٦٦ - ٦٨ -
 ٦٩ - ٧١ - ٧٢ - ٨٢
 باسيليوس اسقف : ١٥٨ - ١٦٢
 باعربايا : ٢٤٢ - ٣٥٨
 بالس : ٢٣ - ٢٤ - ١٣٤ - ١٣٦
 بالي باي البارون : ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٧١ -
 ٢٨٧ - ٢٨٩
 باماريا : ٢٠
 بامد دقوقه : ٣٧٠
 بانياس : ١٧٧ - ٢٥٢
 بايجو نوين : ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٧
 بيبوس : ١٥٧ - ١٥٨
 البحرين : ٢٦ - ٢٩ - ٣٧٣
 بخاري : ٩ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٨ - ١٠٠ -
 ١١٣ - ٢٣٠ - ٢٤٠ - ٢٥١ - ٢٥٨ - ٢٦٤
 بختيشوع : ١٠
 بختيشوع بن جبرائيل : ٣٩ - ٤٠ - ٤٣
 بختيشوع بن جورججوس : ١٧ - ١٨
 جبرائيل بن بختيشوع : ١٨ - ١٩
 بدر الدين تولوز : ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥٤ - ٢٥٦ -
 ٢٥٧ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٨٠
 ٢٨١ - ٢٨٤ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠٨
 ٣٠٩ - ٣١٣ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣٢٣ - ٣٤٤
 بندرو الكردي : ٣٤٠
 بندليس : ٣١٤
 براوق سليمان : ٣٤٠
 برجوان الحاجب : ٧٣
 برسائي : ١٣٨
 برسوق : ١١٦ - ١٣٠
- برصوما بن اندراوس : ٣٠٥
 برصوما (جبال) : ١٦٤
 برصوما (الصني) : ١٤٦
 برصوما (كنيسة) : ٢٨٩
 برطللي : ٢٥٧ - ٣١٩ - ٣٥١
 برعاما : ٢٩٩
 برقة : ٣٤٠
 برقوقه : ٣٣٤
 البرنس : ١٦٤ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٥ -
 ١٧٦ - ١٩٢ - ١٩٦ - ٢٠٦
 بروانة : ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ -
 ٣٣٧
 بزاعة : ١٩٢
 الباسيري : ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٣ - ١٠٤ -
 ١٠٥
 البهرة : ٨ - ٢٦ - ٣٤ - ٤٤ - ٤٩ - ٧٦ -
 ١٣٩ - ١٤٢ - ٣٦٠
 بطليموس : ٣٣٠
 بعلبك : ٦٨ - ١٦١ - ١٦٧ - ١٨٣ - ١٩١ -
 ١٩٤ - ٢٣٢ - ٢٧٥
 بعل زبوب (رئيس الجن) : ١٠٦
 بفا : ٣٨
 بغداد : ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١٣ - ١٧ -
 ١٨ - ١٩ - ٢١ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٨ -
 ٢٩ - ٣٠ - ٣٤ - ٣٨ - ٣٩ - ٤١ - ٤٢ -
 ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٧ - ٤٨ - ٥٠ - ٥٢ -
 ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٧ - ٥٩ - ٦١ - ٦٤ -
 ٦٥ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٢ - ٧٤ - ٧٥ -
 ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ -
 ٩٢ - ٩٣ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٤ -
 ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١١٤ - ١١٩ -
 ١٢٠ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٣٣ - ١٣٩ -
 ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥

بنو نعيم: ٨٤	١٤٧ - ١٤٩ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣
بهاء الدولة: ٧١	١٧٣ - ١٨٧ - ٢١٧ - ٢٤٤ - ٢٦٩
بهاء الدين بن شداد: ٢١٦	٢٧٠ - ٢٨٢ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٩
بهاء الدين الترمذاني: ٢٩٢	٣٠٤ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٣
بهرام صاحب شاكند: ٢٦٢	٣١٤ - ٣١٦ - ٣٢٢ - ٣٢٤ - ٣٢٦
بهرام النصراني: ٣١٦	٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣٨
بهرشاه: ٢١٤	٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٨
بهرز: ١٥١	٣٤٩ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٩ - ٣٦٠
بودوين: ٣٢ - ٣٣	٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٧٠ - ٣٧٨
بوريم: ٢٤	بغدوين: ١٢٥ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٤
بوشده: ٢٤٢	١٣٩ - ١٤٥ - ١٦١ - ١٦٢
بوغا (الأمير): ٣٤٧ - ٣٥٢ - ٣٥٤ - ٣٥٥	بغدوين الثاني: ١٣٧ - ١٤٦
٣٥٦ - ٣٥٧	بغدوين الثالث: ١٥٦
بوهيمند: ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٤١	بغدوين الرابع: ١٩٠ - ١٩٤ - ٢٠٤
١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٦	بغدوين الخامس: ٢٠٥ - ٢٠٦
بوهيمند بن البرنس: ١٦٤ - ١٧٧ - ١٩٧	بغراس: ١٧٥ - ١٨٣ - ٢١٣ - ٢٢١ - ٢٢٧
٢١٣ - ٢١٤ - ٢٢٤ - ٢٢٧ - ٢٥٢ - ٣٣٢	البقاع: ١٤٦
بيبرس البندقدار: ٣٠٩ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٧	بكتار صاحب خلاط: ٢٢٢ - ٢٢٣
٣٣١ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٤٠	بكراط بن آشوط: ٣٧
بيت باليغ: ٢٩١	بليان العبد: ٢٤٥ - ٢٤٦
بيت حسنة: ١٦٤ - ١٦٥	بليس: ٧٣ - ١٧٧ - ١٨١ - ٢٢٩
بيت عوراد: ٣٢٠	بلخ: ٨٨ - ١٥٥
بيت سحرانيا: ٢٥٧ - ٣٢١ - ٣٥٦	بلد (مدينة): ١٨٤ - ٢٠٣ - ٢٤٢ - ٢٥٧
بيت صيادة: ٣٦٠ - ٣٦١	البطار: ٨٣
بيت قنابا: ١٣٥	بلغارية: ٢٧٥ - ٢٧٩
بيتميش: ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٦٣	البلقاء: ٢٧٤
بيت وازيق: ١٠٠ - ١٤١ - ٢٠٤ - ٢٧٥	البندقدار: (راجع ببرز)
بيتونية: ٣٠٣ - ٣٠٤	البنطس: ١١٨ - ١٤٣ - ١٦٢ - ١٦٦
بيدو الأمير: ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٧٠ - ٣٧١	٢٤٢ - ٢٥١ - ٣٠٦
٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧	بنغوش: ١٧٨
براميز صاحب حصن زياد: ٢٨٣ - ٢٨٦	بنو دنشمند: ١٧٧ - ١٨٠ - ١٨٤ - ١٩٠
البرية: ١٥٩ - ١٦٥ - ٣١٥ - ٣٢٩ - ٣٣٣	بنو عقيل: ١٨٠
٣٤٥	بنو عمر: ٣٠٠

- بيروت : ٦٨ - ٢٠٩ - ٢٢٤ - ٢٢٥
 يشار : ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥
 يهو الخاقان : ٨٧
- ت
 نابور (جبل) : ٣١٧
 التاج بلغاري : ٢٨٥
 تاج الدين بن المختص صاحب اربيل : ٣٥٦ - ٣٥٩ - ٣٦٢
 تاج الدين عيسى : ٣٠٩
 تاج الملوك بوري : ١٨٢ - ٢٠١
 تانكار : ١٦٥
 تاودورس بن قاليويات : ٣٠٥
 تبت : ٩٦
 تبريز : ٩١ - ١٢١ - ٣٢٩ - ٣٤٥ - ٣٤٩
 ٣٦٤ - ٣٦٩ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٨
 تبين : ٢٠٩ - ٢٣٠
 التتر : (راجع المغول)
 تش ارسلان : ١٢١
 تراقية : ١٢ - ١٥ - ٥٦
 ترشنا : ١٦٧
 تركان خاتون : ١٢٠ - ١٢١
 التركستان : ٢٥١
 التركمان : ١٠٤ - ١١٥ - ١١٧ - ١٢٣
 ١٤٢ - ١٦٥ - ١٩٢ - ١٩٦ - ٢٠٦
 ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٨ - ٢٣٥ - ٢٤٣
 ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٣٠٣ - ٣٠٥
 ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٤٢
 ٣٥١ - ٣٦٥ - ٣٧٩
 تركيارق بن ملكشاه : ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٤
 ١٢٥ - ١٢٧
 تسالونقي : ٣٠٥
 تطران : ٢٨
- التغلييون : ٣٤١
 تليس : ٣٨
 تولا : ٢٤ - ٢٧
 تقي الدين بن المنصور الأيروي : ٢٦١ - ٢٧٤ - ٢٧٥
 تقي الدين عمر الأيروي : ١٨٢ - ٢٠٢ - ٢٠٥
 ٢١٣ - ٢١٦ - ٢٢٢
 تكريت : ٣٧ - ٥١ - ٧٠ - ٧٦ - ١٠٠
 ١٤٥ - ١٥١ - ١٧٠ - ١٨٠ - ٣١٣
 تكودار : ٣٤٨
 تل ارسانبوس : ١٥٩
 تل الاسود : ٣٧٧
 تل باشر : ١٣١ - ١٦٥ - ٢٥٥ - ٢٩٣
 تلبسا : ١٥٩ - ٢٠٦
 تل التوبة : ٦٥
 تل حمدون : ١٦٩ - ٢٦٣ - ٣٣٧ - ٣٤١
 ٣٤٢
 تل شيخ : ١٥٩
 تل العجول : ٢١٧ - ٢٧٣
 تل عفر : ١٠٣ - ١٦٦ - ٢٤٢ - ٢٥٩ - ٢٦٠
 تل فيق : ٢٧٣
 تل المصلوبين : ٢١٥
 تل موزل : ٢٠
 تموربالغ : ٨٧
 نجم (أبو حرب) : ٣٥
 تنكوت : ٢٧٢
 التنوخيون : ١٢ - ٢٢
 تيس : ١٣٢
 توران : ٨٧
 توركينا خاتون : ٢٩٠ - ٢٩١
 توروس الارمني : ١٤١ - ١٤٣ - ١٦٩
 ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧
 ١٧٩ - ٣٢٥

- توزان بهادر زعيم قنري : ٣٣٥
توزون القائد : ٥٧
توشي بن جنكرخان : ٢٣٧ - ٢٥١ - ٢٧٢ - ٢٧٩
توفانة : ٦٦ - ٦٧ - ٦٨
تولي بن جنكرخان : ٢٣٧ - ٢٧٢
توما : ٢٤
توما أمين الدولة : ٢٦٧ - ٢٦٨
توما بن موسار : ١٦
توماس بن لاون الارمني : ١٦٣ - ١٧٩
تون خان ملك الذهب : ٢٧٨
تيايس : ١٦٣
تيمورطاش : ١٥٤ - ١٥٩ - ١٦٥ - ١٦٦
- ث
ثودورا : ٣٦ - ٣٨
ثودوسيوس : ٢١ - ١٩٥
ثوفيل بن توما الرهاوي : ١١ - ١٢ - ٢٧
٢٨ - ٢٩ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥
ثابت : ٢١
ثابت بن سنان بن ثابت الحراي الصابي
(الطبيب) : ٦٧
ثابت بن قرة : ٤٨
- ج
جادوج : ١٧٧
جاوري : ٢٦
جاولي التركي : ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٤١
جيدانية اودالو : ١٦٩
جبرائيل بن محمد : ٧٤
- جبرائيل الرهاوي : ٢٧٣
جبرائيل اليوناني : ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٥ - ١٢٦
جبلّة : ١٥ - ١٦ - ٤٠ - ٦٨ - ١٤٠ - ٢١٣ - ٢٢٩ - ٢٦١
جبل الجوز : ٢٨٨
جبل لبنان : ١٢٤
جيل : ٢٠٩
جرجان : ٨
جرجر : ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ٢٨٥
جرماغون نوبن : ٢٨٦
الجزيرة : ١٩ - ١٣٠ - ١٣٨ - ١٤١ - ٢٤٢ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٤٣
جشرا : ٣٣١
جعفر بن المكفي : ٤٩ - ٥٠
جفاناي بن جنكرخان : ٢٣٧ - ٢٥١ - ٢٦٤ - ٢٧٤ - ٢٧٢
جعفري بك : ٨٧ - ٩٠ - ٩٩ - ١٠٥ - ١١٣
حفنة او حفنة : ١٢٦
جكرميش التركي : ١٢٨ - ١٤٨
جلال الدين توران : ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٨
جلال الدين حسين الاسماعيلي : ٢٤٩ - ٢٦٨
جلال الدين خوارزمشاه : ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٧٥ - ٢٧٧ - ٣٠٠ - ٣٠٤
جلال الدين القراطي : ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٣٠٠
جمال الدين بن ألي : ١٦٩ - ١٧٤
جمال الدين جوليع : ٣٢٣
جمال الدين قشتمور : ٢٧٨
جملين : ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٧٤
جناية : ٧٦
جنكرخان : ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٥١ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠

- جوباس : ٧ - ١٠٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٦٩ -
 ٢٩٨ - ٣٠٣ - ٣٠٥
 جور (جبل) : ٢٣٢ - ٢٥٩
 جورجي : ٢٩ - ٣٠
 جورجي ملك الكرج : ١٧٤
 جورختاي بن جنكرخان : ٢٧٢
 جورمانجون نوين : ٢٧٥
 جوسلين : ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٤
 جوسلين الثالث : ١٦٥ - ١٦٦ - ١٧٣
 جوسلين الثاني : ١٤٤ - ١٤٥ - ١٥٠ - ١٥٣
 ١٥٦ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٤ - ١٦٥
 جوسلين القمص : ١٣٩ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٤
 جوشن (جبل) : ١٩٠
 جولرلك : ٣٠٩
 جومغارين هولاكور : ٢٩٨
 جيحان : ١١٨ - ١٣٧ - ١٥٣
 جيحون (نهر) : ٨٧ - ١٥٥ - ٢٥٨ - ٢٦٥
 ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٧٦ - ٣٠٠ - ٣٥١ - ٣٧٦
 جي صاحب طرابلس : ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩
 ح
 حاداي : ٢٤٥
 حارم : ١٦٤ - ١٧٦ - ١٧٧ - ٢١٤ - ٣١٦
 حاصيرة : ١٥٣
 الحافظ صاحب جعير : ٢٥٥
 حالم (نهر) : ٩١
 حامد بن نمس سباخان : ٦١
 حاميمتا : ٢٨٣
 حالي : ١٦٩ - ١٩٣ - ٢٣٢ - ٢٥٩
 الحيشة : ٣٨
 حبيب : ٢٠
 حيش بن الحسن الاعسم : ٤٣
 الحداث : ١٢ - ١٣ - ٣٤
 حديص : ٢٠
 حران : ١٩ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٤٨
 ٦٣ - ٨٥ - ٨٦ - ١٠٧ - ١١٧ - ١٣٦
 ١٣٧ - ١٤٣ - ١٨٠ - ١٨٩ - ١٩٨
 ١٩٩ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٢٢ - ٢٣٢
 ٢٤٢ - ٢٥٩ - ٢٧٤ - ٢٨٢ - ٢٨٣
 ٣١٥ - ٣٤٥
 حرلي : ١٥٣
 حريرة : ١٥٩
 حسام الدين تيمورطاش : ١٦٩
 حسام الدين جويان : ٣٠٥
 حسام الدين العيتاني : ٣٣٨
 حسام الدين القيمري : ٢٧٦
 حسام الدين بولق ارسلان : ٢٠٢
 الحسن : ٢٢ - ٢٧
 حسون : ٣٥٨
 الحسين : ٢١
 حسين بن اتايغ : ١٣١
 الحسين بن علي : ٣٧
 الحصن : ١٩٦ - ٣٥٨
 حصن الاكراد : ١٧٣ - ١٧٦ - ٢١٣ - ٣٢٧
 حصن زايد : ١٣٤
 حصن زياد : ١٣٨ - ١٣٩ - ١٥٦ - ١٥٩
 ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٩ - ١٧٥ - ١٨٤
 ١٩٤ - ٢٤٤ - ٢٧٨ - ٢٨٠ - ٢٨١
 ٢٨٣ - ٢٨٦ - ٢٩٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤
 ٣٤٢ - ٣٤٨ - ٣٦١
 حصن عامودا : ١٦٣
 حصن كوكب : ١٦١ - ١٦٢
 حصن كيليا : ١٩٩ - ٢٤٢
 حصن مسارة : ٢٨٣

حصن منصور: ١٦٥ - ١٩٦ - ٢٨٠ - ٢٨٥ -	حيدر حاكم البيرة: ٣٤٢ - ٣٤٨
٣٠٣	الخيرة: ٤٣
الحكيم الملك: ١٨١	حيفا: ٢٠٩ - ٢٢٤
حلب: ٩ - ١١ - ١٢ - ٢٢ - ٥٩ - ٦٠ -	حيلان: ٢٨٩
٦٣ - ٦٥ - ٦٦ - ٧٢ - ٧٣ - ٨٣ - ٨٤ -	
١٠٨ - ١٢٠ - ١٣٣ - ١٣٦ - ١٣٧ -	خ
١٣٩ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٥٣ -	
١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٣ - ١٦٦ -	الخابور: ٣٧ - ٩٣ - ١٢٩ - ١٣٥ - ١٨٤ -
١٦٧ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٨٠ -	١٩٧ - ١٩٨ - ٢٠٠ - ٢٠٦ - ٢٤٨ -
١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٩ - ١٩٠ -	٢٨٤ - ٣٥٨
١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٦ - ١٩٧ -	خاتون: ٩٩ - ١٠٥ - ١١٣ - ٢٦٩ -
١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ -	الخاتون الجهي: ٣٥٥
٢٠٥ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢٢٩ - ٢٣٢ -	الخارجي: ١٧ - ٢٥ - ٤٤
٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٧٣ -	خان باليق: ٣١٨
٢٨٠ - ٢٨٦ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٣١٤ -	خانقين: ٢٨٥
٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٤٠ -	خراسان: ٩ - ١٧ - ١٩ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٩ -
٣٤١ - ٣٤٦ - ٣٤٨	٣٤ - ٣٧ - ٦٩ - ٧٧ - ٨٧ - ٩٠ - ٩١ -
الحلة: ٩٥ - ١٤٢ - ١٥٣ -	٩٢ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٩ - ١١٣ - ١١٩ -
حماة: ٩٠ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٣ - ١٦١ -	١٢٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٤ - ١٤٤ -
١٧٢ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٩٠ - ١٩١ -	١٥٤ - ١٧١ - ٢٢٨ - ٢٣٤ - ٢٤٨ -
١٩٢ - ١٩٩ - ٢٠٥ - ٢٣٢ - ٢٣٤ -	٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٧٢ - ٢٧٥ - ٢٩٠ -
٢٤٣ - ٢٧٠ - ٢٧٤ - ٢٧٧ - ٣٣٦ -	٢٩١ - ٣٣٤ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ -
٣٤١ - ٣٤٨	٣٧١ - ٣٧٣ - ٣٧٥ - ٣٧٦ -
الحمام: ٢٢	الخراسانيون: ٦٥ - ٢٥٩
حمص: ١٤ - ٣٧ - ٥٩ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٨ -	خرشنة: ٤٤ - ٥٩ - ٦١
٧٣ - ١٢٤ - ١٢٦ - ١٤١ - ١٤٣ - ١٦٦ -	خزرج الارمني: ١٠٧
١٧٠ - ١٧٧ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٩٠ -	الخطا (الصينيون): ٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٧٨ -
١٩١ - ١٩٩ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٣٣ -	٢٩١ - ٣١٨
٢٣٤ - ٢٤٧ - ٢٦٢ - ٢٨٧ - ٢٩٣ -	علاط: ٧١ - ٢٠٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ -
٣١٩ - ٣٤١ - ٣٤٢	٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٥٠ - ٢٥٦ - ٢٦٩ -
حنيشوع مطران الجزيرة: ٣٢٢ - ٣٢٣	٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ -
حنين الطيب الفاضل ابن اسحق: ٤٣	٢٧٩ - ٢٨٠ - ٣٣٢
حور عيار: ١٥٩	الخوارج: ٢٢ - ٢٤ - ٣٥ - ٩٨ - ٢٣٧ -

- ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٤
 ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٥ - ٢٧١ - ٢٧٢
 ٢٧٣ - ٢٧٥ - ٢٨٠ - ٢٨٢ - ٢٨٤
 ٢٩٥ - ٢٩٧ - ٣٠٩ - ٣١٤ - ٣١٨
 ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤٢ - ٣٤٥ - ٣٤٦
 ٣٥٢ - ٣٦٦
 دمغان : ٨٧
 دمياط : ٢٦ - ١٦٧ - ١٩٨ - ٢٥٣ - ٢٥٤
 ٢٥٥ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥
 دنغا (الجائليق) : ٣٢٦ - ٣٢٨ - ٣٣٩
 دُنيسر : ٢٤٦ - ٢٥٩
 دوالتون : ١٥٥ - ١٨٧ - ١٩٠ - ١٩٢ - ١٩٣
 الدواوية : ٢٦٢
 دوفايس الدمستق : ٧٣
 دوهور خاتون : ٢٩٨
 دوقة : ١١٢
 دولة ارسلان : ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٧
 دونغولا : ١٨٨
 دوتدار : (راجع ابن كورار)
 دوين : ١٧٦
 ديار بكر : ٢٧٣ - ٣٥٩ - ٣٧١
 دياربجي : ١٦٦
 الدير الاحمر : ١٣٥
 دير الباراد : ٢٨٨
 دير الباعوث : ٣٦١
 دير الباسماط : ٣٢٥ - ٣٣١ - ٣٣٩
 دير بالوط : ٣٢٧
 دير البحرة : ١٦٥
 دير برجاسي : ١٠٣
 دير برصوما : ١٠٧ - ١٣٨ - ١٥٨ - ١٦٥
 ٢٨٥ - ٢٩٩ - ٣١٥ - ٣٢٩
 دير الخنافس : ٣٢١
 دير الربان قوما : ٣٣٩
- ٢٩٦ - ٣٥٧ - ٣٧٦
 خوارزم : ٨٧ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ١٠٧
 ٢٣٤ - ٢٦٤ - ٢٦٧ - ٢٨٠ - ٣٤٩
 خوارزمشاه نكش ارسلان : ٧٩ - ٨٢ - ٨٧
 ١٥٥ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٤ - ٢٧٦ - ٢٧٧
 خوجا بنو بقسين : ٢٧٨
 خورنده : ٣٥٣
- د
 دارا : ٣٥ - ١٦٦ - ١٦٩ - ١٩٣ - ٢٠٢
 ٢٤٢ - ٢٥٩
 داروم : ٢٢٣
 دانيال النبي : ٢٠١
 داود ارسلان : ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤
 داود (برج) : ١٦٨
 داود بن حنين : ٤٣
 داود الربان : ١٥٤
 داود صاحب الكرج : ٢٨٤
 دبيس : ٣٥٦ - ٣٥٧
 دبيس المعدي : ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥ - ١٤٨ - ١٤٩
 دريساغ : ٢١٣
 دقوكة : ٧٤ - ٧٦ - ٢٧٥
 دكوار الدمشقي الطيب : ٢٧٩
 دكودوف : ١٤٦
 دمشق : ٧ - ٣٧ - ٦٣ - ٦٨ - ٧٢ - ٧٤
 ٨٠ - ٨١ - ١١٥ - ١٢٦ - ١٣٤ - ١٤٣
 ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٦ - ١٦٧
 ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٣ - ١٧٧ - ١٧٩
 ١٨٦ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١
 ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٧ - ١٩٨
 ٢٠١ - ٢٠٥ - ٢١٤ - ٢١٦ - ٢٢٥

- ر
- ديبر سرجسية : ١٠٧
 ديبر سرجيب : ٣٢٩
 ديبر سمعان : ١٧٦
 ديبر سوريكا : ١٦٦
 ديبر شيرا : ١٥٤
 ديبر عوميش : ١٣٥
 ديبر القديس زينب : ٢٥٠
 ديبر كاليبور : ١٧١
 ديبر كراييد : ٢٠٦
 ديبر كويخات : ٣٣٩ - ٣٣١ - ٣٢٥
 ديبر مائدة الملوك : ١٥٤
 ديبر ماديقي : ٣٠٣ - ١٠٧
 ديبر مار انجاي : ١٥٣
 ديبر مار اسيا : ٣٠٣
 ديبر مار اهرون : ٢٤٧
 ديبر مار حنانيا : ١٨٣ - ١٥٩
 ديبر مار ديمط : ٣٠٣
 ديبر مار قوما : ٣٥٩
 ديبر مار متي : ٣٧٩ - ٣٤٣ - ٣٣٧ - ٣٢٠
 ديبر مار ميخائيل : ٣٢٩
 ديبر مغنيسيا : ٣٠٥
 ديبر مقرونا : ٢٩٩ - ٢٩٨
 الديلم : ٩٩ - ٩٨ - ٧١ - ٦٨ - ٨
 دينور : ٧٦
 ديپورقان : ٣٧٧
 ديونيسيوس ابن الصليبي : ١٧١ - ١٥٨
 ديونيسيوس التلمحري : ٢٢ - ١٥ - ١٤
 ٣٠ - ٢٨
 ديونيسيوس عنجور : ٢٩٩ - ٢٨٨
- راجا القائد : ٣٥
 رأس العين : ٢٠ - ٩٦ - ١٤٣ - ٢٠٢ -
 ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٤٢ - ٢٥٩ - ٢٧٤
 رأس كيفا : ٢٠
 الراشد الخليفة : ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٣ - ١٥٤
 الراضي بن المقنن : ٥٥ - ٥٦ - ٥٧
 الرافقة : ٩ - ١٦ - ٢١ - ٢٣
 راوند : ٢٤٧
 ربسة : ١٤
 رجوت : ٣٤٠
 رَجَبِر : ١٣٤ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٩
 الرحبة : ١٣١ - ١٤١
 رحبوت : ١٧٣ - ١٧٧
 الرحي الطيب الدمشقي : ١٨٩
 رسم القائد : ٥١
 الرسن : ١٩١
 رشيد الدولة اليهودي : ٣٦٩
 رشيد الدين سوياشي : ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٢
 رضوان صاحب حلب : ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣٢ -
 ١٣٤
 رعبان : ١١٨ - ١٢٦ - ١٣٤ - ١٦٥ -
 ١٩٥ - ٢٠١
 الرقة : ٩ - ١٣ - ١٧ - ١٩ - ٢١ - ٢٢ -
 ٢٣ - ٢٥ - ٢٦ - ٤٩ - ٥٧ - ١٠٧ -
 ١١٧ - ١٣٠ - ١٤٣ - ١٨٤ - ١٩٨ -
 ٢٧٤ - ٢٨١
 ركن الدين صاحب قونية : ٢٤٣ - ٢٤٤ -
 ٢٩١ - ٢٩٣ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ -
 ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣١٥ - ٣٢٢ - ٣٢٥ -
 ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦
 الرملة : ٩
 الرها : ١٤ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٥٧
- ذ
- ذو القرنين صاحب ملطية : ١٦٧ - ١٧٥

رمونله دي فوتيرس : ١٤٦ - ١٦١	٦٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ١٠٧ - ١٠٩
ز	١١١ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠
الزباب : ٢٥٧ - ٢٦٠ - ٢٨٣ - ٣٢١	١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٦ - ١٥٦ - ١٥٧
زابار : ١٥٥	١٥٨ - ١٥٩ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٨٩
زاباريا : ٢٠	١٩٨ - ٢٠٢ - ٢٢٢ - ٢٣٢ - ٢٣٥
الزابين : ٢٠٤	٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣
زبطرا بارمينية : ١٥ - ٢٧ - ٢٩ - ٣١ - ٣٣	٢٨٩ - ٣١٥
زكريا : ٢٩	رودس : ٢٤٢
الزكي الأريبي : ٣٢٣ - ٣٢٥	روفين : ١٢٦ - ١٢٧ - ١٥٤ - ١٩٦ - ٢٠٦
زنكاباذ : ٢٨٤	٢٥٢ - ٢٥٤ - ٢٦٢
زنكي بن جكميش : ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٦	روكل قائد المسكر الكرجي : ٣٧٢
١٣٨ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٧	الروم : ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ٢٠ - ٢٤
١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٦	٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤
١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦١	٣٥ - ٣٦ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣
زوزان (الروزانية) : ٢٠٦ - ٢٥٤ - ٢٦٠	٤٧ - ٤٩ - ٥١ - ٥٢ - ٥٦ - ٥٩ - ٦٠
زيرك التركي : ٣٨ - ٩٣	٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٨ - ٧٣ - ٧٤
زين الدين التركي : ١٨٠	٧٧ - ٧٨ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٨ - ٩٢
زين الدين كوجك صاحب اربيل : ٢٠٣	٩٤ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ١٠٦ - ١١٠
س	١١٢ - ١١٥ - ١١٧ - ١٥٥ - ٢٢٤
الساچور : ٢٤	٢٢٨ - ٢٣٥ - ٢٤٣ - ٢٧٣ - ٢٧٨
ساحل البحر : ٦١	٢٨١ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٩٧
ساري : ٢٦	٣٢٥ - ٣٢٩ - ٣٣٢ - ٣٣٤ - ٣٣٥
سامان : ١٤٠	٣٣٦ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٦٥
سامرا : ٤٣ - ٤٢ - ٤١	رومان : ٣٣٦
السامرة : ٢٠٩ - ٢٣٤ - ٢٧٢ - ٢٧٤	رومانس ديوجينس : ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠
سان جيل : ١٢٦ - ١٢٧ - ١٣٤	١١١ - ١١٢
ساوشيا : ٣٧	رومانس مطران ادرنة : ٣٠٦
سبسطية قبدوقية : ٦٣ - ٧١ - ١١٨ - ١٢٦	رومانس ملك الروم : ٥٦ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٦
١٢٨ - ١٤٠ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٨٤	٦٨ - ٨٣
١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٠ - ٢١٤ - ٢٨٧	رومي : ١٦٥
٢٩٢ - ٣٠٠ - ٣١٥	رومية : ١٤١ - ١٦٧ - ٢١٢ - ٣٦٥
	رؤيح : ١٦
	الري : ٣٧ - ٤٥ - ٨٨ - ٩٠ - ١٠٦

- سبكتكين : ٦٧ - ٦٨
 ست نسيم : ٢٦٧
 سجاج الباب : ٢٨
 سجال الدين الازهي : ٣٦٣
 سرياشي السلطان : ٩٠
 سرفاق بن باتو : ٢٧٩
 سرجيس الراسعيني : ٤٣
 سرفوتني باجي زوجة الخان : ٢٧٩
 سرفوناني باجي : ٢٩٦
 سرماري : ٢٧٩
 سروج : ١٣ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٤ - ٦٥ - ٨٥ - ١٠٧ - ١٣٦ - ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٧٤ - ٣١٥
 سرونل : ٣٢٧ - ٣٢٥
 السريان : ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٩٥
 سطوريقس : ١٥
 سطوريني : ٢٠
 سعد الدولة : ٧٢
 سعد الدولة اليهودي : ٣٥٤ - ٣٥٩ - ٣٦٢
 ٣٦٤ - ٣٦٣
 سعد الدين كوشتكين : ١٨٥ - ١٨٩
 سعود بك الامير : ٢٩١ - ٣٦٢
 سعود الحلبي : ١٨٨ - ١٨٩
 سعيدات : ٣٤١
 سعيد بن صابوني : ١٢٢
 سغريس : ١٢
 سقسين : ٢٩٥
 سقناق نكين : ٢٥١
 سقنظرون : ١٧١
 سقوية : ٢٨٥ - ٣٣٧
 سلامية : ٢٠٥ - ٢٦٠
 سلجوق : ٨٧
 سلجوق شاه : ١٤٤
 السلجوقيون : ٨٦ - ٣٤٩
 سلفجاي : ٢٣٥
 سلوقية : ٤٤ - ٢٦٣ - ٢٧١
 سليمان : ١٤ - ١٩ - ٣٠
 سليمان بن قلميش : ١١٦ - ١١٨ - ١١٩
 سليمان بن قلع ارسلان : ٢٣٣ - ٢٣٥
 سليمان الشيخ (الراهب) : ٣٣١
 سليمان الفقيه المسيحي : ٦٥
 سمداخو : ٣٢٢ - ٣٢٣
 سمرقند : ٩٥ - ١٠٠ - ١١٣ - ٢٦٤
 سمسون : ١٤
 سمعان : ٨٧
 سمياط : ٩ - ١٩ - ٢٠ - ٢٥ - ٣١ - ٥٣ - ٦٠ - ١١٨ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٦٢ - ١٦٥ - ٢٢٢ - ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٥٥
 ٢٨٣ - ٢٨١ - ٢٦٨
 سنان بن ثابت : ٥٤ - ٥٦
 سباط آخر بالي : ٢٦٣
 ستاي : ٢٧٥ - ٢٩٨
 سنجار : ٩٣ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٤١ - ١٦٦
 ١٨٠ - ١٨٤ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠
 ٢٠١ - ٢٤٢ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٩
 ٢٦٠ - ٢٨٢ - ٣١٥ - ٣٤٤ - ٣٥٨
 سنجابس : ١٠٧
 سنجر : ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٧ - ١٤٩
 ١٥٥ - ١٧٣
 سنجر شاه : ٢٢٨
 سنحاريب : ٧٢
 سنعار : ٤٣ - ٨٦ - ١٠٦ - ١١٩ - ١٤٨
 ١٧٠ - ٢٧٥
 سقر الأشقر : ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٤٠ - ٣٤١
 سقور اياز : ١٣٦
 سودان : ١٨٨
 سورية : ٩ - ١٠ - ١٧ - ٤٠ - ٤٣ - ٥٩

سيالوس : ١٢	٦١ - ٦٦ - ٦٨ - ٧١ - ٧٥ - ٨٥ - ٨٩
سيمنادو : ٦٣ - ١٤٦ - ١٥٥ - ١٨٠	٩٠ - ٩٨ - ١٠٠ - ١٠١ - ١١٥ - ١١٩
سيمون البلغاري : ٤٧ - ٥٦	١٢٠ - ١٢١ - ١٢٣ - ١٢٧ - ١٢٨
سيان زعيم الاسماعيليين : ٢٢٣ - ٢٢٧ - ٢٨٦	١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٨ - ١٤٣
سيان سوباشي :	١٥٣ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٧ - ١٧٢
سينوف : ٢٥١	١٧٨ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٥ - ١٩٠
سيناط القسطنطين : ٣٣٣	١٩١ - ٢٠٦ - ٢٢٨ - ٢٣٤ - ٢٤٩
سيوالي : ٣٠	٢٥٥ - ٢٦١ - ٢٦٩ - ٢٧٧ - ٢٨٢
	٢٨٤ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٩ - ٣٠٠
	٣٠٩ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٨ - ٣١٩
ش	٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٤ - ٣٢٩ - ٣٣٠
شادي كودين : ١٧٦	٣٣٢ - ٣٣٤ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٩
شاه ارمن صاحب خلاط : ١٩٠ - ٢٧٣	٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤
شاهنشاه : ١٨٢	٣٤٥ - ٣٤٨ - ٣٥١ - ٣٥٧ - ٣٥٨
شاورد وزير مصر : ١٧٧ - ١٨١ - ١٨٢	٣٦١ - ٣٧٩ - ٣٨٠
شبكةان : ١٤٣ - ١٤٥ - ٢٣٥ - ٢٦٠ - ٢٤٨	سونج خان : ٢٥٨
شيب : ٢٣ - ٢٤	سويك : ٨٦ - ١٠٩ - ١٥٣
شجرة النور : ٢٩٥	سيهكوه : ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٧
شرف الدولة : ٧٠	سيرادن : ٢٥٨ - ٢٦٢
شرف الدولة بن قريش : ١١٧ - ١١٨	سيرين : ٧٣
شرف الدين احمد بن بلاس : ٣٠٣	سيس : ٦٢ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٨٩ - ٣٣١
شرف الدين بن قطب الدين : ١٩٩ - ٢٣٢	٣٣٢ - ٣٦٦
شرف الدين زيني : ١٥٢ - ١٥٥	سيف الاسلام طغطين : ١٨٢ - ١٩٠
شرف الدين شرابي : ٢٨٤ - ٢٨٠	سيف الدولة : ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٤
شرف الدين محمد بن الشيخ عدي : ٣٠٣	٦٥ - ٧١
شروان : ٢٩١	سيف الدولة ابراهيم : ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٤
شقيف أرنون : ٢١٤	١١٩
شكري البطريق : ٢٤٢	سيف الدولة السوباشي : ٢٨٣
شمس الدولة بن نجم الدين : ١٨٢ - ١٨٨	سيف الدين بن زنكي : ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٥
١٨٩ - ١٩٣ - ١٩٧	١٦٦
شمس الدين الاصفهاني : ٢٩١ - ٢٩٢	سيف الدين صاحب الجزيرة : ٣٢١ - ٣٢٣
شمس الدين باتكين : ٢٨٠	سيف الدين غازي : ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
شمس الدين بن ليبي الوزير : ٣٤٤ - ٣٤٥	١٨٩ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٧ - ٢٢٩

- شمس الدين سفير : ٣٤٦
شمس الدين صاحب الديوان : ٣٢٤ - ٣٤٩
شمس الدين كسروشاي : ٢٨٤
شمعون الربان : ٣١٧
شمعون الطبيب : ٣٥٥
شهاب الدين أخو مسعود : ٣٥٦
شهاب الدين كيكسرو : ٢٣٤ - ٢٥٥ - ٢٦٠ - ٢٧٠
شهاب الدين المعدي : ١٨٠
شهرزور : ١٨٠ - ٢٠٤ - ٢٧٥ - ٢٧٨ - ٣٧١
شهران صاحب غلاط : ١٩٩
شوبك : ٢٠٧ - ٣١٥
شورا : ٢٥
شوش : ٢٤٩
شوغربكاس : ٢١٣
شوفي بك : ٣٠٤
شومشكين الدمستق : ٦٦ - ٦٧
شوموشكي : ١٧٥
شيخ : ٢١٤
شيراز : ٧٥ - ١١٣ - ٣٣٨ - ٣٧٣
شيرز : ١٧٢ - ١٨٣ - ٢٦٧
- صدر الدين الفارسي صاحب الديوان : ٣٦٨
٣٦٩
الصعيد : ١٧٨ - ١٨٨
صغد : ٢١٤
صفورية : ٢٠٨
الصفي سليمان الطيب : ٣٠٩
الصقالبة : ٤٧ - ٩٤ - ٢٧٩
صقلية : ١٤ - ١١٣ - ١٦٣ - ٢١٣
صلاح الدين الايوبي : ١٦٧ - ١٦٩ - ١٧٦
١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٢ - ١٨٧ - ١٨٨
١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣
١٩٤ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩
٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤
٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩
٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤
٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩
٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥
٢٢٦ - ٢٣٠ - ٢٩٣
صلاح ياجوسباني : ١٤١
الصليبيون : ١٢٣
صمصام بن أبي : ١٦٩
صمصام الدولة : ٦٩ - ٧٠
صهيون : ٢١٣
صور : ١٤٠ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١٢ - ٢١٤
٢١٥ - ٢٣٤ - ٢٤٣ - ٣١٩
صوما الراهب الايفوري : ٣٦٥
صيदा : ٦٨ - ٢٠٩ - ٢١٤ - ٢٦١
الصين : ٢٦ - ٢٧٥ - ٢٩٦
الصينيون : ٢٣٠ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٩
٣١٨
- ص
الصائبة : ٢٣ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٤
صاريفين : ١٥٣
الصالح اسمعيل : ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١
١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٧ - ٣١٥
الصالح بن بدر الدين : ٣٠٤ - ٣١٤ - ٣١٩
٣٢٠ - ٣٢١
الصالح بن العادل : ٢٨٤
الصالح بن الكامل : ٢٩٣ - ٢٩٤
الصالح صاحب مارددين : ٣٨٠
- ض
ضباط : ١٣٢ - ٢٥٤

- ط
طورننده : ١٧٧
طوس : ١٧ - ٩٠
طوغر زعيم نيري : ٣٣٥
طوهوز خاتون : ٣١٥ - ٣٢٤
- ظ
الظافرين الحافظ : ١٧٠
الظاهر بن صلاح الدين : ٢٠١ - ٢٠٥ -
٢١٦ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٢ - ٢٣٣ -
٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٤٨ - ٢٥٢
الظاهر بن الناصر : ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٨٦ - ٣١٧
الظاهر ركن الدين . (راجع بيرز)
الظاهر القائد : ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٥٤
- ط
طوس : ٢٨ - ٣١ - ٤٤ - ٤٩ - ٥١
٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٨
١١٦ - ١٢٦ - ١٣٣ - ١٥٣ - ١٦٨
١٧٣ - ١٩٢ - ٢١٨ - ٢٦٢ - ٢٧١
٢٨٩ - ٣٢٥ - ٣٣١
طرفاشي المهولي : ٣٢٩ - ٣٣٠
طنتكين : ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٨
طنتكين بن ايوب : ٢٣٠
طغرل ارسلان : ١٣١ - ١٣٢ - ١٤٢
طغرل بك : ٨٧ - ٩٠ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤
٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ١٠١ - ١٠٢
١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٦
طغرل بلابا : ٣٠٣
طغرل بن محمود : ١٤٤ - ١٤٥ - ٢٢٨
طككشور : ٣٢٢
طنكربت : ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٥
طوانة : ١٧ - ٤٤
طور عدين : ٢٧
- ع
العادل أبو بكر بن أيوب ملك مصر : ٢٠١ -
٢٠٢ - ٢٠٥ - ٢١٧ - ٢١٩ - ٢٢١
٢٢٢ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣١ - ٢٣٢
٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٦
٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٢ - ٢٥٥
٢٧٣ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨٤ - ٢٩٣
العاقد خليفة مصر : ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٧
عبادان : ٧٦
العباس بن المأمون : ٢٨ - ٣٣
العباس وزير مصر : ١٧٠
عبدالله بن الظاهر : ٢٣ - ٢٩
عبدالله بن علي : ٨
عبدالله بن كوشو : ٣١٩
عبدالله بن هشام : ٢٠
عبدالله الطيب : ٥٣
عبد الرحمن : ١٤
عبد الرحمن (الشيخ) : ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦
٣٥٠ - ٣٥١

- عبد العلاء : ٢٣
عبد الملك : ١٣ - ١٤ - ١٦
عبد المومنين الفقيه الفارسي : ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٦٢
عبرا : ٣٠٥
عبيد بن ساري : ٢٦
عثمان : ٢٠
عثمان صاحب بانياس : ٢٥٥
العجم : ١٤ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٦ - ٨٤ - ١٠٤ - ١١٨ - ١١٩ - ٢٤٠ - ٢٥٤ - ٢٨٩ - ٣٤١
عجيف : ٢٧
عدي (الشيخ) : ٣٣٢ - ٣٣٥ - ٣٤١ - ٣٤٢
العراق : ١٩٠ - ٣١٥
عرب : ١٤١
العرب : ١٢ - ٢٠ - ٢٤ - ٢٧ - ٢٨ - ٣٠
٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٤ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٩
٥١ - ٥٣ - ٥٩ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٨ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٧
٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٦ - ٩٧ - ١٠٣ - ١٠٦ - ١٠٩ - ١١٥ - ١٢٤ - ١٢٧ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٩ - ١٤٣ - ١٤٦ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٦٢ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٧٥ - ١٨١ - ١٨٤ - ١٨٩ - ٢٠٢ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٣٠ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٨ - ٢٦١ - ٢٨٢ - ٢٨٦ - ٢٨٨ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٣٠٢ - ٣٠٨ - ٣١٣ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٨ - ٣٤٨ - ٣٦٠ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٦
- عربان : ١٩٧ - ١٩٨
عرقه : ١٢٤ - ١٧٣ - ٣٤٣
العريش : ٢٦ - ١٤٣
عزاز : ١٩٢ - ١٩٣
عز الدولة : ٦٥ - ٦٧ - ٦٨
عز الدين ابياع : ٣٢١
عز الدين ابيك حاكم خلاط : ٢٧٦ - ٣٢٣
عز الدين التركماني : ٢٩٥
عز الدين الحميدي : ٢٥٧
عز الدين صاحب الموصل (ابو الفتح) : ٢٢٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٨
عز الدين عيسى صاحب قلعة جعير : ٢١٠
عز الدين كيكاس (السلطان) : ٢٤٧ - ٢٤٨
٢٥١ - ٢٥٧ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣
٣٠٥ - ٣٢٤ - ٣٢١ - ٣٤٠
العزير : ٧٠ - ٧٢ - ٧٣
العزير بن صلاح الدين : ٢٠٥ - ٢٢٨ - ٢٢٩
٢٣١ - ٢٨٣ - ٣١٤ - ٣١٥
عزير محمد بن الظاهر : ٢٥٢
عقلان : ٨٥ - ١٢٥ - ١٦٧ - ١٦٨
١٦٩ - ١٧٠ - ١٩٣ - ٢١٠ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٦١
عقد الدولة : ٦٩
عكا : ٨٥ - ١٢٧ - ١٩٠ - ٢٠٩ - ٢١٢
٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢٢٠
٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٣٤
٢٥٢ - ٢٦١ - ٢٩٥ - ٣٠٩ - ٣١٩ - ٣٦٦
علاء الدين امام الاسماعيليين : ٢٦٨ - ٢٧٦ - ٢٨٠ - ٣٠١
علاء الدين بن يدر الدين : ٣١٩
علاء الدين بن جاجا : ٣٧٩ - ٣٨٠
علاء الملك بن الصالح : ٣٢٢

- علاء الدين بن غياث الدين : ٢٩٢ - ٣٠٠ - ٣٢٤
 عمورية : ٣١ - ٣٢ - ٣٣
 عينسة القائد : ٣٨ - ٣٩
 عيذاب : ١٩٨
 عيسى : ٨ - ٢٣
 عيسى ابو قريش : ١٧
 عيسى الامير : ١٥٣
 عيسى اليدوي : ٣٤٠
 عيسى بن الحصريه : ٣٣٢
 عيسى بن نسطور : ٧٠ - ٧٣
 عيسى الطيب : ٢٨٩
 عيسى (نهر) : ٤٤
 عيتاب : ١٦٥ - ١٦٩ - ٢٠٠ - ٢٥٥ - ٣٢٩
 علاء الدين بن قراستقور : ٢٤٧ - ٢٧١ - ٢٧٤
 علاء الدين صاحب الديوان : ٣٢٤ - ٣٢٦
 علاء الدين كرمشاه صاحب الموصل : ٢١٧ - ٣٢٨ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٩
 علاء الدين كيقباد : ٢٤٧ - ٢٥٨ - ٢٧٥ - ٢٨٣
 علقين : ٢٥٥
 علم الدين امير ماردین : ٣٨٠
 علم ستجر : ٣٢٠ - ٣٢١
 العلويون : ٣٥١
 علي : ٨ - ١٩ - ٢٧
 علي بن العباس : ٦٩
 علي بن الناصر : ٢٧٠
 علي بن بجيا : ٤١
 علي بهادور قائد ملطية : ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣١٣ - ٣٢٢
 علي بن دنشمنده : ١٣٧ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٧
 الغاف (جبل) : ٣٣٧
 غالران : ١٣٩
 غاير خان : ٢٥١
 غرزان : ٩
 غريفوربوس الجائلقي : ١٣٥ - ١٦٥
 غريفوربوس اللاهوتي : ٢٣٩
 غريفوربوس المطران : ٣٨٠
 الغزالي : ١٣٣
 الغز : (راجع الهونيون)
 غزوة : ٦٦ - ٨٥ - ١٤٢ - ١٩٣ - ٢٧٣ - ٢٩٧ - ٣١٩
 غزوة : ٩٠ - ٩١ - ١٣٦ - ١٥٤
 غلاطية : ٣٠٤
 غودفروا : ١٢٥
 عماد الدين زنكي صاحب الموصل : ١٨٣ - ١٨٤ - ١٩٧ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٣٠ - ٢٤٩ - ٢٥٤ - ٢٥٦
 عماد الدين صاحب سنجان : ٢٠٤ - ٢١٧ - ٢٢٨
 العمادية : ٢٥٤ - ٢٥٦ - ٢٦٠ - ٢٦١
 عمر بن الخطاب : ١٥ - ١٦ - ١٩ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٩
 عمر القائد : ٤١
 عمونيل البطريق : ٢٧ - ٣٣
 عمودية : ١٠٨

- غوفري صاحب سروند : ٢٦٣
 غياث الدين صاحب بلد الروم : ٣٢٥ - ٣٣٤ - ٣٤٩
 غياث الدين كيكسرو السلطان : ٢٢٥ - ٢٣٤ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٧ - ٢٨٣ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٣٠٠
 غياث الدين محمد : ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣٦
 غيلة : ٣٥٩
- فرديل الثاني : ٢٧٢ - ٢٧٣
 الفرزاي : ١٦
 فرزمان (نهر) : ١٦٥ - ١٦٩ - ٣٣٨
 الفرس : ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٠ - ٩٨ - ١٠٠ - ١١٨ - ٢٩٣ - ٣٣٧
 فرسخ : ١٣٦ - ٢١٦
 فرعون : ٧٨ - ٨١
 فروقيا : ٢٠
 فرمون : ١٢
 الفرنج : ١١٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ +
 - ١٢٧ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣
 - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٨ - ١٣٩
 - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٦
 - ١٤٩ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦
 - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣
 - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨
 - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣
 - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٩
 - ١٨١ - ١٨٣ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠
 - ١٩٢ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٨
 - ٢٠١ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠
 - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٥ - ٢١٦
 - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١
 - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٩ - ٢٣٠
 - ٢٣٤ - ٢٤١ - ٢٤٣ - ٢٤٥ - ٢٤٧
 - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٦١
 - ٢٦٢ - ٢٧٣ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨٢
 - ٢٨٦ - ٢٨٩ - ٢٩١ - ٢٩٣ - ٢٩٤
 - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٣١ - ٣٥١ - ٣٥٧
 ٣٦٠ - ٣٦٥ - ٣٦٦
 فرنسا : ١٦٢
 فرنسيس الملك : ٢٤١
 فروجية : ١٣٨
- الفائزين الظافر : ١٧٠ - ١٧٤ - ٢٥٣ - ٢٥٦
 الفائق بن العادل : ٢٨٤
 فارس الدين الامير الكبير : ١٧٠
 فاطمة خاتون : ٢٩١
 فافا الفارسي : ٣٣٧ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢
 الفتجان : ٦٨
 فتكا : ٦١
 فخر الدين اياس : ٣٠٤
 فخر الدين الرازي : ٢٤٩
 فخر الدين عبدالمسيح (عبدالله) : ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٩٢
 الفرات : ١٣ - ٢٩ - ٣٠ - ٨٣ - ١٠٩
 - ١٢٨ - ١٤٢ - ١٥٠ - ١٥٣ - ١٥٩
 - ١٦٧ - ١٦٩ - ١٩٨ - ٢٠٠ - ٢٠٢
 - ٢٦١ - ٢٧٨ - ٢٨١ - ٢٨٣ - ٢٨٩
 - ٢٩٩ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٩ - ٣٤٢
 ٣٤٣ - ٣٤٥ - ٣٤٨ - ٣٦٦
 فراغورم : ٢٦٥
 فرج الدوميني : ٢٩٩
 فرج الله الغليه والكاتب القبطي : ٣٥٩ - ٣٦٢

- فروخ شاه بن زنكي : ٢٥٩ - ٢٦٠
 فروسيدين : ١٦٧
 الفسطاط : ٢٦ - ٣٠
 الفلاسفة الخوارج : ٢٤٣
 فلسطين : ١٩ - ٣٥ - ٣٧ - ٤٦ - ٨٥
 ١٢٣ - ١٦٧ - ١٨٢ - ١٩٤ - ٢٠٧ -
 ٢٤٣ - ٢٩٣ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣٢٧
 فُلك : ١٤٦
 فوتاي عاتون : ٣٤٤
 فوتش : ١٦٢
 فوتكو بك : ٣٢١
 فوتولغ اينايغ : ٢٢٨
 فوريقس : ٢٦٢
 فونيقية : ٤٥ - ٢٤٣
 فيشابور : ٣٥٨
 فيلدلمية : ٢٤٢
 فيلردس الارمني : ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٦
 فيلوفوليس : ١٦٣
 فيلوفوتيسوس : ١٥
 فيليب ابن الاعور : ٢٦٢ - ٢٦٣
 فينيقية : ١٤٢
- القاسم : ١٧
 قاسينوس : ١٥٤
 قاشان : ٣٧
 قالويان بن تاوذورس : ٣٠٥ - ٣٠٦
 قاماخ : ٢٧٤
 القامبيون : ٢٣٨ - ٢٣٩
 القاهرة : ٨١ - ١٧٩ - ١٨١ - ١٩٣ - ١٩٧ -
 ٢٣٢
 القاهر تاج الدين اسحاق : ٢٥٦
 القاهر الخليفة : ٥٣ - ٥٤ - ٥٥
 قبدوقية : ١٤ - ١٥ - ٢٧ - ٦٥ - ١٤٣ -
 ١٦٨ - ١٩٥ - ٢٠٦ - ٢٧٥ - ٣٠٤ - ٣٣٦
 قبرص : ١٧٢ - ٢١٨ - ٢٣٠ - ٢٤٣ -
 ٢٤٥ - ٢٦٣ - ٣٥٧
 قلاي : ٢٩٦
 قلميش : ١١٦
 قرا ارسلان : ١٥٦ - ١٦٤ - ١٦٦ - ١٧٥ -
 ١٧٩ - ١٨٤
 قرا (برج) : ١٩٦
 قرا حصار : ١٩٧
 قراهورم (جبال) : ٢٧٨
 قرامان : ٣٦٥
 قرامطة : ٤٢ - ٥٩
 قرعنين : ٢٧
 قردو (جزيرة) : ١٢٩ - ١٤١ - ١٥٩ - ١٨٥ -
 ٢٤٨ - ٢٩٩ - ٣٠٥ - ٣٤٣
 القرص : ٢٤٦
 قرقوبي الصني : ٣٤٣
 قرقوس الحاجب : ٢٢٤
 قرقوش : (راجع خوريدة)
 القرقوشيون : ٢٣٩
 قرقيسيا : ٣٧ - ١٩٧ - ٣١٥
 قرواش : ٧٧
- القائم الخليفة : ٨٤ - ٩٤ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ -
 ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٦ - ١١٤ - ١١٥
 القابل : ٤٤
 القاحر : ٧١ - ٨٤
 قارب : ٢١
 قاروت بك : ١١٣
 قازان بن ارغون : ٣٦٨ - ٣٧٠ - ٣٧١ -
 ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ -
 ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩

- قرياقس : ٢١ - ١٠٣
 قريش المعدي : ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥
 قزوين : ٨ - ٣٧ - ٨٨ - ٣٠١ - ٣٧٥
 قسطنطية : ١٤٥
 قسطنطين أخو باسيل : ٨٣
 قسطنطين جاثليق الأرمن : ٢٧١ - ٢٨٧ - ٣١٦
 قسطنطين دو قاس : ٩١ - ٩٢ - ٩٤ - ٩٧
 ٩٨ - ١٠٨
 قسطنطين الكبير : ٧ - ٨ - ١٠ - ١٢ - ١٤
 ١٥ - ١٦ - ٢٤
 قسطنطين ملك الروم : ٤٧ - ٥١ - ٥٥ - ٦٠
 ٦٦ - ٦٨
 قسطنطينية : ١٢ - ٢٠ - ٢٤ - ٣٢ - ٤٧
 ٥٦ - ٦٣ - ٩٤ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٥
 ١١٦ - ١١٨ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٤١
 ١٥٣ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٧ - ١٧٥
 ١٧٧ - ١٧٨ - ١٩٠ - ١٩٨ - ٢١٦
 ٢١٧ - ٢٣٤ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣
 ٢٧٩ - ٣٠٦ - ٣٢٢ - ٣٢٤ - ٣٢٨ - ٣٢٩
 قيسانس اليوناني : ١٤٣
 قطب الدين سقمان صاحب آمد : ٢٠٣ - ٢١٦
 قطب الدين شهرامان : ٢٠٢
 قطب الدين شيرازجي حاكم بسطية : ٣٤٤
 قطب الدين صاحب ماردين : ١٩٣ - ١٩٩
 ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢١٨ - ٢٢٥
 قطب الدين محمد بن زنكي : ٢٣٠ - ٢٣٢
 ٢٣٣ - ٢٤٢ - ٢٤٨
 قطب الدين مودود ابن زنكي : ١٦٠ - ١٦٦
 ١٨٠ - ١٨٣ - ١٨٤
 قطينفون : ٨
 قطيعة : ١٣٧
 قلج ارسلان : ١١٨ - ١٢٠ - ١٢٢ - ١٢٨
 قلعة ارسلان بن مسعود (سلطان قونية) : ١٦٩ -
 ١٧٥ - ١٧٧ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٤
 ١٨٦ - ١٩٠ - ١٩٢ - ١٩٤ - ١٩٥
 ١٩٦ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢١٤ - ٢٢١
 ٢٢٥ - ٢٢٨ - ٢٤٣
 قلعة ابريم : ١٨٨
 قلعة بهجا : ٣٢٤
 قلعة بولا : ١٣٣ - ١٣٨
 قلعة تالا : ٣٥٠
 قلعة توما : ١٥٩
 قلعة تينا : ٣٤٨
 قلعة جردكوه : ٣٠١
 قلعة جعبر : ١٣٠ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٨٠
 ٢٢٩
 قلعة الحجر الأصغر : ٣٢٧
 قلعة خورتيرت : ١٣٩
 قلعة الدباب : ٣٣٥
 قلعة دوالو : ٣٠١
 قلعة دوقية : ٣٣٥
 قلعة الروم : ٣١٥ - ٣١٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩
 قلعة سروند : ٣٢٧
 قلعة شهدير : ٣٠١
 قلعة شيركوه : ٣٠١
 قلعة صرخد : ٢٢٩ - ٢٣٢
 قلعة صفد : ٣٥١
 قلعة صهيون : ٣٤٠
 قلعة طنكرلور : ٣٦٥
 قلعة العقير : ٢٤٩ - ٢٥٤ - ٢٥٦
 قلعة العمادية : ٣٥٠
 قلعة عمأوس : ٣٢٧
 قلعة عين زربة : ١٦ - ٣٨ - ٦١ - ١٦٣
 ١٧٣ - ٣٢٨ - ٣٣٩
 قلعة قارح : ٢٩٩

فهرس بأهم أسماء الأشخاص والأماكن ٤٠٧ .

- قونية : ١١٨ - ١٥٦ - ١٦٨ - ١٨٤ - ٢١٨ -
 ٢٢٥ - ٢٣٤ - ٢٤٣ - ٢٩٣ - ٣٠٠ -
 ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٥ - ٣٢٢
 قويق : ٢٢
 قيسارية قيصرية : ٦٢ - ٦٣ - ١١٨ - ١٤٧ -
 ١٥٥ - ١٥٦ - ١٨٠ - ١٨٤ - ٢٠٩ -
 ٢٢٤ - ٢٤٤ - ٢٨٣ - ٢٨٧ - ٢٩٢ -
 ٢٩٥ - ٣٠١ - ٣١٥ - ٣٢٤ - ٣٣٥ - ٣٣٩
 قيصري شاه : ٢٤٤
 قيليقية : ٢١ - ٢٨ - ٣٨ - ٤٩ - ٥٧ - ٥٩ -
 ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٦ - ٧١ - ١١٢ -
 ١١٨ - ١٢٧ - ١٣٤ - ١٤١ - ١٤٣ -
 ١٤٤ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٣ - ١٦٨ -
 ١٦٩ - ١٧٣ - ١٧٦ - ١٨٠ - ١٨٤ -
 ١٩٦ - ٢٠٦ - ٢١٣ - ٢١٨ - ٢٥٣ -
 ٢٦٢ - ٢٧١ - ٢٨٧ - ٢٨٩ - ٢٩١ -
 ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٣١ -
 ٣٣٢ - ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٤٢
- قوله : ١٧٧ - ١٤٥
 قلعة الكشان : ٣٥٣
 قلعة كواشي : ٦٥ - ٢٥٧
 قلعة كواكبر : ٨٢
 قلعة مرقب : ٢١٣ - ٣٤١
 قلعة نجم : ٢٠٥ - ٣١٦
 قلعة هاييج : ٢٩٢
 قلعة الفتاخ : ١٥٩ - ٢٠٣
 قلعة هيثم : ١٦٦
 قلعاط : ٨٤
 قلردية : ٨ - ١٠٧ - ١٦٧ - ٢٠٦ - ٣٠٣ -
 ٣٢٩
 قليقة : ٨
 قناح : ٣٠٣
 قنايا : ١٥٥
 قنسين : ٩ - ٢١ - ٢٢
 القنسطيل ابن باني : ٢٨٩
 قنسطيل أخو هيثوم : ٣٢٥
 قنقار : ١٨١
 قوبا : ٢٣ - ٢٩
 قوبلاي : ٢٧٩ - ٣١٨ - ٣٣٤
 قوتاي خاتون : ٣٣٨ - ٣٤٧
 قونغراي أخو ملك الملوك : ٣٣٤ - ٣٤١
 قونوز التركي المظفر : ٢٩٥ - ٣١٧ - ٣١٨
 قورس : ٢٠
 قوزيقوس : ٣٣١
 قوقاس (سهل) : ٢٧٩
 قوم : ٣٧
 قوما اللوزاني : ٢٩٩
 قومانة : ١٤١ - ١٩٠
 قونطوراولان : ٣٧٣
 قونغراي : ٣٤٦ - ٣٤٨
 قونغور اولان : ٣٧٧
- ك
 كابول : ٩
 كاخنة : ٣٠٤
 كاخنين : ٢٨٥
 كامخ : ٨
 الكامل بن العادل : ٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٥٣ -
 ٢٥٥ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٧٢ - ٢٧٣ -
 ٢٧٤ - ٢٧٧ - ٢٧٩ - ٢٨١ - ٢٨٢ -
 ٢٨٤ - ٢٨٦
 كتاب «الأشارة والتنبيه» : ٨٩
 كتاب الشفاء : ٨٩
 كتاب الجسطي : ٣٣٠
 كتاب «ملك ناqqه» : ٨٧

- كبوغا : ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨
 كخفي : ١٦٥
 كدالك نوبين : ٢٩٦
 كرندا القائد : ٣٥٨
 كريبزاج : ٢٨٣ - ٣٣٣
 الكرج : ١٣٩ - ١٩٠ - ٢٤٤ - ٢٤٥
 ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٧٦ - ٢٧٨
 ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٥
 ٢٩١ - ٢٩٨ - ٣٠٨ - ٣٣٥ - ٣٤٢ - ٣٤٧
 الكرخ : ٢٦
 كردستان : ٢٧ - ٣٥ - ٧٢ - ٣٢١
 كردليك : ١٣٥
 الكرك : ١٨٧ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٧
 ٢٠٩ - ٢٦٢ - ٢٧٤ - ٢٨٤ - ٣١٥ - ٣٤١
 كرمان : ٢٩١ - ٣٧٣
 كرم كوارم : ٢٦٥
 كرمليس (قرية) : ٢٨٢
 كريت (قبيلة) : ٢٣٥
 كريت (مدينة) : ٧٦
 كسرى الملك : ١٥
 كسوس : ١٥٤
 كشكر : ٩٦
 كشلي خان : ٢٥٨
 الكعبة : ١٠
 كهوتوت : ٦٥
 كهوزمار : ٢٠٤ - ٢٤٢
 كهوزمان : ١٥٠
 كهوسوت : ١٦٥
 كهوطاب : ١٤٠ - ١٧٣ - ١٩١ - ٢٣٣
 الكلدان : ٤٨
 كلكان بن جنكرخان : ٢٧٢
 كموشتاكين التركي : ١٠٧ - ١٠٨
 كنائس أربيل : ٣٧٨
 كنائس انطاكية : ٣٢٧
 كنائس بغداد : ٢١ - ٣٧
 كنائس تبريز : ٣٧٨
 كنائس الخلفيدونيين : ٢٣
 كنيسة آجيا صوفيا : ١٩٥ - ٢٤١
 كنيسة آحود آمه : ٢٩
 كنيسة ازربجان : ٣٣٣
 كنيسة نبريز للبعاقية : ٣٢٩
 كنيسة حران : ٢٣
 الكنيسة الخضراء : ٣١٣
 كنيسة السوق الثالث : ٣٠٨
 كنيسة سيس الكبرى : ٣٢٥
 كنيسة طرسوس : ٤٤
 كنيسة القديسة برباره : ٢٧٣
 كنيسة القسيان الكبرى : ١١٨
 كنيسة القيامة : ٧٦ - ٧٧ - ٨٥ - ٨٨
 الكنيسة الكبرى في الرها : ٨٤
 كنيسة كرمليس : ٢٨٢
 كنيسة كولي : ١٨
 كنيسة الكيسوم : ١٣ - ١٣٦
 كنيسة اللاذقية الكبرى : ١٧٣
 كنيسة مار برصوما في انطاكية : ١٨٣ - ٢٦٢
 كنيسة مار برصوما في سيس : ٢٨٩
 كنيسة مار بهنام : ٦١
 كنيسة مار توما : ٢٦٨
 كنيسة مار جرجس في انطاكية : ١٨٣
 كنيسة مار جرجس في قويا : ٢٣ - ٢٩
 كنيسة مرعش للبعاقية : ١٦٤
 كنيسة المعترفين في الرها : ١٥٧
 كنيسة ملطية الكبرى : ٢٨٩
 كنيسة همذان : ٣٤٣
 كنيسة والدة الله في انطاكية : ١٨٣
 كنيسة والدة الله في قويا : ٢٣

- كنيسة البعاقبة في بغداد: ٧٥
 كنيسة البعاقبة في حلب: ١٨٣ - ٣١٦
 كنيسة اليونان: ٣١٦
 كوتاس: ٢٤٥
 كوتان: ٩٦ - ٣٤٠
 كورزونا: ١٥٠
 كور (نهر): ٣٨ - ٣٥٩
 كوريس: ١٦٥
 كوساذاغ: ٢٨٧
 كوخ باسيل الارمني: ١٣٤ - ١٣٥
 الكوفة: ٢١ - ٢٢ - ٤٥ - ٤٩ - ٦٧ - ١٤٢
 كوكالكبي نونين: ٣١٩
 كوكبة: ٢١٤
 كوك سراي: ٢٥١
 كوكسو: ١٩٦
 كونراد صاحب طرابلس: ٢٠٧ - ٢٠٨
 ٢٠٩ - ٢١٠
 كوي باذربيجان: ٢٧٧
 كيالج: ٢٩٥
 كيدبوقا: ٣٠١
 الكيسوم: ٢٠ - ٢٥ - ٤٩ - ١١٨ - ١٢٦
 ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٥٠ - ١٥٤
 ١٦٤ - ١٦٥
 كيقوياد: ٣٣٥
 كيوك خان: ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٥
 ٢٩٦ - ٢٩٨
- لؤلؤة: ٢٧ - ٤٤
 لويس التاسع: ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥
 ليث: ١٢
- م
 ما بين النهرين: ٩ - ٣٧ - ١٤١ - ١٨٢
 ١٨٩ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٦
 ٢٣٠ - ٢٤٣ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٨
 ٢٧٧ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٦ - ٣٠٩ - ٣١٥
 ماداي: ٨
 مار آباي: ١٦٩
 مار اغرياس: ١٦٩
 مار افرام: ١٠٣
 مار برصوما: ١٦٦
 مار حنيشوع: ٣٢٧
 ماردين: ٢٠ - ١٣١ - ١٤٣ - ١٦٥ - ١٦٦
 ١٨٤ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٤ - ٢٥٩
 ٢٨٠ - ٢٨٩ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣٤٥
 ٣٤٦ - ٣٥٩ - ٣٨٠
 مار مكينا: ٣٠٧ - ٣٠٨
 ماري (جبال): ٣٤٩
 مار يعقوب: ١٥٨
 مار يهب الآحا: ٣٦٥
 مازندران: ٢٦٥ - ٣٤٨ - ٣٧٥
 ماكسين: ١٩٨
 المالحمة: ١٨٠
 المانويون: ١١
 المأمون: ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣
 ٢٤ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٤١ - ٧٠ - ٣٣١
 مؤنس الحاجب: ٥٠ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥
 المؤيد بن المتوكل: ٣٧ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢
 المؤيد بن المؤيد الكاتب: ٣٦٢
- لؤلؤ العبد: ٢٠٢
 لؤلؤ القائد: ٧٢ - ٧٣
 لور: ٢٩١
 لوقا (حصن): ٦٦

- ٣٧٧-٣٣٨
مرجا : ٢٩٩
مرج باشان : ٣١٧
مرج الربحان : ٢٢٨
مرج كنيوك : ٢١٤
مردخاي : ١٨٥
مرعش : ٩ - ٣٤ - ٥٩ - ١١٨ - ١٣٤ -
١٣٦ - ١٥٨ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٧١ -
١٧٧ - ٢١٣ - ٢٣٣
مرو : ١١٣ - ٢٣٤
مروان : ٧
مسارا : ٢٤٧ - ٢٥٨
المشرشد : ١٣٦ - ١٣٧ - ١٤٠ - ١٤٤ -
١٤٥ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ -
المستفيء بن المستجد : ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩١ -
١٩٥
المستظهر : ١٢١ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٤٠ -
١٥٢
المستصم بن المستصر : ٢٨٨ - ٢٩١ - ٣٠٧ -
٣١٣ - ٣١٤ - ٣٥٠
المستعين بن المستصم : ٤١ - ٤٢
المستكفي بن المكفي : ٥٨
المستجد بن القنفي : ١٧٤ - ١٨٥ - ١٨٦
المستصر : ٨٨
المستصر بن الظاهر : ٢٧١ - ٢٨٨
مسعود ارسلان : ١٣٢ - ١٣٦ - ١٣٨ -
١٤١ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٧ - ١٤٩ -
١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٥ -
١٥٦ - ١٦٥ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩
مسعود بن قوطي واني الموصل : ٣٣٤ - ٣٣٧ -
٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٨ - ٣٥٦ - ٣٥٩
مسعود بن الملك العظيم : ٢٩٩ - ٣٠٠
مسعود الغزنوي (السلطان) : ٩٠ - ٩١ - ٩٢
- مياذر بك الامير الكردي : ٣٥٩
المتقي بن المقندر : ٥٧
المتوكل اخو الواثق : ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ -
٤٢
المجاهد بن ناصر الدين : ٢٢٨
مجاهد الدين الدويدار : ٢٨٤
مجاهد الدين قياز : ٢٣٠
مجدل : ١٩٧
مجد الملك : ٣٤٤
الجوس : ٢٤٥
مجير الدين آبق صاحب دمشق : ١٦١ - ١٦٩ -
١٧٠
محسن بن صلاح الدين : ٢٨٣
محمد بن بكتمر : ٢٢٦ - ٢٤٥ - ٢٤٦
محمد بن حسن الاماعلي : ٢٤٩
محمد بن خوارزمشاه : ٢٤٩ - ٢٥١ - ٢٦٤ -
٢٦٥
محمد بن زكريا الطيب : ٤٥
محمد بن علي : ٨
محمد بن غازي : ١٤٧
محمد بن قرا ارسلان : ١٨٤
محمد بن محمود بن ملكشاه : ١٧٣
محمد بن ناصر الدولة : ٦٠
محمد بن هرون : ١٧ - ١٩
محمد شاه بن مسعود : ١٧٠
محمد القائد : ٤٩
محمود بن ملكشاه : ١٢١ - ١٢٢ - ١٣٦ -
١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٤ - ١٥٥
محيي الدين القلبي : ٣١٧ - ٣١٨
المختص صاحب اربيل : ٣٠٩
المدرسة المستنصرية : ٢٧١
المذاهب الاربعة : ٢٧١
مراغة : ٨٩ - ١٥٤ - ٣١٧ - ٣٣٠

المسلمون : ٢٣ - ٢٨ - ٢٩ - ٤٢ - ٥٤	٣٧٩ - ٣٦٦ - ٣٥١
٥٧ - ٦١ - ٧٣ - ٨٧ - ١٠٨ - ١٥٣	مصريات : ٢٢٧
١٨٥ - ٢٣٧ - ٢٧١ - ٢٨٠ - ٢٨٥	المصريون : ٧٢ - ٧٨ - ٧٩ - ٨١ - ٨٣
٣٢٦ - ٣٢٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢	١١٥ - ١٦٩ - ١٦٨ - ١٢٥ - ١٧٠
٣٥٣ - ٣٥٧ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦٤	١٨٧ - ٢٨١ - ٢٨٠ - ٢٢٥ - ٢٣٣
٣٧٨ - ٣٧٦	٣٣٤ - ٣٣٦ - ٣٣٩ - ٣٤١ - ٣٤٢
المسيحيون : ٢٣ - ٢٧ - ٤٧ - ٤٩ - ٥٣	٣٧٩ - ٣٦٦ - ٣٦٥ - ٣٦٠ - ٣٥١ - ٣٤٤
٥٧ - ٦١ - ٦٣ - ٦٥ - ٧٣ - ٧٧ - ٨٨	الخصبة : ١٦ - ٣٤ - ٦٣ - ٦٤ - ١٤٤
١١٨ - ١٢٣ - ١٣٨ - ١٤٠ - ١٤٦	١٥٣ - ٢٠٦ - ٢٦٢ - ٣٢٥ - ٣٣١
١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦٩	مصر : ٣٤٤ - ٣٤٥
١٧١ - ١٧٢ - ١٧٥ - ١٧٧ - ١٨٣	المطعم بن المقننر : ٥٨ - ٦٧ - ٦٨
١٩٠ - ١٩٢ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣	المظفر بن هولاءكو : ٣١٦ - ٣١٧
٢١٤ - ٢٢٢ - ٢٣٥ - ٢٣٧ - ٢٧٩	مظفر الدين كوكبري بن زين الدين (صاحب الزمان) : ١٨٠ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢١١
٢٨٨ - ٢٩١ - ٢٩٨ - ٣٠٢ - ٣٢٠	٢١٧ - ٢٢٨ - ٢٤٢ - ٢٤٨ - ٢٤٩
٣٢٤ - ٣٢٧ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣٢	٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٩
٣٣٦ - ٣٣٨ - ٣٤٣ - ٣٤٨ - ٣٥١	٢٦٠ - ٢٧٨ - ٢٨٠
٣٥٧ - ٣٥٩ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣	المظفر صاحب ماردین : ٣٤٥
٣٧٦ - ٣٧٨ - ٣٨٠	المعز بن المتوكل : ٣٧ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢
مصر : ٢٦ - ٢٨ - ٣٠ - ٣٧ - ٤٤	المعصم : ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢
٧٠ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٧ - ٧٨	٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٤١
٨١ - ٨٣ - ٨٥ - ٨٨ - ٩٨ - ١٠٠	المعتمد بن الموفق : ٤٦ - ٤٧ - ٤٩
١٠٨ - ١١٣ - ١٣٦ - ١٤٣ - ١٦٧	المعتمد بن المتوكل : ٤٤ - ٤٦
١٦٨ - ١٧٤ - ١٧٦ - ١٨١ - ١٨٢	المعتمد بن المعز : ٥٠
١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١	المعديون : ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٩٢ - ٩٦
١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٠١	٩٨ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٨
٢٠٥ - ٢٠٧ - ٢١٢ - ٢٢٣ - ٢٢٩	١١٩ - ١٤٢ - ١٩٣ - ٢٤٦ - ٢٧٢
٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٤٣ - ٢٤٧	٢٨٠ - ٢٨٢ - ٢٨٦ - ٣٠٠ - ٣٠٣
٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٦٢ - ٢٧٧ - ٢٨٠	٣٢٤ - ٣٢٤
٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٩٣	المعرة : ١٢٤ - ١٣٦ - ١٩١ - ٢٠٥ - ٢٣٣
٢٩٤ - ٢٩٧ - ٣١٧ - ٣١٩ - ٣٢٠	معز الدولة الأقطع أحمد بن بويه : ٥٨ - ٥٩
٣٢٣ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٣١ - ٣٣٢	٦٠ - ٦٤
٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٩	معز الدين سنجر شاه بن سيف الدين (صاحب
٣٤٠ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦	

ملزكرد: ٧١	الجزيرة): ٢١٧
ملطية: ٨ - ١٥ - ٢٩ - ٣١ - ٣٤ - ٤١	معز الدين بن قلع ارسلان صاحب ملطية:
٥١ - ٦٧ - ٧١ - ١٠٣ - ١٠٧ - ١١٢	٢١٥ - ٢٢١ - ٢٢٣
١١٨ - ١٢٠ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٦	المعظم بن الصالح: ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٩
١٢٨ - ١٣٠ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٧	المعين صاحب دمشق: ١٦٣
١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٦	المغرب: ٧ - ١٣ - ٧٣ - ١٨٧ - ٢٠٥
١٤٧ - ١٥٢ - ١٥٦ - ١٦٢ - ١٦٧	٢٥٤ - ٢٩٨ - ٣٤٤
١٧١ - ١٧٥ - ١٨٤ - ١٩٤ - ١٩٦	المغول (التر): ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨
٢٠٦ - ٢١٥ - ٢٣٣ - ٢٤٤ - ٢٤٧	٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٥١ - ٢٥٤ - ٢٥٨
٢٥٨ - ٢٧٥ - ٢٧٨ - ٢٨١ - ٢٨٣	٢٥٩ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٧٦
٢٨٥ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٢ - ٢٩٨	٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٢ - ٢٨٣
٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٧ - ٣٤٣	٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨
٣٥٨ - ٣٤٨	٢٨٩ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٥
ملكشاه بن ألب أرسلان: ١١٣ - ١١٤	٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠٢ - ٣٠٤
١١٩ - ١١٦	٣٠٥ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣١٣ - ٣١٤
ملكشاه بن تركيارق (جلال الدين): ١٢٧	٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠
١٢٩ - ١٣٠ - ١٣٢ - ١٣٠	٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٩
مليح الارمني: ١٨٣ - ١٩٢	٣٣٠ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥
المالِك: ٢٩٧ - ٣٥١	٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٤١ - ٣٤٢
منازكرد: ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ٢٤٥	٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩
٢٤٧ - ٢٤٦	٣٥٠ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٥ - ٣٥٧
مناصح: ٧٧	٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦٢ - ٣٦٣
منج: ٢٤ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١١ - ١١٥	٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١
١٣٢ - ١٣٩ - ١٩٢ - ٢٠٥ - ٢٣٢	٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩
٢٣٣ - ٢٥٥ - ٣١٥	معيث الدين بن قلع ارسلان: ٢٤٦
المتصرفين المتوكل: ٣٧ - ٤٠ - ٤١	المقتدر أخو المكتفي: ٥٠ - ٥١ - ٥٣ - ٥٤
منسى بن القزاز: ٧٠	٥٥
المنشار (قلعة): ٣٠٤	المقتدي بن القائم: ١١٤ - ١١٥ - ١٢١
المنصور الاموي: ٢٠٥ - ٢٢٢ - ٢٦١	المقتني (الخليفة): ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٥
منصورين عبدون: ٧٥	١٧١ - ١٧٤
المنصورين العزيز: ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٥	مقدونية: ٥٦ - ١٠٩
منصورين ناصر: ٢٥	مكة: ٥٩ - ٦١ - ٨١ - ٩٨ - ٢٦٩ - ٢٨٠
المنصورية: ٢٩٣	المكتفي بن المعتضد: ٤٩ - ٥٠

الموفق النصيفي : ٣٢٣	منوبيل ملك اليونان : ١٦٢ - ١٦٨ - ١٧٣
مونكا تيمور : ٣٤١ - ٣٤٣	١٧٤ - ١٧٨ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤
مونككا خان : ٢٧٩ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧	١٩٥ - ١٩٨ - ٢٠٤
٢٩٨ - ٣٠٠ - ٣٠٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٨	المهتدي بن الوراق : ٤٢ - ٤٣ - ٤٤
ميا فرقين : ٤١ - ٥٧ - ٦٠ - ٦١ - ٩٣	المهدي لقب محمد بن عبدالله بن الحسن بن
١٠٩ - ١٢١ - ١٩٠ - ٢٠٣ - ٢٠٤	الحسين : ١١ - ١٢ - ١٣ - ٢٧
٢٠٥ - ٢٢٢ - ٢٢٦ - ٢٣٢ - ٢٤٦	مهربان : ٧٦
٢٤٧ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٨٦ - ٢٨٩	موجان : ٣٠٢ - ٣٤٩
٣٠٣ - ٣١٤ - ٣١٦	مودود الامير : ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٦
ميخائيل الارمني : ١٣٨ - ١٤٩ - ١٦٥	موزر : ٢٥٩ - ٢٧٤
ميخائيل الامبراطور : ٢٠ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦	موسى بن المهدي : ١٣
٢٧	موسى الكردي : ٣٥
ميخائيل باليولوغس البطرقي : ٣٠٥ - ٣٠٦	موسى الكلبي : ١١ - ١٦٩
٣٢٢ - ٣٢٤	موشى : ٢٤٦
ميخائيل البطريرك : ٤٧ - ٦٧ - ٨٨ - ٨٦ - ٦٧	الموصل : ٣٩ - ٥٤ - ٥٨ - ٦١ - ٦٥ - ٦٧
١٠٧ - ١١١ - ١٣٧ - ١٤٠ - ١٦٣	٧٥ - ٧٧ - ٨٥ - ٩٣ - ٩٤ - ١٠٠
١٦٨ - ١٨٣ - ١٨٥	١٠١ - ١٠٣ - ١٠٦ - ١٢١ - ١٢٨
ميخائيل بن ثوفيل : ٣٦ - ٤٠ - ٤٢	١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٨ - ١٤١
ميخائيل بن شوفنا : ١٥٤	١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٥٣ - ١٥٥
ميخائيل بن قسطنطين : ١١٢ - ١١٥ - ١١٦	١٥٤ - ١٥٦ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٦
ميخائيل القسيس : ٢١٨	١٧٥ - ١٧٦ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
ميخائيل ملك الروم : ٨٤ - ٨٥ - ٨٨ - ٩١	١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٣ - ١٩٧
ميموندور (قلعة) : ٣٠١	١٩٨ - ٢٠٣ - ٢٠٦ - ٢٤٢ - ٢٤٣
ميناحوس الخارجي : ٩٢	٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥٤ - ٢٥٦
	٢٥٧ - ٢٦٠ - ٢٨٠ - ٢٩١ - ٢٩٩
	٣٠٠ - ٣٠٤ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١
	٣٢٢ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٩ - ٣٣٠
	٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٤٠ - ٣٤٢
	٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٨ - ٣٥٠
	٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٥ - ٣٥٨
	٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦٢ - ٣٧٠ - ٣٧٩
	موغان : ٣٥٥
	الموفق القائل : ٤٤
٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠	

ن

نابلس : ٢٠٩

ناصر الاسميلي : ٢٢٧

ناصر بن أزهر : ٤٠

ناصر بن المستضيء : ١٩٥ - ١٩٩ - ٢١٢

٢٢٩ - ٢٤٨ - ٢٥٤ - ٢٥٦ - ٢٦٠

٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠

- الناصرية : ٤٨ - ٢٠٩ - ٢٤٣
 ناصرت : ٩٥
 ناصر الخارجي : ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢
 ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٣١
 ناصر الدولة بن حمدان : ٥٨ - ٦٠ - ٦٥ - ٨٤
 ناصر الدين ارقق : ٢٤٥
 ناصر الدين بابا : ٣٢٥
 ناصر الدين بن تقي الدين : ١٨٢ - ٢٠٤
 ٢٠٥ - ٢٢٨ - ٢٣٢ - ٢٤٣
 ناصر الدين بن العادل صاحب الكرك : ٢٨٢
 ناصر الدين بن قرا ارسلان : ٢٤٤ - ٢٧٤
 ناصر الدين لؤلؤ : ٢٥٦ - ٢٦٠ - ٢٨٠
 ناصر الدين منقوراس : ٢١٣
 الناصر صلاح الدين داود صاحب حلب :
 ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٨٣ - ٢٨٦ - ٢٩٥
 ٢٩٧ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٧ - ٣١٨
 ناصر الكردي : ٣٣ - ٣٤
 نامكينك : ٢٧٨
 نجم الدين ألهي (ماردين) : ١٦٩ - ١٩٣
 نجم الدين ايوب الملك الاوحد : ١٦١ - ١٦٧
 ١٧٦ - ١٧٧ - ١٨٢ - ١٨٨ - ٢٣٢
 ٢٤٦ - ٢٤٧
 نجم الدين عبدالغني : ٣٠٧
 ناطرة : ٢٣ - ٦٧ - ٩٥ - ٣٢٦ - ٣٢٩
 ٣٣٠ - ٣٥٨
 نسطور : ١٨
 النصارى : ١٩ - ٢٢ - ٢٥ - ٢٩ - ٣٥
 ٣٦ - ٣٧ - ٥١ - ٦٦ - ٦٧ - ٧٠ - ٧٤
 ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٨١ - ٨٤ - ١٢٦
 ١٤٣ - ١٥٥ - ١٦٧ - ١٧٦ - ١٨٥
 ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ٢٠٧ - ٢٠٩
 ٢١٤ - ٢٨٠ - ٢٨٤ - ٢٨٨ - ٣٠٤
 ٣٠٥ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٣ - ٣١٨
 ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٤ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩
 ٣٣٠ - ٣٣٢ - ٣٣٤ - ٣٣٦ - ٣٣٧
 ٣٤٢ - ٣٤٨ - ٣٥١ - ٣٥٦ - ٣٥٧
 ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦٣ - ٣٦٥
 ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩
 نصره الدين ابو بكر : ٢٤٧
 نصره الدين بن زكري : ١٦٠
 نصر الدين بن نمركين : ٢٠٠
 نصيبين : ٣٥ - ٥٧ - ٦٠ - ٦٧ - ٨٥ - ٩٣
 ١٢١ - ١٣١ - ١٣٨ - ١٤٣ - ١٨٤
 ١٩٨ - ٢٠٠ - ٢٠٦ - ٢٣٠ - ٢٤٢
 ٢٤٨ - ٢٥٦ - ٢٥٩ - ٢٦١ - ٢٩٩ - ٢٤٣
 نصير (الخواج الفيلسوف) : ٣٣٠
 النصيريون : ٤٥ - ١٢٤
 نظام الدين بن يقش : ٢٣١ - ٢٤٤
 نظام الدين شهرمان : ٢٠٢
 نهر الاردن : ١٣٤ - ١٩٥
 نهر الازرق : ١٩٦
 نهر اليس : ١٧٦
 نهر ابيبل : ٢٧٩
 نهر الذهبس : ٣٢١
 نهر دجلة : ٢٩ - ٣٠ - ٤١ - ٥٧ - ٦٥
 ٦٩ - ٨٣ - ٩٩ - ١٧١ - ١٨٤ - ٢٠٤
 ٢٥٧ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٧٠ - ٢٩٩
 ٣٠٤ - ٣٠٧ - ٣٢٦ - ٣٢٨ - ٣٥٦
 ٣٥٨ - ٣٦٠
 نهر قراموران : ٢٧٨
 نهر قرمان : ٢٠٤
 النبوة : ٣٠ - ١٨٨
 التويون : ١١٤
 فوح : ١٢٢ - ١٢٣
 نور الدين ارسلان شاه : ٢٥٤
 نور الدين بن عز الدين : ١٩٧

	نور الدين بن القاهر: ٢٥٦
هـ	نور الدين بن قرا ارسلان صاحب حصن كيفا:
	١٩٦ - ٢٠٠ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٣٠ - ٢٣٣
	٢٤٨ - ٢٤٢ - ٢٤٣
هرثمة: ٢١ - ٢٢	نور الدين زنكي: ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١
هردو: ٢٧٢ - ٢٧٩	١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧
هرقانية: ٢٦٥	١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٤ - ١٧٥
هرقلية: ١٧ - ١٩ - ٣٣٢	١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠
هرون: ١٢ - ٢٧	١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
هرون الرشيد: ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧	١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩٣
١٨ - ١٩	١٩٧ - ٢٠١ - ٢٤٩ - ٢٥٠
هزارسب: ١٠٠ - ١٠١	نوروز بن ارغون: ٣٧٣ - ٣٧٧
هزرديناري عبد شهرمان: ٢٢٦ - ٢٤٥ - ٢٧٣	نورين: ٣٢١
هزردرد: ٦٧	نوقيسارية: ١٩٠ - ١٩٢ - ١٩٣
هكرية (المكارية): ١٨٠ - ٢٥٤ - ٢٦٠	نوماء: ٢٣٩
همدان: ٨٩ - ١٠٤ - ١٠٨ - ١٤٤ - ١٤٥	نوروز: ٣٧٤ - ٣٧٧
١٧٣ - ٢٢٨ - ٢٥٤ - ٢٦٥ - ٢٩١	نيسابور: ٣٧ - ٩٠ - ٢٣٠ - ٢٣٤ - ٢٤٨
٣٦٨ - ٣٤٣	نيخي: ٣٠٥
الهند: ٩ - ٢٦ - ٣٧ - ٤٧ - ٥١ - ٧٩	نيقوميدي: ١٠ - ١١٨
٨٢ - ٨٥ - ٩١ - ١٨٦ - ٢٣٥ - ٢٦٥	نيقية: ٣١ - ١١٨ - ٢٤٢ - ٣٠٢ - ٣٠٥
٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٧٢ - ٢٧٥ - ٢٩١	٣٠٦
هنري جوان: ٢٥٤	نيقيطا: ١٥
هتريط: ١٣٨ - ١٥٣ - ١٥٥ - ٢٧٨	نيقيفور البستاني: ١١٥ - ١١٦ - ١١٧
الهند: ٨٢ - ٩٦ - ٢٣٤	نيقيفور الدمستق: ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤
هولاكو بن الخان: ٢٧٩ - ٢٩٦ - ٢٩٨	نيقيفورس مطران الفس: ٣٠٦
٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٧	نيقيفور لوجيديط القبدولي: ١٥ - ١٦ - ١٧
٣٠٨ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦	١٩ - ٢٠
٣١٧ - ٣٢٤	النيل: ٢٨ - ٨١ - ٢٣٤ - ٢٥٣ - ٢٩٤
هومين صاحب جزيرة قردو: ٣٤٣	٣٦٠
الهونيون أو الغز: ٨٦ - ٩٢ - ١٢١ - ١٥٥	نينوى: ١٨٤ - ٢٤٢ - ٢٥٧ - ٢٨٢
٢٣٥ - ٢٨٢ - ٣٣٣	٣٣٢ - ٣٤٢ - ٣٥٥
هيتوم بن قسطنطين: ٢٧١ - ٢٩١ - ٢٩٧	
٣٠٢ - ٣٢٤ - ٣٧٧	
هيتوم ملك الارمن: ٢٩٧ - ٣٢٤ - ٣٢٦	
٣٢٧ - ٣٧٧	

- هيكل سليمان : ١٢٤
 هيلانة الملكة : ٢٧٩
- ه
 يثرب : ١٥
 يحيى بن سعيد : ٢٠
 يزيد : ٩
 يسوع المسيح : ٤٦ - ٥٧ - ٨١ - ١٥٧
 اليعاقبة : ١٨ - ٢٣ - ٢٨ - ٨٣ - ١٠٣ -
 ١٠٧ - ١٤٦ - ١٥٨ - ١٦٢ - ١٦٣ -
 ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٩ - ٢٦٧ - ٢٧١ -
 ٣١٣ - ٣١٦ - ٣٣٢
 يعقوب ارسلان : ١٥٥ - ١٦٧ - ١٦٨ -
 ١٧٥ - ١٧٦
 يلواج الأمير الكبير : ٢٩١
 اليمن : ١٨٢ - ١٨٩ - ٢٨١
 اليهود : ٢٣ - ٢٧ - ٧٠ - ٧٦ - ٧٧ - ٩٤ -
 ٢٨٠ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٥١ - ٣٥٤ -
 ٣٥٩ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٧٨
 يوحنا بن شوشان : ١٠٣
 يوحنا بن عبدون : ١٥٤
 يوحنا بن ماسويه : ٤٣
 يوسف بن محمد : ٣٧ - ٣٨
 يوسف شاه : ٣٤٩
 يوليانس الجاحد : ١٧٠
 اليونان : ٨٣ - ١١٤ - ١٢٢ - ١٣٥ - ١٣٨ -
 ١٤٦ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٢ - ١٦٣ -
 ١٦٦ - ١٦٨ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ -
 ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٨١ -
 ١٩٣ - ١٩٨ - ٢١٢ - ٢١٧ - ٢١٨ -
 ٢٢٥ - ٢٢٨ - ٢٤١ - ٢٨٢ - ٢٨٦ -
 ٣٠٠ - ٣٠٦ - ٣٢٨ - ٣٧٦
- الرائق بن المحتصم : ٣٦ - ٣٧
 واسط : ١٠٥ - ١٤١ - ١٧٠
 واسطو : ٣٥٨
 الوثنيون : ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٣٧٨
 وردوس العاني : ٦٩
 الوليد : ١٣
 ولي الدين بن صفى الدين : ٣١٦
- ل
 الآن : ٢٧٩
 اللاذقية : ٤٠ - ١٧٣ - ١٨٣ - ٢١٣
 ٢٢٩ - ٢٤٢ - ٢٦١
 لاون : ١٠ - ١١ - ١٢ - ٢٠ - ٢٤
 لاون الارمني صاحب قليقية : ١٤٣ - ١٤٤ -
 ١٥٠ - ١٥٣ - ١٦٣ - ٢٠٦ - ٢١٣ -
 ٢١٨ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٧ - ٢٢٨ -
 ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٨ - ٢٦٢ - ٢٧١
 لاون بن باسيل : ٤٤ - ٤٧
 لاون بن هيتوم : ٣٢٥ - ٣٢٧ - ٣٢٨ -
 ٣٢٩ - ٣٣١ - ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٣٧ -
 ٣٣٩ - ٣٤١
- ي
 يالا : ٢٠٩ - ٢٢٤ - ٢٣٠ - ٢٧٣

فهرس المحتويات

(٧)	استهلال من الناشر للأب سليم دكاش اليسوعي	
(١١)	تقديم للأب الدكتور جان موريس فيه الدومينيكي	
(٢١)	فهرس تاريخ الزمان لابن العبري	
١	مقدمة المترجم	
	نص كتاب تاريخ الزمان : <i>مركز تحقيقات كميونير علوم رسيدي</i>	
٥	الحقبة العاشرة	
٣١٣	الحقبة الحادية عشرة	
٣٨١	فهرس بأهم أسماء الأشخاص والأماكن	
	Introduction du Dr. P. Jean Maurice Ficy o.p.....	p.l

ABŪ AL-FARAJ JAMĀL AL-DĪN IBN AL-'IBRĪ

TĀRĪḤ AL-ZAMĀN

D'après la traduction arabe du

P. ISḤĀQ ARMALEH

Introduction du

Père Docteur JEAN-MAURICE FIEY

Paru à l'occasion du 700^e anniversaire
de la mort de l'auteur (1286-1986)



dar el-machreq éditeurs sarl



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی